

جامع البيان

عن
تأويل آي القرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٢٢٠ هـ

الأجزاء

٢١ - ٢٠ - ١٩

دار الفكر

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء التاسع عشر

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب.، ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بيروت لبنان } بريق، فكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE



فهارس الجزء التاسع عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

فہارس

الجزء التاسع عشر من جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبري

۱ - فہارس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
۲۱	وقال الذين لا يرجون لقاءنا . . .	۱	۴۴	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون . . .	۱۷
۲۲	يوم يرون الملائكة لا بشرى . . .	۱	۴۵	ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ . . .	۱۸
۲۳	وقدمنا إلى ما عملوا . . .	۳	۴۶	ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً .	۱۸
۲۴	أصحاب الجنة يومئذ خير . . .	۳	۴۷	وهو الذي جعل لكم الليل لباساً . . .	۲۰
۲۵	ويوم تشق السماء بالغمام . . .	۶	۴۸	وهو الذي أرسل الرياح بشراً . . .	۲۱
۲۶	الملك يومئذ الحقّ للرحمن . . .	۶	۴۹	لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا . . .	۲۱
۲۷	ويوم يعصّ الظالم على يديه . . .	۷	۵۰	ولقد صرفناه بينهم ليعذروا . . .	۲۲
۲۸	يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً . . .	۷	۵۱	ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً . . .	۲۲
۲۹	لقد أضلني عن الذكر . . .	۷	۵۲	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به . . .	۲۲
۳۰	وقال الرسول ياربّ إن قومي . . .	۹	۵۳	وهو الذي مرج البحرين . . .	۲۳
۳۱	وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً . . .	۹	۵۴	وهو الذي خلق من الماء بشراً . . .	۲۵
۳۲	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه . . .	۱۰	۵۵	ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم . . .	۲۶
۳۳	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحقّ . . .	۱۱	۵۶	وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً .	۲۷
۳۴	الذين يحشرون على وجوههم . . .	۱۱	۵۷	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	۲۷
۳۵	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	۱۳	۵۸	وتوكل على الحيّ الذي لا يموت . . .	۲۷
۳۶	فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا . . .	۱۳	۵۹	الذي خلق السموات والأرض . . .	۲۸
۳۷	وقوم نوح لما كذبوا الرسل . . .	۱۳	۶۰	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن . . .	۲۸
۳۸	وعاداً وثمود وأصحاب الرسّ . . .	۱۳	۶۱	تبارك الذي جعل في السماء بروجا . . .	۲۹
۳۹	وكلا ضربنا له الأمثال . . .	۱۳	۶۲	وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة . . .	۳۰
۴۰	واقعدا على القرية التي أمطرت . . .	۱۶	۶۳	وعباد الرحمن الذين يمشون على . . .	۳۲
۴۱	وإذا رأوك إن يتخذونك . . .	۱۷	۶۴	والذين يبیتون لربهم سجداً وقياماً . . .	۳۵
۴۲	إن كاد لبضلنا عن آلهتنا . . .	۱۷	۶۵	والذين يقولون ربنا اصرف عنا . . .	۳۵
۴۳	أرأيت من اتخذ إلهه هواه . . .	۱۷	۶۶	لأنها ساءت مستقراً ومقاماً . . .	۳۵

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا . . .	٣٧	١٦	فأتيا فرعون فقولا إنا رسول . . .	٦٥
٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلها آخر . . .	٤٠	١٧	أن أرسل معنا بنى إسرائيل .	٦٥
٦٩	يضاعف له العذاب يوم القيامة . . .	٤٠	١٨	قال ألم نربك فينا وليدا . . .	٦٥
٧٠	إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . . .	٤٠	١٩	وفعلت فعلتك التي فعلت . . .	٦٥
٧١	ومن تاب وعمل صالحا . . .	٤٠	٢٠	قال فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٦٦
٧٢	والذين لا يشهدون الزور . . .	٤٨	٢١	ففررت منكم لما خفتكم . . .	٦٧
٧٣	والذين إذا ذكروا بآيات ربهم . . .	٥١	٢٢	وتلك نعمة تمنها على . . .	٦٨
٧٤	والذين يقولون ربنا هب لنا . . .	٥٢	٢٣	قال فرعون وما رب العالمين ؟	٦٨
٧٥	أولئك يجزون الغرفة بما صبروا . . .	٥٤	٢٤	قال رب السموات والأرض . . .	٦٨
٧٦	خالدين فيها حسنت مستقر ومقاما .	٥٥	٢٥	قال لمن حوله ألا تستمعون ؟	٦٩
٧٧	قل ما يعبا بكم ربى . . .	٥٥	٢٦	قال ربكم ورب آبائكم الأولين .	٦٩
	<u>سورة الشغراء</u>		٢٧	قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم . . .	٦٩
١	طسم .	٥٨	٢٨	قال رب المشرق والمغرب وما بينهما . . .	٦٩
٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٥٨	٢٩	قال لئن اتخذت إلها غيرى . . .	٦٩
٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .	٥٨	٣٠	قال أو لو جئتكم بشىء مبین .	٧٠
٤	إن نشأ نزل عليهم من السماء آية . . .	٥٩	٣١	قال فأت به إن كنت من الصادقين .	٧٠
٥	وما يأتيهم من ذكر من الرحمن . . .	٦٢	٣٢	فألقي عصاه فإذا هى ثعبان مبين .	٧٠
٦	فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا . . .	٦٢	٣٣	ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين .	٧٠
٧	أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها . . .	٦٣	٣٤	قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم .	٧١
٨	إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين .	٦٣	٣٥	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	٧١
٩	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٦٣	٣٦	قالوا أرجه وأخاه . . .	٧١
١٠	وإذ نادى ربك موسى . . .	٦٤	٣٧	يأتوك بكل سحر عليم .	٧١
١١	قوم فرعون ألا يتقون .	٦٤	٣٨	فجمع السحرة لميقات يوم معلوم .	٧٢
١٢	قال رب إني أخاف أن يكذبون .	٦٤	٣٩	وقيل للناس هل أنتم مجتمعون .	٧٢
١٣	ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى . . .	٦٤	٤٠	لعلنا نتبع السحرة . . .	٧٢
١٤	ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون .	٦٤	٤١	فلما جاء السحرة قالوا لفرعون . . .	٧٢
١٥	قال كلا فاذهب بآياتنا إنا معكم . . .	٦٥	٤٢	قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين .	٧٢
			٤٣	قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	فألقوا حبالهم وعصيهم . . .	٧٢	٧٢	قال هل يسمعونكم إذ تدعون .	٨٣
٤٥	فألقى موسى عصاه . . .	٧٣	٧٣	أو ينفعونكم أو يضرون .	٨٣
٤٦	فألقى السحرة ساجدين .	٧٣	٧٣	قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .	٨٣
٤٧	قالوا آمنا برب العالمين .	٧٣	٧٣	قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون .	٨٤
٤٨	رب موسى وهارون .	٧٣	٧٣	أنتم وآباؤكم الأقدمون .	٨٤
٤٩	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	٧٣	٧٣	فلأنهم عدوا لي إلا رب العالمين .	٨٤
٥٠	قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون .	٧٣	٧٣	الذي خلقني فهو يهدين .	٨٥
٥١	إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا . . .	٧٤	٧٤	والذي هو يطعمني ويسقيني .	٨٥
٥٢	وأوحينا إلى موسى أن أسر . . .	٧٤	٧٤	وإذا مرضت فهو يشفين .	٨٥
٥٣	فأرسل فرعون في المدائن . . .	٧٤	٧٤	والذي يميتني ثم يحييني .	٨٥
٥٤	إن هؤلاء لشردمة قليلون .	٧٤	٧٤	والذي أطمع أن يغفر لي . . .	٨٥
٥٥	ولأنهم لنا لغائظون .	٧٤	٧٤	رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين .	٨٥
٥٦	وإنا لجميع حاذرون .	٧٤	٧٤	واجعل لي لسان صدق في الآخرين .	٨٥
٥٧	فأخرجناهم من جنات وعيون .	٧٨	٧٨	واجعلني من ورثة جنة النعيم .	٨٦
٥٨	وكنوز ومقام كريم .	٧٨	٧٨	واغفر لأبي إنه كان من الضالين .	٨٦
٥٩	كذلك وأورثناها بني إسرائيل .	٧٨	٧٨	ولا تحزني يوم يبعثون .	٨٦
٦٠	فاتبعوهم مشرقيين .	٧٨	٧٨	يوم لا ينفع مال ولا بنون .	٨٦
٦١	فلما تراءى الجمعان . . .	٧٨	٧٨	إلا من أتى الله بقلب سليم .	٨٦
٦٢	قال كلا إن معي ربي سيهدين .	٧٨	٧٨	وأزلفت الجنة للمتقين .	٨٧
٦٣	فأوحينا إلى موسى . . .	٧٨	٧٨	وبرزت الجحيم للغاوين .	٨٧
٦٤	وأزلفنا ثم الآخرين .	٨١	٨١	وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون .	٨٧
٦٥	وأنجبنا موسى ومن معه أجمعين .	٨١	٨١	من دون الله هل ينصرونكم . . .	٨٧
٦٦	ثم أغرقنا الآخرين .	٨١	٨١	فكذبوا فيها هم والغاوين .	٨٧
٦٧	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٨١	٨١	وجنود إبليس أجمعون .	٨٧
٦٨	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٨١	٨١	قالوا وهم فيها يختصمون .	٨٨
٦٩	وانل عليهم نبأ إبراهيم .	٨٣	٨٣	تالله إن كنا لفي ضلال مبين .	٨٨
٧٠	إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون .	٨٣	٨٣	إذ نسويكم برب العالمين .	٨٨
٧١	قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين .	٨٣	٨٣	وما أضلنا إلا الحجر منون .	٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	فما لنا من شافعين .	٨٩	١٢٨	أتينون بكل ربيع آية .	٩٣
١٠١	ولا صديق حميم .	٨٩	١٢٩	وتتخذون مصانع لعلكم .	٩٣
١٠٢	فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين .	٨٩	١٣٠	وإذا بطشتم بطشتم جبارين .	٩٣
١٠٣	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٨٩	١٣١	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٦
١٠٤	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٨٩	١٣٢	واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون .	٩٦
١٠٥	كذبت قوم نوح المرسلين .	٩٠	١٣٣	أمدكم بأنعام وبنين .	٩٦
١٠٦	إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون .	٩٠	١٣٤	وجنات وعيون .	٩٦
١٠٧	إني لكم رسول أمين .	٩٠	١٣٥	إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .	٩٦
١٠٨	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٦	قالوا سواء علينا أوعظت . . .	٩٧
١٠٩	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٠	١٣٧	إن هذا إلا خلاق الأولين .	٩٧
١١٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٨	وما نحن بمعتدين .	٩٧
١١١	قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟	٩٠	١٣٩	فكذبوه فأهلكناهم . . .	٩٨
١١٢	قال وما علمي بما كانوا يعملون .	٩٠	١٤٠	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٨
١١٣	إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون .	٩٠	١٤١	كذبت ثمود المرسلين .	٩٨
١١٤	وما أنا بطارد المؤمنين .	٩١	١٤٢	إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون .	٩٨
١١٥	إن أنا إلا نذير مبين .	٩١	١٤٣	إني لكم رسول أمين .	٩٨
١١٦	قالوا لئن لم تنته يا نوح . . .	٩١	١٤٤	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١١٧	قال رب إن قومي كذبون .	٩١	١٤٥	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٩
١١٨	فافتح بيني وبينهم فتحا . . .	٩١	١٤٦	أتركون في ما هاهنا آمنين .	٩٩
١١٩	فأنجيناه ومن معه في الفلك . . .	٩١	١٤٧	في جنات وعيون .	٩٩
١٢٠	ثم أغرقنا بعد الباقين .	٩١	١٤٨	وزروع ونخل طلعها هضيم .	٩٩
١٢١	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٩٢	١٤٩	وتنحنون من الجبال بيوتا فارهين .	٩٩
١٢٢	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٢	١٥٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١٢٣	كذبت عاد المرسلين .	٩٢	١٥١	ولا تطيعوا أمر المسرفين .	١٠٢
١٢٤	إذ قال لهم أخوهم هود . . .	٩٢	١٥٢	الذين يفسدون في الأرض . . .	١٠٢
١٢٥	إني لكم رسول أمين .	٩٢	١٥٣	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٢
١٢٦	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٣	١٥٤	ما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٣
١٢٧	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٣	١٥٥	قال هذه ناقة لها شرب . . .	١٠٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	ولا تمسوها بسوء . . .	١٠٣	١٨٤	وانتقوا الله الذي خلقكم . . .	١٠٨
١٥٧	فمقروها فأصبحوا نادمين .	١٠٤	١٨٥	قالوا إنما أنت من المسحورين .	١٠٨
١٥٨	فأخذهم العذاب	١٠٤	١٨٦	وما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٨
١٥٩	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٤	١٨٧	فأسقط علينا كسفا من السماء . . .	١٠٨
١٦٠	كذبت قوم لوط المرسلين .	١٠٤	١٨٨	قال ربني أعلم بما تعملون . . .	١٠٩
١٦١	إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟	١٠٤	١٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة .	١٠٩
١٦٢	إني لكم رسول أمين .	١٠٤	١٩٠	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١١١
١٦٣	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٤	١٩١	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١١١
١٦٤	وما أسألكم عليه من أجر . . .	١٠٤	١٩٢	ولأنه لتنزيل رب العالمين .	١١١
١٦٥	أتأتون الذكران من العالمين .	١٠٥	١٩٣	نزل به الروح الأمين .	١١١
١٦٦	وتذرون ما خلق لكم ربكم . . .	١٠٥	١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين .	١١١
١٦٧	قالوا لئن لم تنته يا لوط . . .	١٠٥	١٩٥	بلسان عربي مبين .	١١١
١٦٨	قال إني لعملكم من القالين .	١٠٥	١٩٦	ولأنه لفي زبر الأولين .	١١٢
١٦٩	رب نجني وأهلي مما يعملون .	١٠٦	١٩٧	أو لم يكن لهم آية . . .	١١٢
١٧٠	فأنجيناه وأهله أجمعين .	١٠٦	١٩٨	ولو نزلناه على بعض الأعجمين .	١١٢
١٧١	إلا عجوزا في الغابرين .	١٠٦	١٩٩	فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .	١١٢
١٧٢	ثم دمرنا الآخرين .	١٠٦	٢٠٠	كذلك سلكناه في قلوب المجرمين .	١١٢
١٧٣	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١٠٦	٢٠١	لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم .	١١٢
١٧٤	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١٠٦	٢٠٢	فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .	١١٦
١٧٥	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٦	٢٠٣	فيقولوا هل نحن منظرون .	١١٦
١٧٦	كذب أصحاب الأيكة المرسلين .	١٠٦	٢٠٤	أفبعذابنا يستعجلون .	١١٦
١٧٧	إذ قال لهم شعيب ألا تتقون .	١٠٦	٢٠٥	أفرأيت إن متعنهم سنين .	١١٦
١٧٨	إني لكم رسول أمين .	١٠٦	٢٠٦	ثم جاءهم ما كانوا يوعدون .	١١٦
١٧٩	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٦	٢٠٧	ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون .	١١٦
١٨٠	وما أسألكم عليه من أجر .	١٠٧	٢٠٨	وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون .	١١٧
١٨١	أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين .	١٠٧	٢٠٩	ذكرى وما كنا ظالمين .	١١٧
١٨٢	وزنوا بالقسطاس المستقيم .	١٠٨	٢١٠	وما تنزلت به الشياطين .	١١٧
١٨٣	ولا تبغسوا الناس أشياءهم .	١٠٨	٢١١	وما ينبغي لهم وما يستطيعون .	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١٢	لأنهم عن السمع لمعزولون .	١١٧	١١	إلا من ظلم ثم بدّل حسناً . . .	١٣٥
٢١٣	فلا تدع مع الله إلهاً آخر . . .	١١٨	١٢	وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء . . .	١٣٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين .	١١٨	١٣	فلما جاءتهم آياتنا مبصرة . . .	١٣٩
٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك . . .	١١٨	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم . . .	١٣٩
٢١٦	فإن عصوك فقل إني بريء . . .	١٢٣	١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علماً . . .	١٤٠
٢١٧	وتوكل على العزيز الرحيم .	١٢٣	١٦	ووزعنا سليمان داود . . .	١٤١
٢١٨	الذي يرآك حين تقوم .	١٢٣	١٧	وحشر لسليمان جنوده . . .	١٤١
٢١٩	وتقلبك في الساجدين .	١٢٣	١٨	حتى إذا أتوا على واد النمل . . .	١٤٢
٢٢٠	إنه هو السميع العليم . . .	١٢٣	١٩	فتبسم ضاحكاً من قولها . . .	١٤٣
٢٢١	هل أنبشكم على من تنزل الشياطين .	١٢٥	٢٠	وتفقد الطير . . .	١٤٣
٢٢٢	تنزل على كل أفك أثيم .	١٢٥	٢١	لأعذبه عذاباً شديداً . . .	١٤٣
٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون .	١٢٥	٢٢	فكث غير بعيد فقال أحطت . . .	١٤٧
٢٢٤	والشعراة يتبعهم الغاؤون .	١٢٦	٢٣	إني وجدت امرأة تملكهم . . .	١٤٨
٢٢٥	ألم تر أنهم في كل واد يهيمون .	١٢٦	٢٤	وجدتها وقومها يسجدون للشمس . . .	١٤٨
٢٢٦	وأنهم يقولون ما لا يفعلون .	١٢٦	٢٥	ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء . . .	١٤٩
٢٢٧	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٢٦	٢٦	الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .	١٤٩
سورة النمل			٢٧	قال سننظر أصدقت . . .	١٥١
١	طس تلك آيات القرآن وكتاب مبین .	١٣١	٢٨	اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم . . .	١٥١
٢	هدى وبشرى للمؤمنين .	١٣١	٢٩	قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي . . .	١٥٢
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٣١	٣٠	إنه من سليمان . . .	١٥٢
٤	إن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٣٢	٣١	ألا تعلوا على وأتوني مسلمين .	١٥٢
٥	أولئك لهم سوء العذاب . . .	١٣٢	٣٢	قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري . . .	١٥٣
٦	ولأنك لتلقى القرآن من لدن . . .	١٣٢	٣٣	قالوا نحن أولوا قوة . . .	١٥٣
٧	إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا .	١٣٢	٣٤	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية . . .	١٥٤
٨	فلما جاءها نودي أن بورك . . .	١٣٢	٣٥	وإني مرسله إليهم بهدية . . .	١٥٥
٩	يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .	١٣٥	٣٦	فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال . . .	١٥٥
١٠	وألقي عصاك فلما رآها تهتز . . .	١٣٥	٣٧	ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود . . .	١٥٥
			٣٨	قال يا أيها الملأ أيكم يأتوني بعرضها . . .	١٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	قال عفريت من الجن . . .	١٥٨	٤٨	وكان فى المدينة تسعة رهط . . .	١٧١
٤٠	قال الذى عنده علم من الكتاب . . .	١٥٨	٤٩	قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله . . .	١٧١
٤١	قال نكروا لها عرشها . . .	١٦٥	٥٠	ومكروا مكرا ومكرنا مكرا . . .	١٧٣
٤٢	فلما جاءت قبل أهكذا عرشك . . .	١٦٦	٥١	فانظر كيف كان عاقبة مكرم . . .	١٧٣
٤٣	وصدّها ما كانت تعبد من دون الله . . .	١٦٧	٥٢	فتلث بيوتهم خاوية بما ظلموا . . .	١٧٤
٤٤	قيل لها ادخلى الصرح . . .	١٦٨	٥٣	وأنجينى الذين آمنوا وكانوا يتقون .	١٧٤
٤٥	ولقد أرسلنا إلى نوح . . .	١٧٠	٥٤	ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة . . .	١٧٥
٤٦	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة . . .	١٧٠	٥٥	أنكم لتأتون الرجال شهوة . . .	١٧٥
٤٧	قالوا اطيننا بك وبمن معك . . .	١٧١			

٢- فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٩٠ قصة نوح عليه السلام مع قومه .	١ تأويل قوله تعالى « وقال الذين لا يرجون
٩٢ قصة هود عليه السلام مع قومه .	لقاءنا » ، وأن رؤية الملائكة لاتصلح لعموم
٩٨ خبر ثمود مع صالح عليه السلام .	الناس إلا في الدار الآخرة .
١٠٤ خبر لوط مع قومه .	٥ ينتهى الحساب يوم القيامة في نصف يوم ،
١٠٦ خبر شعيب مع أصحاب الأيكة .	حتى يقبل أصحاب الجنة في منازلهم .
١١٣ من كان يعلم من بنى إسرائيل صدق النبي	٧ ما كانت عليه قريش من إضلال بعضهم بعضا
وأن كفار قريش كان كفرهم عنادا حتى	وطعهم في القرآن .
لو نزل هذا القرآن على بعض الحيوانات	١١ فوائد نزول القرآن على حسب الوقائع .
العجم وقرأه عليهم ما آمنوا .	١٣ خبر أصحاب الرس .
١١٨ ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة عشيرته	٢٤ معنى البرزخ .
١٢٦ ذم الشعراء قاصر على شعراء المشركين ومن	٢٦ الكافر يظاهر الشيطان على ربه .
كان على صفتهم .	٣٣ تأويل قوله « وعباد الرحمن » . . . الآية .
تفسير سورة النمل	٣٤ فضيلة الحلم والتأني .
١٤١ ما أوتي سليمان من سعة الملك .	٣٥ عذاب جهنم يلزم الإنسان كالغريم .
١٤٣ السبب في تفقد سليمان الطير ، وذكر بعض	٣٧ تخلى المؤمنين عن وصفي الإسراف والتقتير .
نخصال للهدد .	٤٠ تأويل قوله تعالى « والذين لا يدعون مع الله
١٤٧ سبأ وملكتهم .	إلها آخر » .
١٥٢ كتاب سليمان إلى بلقيس واستشارتها قومها .	٤١ كبائر الذنوب .
١٥٥ الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سليمان .	٤٢ التوفيق بين هذه الآية وآية « ومن يقتل مؤمنا » الخ
١٥٩ من أحضر عرشها لسليمان .	٤٩ محاسن الغضب عن سفاسف الأمور .
١٦٥ كيفية تنكير العرش وما قيل فيه .	تفسير سورة الشعراء
١٧٢ التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض من	٦٤ قصة موسى عليه السلام مع فرعون .
قوم صالح .	٨٣ قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه .

۳ - فہرس القوافی

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ع	۱۱۶	تَجَسَّرِدُ	ا	
۱۴۲	وازِعُ	۱۰۷	بالإِثْمِ	۶۵	مُنْتَهَاهَا
۳۱	بِجَمَاعَا	۴۵	مَوْقِدِ	۳۷	لَا يَرَاهَا
۳۱	بِجَمَاعَا	۸۱	أَطْوَادِ	ب	
۲۸	انْقِطَاعَا	و		۵۲	الْحِضَابُ
	ف	۷۷	حَذِرُ	۵۲	الْجِلْبَابُ
۶۰	المُسَجِّفُ	۶۹	تَنْتَظِرُ	۵۲	الْأَرْكَابُ
۵۶	اللَّقِيفُ	۲	المَحْجَرُ	۵۲	لُعَابُ
۱۳۵	أَسَدَا	۵۸	المَقَادِرُ	۵۲	فَتَصَوَّبُوا
۱۳۵	رُجْفَا	۱۴۹	الدَّهْرِ	۵۹	تُرَابِ
۱۳۵	خَسِيطَا	۱۰۳	المُسَحَّرِ	۱۵۶	الطَّلَبِ
۸۱	فَزَلَمَا	۲۱	النَّاشِرِ	۱۰۱	تَأْوِيبِ
۸۱	احْتَمَوْقَا	۳۱	وَأَحْجَارِ	۳۶	وَمُنْتَقِبَا
۴۷	الْوَجِيفَا	۵۴	بِأَمِيرِ	ت	
	ق	س		۱۴۲	الْفَتَاةُ
۷۵	أَخْلَاقُ		الْقَرَسُ	۶۱	الْكُفَاةُ
۷۵	التَّوَاقُ	۱۱۶	عَرُوسُ	۶۰	أَبْعَدَتْ
۶۰	خَدِيفُ	۵۵	الدَّهَارِيسُ	ج	
۶۰	المُؤَفَّقُ	۲	الْقَبَسِ	۲۳	مُتَرَجَا
۹۳	بِتَرَقَّرَقُ	۱۳۳	الْجَوَامِيسِ	د	
۱۳۹	فَرُوقُ	۱۴۷	الرُّسَاسَا	۱۱۶	لَا تَرْدُ
۸۳	وَالْأَبَقَا	۱۴			

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٢	مَجْمَعٌ	٣٥	لَا يُبَالِي	٣	ل
٣٦	غَيْرَ آمٍ	٥٧	وَقِتَالَا	٣	الضَّلَالُ
				٣	وَقَالُوا
				٣	حَلَالُ
٦٨	وَعُبْدَانُ	١١٣	عُجْجَمُ	٩٣	أَهْلًا
٧٥	وَاحِدِينَ	٤٠	أَثَامُ	١٠٨	الْجِبِلُ
		٦١	طَاعِمُ	٦٥	بِرَسُولِ
١١٤	دَوَارِي	٦٠	الدَّمُ	٦٢	الْهَيْلِ

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٨	لا اكل حتى تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ...	٥٠	ان أصبح ابن مسعود لكرماً .
١٢١	ما نزلت ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ اتي جبلاً فجعل يهتف : يا صباحاه ...	١٢	ان رجلاً قال : يا رسول الله ... ان اول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود .
١٢٣	ما نزلت ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ جمع النبي ﷺ بنى هاشم فقال ..	١٤	ان ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة .
١٢١	ما نزلت ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ خرج رسول الله ﷺ فقام على الصفا ...	١٥	ان الذي أمشاهم على أقدامهم ...
١٢٣	ما نزلت ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ قال النبي ﷺ . يا فاطمة بنت محمد ...	١٢	اني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ...
١٢١	ما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ دعاني رسول الله ...	٤٧	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : كيف يحشرهم ...
١٢١	ما نزلت هذه الآية ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ...	٤٢	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ...
١٢٠	ما نزلت هذه الآية ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا ...	٢١	الحمد لله الذي أحياناً بعدما أماتنا ...
١٢١، ١٢٠	لو أن صخرة زنة عشر عشرات قذف بها من شفير جهنم ...	٤٢	خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فاتبعته ...
٤٤	ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين : ثوباً لمهنته وثوباً لجمعته وعيده ؟ ...	١٢	الذي أمشاه على رجله قادر أن يمليه على وجهه .
٣٩	مر ابن مسعود بلهو مسرعاً فقال رسول الله : ان أصبح ابن مسعود لكرماً .	١٢	الذي يحشرهم على أرجلهم قادر بأن يحشرهم على وجوههم .
٥٠		٤١	سألت النبي ﷺ ما الكبائر؟ قال ... سئل رسول الله ﷺ كيف يحشر أهل النار على وجوههم ؟ ...
		١٢٠	صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال : ...
		٤٣	صليت مع رسول الله ﷺ العتمة، ثم انصرفت ... قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ﴾ ...
		١٢	قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال ...
		٤١	كان أحد أبوي صاحبة سبأ جنياً .
		١٦٩	

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١١٩	يا فاطمة بنت محمد ويا صفية ابنة عبد المطلب...	١١٩	هل فيكم غريب؟ فقالوا لا...
١١٩	يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله...	١٢٠	يا آل عبد مناف، يا صباحاه، إني نذير...
١٢٠	يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله...	١٢٢	يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف...
١١٩	يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار...	١٢٠	يا بني عبد مناف، واصباحاه.
		١٢٣	يا بني هاشم، ألا لا ألقينكم تأتوني تحملون الدنيا.
			يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد،
		١١٨	يا بني عبد المطلب...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى :

* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَالَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ، ولا يخشون عقابنا ، هلا أنزل الله علينا ملائكة ، فتخبرنا أن محمداً حق فيما يقول ، وأن ما جاءنا به صدق ، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْفُجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُتُوعَا) ثم قال بعد (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَايِكَةِ قَبِيلًا) يقول الله : لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم ، وتعظموا ، (وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا) يقول : وتجاوزوا في الاستكبار بقيامهم ذلك حدة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال كفار قريش : (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ) فيخبرونا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا) لأن عتوا من ذوات الواو ، فأخرج مصدره على الأصل بالواو ، وقيل في سورة مريم (وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِسْبِ عِتْيًا) وإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم : قعد قعوداً ، وهم قوم قعود ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان العاتى يجمع عتياً بناء على الواحد ، جعل مصدره أحياناً موافقاً لجمعه ، وأحياناً مردوداً إلى أصله .

القول في تاويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَايِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْجُرْمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : يوم يرى هؤلاء الذين قالوا : (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا)

بتصديق محمد الملائكة ، فلا بشرى لهم يومئذ بخير (يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا ، حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ؛ ومن الحجر قول المتلمس :
حَسَنَتْ إِلَى نَخْلَةٍ الْقُصُوفِ فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ^١
ومنه قولهم : حجر القاضي على فلان ، وحجر فلان على أهله ؛ ومنه حجر الكعبة ، لأنه لا يدخل إليه في الطواف ، وإنما يطاف من ورائه ؛ ومنه قول الآخر :

فَتَهَمَمْتُ أَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا مَخْجَرًا فَلَمِثْلُهَا يُلْقَى إِلَيْهِ الْمَخْجَرُ^٢
أى مثلها يركب منه المحرم .

واختلاف أهل التأويل في الخبر عنهم بقوله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) ومن قائلوه ؟ فقال بعضهم قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، وسأله رجل عن قول الله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : تقول الملائكة : حراما محرما أن تكون لكم البشرى .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبي ، عن جدي ، عن الحسن ، عن قتادة : (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) قال : هى كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل إذا نزل به شدة قال : حجرا ، يقول : حراما محرما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) لما جاءت زلازل الساعة ، فكان من زلازلها أن السماء انشقت (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ، والملائكة على أرجائها (على شفة كل شئ تشقق حجرا ، يقول : حراما محرما .

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (عن معجم ما استمعتم لأبي عبيد البكري : ردم نخلة) . . وحت : اشتاقت . وفى (اللسان : دهرس) : حجت . ونخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل : هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية ؛ فالشامية واد ينصب من الغمير . واليمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة : وحجر : مثاث الماء بمعنى حرام ، وفى معجم البكري : بسل عليك ، وهو الحرام أيضا . والدهاريس جمع دهرس ، مثلث الدال ، وهى الداهية (عن اللسان) . والبيت من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ من مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩) وعنه أخذ المؤلف .

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي (اللسان : حجر . والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص ٨٤) . وفى رواية الديوان واللسان : أغشى فى موضع : ألقى . والمحجر : الحرام . قال فى اللسان : لمثلها يؤتى إليه الحرام . وقبل البيت ثلاثة أبيات ، وهى :

لَمْ أَلْقَ عَمْرَةً بَعْدَ إِذْ هِيَ نَاشِيَةٌ خَرَجَتْ مُعْطَفَةً عَلَيْهَا مُنْزَرٌ
بَرَزَتْ عَقِيلَةً أَرْبَعُ هَادِيْنَهَا بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهُنَّ الْعُصْنَةُ
ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رِيْطَةً مَطْوِيَةً وَهِيَ الَّتِي تُهْمَدَى بِهَا لَوْ تَشْعُرُ

والبيت : شاهد على أن المحجر الحرام . وقال الفراء فى معاني القرآن (الورقة ٢٢٤ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) : ألقى : من لقيت أى مثلها يركب منه المحرم . وعنه أخذ المؤلف .

من السماء ، فذلك قوله (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ) : يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشري اليوم حين رأيتمونا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) قال : يوم القيامة (وَيَقُولُونَ حَيْجَرًا مَّحْجُورًا) قال : عوذا معاذا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه : الملائكة تقول له .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قبيل المشركين إذا عاينوا الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَيْجَرًا مَّحْجُورًا) قال ابن جريج : كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا حجرا ، فقالوا حين عاينوا الملائكة . قال ابن جريج : قال مجاهد : (حَيْجَرًا) : عوذا يستعيذون من الملائكة .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحِجْر هو الحرام ، فعلوم أن الملائكة هي التي تنهى أهل الكفر أن البشري عليهم حرام . وأما الاستعاذة فلأنها الاستجارة ، وليست بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قبيل المجرمين للملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءً مَّنْثُورًا ﴿٢٦﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقَدْ مَنَّآ) وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون (مِنْ عَمَلٍ) ؛ ومنه قول الراجز :
وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضَّلَالُ إِلَىٰ عِبَادِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حِلَالٌ ١

يعني بقوله : قدم : عمد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) الرجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٦٧ مصورة : الجامعة ٢٦٠٥٩) . وقدم إلى الشيء : عمد إليه وضمها .

وهو محل الشاهد عند المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَدِرْ مِّنَّا) قال : عمَدتنا .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنشُورًا) يقول : فجعلناه باطلا ، لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان . والهباء : هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ، ولا يرى ذلك في الظل .
 واختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : الغبار الذي يكون في الشمس .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَقَدِرْ مِّنَّا) ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : الشعاع في كوة أحدهم إن ذهب يقبض عليه لم يستطع .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : شعاع الشمس من الكوة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة ، فهو الهباء .
 وقال آخرون : بل هو ما تسفيه الرياح من التراب ، وتذروه من حطام الأشجار ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : ما تسفي الرياح وتبثثه .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : هو ما تذرو الرياح من حطام هذا الشجر .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَبَاءً مَّنشُورًا) قال : الهباء : الغبار .
 وقال آخرون : هو الماء المتهراق .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبَاءٌ مَّنشُورًا) يقال : المَاءُ المَهْرَاقُ .

وقوله جلّ ثناؤه (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) يقول تعالى ذكره : أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا ، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم ، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا ، وأحسن منهم فيها مقيلًا .

فإن قال قائل : وهل في الجنة قائلة ؟ فيقال (وأحسنُ مَقِيلًا) فيها ؟ قيل : معنى ذلك : وأحسن فيها قرارًا في أوقات قائلتهم في الدنيا وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يَمُرُّ فيهم في الآخرة إلا قدر مِقات النهار من أوله إلى وقت القائلة ، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة ، فذلك معنى قوله (وأحسنُ مَقِيلًا) .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) يقول : قالوا في الغرف في الجنة ، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله (قَامًا مِّنْ أَوْتَىٰ كِتَابِهِ يَتَمَيَّنُ) فسوف يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار ، فيقبل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) قال : لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم ، فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار . قال : وفي قراءة ابن مسعود : (ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَتَهُمْ لِأَنَّ الْجَنَّةَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) قال : قال ابن عباس : كان الحساب من ذلك في أوله ، وقال القوم حين قالوا في منازلهم من الجنة ، وقرأ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم يقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس ، فذلك قول الله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) .

قال أبو جعفر : وإنما قلنا : معنى ذلك : خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا ، لأن الله تعالى ذكره عَمَّ بقوله (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) ، جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها ، والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ، ولا

في الدنيا دون الآخرة ، فالواجب أن يعمّ كما عمّ ربنا جلّ ثناؤه ، فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرّاً في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقيلاً . وإذا كان ذلك معناه ، صبح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله (خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم : هذا خير من هذا ، وهذا أحسن من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ۝ أَلَمْ لَكَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝

اختلف القراء في قراءة قوله (تَشْقُقُ) فقرأته عامة قراء الحجاز (وَيَوْمَ تَشْقُقُ) بتشديد الشين بمعنى : تَتَشَقَّقُ ، فأدغموا إحدى التاءين في الشين فشدّ دوها ، كما قال (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (وَيَوْمَ تَشْقُقُ) بتخفيف الشين والاجتهاء بإحدى التاءين من الأخرى .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القاري فصيب : وتأويل الكلام : ويوم تُشَقَّقُ السماء عن الغمام . وقيل : إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل ، وجعلت الباء ، في قوله (بِالْغَمَمِ) مكان « عن » كما تقول : رميت عن القوس وبالقوس ، وعلى القوس ، بمعنى واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ) قال : هو الذي قال : (فِي ظُلُمَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن في تلك قط إلا لبني إسرائيل . قال ابن جُرَيْج : الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : يهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون حجاباً ، منها النور والظلمة والماء ، فيصوت الماء صوتاً تنمخل له القلوب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة في قوله (يَا تَبِيبُ أَلَمْ يَأْتِ اللَّهَ فِي ظُلُمَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) يقول : والملائكة حوله .

قال : ثنى حجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ، فيقولون : لم يجي وهو

آت ، ثم تَنَشَّقُ السماء الثانية ، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والإنس ، قال : فتنزل الملائكة الكُروبيون ، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القباء ، والعرش فوق ذلك ثم وقف . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن هارون بن وثاب ، عن شهر بن حوشب ، قال : حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم ، فوقهم شخصت إليه أبصارهم ، ورجفت كلأهم في أجوافهم . قال : وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم إلى حناجرهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة تنزيلا .

وقوله (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا) يقول : وتنزل الملائكة إلى الأرض تنزيلا (الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) يقول : الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه ، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه . وقد كان في الدنيا ملوك ، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار (وَكَانَ يَوْمَئِذٍ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) يقول : وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا ، يعني صعبا شديدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧﴾ يَكُونُ لِقَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليفه الذي صدّه عن سبيل ربه ، يقول : يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا ، يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله . وقوله (يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) يختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (الظالم) ويقولوه (فلانا) ، فقال بعضهم : عني بالظالم : عتبة بن أبي معيط ، لأنه ارتد بعد إسلامه ، طلبا منه لرضا أبي بن خلف ، وقالوا : فلان هو أبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط ، فنزل (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) . . . إلى قوله (خذُوا) قال : الظالم : عقبة ، وفلانا خليلا : أبي بن خلف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي في قوله (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا) قال : كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف ، فأسلم عقبة ، فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر ، وهو الذي قال (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري ، عن مقسم في قوله (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) قال : اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف ، وكانا خليين ، فقال أحدهما لصاحبه : بلغني أنك أثبت محمدا فاستمعت منه ، والله لا أرضى عنك حتى تنفل في وجهه وتكذبه ، فلم يسلطه الله على ذلك ، فقتل عقبة يوم بدر صبورا . وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال ، وهما اللذان أنزل الله فيهما (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) . . . إلى قوله (فَلَانًا خَلِيلًا) قال : هو أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) قال : عقبة ابن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل ، وقال : لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فقال : ما أنت بأكل حتى أشهد ؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فلقية أمية بن خلف فقال : صبرت ؟ فقال : إن أخاك على ما تعلم ، ولكنني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك ، فقلته ، وليس من نفسي . وقال آخرون : عني بفلان : الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَانًا خَلِيلًا) قال : الشيطان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) يقال : قتل فلان صبورا ، ومعناه : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ، وهو غير من يقتل في حرب أو حادث . السقا .

وقوله (لَقَدْ أَضَلَّيْنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ماسلف منه في الدنيا ، من معصية ربه في طاعة خليله ، لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن ، وهو الذكر ، بعد إذ جاءني من عند الله ، فصدتني عنه ، يقول الله (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) يقول : مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿١٠٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول يوم بعض الظالم على يديه : يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا .

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هجرا ، قولهم فيه السيئ من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) قال : يهجرون فيه بالقول ، يقولون : هو سحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالَ الرَّسُولُ) . . . الآية ، يهجرون فيه بالقول ، قال مجاهد : وقوله (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) قال : مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون ، قال : بالقول السيئ في القرآن غير الحق .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن إسماعيل ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالَ الرَّسُولُ) . . . الآية ، يهجرون فيه بالقول ، قال : قالوا فيه غير الحق ، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحق .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) لا يريدون أن يسمعوه ، وإن دعوا إلى الله قالوا لا ، وقرأ (وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ عَسَنَ وَيسأونَ عَسَنَ) قال : ينهون عنه ، ويبعدون عنه .

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وذلك هجرهم إياه .

وقوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك ، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه ، فلم تخصص بذلك من بينهم ، يقول : فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا .

نحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن عباس (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) قال : يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين كما جعل لمن قبله .

وقوله (وَكَفَيْ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحق ، ويبصرك الرشد ، ونصيرا : يقول : ناصرًا لك على أعدائك ، يقول : فلا يهولنك أعداؤك من المشركين ، فإنني ناصرك عليهم ، فاصبر لأمرى ، وامض لتبليغ رسالتى إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ) يقول : هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة ؟ ، قال الله (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشئ بعد الشئ ، لنثبت به فؤادك نزلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال : كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى ، قال (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : كان القرآن ينزل عليه جوابا لقولهم : ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ، ويعني بقوله (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) لنصح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ، ونشجعك به .

وقوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) يقول: وشيئا بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبت.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، في قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال: نزل متفرقا:

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال: كان ينزل آية وآيتين وآيات جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم، وردا عن النبي فيما ينكلمون به، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال: كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين، ومات النبي صلى الله عليه وسلم لثنتين أو ثلاث وستين.

وقال آخرون: معنى الترتيل: التبيين والتفسير.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال: فسرناه تفسيرا، وقرأ (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا).

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرْمَكَنَا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرا.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) قال: الكتاب بما ترد به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها وأحسن تفسيرا. وعنى بقوله (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا): وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول: أحسن تفصيلا.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وأحسن تفسيرا) قال بيانا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وأحسن تفسيرا) يقول : تفصيلا .

وقوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : هؤلاء المشركون يا محمد ، القائلون لك (لَوْلَا نَزَلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ بُحْبُوحَةً وَاحِدَةً) ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله ، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ، فيساقون إلى جهنم شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة ، وأضلّ منهم في الدنيا طريقا .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) قال : الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا) من أهل الجنة (وأضلّ سبيلا) قال : طريقا .

حدثني محمد بن يحيى الأزدي ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) قال : حدثنا أنس بن مالك « أن رجلا قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : الَّذِي أَمَّشَاهُ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ »
حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو ، قال : ثنا خلاد بن يحيى الكوفي ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف يحشرهم على وجوههم ؟ قال : الَّذِي يُحْشَرُهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلَيْهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُحْشَرَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود ، عن أنس بن مالك ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يحشر أهل النار على وجوههم ؟ فقال : إِنَّ الَّذِي أَمَّشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .

حدثني أحمد بن المقدام قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ) فقالوا : يا نبي الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : أَرَأَيْتَ الَّذِي أَمَّشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ أَلَيْسَ قَادِرًا أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور بن زاذان ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي خالد ، عن أبي هريرة ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

صنّف على الدوابّ ، وصنّف على أقدامهم ، وصنّف على وجوههم ، فقيل : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم ، قادر أن يمشيهم على وجوههم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حاول نقمته بهم ، نظير الذي يحلّ بمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (مُوسَى الْكِتَابَ) يعنى التوراة ، كالذى آتيناك من الفرقان (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) يعنى معينا وظهيرا (فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) يقول : فقلنا لهما : اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا ، فدمرناهم تدميرا . وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر من ذكره وهو : فذهبا فكذبوهما ، فدمرناهم حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : وقوم نوح لما كذبوا رسلنا ، وردّوا عابهم ما جاءوهم به من الحقّ ، أغرقناهم بالطوفان (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً) يقول : وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها (وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول : وأعدنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا أليما ، سوى الذى حلّ بهم من عاجل العذاب فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ آلَاءَنَا مِثْلَ وَكُلٍّ تَبَرَّنَا تَتَّبِعُوا ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرسّ . واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرسّ ، فقال بعضهم : أصحاب الرسّ من ثمود . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وأصحاب الرسّ) قال : قرية من ثمود .

وقال آخرون : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج ١ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : قال قتادة :

الرس : قرية من اليمامة يقال لها الفلج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عكرمة : أصحاب

الرس بفلج هم أصحاب يس .

وقال آخرون : هم قوم رسوا نبيهم في بئر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كان

الرس بئرا رسوا فيها نبيهم .

وقال آخرون : هي بئر كانت تسمى الرس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(وأصحاب الرس) قال : هي بئر كانت تسمى الرس .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد

في قوله (وأصحاب الرس) قال : الرس بئر كان عاها قوم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن

الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ، ومنه قول الشاعر :

سَبَقْتُ إِلَى فَرْطٍ بِأَهْلٍ تَنَابِلَةٍ يَحْفَرُونَ الرُّسَا ٢

يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب

الأنحدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله (وأصحاب الرس) فانا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى

سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا

نبيهم في حفرة .

إلا ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ » .

وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل

(١) في تاج العروس : وقيل (فلج) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . اهـ .

(٢) البيت للنابغة الجعدي (اللسان : رس) . والفرد بالتحرير : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورد ، فيهيئون لهم الأرسان

والدلاء ، ويملئون الحياض ، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل : المتردد بلا عمل . والتنايلة : جمع تنبل ، بوزن جعفر ، وهو

الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل . والرساس جمع رس ، وهي البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه

المعادن كالحديد ونحوه) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن فهو رس عند العرب .

القرية عدوا على النبي عليه السلام ، فحفروا له بئرا فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم ، قال : وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشتري به طعاما وشرابا ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيبلى لإيه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ؛ فلما أراد أن يحتملها وجد سينة ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم إنه هب فتمطى ، فتحول لشقه الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هب فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتسه فلم يجد ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال : فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : ما ندري حتى قبض الله النبي ، فأدب الله الأسود من نومه بعد ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرة ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله (وأصحاب الرّس) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّس أنه دمرهم تدميرا ، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجهها (وقرونا بين ذلك كثيرا) يقول : ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سميناها لكم أمما كثيرة .

كما حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن جعفر بن علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلفت بالمدينة عني ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة ، وكان عمه عبید الله بن أبي رافع كاتب علي رضي الله عنه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، قال : القرن أربعون سنة .

وقوله (وكُلّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) يقول تعالى ذكره : وكل هذه الأمم التي أهلكناها التي سميناها لكم أولم نسماها ضربنا له الأمثال ، يقول : مثلنا له الأمثال ونبيها على حججنا عليها ، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ ، فلم تهلك منهم أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وكُلّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) قال : كل قد أعذر الله إليه ، ثم انتقم منه .

وقوله (وكُلّا تَبَرَّنَا تَتَّبِعِرَا) يقول تعالى ذكره : وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم ، فدمرناهم بالعذاب إبادة ، وأهلكناهم جميعا .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (وَكُلًّا تَبَرُّنَا تَنْتَبِرًا) قال : تبر الله كلا بعذاب تنبيرا .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة (وَكُلًّا تَبَرُّنَا تَنْتَبِرًا) قال : تنبیر بالنبطية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَكُلًّا تَبَرُّنَا تَنْتَبِرًا) قال : بالعذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَجُّونَ
نُشُورًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن هجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم ، قرية قوم لوط ، ومطر السوء : هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا) قال : حجارة ، وهي قرية قوم لوط ، واسمها سدوم . قال ابن عباس : خمس قريّات ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صعوة ، لم تهلك صعوة ، كان أهلها لا يعملون ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهي التي نزل بها لوط ، ومنها بعث ، وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم : يا سدوم ، يوم لكم من الله ، أنها كم أن تعرضوا لعقوبة الله ، زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما .

وقوله (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) يقول جل ثناؤه : أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية ، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسالهم ، فيعتبروا ويتذكروا ، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَجُّونَ نُشُورًا) يقول تعالى ذكره : ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله ، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلّ بالقرية التي وصفت ، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات ، يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ، ولا يؤمنون بقيام الساعة ، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن الجريج (أفلمم يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ، بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) : بعثا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوءًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم (إن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوءًا) يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك ، يقولون : (أهذا الذي بعث الله) إلينا (رسولاً) من بين خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَكْرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يزعجون برسول الله صلى الله عليه وسلم إنيهم يقولون إذا رأوه : قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها ، فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها ، وثبتنا على عبادتها (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَكْرُونَ الْعَذَابَ) يقول جل ثناؤه : سيدين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) يقول : من الراكب غير طريق الهدى ، والسالك سبيل الردى أنت أوهم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) قال : ثبتنا عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أي : (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ) شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبد ، فكان معبوده وإلهه ما يتخير له نفسه ،

فلذلك قال جل ثناؤه (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) يقول تعالى ذكره: أَفَأَنْتَ تَكُونُ يَاحْمَدُ عَلَى هَذَا حَفِيزًا فِي أَعْمَالِهِ مَعَ عَظِيمِ جِهَاهُ ؟ (أَمْ تَحْسِبُ) يَاحْمَدُ أَنْ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ (يَسْمَعُونَ) مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَيَعُونَ (أَوْ يَعْقِلُونَ) مَا يَعاينون من حجج الله، فيفهمون (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ) يقول : مَا هُمْ إِلَّا كَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهَا ، وَلَا تَفْقَهُ ، بَلْ هُمْ مِنَ الْبَهَائِمِ أَضَلُّ سَبِيلًا لِأَنَّ الْبَهَائِمَ تَهْتَدِي لِمُرَاعِيهَا ، وَتَتَقَادِرُ لِأَرْبَابِهَا ، وَهَؤُلَاءِ الْكُفْرَةُ لَا يُطِيعُونَ رَبَّهُمْ ، وَلَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً مِنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ ، بَلْ يَكْفُرُونَهَا ، وَيَعْصُونَ مِنْ خَلْقِهِمْ وَبِرَّاهِمِ :

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ تَرَ) يَاحْمَدُ (كَيْفَ مَدَّ) رَبُّكَ (الظِّلَّ) ، وَهُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
وَبَنَحُو مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يقول : مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عُمَى ، قال : ثنا أَبِي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مَدَّه مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) قال : الظِّلَّ : مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) قال : ظلُّ الغداة قبل أن تطلع الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قال : الظِّلَّ :

ظلُّ الغداة .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ)

قال : مَدَّه مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضمحاك يقول في قراءه (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) يعني من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . قوله (وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِناً) يقول : ولو شاء لجعله دائماً لا يزول ، ممدوداً لاتذهبه الشمس ، ولا تنقصه .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِناً) يقول : دائماً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِناً) قال : لاتصبيه الشمس ولا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِناً) قال : لا يزول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ شَاءَ جَعَلَهُ سَاكِناً) قال : دائماً لا يزول .

وقوله (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول جل ثناؤه : ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عايه ، أنه خلق من خلق ربكم ، يوجد له إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد ، والهاء في قوله عليه ، من ذكر الظل . ومعناه : ثم جعلنا الشمس على الظل دليلاً . قيل : معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحار ، وما أشبه ذلك .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) يقول : طلوع الشمس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : تحويه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) قال : أخرجت ذلك الظل فذهبت به .

وقوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول تعالى ذكره : ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذي نأتى به بالعشي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : حوى الشمس الظل . وقيل : إن الماء التي في قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا) عائدة على الظل ، وإن معنى الكلام : ثم قبضنا الظل إلينا بعد غروب الشمس ، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظل الممدود ، قالوا : وذلك وقت قبضه .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (يَسِيرًا) فقال بعضهم : معناه : سريعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) يقول : سريعا .
وقال آخرون : بل معناه : قبضا خفيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (قَبْضًا يَسِيرًا) قال : خفيا ، قال : إن ما بين الشمس والظل مثل الخيط ، واليسير الفعيل من اليسر ، وهو السهل حين في كلام العرب . فعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد ، لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء . وقيل : إنما قيل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا ، شيئا بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه ، جزء من الظلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : الذي مد الظل ثم جعل الشمس عايه دليلا ، هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباسا . وإنما قال جل ثناؤه (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) لأنه جعله لخلق جنة يمتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم سترا يستترون به ، كما يستترون بالثياب التي يكسونها . وقوله (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) يقول : وجعل

لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم ، وتهداً به جوارحكم . وقوله (وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا) يقول تعالى ذكره : وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم : نَشَرَ المِيتُ ، كما قال الأعشى :
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَاعَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ
 ومنه قول الله (لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا) .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا) قال : ينشر فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، لأنه عقيب قوله (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) في الليل . فإذا كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت . والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشاً ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نشر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صححت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۖ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝

يقول تعالى ذكره والله الذي أرسل الرياح الملقحة (بُشْرًا) : حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) يقول : وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهوراً (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) يعني أرضاً قاحلة عذبة لاتُنبِت . وقال (بَلْدَةً مَيِّتًا) ولم يقل ميتة ، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعاً ومكاناً ميتاً (وَنُسْقِيَهُ) من خلقنا (أَنْعَامًا) من البهائم (وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) يعني الأناسي : جمع إنسان وجمع أناسي ، فجعل الياء عوضاً من النون التي في إنسان ، وقد يجمع إنسان : إناسين ، كما يجمع النشيان ٢ : نشايين . فإن قيل : أناسي جمع واحده

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما . وقبل البيت قوله :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيِّتًا إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

والبيت كذلك في (اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا ، وأنشره ، فنشر الميت (برفع الميت) لا غير : أحياء قال الأعشى : « حَتَّى يَقُولَ . . . البيت » . وهذا محل الشاهد عند المؤلف .

(٢) يقال رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان الخبر ؛ يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الراو .

إنسى ، فهو مذهب أيضاً محكى ، وقد يجمع أناسى مخففة الياء ، وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه ، كما يجمع القرقور : قراقير وقراقر . ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف ، قول العرب : أناسية كثيرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهوراً لنحيى به الميت من الأرض بين عبادى ، ليتذكروا نعمى عليهم ، ويشكروا أياذى عندهم وإحسانى إليهم ، (فأبى أكثر الناس إلا كُفُورًا) يقول : إلا جحوداً لنعمى عليهم ، وأياذى عليهم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوساً ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : ما عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه بين خلقه ، قال : ثم قرأ (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن هلبة ، عن سليمان التيمى ، قال : ثنا الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : قال ابن عباس : ما عام بأكثر مطراً من عام ، ولكنه يصرفه فى الأرضين ، ثم تلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) قال : المطر ينزله فى الأرض ، ولا ينزله فى الأرض الأخرى ، قال : فقال عكرمة : صرفناه بينهم ليدذكروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) قال : المطر مرة ههنا ، ومرة ههنا .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد بن أبى زياد ، أنه سمع أباج حيفة يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ليس عام بأكثر من عام ، ولكنه يصرفه ، ثم قال عبد الله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) .

وأما قوله (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن عكرمة (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) قال : قولهم فى الأنواء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٧﴾ فَلَا نطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِمْ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولو شئنا يا محمد لأرسلنا فى كل مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا ، فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه ، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى ، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعدّ الله لك من الكرامة عنده ، والمنازل الرفيعة قبيله ، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم ، فنذيبك ضعف الحياة وضعف الممات ، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا ، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ، ويدينوا به ويدعونا للعمل بجميعه طوعا وكرها .

و بنحو الذى قلنا فى قوله (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس . قوله (فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) قال : بالقرآن .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) قال : الإسلام ، وقرأ (وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقرأ (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقال : هذا الجهاد الكبير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجُحْرًا
مَجْجُورًا ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذى خلط البحرين ، فأمرج أحدهما فى الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المَرَج الخلط ، ثم يقال للتخلية مرج ، لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ، ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقوله لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَدْ مَرَجْتَ عَنْهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ ، وَصَارُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ؟ » يعنى بقوله : قد مرجت : اختلطت ، ومنه قول الله (فِي أَمْرِ مَرْجٍ) : أى مختلط . وإنما قيل للمرج مرج من ذلك ، لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب ، ويقال : مَرَجْتُ دَابَّتَكَ : أى خليتها تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز :

• رَعَى بِهَا مَرْجَ رَبِيعٍ كَمَرْجَا •

و بنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت من مشطور الراجز ، للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثانى والثمانون من أرجوزته التى مطلعها « ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا » وضبط ناشره لفظة مرج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما فى اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا أرسلها ترعى فى المرج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أفاض أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني خجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) يقول : خلع أحدهما على الآخر .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (مَرَجَ) أفاض أحدهما على الآخر .

وقوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) الفرات : شديد العذوبة ، يقال : هذا ماء فرات : أي شديد العذوبة .
وقوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول : وهذا ملح مر ، يعني بالعذب الفرات : مياه الأنهار والأمطار ، وبالمالح الأجاج : مياه البحار .

ولما عني بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخالط ماء البحر العذب بماء البحر المالح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته ، وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يفسد إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جل ثناؤه (وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يقول : وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر ، فليس يفسد العذب المالح ، وليس يفسد المالح العذب ، وقوله (وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : البرزخ : الأرض بينهما (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) يعني : حجب أحدهما على الآخر بأمره وقضائه ، وهو مثل قوله (وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : محبسا ، قوله (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : لا يخالط البحر بالعذب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : حاجزا لا يراه أحد ، لا يختلط العذب في البحر ، قال ابن جريج : فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذاب ، فإن دجلة تقع في البحر ، فأخبرني الحبير بها أنها تقع في البحر . فلا تمور فيه بينهما مثل الخليط الأبيض ، فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر ، والنيل يصب في البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال : البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختطان ، وقوله (حِجْرًا مَحْجُورًا) : أي لا تختلط ملحوظة هذا بعدوبة هذا ، لا ينبغي أحدهما على الآخر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : هذا اليبس .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) قال : جعل هذا ملحا أجاجا ، قال : والأجاج : المر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول : خلج أحدهما على الآخر : فلا يغير أحدهما طعم الآخر (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) جعل الله بين البحرين حجرا ، يقول : حاجزا حمزا أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) وجعل بينهما سترًا يلتقيان . قال : والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال : سترًا دون الذي تقول .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) دون القول الذي قاله من قال معناه : إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس ، لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين ، والمرج : هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل ، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين ، والملح الأجاج أرضا أو ييبسا لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه . فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ، ويدكرون به وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا ، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق من التطف بشرا إنسانا فجعله نسبا ، وذلك سبعة ، وصهرا ، وهو خمسة .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فجعلناه نسبا وصهرا) النسب : سبع ، قوله (حرمت عليكم أمهاتكم) . . . إلى قوله (وبَنَاتُ الْأُخْتِ) . والصهر خمس ، قوله (وأمّهاتكم اللاتي أرضعنكم) . . . إلى قوله (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ، وقوله (وكان ربك قديرا) يقول : وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق ، وتصريفهم فيما شاء وأراد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم ، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها ، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها ، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها ، وهي ما عدا علينا جلّ جلاله في هذه الآيات من قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) إلى قوله (قديرا) ، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده ، ولا يتعدّر عليه فعل شيء أراد فعله ، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلّ به ما أحلّ بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرّس ، وقرّونا بين ذلك كثيرا ، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ، ولا له عنه دافع (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يقول تعالى ذكره : وكان الكافر معينا للشيطان على ربه ، مظاهرا له على معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (وكان الكافر على ربه ظهيرا) قال : يظاهر الشيطان على معصية الله بعينه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على ربه ظهيرا) قال : معينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : أبوجهل معينا ظاهر الشيطان على ربه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (وكان الكافر على ربه ظهيرا) قال : عوننا للشيطان على ربه على المعاصي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) قال : على ربه عوينا . والظهير : العوين . وقرأ قول الله (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ) قال : لا تكونن لهم عوينا . وقرأ أيضا قول الله (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ) قال : ظاهروهم : أعانوهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس . قوله (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) يعني : أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا جهل بن هشام .

وقد كان بعضهم بوجه معنى قوله (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) أي وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه ، وكان الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهر به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهورا به . والقول الذي قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه إياهم ، ودم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولم يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد إلى من أرسلناك إليه (إِلَّا مُبَشِّرًا) بالثواب الجزيل ، من آمن بك وصدقك ، وآمن بالذي جنتهم به من عندي ، وعملوا به (وَنَذِيرًا) من كذبك وكذب ما جنتهم به من عندي ، فلم يصدقوا به ، ولم يعملوا (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول له : قل لهؤلاء الذين أرسلناك إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ما جنتكم به من عند ربّي أجرا ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئا ، (إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا ، طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبل الخير .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها ، فثق به في أمر ربك ، وفوض إليه ، واستسلم له ، واصبر على ما نابك فيه . قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) يقول : واعبدته شكرا منك

له على ما أنعم به عليك . قوله (وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) يقول : وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه ، فإنه لا يخفى عليه شيء منها وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة .
القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ - الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) فقال : (وَمَا بَيْنَهُمَا) ، وقد ذكر السموات والأرض ، والسموات جماع ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشئيين ، كما قال القطامي :

أَلَمْ يَخْزُنْكَ أَنْ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا

يريد : وحبال تغلب قيس ، والحبال جمع ، لأنه أراد الشئيين والنوعين .

وقوله (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ) يقول : ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل . وقوله (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) يقول : فاسأل يا محمد خبيراً بالرحمن ، خبيراً بخلقته ، فإنه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) قال : يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك شيئاً ، فاعلم أنه كما أخبرتك ، أنا الخبير ، والخبير في قوله (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) منصوب على الحال من الهاء التي في قوله به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم : (اسجدوا للرحمن) : أي اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون الآلهة والأوثان ، قالوا : (أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (لِمَا تَأْمُرُنَا) بمعنى : أنسجد نحن

(١) البيت للقطامي ، وقد سبق الكلام عليه مفصلاً ، والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال « تبايننا » بالثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما في إعادة الضمير عليهما معاملة المفردين ، ومثله في القرآن : « الذي خلق السموات والأرض وما بينهما » لأنه وجه ذلك إلى الصنفين .

يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له . وقرأته عامة قراء الكوفة (لَمَّا يَأْمُرُنَا) بالياء ، بمعنى : أنسجد لما يأمر الرحمن ، وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يُدعى الرحمن ، فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : اسجدوا للرحمن ، قالوا : أنسجد لما يأمرنا الرحمن اليمامة ؟ يعنون مسيلمة بالسجود له .

قال أبو جعفر . والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَزَادَهُمْ نُفُورًا) يقول : وزاد هؤلاء المشركين قول للقاتل لهم : اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله ، وإفراد الله بالعبادة بعد ما دعوا إليه من ذلك فرارا .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : تقدّس الرب الذي جعل في السماء بروجاً ، ويعنى بالبروج : القصور في قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية بن سعد ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء ، فيها الحرس .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم (جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء فيها الحرس .

وقال آخرون : هي النجوم الكبار .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : النجوم الكبار .

قال : ثنا الضحاك ، عن مخاض ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الكواكب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بُرُوجًا) قال : البروج : النجوم .

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: هي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) وقول الأخطل:

كَأَنَّهَا بُرُجٌ رُومِيٌّ يُشَيِّدُهُ^١ بَانٍ بِحِصٍّ^٢ وَآجُرٍّ^٣ وَأَحْجَارٍ^٤

يعنى بالبرج: القصر.

قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) اختلاف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عنى عندهم بقوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا).

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) قال: السراج: الشمس.

وقرأته عامة قراء الكوفيين (وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا) على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وجعلوا النجوم سرجًا إذ كان يُهتدى بها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فبأيهما قرأ القارئ فصيب.

وقوله (وَقَمَرًا مُنِيرًا) يعنى بالمنير: المضيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا^٥

اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن مافات أحدهما من عمل يعمل فيه الله، أدرك قضاؤه في الآخر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله جعل الليل والنهار خلفًا لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورًا.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)

(١) البيت للأخطل كما قال المؤلف. والبرج: المراد به القصر كما قاله. وقد كثر في كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة

الخلق بأبنية الرومي، ومن ذلك قول طرفة في وصف ناقته:

كَتَمَتْ نَطْرَةَ الرَّومِيِّ أَقْسَمَ رَبِّهَا لَتُكْتَنَفَنَ حَتَّى تُشَادَّ بِقَرْمَدٍ

والبيت شاهد على أن البرج معناه: القصر.

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) يقول : من فاته شيء من الليل أن يعمل أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) قال : جعل أحدهما خلفا للآخر ، إن فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل أدركه من النهار .

وقال آخرون : بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه ، فجعل هذا أسود وهذا أبيض . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بنيمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر بن قيس بن أبي مسلم الماصر ، عن مجاهد (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) قال : أسود وأبيض . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا قيس ، عن عمر بن قيس الماصر ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) قال : هذا يخلف هذا ، وهذا يخلف هذا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) قال : لو لم يجعلهما خليفة لم يدر كيف يعمل ، لو كان الدهر ليلا كله كيف يدرى أحد كيف يصوم ، أو كان الدهر نهارا كله كيف يدرى أحد كيف يصلي . قال : والخلفة : مختلفان ، يذهب هذا ويبقى هذا ، جعلهما الله خليفة للعباد ، وقرأ (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْدَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) والخلفة : مصدر ، فلذلك وحدث ، وهي خبر عن الليل والنهار ، والعرب تقول : خلف هذا من كذا خليفة ، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، كما قال الشاعر :

وَلَمَّا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا

خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلَاقٍ بَيْعًا ١

(١) البيتان : ليزيد بن معاوية من مقطوعة له ذكرها صاحب (خزنة الأدب الكبرى ٣ : ٢٧٨ - ٢٨٠) قالها متغزلا في امرأة نصرانية كانت قد تربت في دير عند الماطرون وهو بستان بظاهر دمشق . وفي الأبيات « خرفة » في موضع « خليفة » والخرفة بضم الخاء : ما يخترف ويختنى ، وهذه رواية المبرد في الكامل . ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها البيهقي عن ابن القوطية قال : الرواية : هي الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثريد الثمر الطيب . قال البغدادي : والجيد عندي رواية الخلفة ، على

وكما قال زهير :

بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ نَجْمٍ ۱

يعنى بقوله : يمشين خلفه : تذهب منها طائفة ، وتخال مكانها طائفة أخرى . وقد يحتمل أن زهيراً أراد بقوله : خلفه : مختلفات الألوان ، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها . ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا ، وتجيء كذا .

وقوله (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ) يقول تعالى ذكره : جعل الليل والنهار ، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله ، فينبى إلى الحق (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ) ذاك آية له (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .
واختلفت القراء في قراءة قوله (يَمْشِي كَرَّ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (يَمْشِي كَرَّ) مشددة ، بمعنى يتذكر . وقرأه عامة قراء الكوفيين (يَمْشِي كُرَّ) مخففة ، وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد ، يقال : ذكرت حاجة فلان وتذكرتها .

والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝

أنها اسم من الاختلاف ، أى التردد . وارتبعت : دخلت في الربيع . ويروى : ربعت ، بمعنى . ويروى : ذكرت : بدل سكنت . وابلق : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء ، وهى متعب . قال الجوهري وصاحبها العباب والمصباح : هى للنصارى ، وقال الميى : البيعة : لليهود ، والكنيسة للنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر في نصرانية . ومعنى البيتين : إن هذه المرأة ترددا إلى الماطرون في الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب في الصيف ، ليأكله في الشتاء ؛ وإذا دخلت في أيام الربيع ارتفعت إلى البيع التي يخلق . اهـ .
وأورد المؤلف الشعر شاهدا على معنى الخلفة كما شرحه البغدادى .

(١) البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ٢٢٨) قال شارحه : العين : جمع عيناء ، بقر الوحش . والآرام : جمع رُم ، وهو الطبقى الخالص البياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضا . والأطلاء : جمع الطلاء ، وهو الولد من ذوات الطلف . والمجثم : المربض والشاهد في البيت عند المؤلف في قوله « خلفة » كما في الشاهد الذي قبله : أى يذهب بعضها ويخلفه بعض .

ﷺ يقول تعالى ذكره (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ، ولا متجبرين ، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا ، فقال بعضهم : غنى بقوله (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : بالحلم والوقار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ؛ قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : بالوقار والسكينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بالوقار والسكينة .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد وعبد الرحمن (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قالوا : بالسكينة والوقار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عمار ، عن عكرمة ، في قوله (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب ، عن عمرو الملائي (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : بالوقار والسكينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بالطاعة والعفاف والتواضع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : يمشون على الأرض بالطاعة .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمي ، عبد الله بن وهب ، قال : كتب إلى إبراهيم بن سويد ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : التمسست تفسير هذه الآية (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) فلم أجدها عند أحد ، فأتيت في النوم ، فقليل لي : هم الذين لا يريدون يفسدون في الأرض .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : لا يفسدون في الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : لا يتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ قول الله : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن في : (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : حلماء ، وإن جهيل عليهم لم يجهلوا .
حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : حلماء .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) قال : علماء حلماء لا يجهلون .
وقوله (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) يقول : وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخطاب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ) . . . الآية ، قال : حلماء ، وإن جهيل عليهم لم يجهلوا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، في قوله (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : إن المؤمنين قوم ذُلُّ ، ذَلَّتْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْجَوَارِحُ ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، والله ما حزنهم حزن الدنيا ، ولا تعظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعزَّ بعزاء الله ، تقطع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب ، فقد قلَّ علمه ، وحضر عذابه .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : سدادا .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : سَدَّ آدَا مِنَ الْقَوْلِ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) حلماء .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم خير ليل صفوا أقدامهم ، وأجسروا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جل ثناؤه في فكاك رقابهم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبادة ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يبيتون لربهم يصلون لله ، يراوون بين سجود في صلاتهم وقيام . وقوله (وَقِيَامًا) جمع قائم ، كما الصيام جمع صائم (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا . وقوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) يقول : إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذاب به من الكفار ، وهلكا له ، ومنه قولهم : رجل مغرم ، من الغرم والدَّيْن . ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه ، وإلحاحه على صاحبه فيه . ومنه قيل للرجل المولع للنساء : إنه لمغرم بالنساء ، وفلان مغرم بفلان : إذا لم يصبر عنه ، ومنه قول الأعشى :

إِنْ يُعَاقِبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلًا فَلِئِنَّهُ لَا يُبَالِي

يقول : إن يعاقب يكن عقابا لازما ، لا يفارق صاحبه مهلكا له ، وقول بشر بن أبي خازم :

(١) البيت للأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٩) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي ، وأولها « ما بكاء الكبير بالأطلال » والغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى « إن عذابها كان غراما » أي هلاكها ولزاما لهم . يقول : إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبالي العذال .

يَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْخِيفِ رِ كَانَ عِقَابًا وَكَانَ غَمْرَامًا ۝
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك .

حدثني علي بن الحسن اللاني ، قال : أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي ، عن مومى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) . قال : إن الله سأل الكفار عن نعمه ، فلم يردوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار .

قال : ثنا المعافى ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) قال : قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) قال : الغرام : الشر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) قال : لا يفارقه .

وقوله (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) يقول : إن جهنم ساءت مستقرًا ومقامًا ، يعنى بالمستقر : القرار ، وبالمقام : الإقامة ؛ كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلا ومقاما ، وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة ، وإذا فتحت فهو من قمت ، ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ، ومن المقام بضم الميم بمعنى الإقامة ، قول سلامة بن جندل :

يَوْمَ أَنْ يَوْمُ مُقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ وَيَوْمُ سَتِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيلٌ ۝

(١) البيت لبشر بن أبي خازم كما قال المؤلف . وفي اللسان نسبة للطرماح . قال : والغرام : اللزم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء ، والحب والعشق ، وما لا يستطيع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل : « إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا » ، وقال الطرماح : « وَيَوْمَ النَّسَارِ . . . البيت » . وقوله عز وجل : « إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا » : أى ملحا دائما ملازما . وفي معجم ما استمعهم للبكرى طبعة القاهرة ص ٣٨٥ « الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذى عنى بشر بن أبي خازم بقوله : « وَيَوْمَ الْجَفَارِ . . . البيت » . وقال أبو عبيدة : الجفار : في بلاد بنى تميم . وقال البكرى في رسم النصار : النصار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهى أجبل صفار ، شبهت بأنسر واقعة ، ذكر ذلك أبو حاتم . وقال في موضع آخر : هى ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهناك أوقعت طيسى وأسد وغطفان ، وهم حلفاء لبنى عامر وبنى تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوهم قتلا شديدا ؛ فغضبت بنو تميم لبنى عامر ، فتجمعوا ولفقوهم يوم الجفار ، فلقيت أشد مما لقيت بنو عامر ، فقال بشر بن أبي خازم :

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ غَامِرًا وَيَوْمَ النَّسَارِ فَأُعْقِبُوا بِالصَّيِّمِ ۝

قلت : الصليم : الداهية المستأصلة . وفي رواية : فأعتبوا .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . (وانظر اللسان : أوب) . والمقامات جمع المقامة ، بمعنى الإقامة والتأويل في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقول : إنا نمضى حياتنا على هذا النحو : نجعل يوما للإقامة ، يجتمع أولو الرأى فينا في أنديتهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويدبروا أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء نشنأ عليهم ، ولو سرنا إليهم النهار كله فإنبال ، لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى في صفة جهنم : « إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » أى إقامة .

ومن المقام الذي بمعنى المجلس ، قول عباس بن مرداس :
 نَأْتِي مَا وَائِكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا ١
 يعني : المجلس .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها .
 ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عنها الله في هذا الموضع ، وما الإسراف فيها والإقتار ، فقال بعضهم : الإسراف : ما كان من نفقة في معصية الله . وإن قلت . قال وإياها عنى الله ، وسماها إسرافا . قالوا : والإقتار : المنع من حق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) وكان بين ذلك قواما) قال : هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا ، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) قال : في النفقة فيما نهاهم وإن كان درهما واحدا ، ولم يفتروا ولم يقتصروا عن النفقة في الحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) وكان بين ذلك قواما) قال : لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله كل ما أنفق في معصية الله ، وإن قل فهو إسراف ، ولم يفتروا فيمسكوا عن طاعة الله ، قال : وما أمسيك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني إبراهيم بن نسيط ، عن عمر مولى شفرة أنه سئل عن الإسراف ما هو ؟ قال : كل شيء أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف .

وقال آخرون : السرف : المجاوزة في النفقة الحد ، والإقتار : التقصير عن الذي لا بد منه .

(١) البيت لعباس بن مرداس ، أنشده ابن بري في (اللسان : قوم) وهو شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال البغدادى في الخزائن (٢ : ٢٣٠) يدعو على الشر منها ، أى من كان منا شرا أعماه الله في الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح الباب : أى قيد إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم في العرصات لا يراها ، أى قيد أعمى لا يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمى ، قالها لخفاف بن نديبة في أمر شجر بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قوله (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) قال : لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله الخزومي المكي ، قال : سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم ، قال : لقي عالم عالما هو فوقه في العلم ، فقال : يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ماسد الجوع ودون الشبع ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفاك من البرد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) . . . الآية ، قال : كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ، ولا يأكلون طعاما للذة ، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ، ويكتسبون به من الحر والقر ، ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع ، وقواهم على عبادة ربهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن يزيد بن مرة الجعفي ، قال : العلم خير من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، يعني : إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وخير الأعمال أوسطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : ثنا قتادة ، عن مطرف ابن عبد الله ، قال : خير هذه الأمور أوسطها ، والحسنة بين السيئتين ، فقلت لقتادة : ما الحسنة بين السيئتين ؟ فقال (الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) . . . الآية . وقال آخرون : الإسراف : هو أن تأكل مال خورك بغير حق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سالم بن سعيد ، عن أبي معبدان ، قال : كنت عند عون بن عبد الله ابن عتبة ، فقال : ليس المسرف من يأكل ماله ، إنما المسرف من يأكل مال غيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه ، والإقتار : ما قصر عما أمر الله به ، والقوام : بين ذلك .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المسرف والمقتدر كذلك ، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ، ولا كان المسرف ولا المقتدر مذموما ، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم .

فإن قال قائل : فهل لذلك من حدٍّ معروف تبيينه لنا ؟ قيل : نعم ، ذلك مفهوم في كل شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك ، نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلاً ، غير أن جملة ذلك هو ما بيننا ، وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشيع ما يضعف بدنه ، وينهك قواه ، ويشغله عن طاعة ربه ، وأداء فرائضه ، فذلك من السرف ، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه ، وينتهك قواه ، ويضعفه عن أداء فرائض ربه ، فذلك من الإقتار ، وبين ذلك القوام على هذا النحو ، كل ما جانس ما ذكرنا . فأما اتخاذ الثوب للجمال ، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، دون ثوب مهنته ، أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه ، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع ، مما هو دونه من الأغذية ، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته ، فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القوام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك ، وحض على بعضه ، كقوله « ما على أحدكم لو تخذ ثوبين : ثوباً لمهنته ، وثوباً لجمعته وعيده » وكقوله « إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى أثره عليه » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيناها في مواضعها .

وأما قوله (وكان بين ذلك قواماً) فإنه النفقة بالعدل والمعروف ، على ما قد بينا .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سليمان ، عن وهب بن منبه : في قوله (وكان بين ذلك قواماً) قال : الشطر من أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وكان بين ذلك قواماً) النفقة بالحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وكان بين ذلك قواماً) قال : القوام : أن ينفقوا في طاعة الله ، ويمسكوا عن محارم الله .

قال : أخبرني إبراهيم بن شبيب ، عن عمر مولى غفيرة ، قال : قلت له : ما القوام ؟ قال : القوام : أن لا تنفق في غير حق ، ولا تمسك عن حق هو عليك . والقوام في كلام العرب ، بفتح القاف ، وهو الشيء بين الشيئين ، تقول للمرأة المعتدلة الخلق : إنها لحسنة القوام في اعتدالها ، كما قال الحطيئة :

طافت أُمّامة بالركبان آونةً يا حسنة من قوامٍ ما ومنشَقباً

فأما إذا كسرت القاف فقلت : إنه قوام أهله ، فإنه يعني به : أن به يقوم أمرهم وشأنهم . وفيه لغات

(١) البيت للحطيئة . وآونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمنشَقب : مصدر ميمي بمعنى الانتقاب . يقول : إن أمانة كانت أحياناً تطوف بالركبان ، فإعدل قوامها ، وأحسن نقبها . والنقاب . ما وضع على مارن الأنف من أغطية الوجه . والنقبة : مينة الانتقاب به ، يقال إن فلانة لحسنة النقبة . ويكون معنى القوام كذلك : الشيء الوسط بين الشيئين . وقد حمل عليه المؤلف معنى البيت .

أَخْبَرَ ، يقال منه : هو قيام أهله وقسمهم في معنى قوامهم . فعنى الكلام : وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً ، لا يجاوزة عن حد الله ، ولا تقصيراً عما فرضه الله ، ولكن عدلاً بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه ، وأذن فيه ورنخص .

واختلفت القراء في قراءة قوله (ولم يَقْسُرُوا) فقرأته عامة قراء المدينة (ولم يَقْسُرُوا) بضم الياء وكسر التاء من أقتر يقتر . وقراءته عامة قراء الكوفيين (ولم يَقْسُرُوا) بفتح الياء وضم التاء من قتر يقتر . وقراءته عامة قراء البصرة (ولم يَقْسُرُوا) بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر .

والصواب من القول في ذلك ، أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب ، وقراءات مستفيضات وفي قراء الأمصار بمعنى واحد ، فبأيها قرأ القارى فمصيب .

وقد بينا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا في كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . وفي نصب القوام وجهان : أحدهما ما ذكرت ، وهو أن يجعل في كان اسم الإنفاق بمعنى : وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواماً : أى عدلاً ، والآخر أن يجعل بين هو الاسم ، فتكون وإن كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع ، كما يقال : كان دون هذا لك كافياً ، يعنى به : أقل من هذا كان لك كافياً ، فكذلك يكون في قوله (وكان بين ذلك قواماً) لأن معناه : وكان الوسط من ذلك قواماً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا
ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ

يقول تعالى ذكره : والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ، فيشركون في عبادتهم إياه ، ولكنهم يخلصون له العباداة ويفردونه بالطاعة (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ) إما بكفر بالله بعد إسلامها ، أو زنا بعد إحصانها ، أو قتل نفس ، فتقتل بها (وَلَا يَزْنُونَ) قياتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) يقول : ومن يأت هذه الأفعال ، فدعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، وزنى (يَلْقَى أَثَامًا) يقول : يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا ، كما وصفه ربنا جل ثناؤه ، وهو أنه (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) ، ومن الأثام قول بئعاء بن قيس الكنانى :

جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أُمْسَى عَقُوقًا وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامٌ

يعنى بالأثام : العقاب .

(١) البيت لبليغ بن قيس بن وبيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حميضة وهو من كنانة بن خزيمه ، وكان بليغاً رأس بنى كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار في حروب الفجار . وهو شاعر بحسن ، قال في كل فن أشعاراً .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام ، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب ، فخافوا أن لا ينفعهم مع ماسلف منهم من ذلك إسلام ، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن ناسا من أهل الشرك قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن الذي تدعوننا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ) ، ونزلت (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) قال ابن جريج : وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء . حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي معاوية ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله ، قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم : ما الكبائر ؟ قال : أن تدعو لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولداك من أجل أن يأكل معك ، وأن تزني بحليلة جارك » ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور ، عن أبي وائل عن عمرو ابن شريح ، عن عبد الله ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك » ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولداك خشية أن يأكل معك » ، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم أن تزني بحليلة جارك » ، فأنزل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ) . . . الآية .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا علي بن قادم ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن منصور عن أبي وائل ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

جاء (انظر المؤلف والمختلف ١٠٦ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٥٧) . والبيت أنشده صاحب (اللسان : أثم) ونسبه إلى شافع الليثي . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكناني ، وعنه أخذ المؤلف « قال في اللسان : قال أبو إسحاق : تأويل الأثم : المجازاة . وقال أبو عمرو الشيباني : لقي فلان أثم ذلك : أي جزاء ذلك ، فإن الخليل وسيبويه يذهبان إلى أن معناه : يلحق جزاء الأثم . وقول شافع الليثي في ذلك : * جزى الله بن عروة . . . له أثم » أي عقوبته مجازاة العقوق ، وهي قطيعة الرحم . وقال الليث : الأثم في بخلة التفسير : عقوبة الإثم . وقيل في قوله تعالى « يلحق أثمها » : قيل هو واد في جهنم . قال ابن سيده : والصواب عندي : أن معناه : يلحق عقاب الأثم . اهـ .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثني عمي يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عبد الله قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي الذنب أكبر ؟ ثم ذكر نحوه » .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا السري ، يعني ابن إسماعيل قال : ثنا الشعبي ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فاتبعته ، فجلست على نشز من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، فاغتنمت خلوته ، وقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، أي الذنوب أكبر ؟ قال : « أن تدعو الله نداء وهو خلقك . قلت : ثم مه ؟ قال : أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك . قلت : ثم مه ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك ، ثم تلا هذه الآية « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلحة بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، قال : ثني سعيد بن جبير ، أو حدثت عن سعيد بن جبير ، أن عبد الرحمن بن أبزي أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية ، والآية التي في الفرقان (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) . . . إلى (وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) قال ابن عباس : إذا دخل الرجل في الإسلام ، وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فلا توبة له ، والتي في الفرقان ، لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق ، فما ينفعنا الإسلام ؟ قال : فنزلت (إِلَّا مَنْ تَابَ) قال : فمن تاب منهم قبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : ثني سعيد بن جبير ، أو قال : حدثني الحكم عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبزي ، فقال : سل ابن عباس ، عن هاتين الآيتين ، ما أمرهما عن الآية التي في الفرقان (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) . . . الآية ، والتي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . فسألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : لما أنزل الله التي في الفرقان ، قال مشركو أهل مكة : قد قتلنا النفس التي حرم الله ، ودعونا مع الله إلها آخر ، فقال (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) . . . الآية . فهذه لأولئك . وأما التي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) . . . الآية ، فإن الرجل إذا عرف الإسلام ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم ، فلا توبة له ، فذكرته لمجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا أحمد بن خالد الذهني ، قال : ثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، قال : ثني سعيد بن جبير ، قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى (مَنْ تَابَ) ، وعن قوله (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) . . . إلى آخر الآية . قال : فسألت عنها ابن عباس ، فقال : أنزلت

هذه الآية في الفرقان بمكة إلى قوله (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) فقال المشركون : فما يغني عنا الإسلام ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، وأتيننا الفواحش ، قال : فأنزل الله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأما من دخل في الإسلام وعقله ، ثم قتل ، فلا توبة له . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال في هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) . . . الآية ، قال : نزلت في أهل الشرك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبيزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الكريم بن عمير ، قال : ثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان ، مولى لبني الدليل من أهل المدينة ، عن فليح الشماس ، عن عبيد بن أبي عبيد ، عن أبي هريرة ، قال : «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ، ثم انصرفت ، فإذا امرأة عند بابي ، ثم سلمت ، ففتحت ودخلت ، فبينما أنا في مسجدي أصلي ، إذ نقرت الباب ، فأذنت لها ، فدخلت فقالت : إني جئتك أسألك عن عمل عملت ، هل لي من توبة ؟ فقالت : إني زنت وولدت ، فقتلته ، فقلت : ولا : لا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول : يا حسرتاه ، أخلق هذا الحسن للنار ؟ قال : ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ، ثم جلسنا ننظر الإذن عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا ، ثم خرج من كان معي ، وتحلفت ، فقال : مالك يا أبا هريرة ، ألك حاجة ؟ فقلت له : يا رسول الله صليت معك البارحة ، ثم انصرفت ، وقصصت عليه ما قالت المرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما قلت لها ؟ قال : قلت لها : لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) . . . الآية (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) فقال أبو هريرة : فخرجت ، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليها ، فقلت : إن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة ، فلتأتني ولتبشر ؛ فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ، فإذا هي عند بابي ، فقلت : أبشري ، فإني دخلت على النبي ، فذكرت له ما قلت لي ، وما قلت لك ، فقال : بئس ما قلت لها ، أما كنت تقرأ هذه الآية ؟ فقرأتها عليها ، فخرت ساجدة ، فقالت : الحمد لله الذي جعل تخرجنا وتوبة مما عملت ، إن هذه الجارية وابنها حران لوجه الله ، وإني قد تبت مما عملت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، قال : اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما شئ من القرآن إلا سأله عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول للذنوب لا أغفره .

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بالتي في النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان ، والتي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) فقال زيد بن ثابت : قد عرفت النسخة من المنسوخة ، نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الضحاك بن مزاحم : هذه السورة بينها وبين النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) ثمان حجج . وقال ابن جريج : وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير : هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ فقال : لا ، فقرأ عليه هذه الآية كلها ، فقال سعيد بن جبير : قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي ، فقال : هذه مكية ، نسخها آية مدنية ، التي في سورة النساء ، وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول ، قال أهل التأويل ، إلا أنهم قالوا : ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يدعى أثاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الأثام : واد في جهنم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (يَلْقَى أَثَامًا) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، حدثنا ابن حنبل قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا) قال : واديا في جهنم فيه الزناة .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد ، قال : ثنا شريك بن قنينة ، عن لقمان بن عامر الخزاعي ، قال : جئت أبا أمية صدي بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا لي بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ زَيْنَةَ عَشْرٍ عَشْرَ آوَاتٍ قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيفًا ، ثُمَّ تَنْتَهَى إِلَى غَيٍّ وَأَثَامٍ ، قلت : وما غيٌّ وأثام ؟ قال : بِئْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا

صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وهما اللذان ذكر الله في كتابه (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) ، وقوله في الفرقان (وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَلْقَى أَثَامًا) قال : الأثام الشر ، وقال : سيكفيك ما وراء ذلك : (يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَلْقَى أَثَامًا) قال : نكالا ، قال : وقال : إنه واد في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبي مریم قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً بحجر يهوى فيها أو بصخرة تهوى ، عظمها كعشر عشاوات ممان ، فقال له رجل : فهل تحت ذلك من شيء ؟ قال : نعم غي وأثام .

قوله (يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم (يُضَاعَفُ) جزماً (وَيَخْلُدُ) جزماً . وقرأه عاصم : (يَضَاعَفُ) رفعا (وَيَخْلُدُ) رفعا كلاهما على الابتداء ، وأن الكلام عنده قد تنهى عند (يَلْقَى أَثَامًا) ثم ابتداء قوله (يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ) . والصواب من القراءة عندنا فيه : جزم الحرفين كإيهما : يضاعف ، ويخلد ، وذلك أنه تفسير للأثام لأفعل له ، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٍ

فرفع تعشو ، لأنه فعل لقوله تأته ، معناه : متى تأته عاشيا .

وقوله (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان . وقوله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلقى أثاما (إِلَّا مَنْ

(١) البيت للحطيئة (اللسان : عشا) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشوا وعشوا (كفعل) واعتشاها واعتشى بها : كله : رأها ليلا على بعد ، فقصدتها مستضيئاً بها ؛ قال الحطيئة : متى تأته تعشو . . . البيت . أى متى تأته لا تبين ناره من ضعف بصره . وجملة تعشو : في محل نصب على الحال : ولذلك قال المؤلف : فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أى هو حال من فاعل تأته . أى متى تأته عاشيا . أما ما رواه الطبري من أن القراء يختلفون في قراءة : « يضاعف » جزماً ورفعا فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أى البذل مما قبله ، وهو « يلقى » والذي ذهب إليه المؤلف تبع فيه القراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٢٦) قال : وقوله : « ومن يفعل ذلك يلقى أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة » : قرأت القراء بجزم يضاعف ورفعه عاصم بن أبي النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرته ولم يكن فعلا لما قبله (أى مصاحبا الفعل الذي قبله) فالوجه الجزم . وما كان فعلا لما قبله رفعت ، فأما المفسر للمجزم (أى المبدل منه) فقوله : « ومن يفعل ذلك يلقى أثاما » ثم فسر الأثام ، فقال : يضاعف له العذاب . ومثله في الكلام : « إن تكلمني توصني بالخير والبر أقبل منك » . ألا ترى أنك فسرته الكلام بالبر ، ولم يكن فعلا له ، فلذلك جزمت - ولو كان الثاني فعلا للأول لرفعت ، كقولك : « إن تأتينا تطلب الخير تجده » . ألا ترى تجد تطلب فعلا للإتيان ، كقولك : « إن تأتينا طالبا للخير تجده » ، قال الشاعر : متى تأته تعشو . . . البيت ، فرفع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا . ورفع عاصم يضاعف له ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتينا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لامل الجزاء .

تاب) يقول : إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك ، وإنابته إلى ما يرضاه الله (وَأَمَّنَ) يقول : وصدق بما جاء به محمد نبي الله (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله من الأعمال ، وانتهى عما نهاه الله عنه .

قوله (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك ، محاسن الأعمال في الإسلام ، فيبدله بالشرك إيماناً ، وبقليل أهل الشرك بالله قليل أهل الإيمان به ، وبالزنا عفة وإحصاناً .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات ، فرغب الله بهم عن ذلك ، فحوّلهم إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات حسنات .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن سعيد ، قال : نزلت (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى آخر الآية ، في وحشي وأصحابه ، قالوا : كيف لنا بالتوبة ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين ، قتالاً مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، في قوله (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : بالشرك إيماناً ، وبالقتل إمساكاً ، وبالزنا إحصاناً . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) يعني : الشرك ، والقتل ، والزنا جميعاً . لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة : يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار ، وليس له عند الله خير ، فأنزل الله (إِلَّا مَنْ تَابَ) من المشركين من أهل مكة ، (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) يقول : يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا : الإيمان بالله ، والدخول في الإسلام ، وهو التبديل في الدنيا . وأنزل الله في ذلك (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) يعنيهم بذلك (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً (يعني ما كان في الشرك ، يقول الله لهم : أنيؤوا إلى ربكم وأسلموا له ، يدعوهم إلى الإسلام ، فهاتان الآيتان مكيتان ،

والتي في النساء (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) . . . الآية ، هذه مدنية ، نزلت بالمدينة ، وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين ، وهي مبهمة ليس منها مخرج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه (يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) فقال :

بَدَّلْنِ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيفًا وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيفًا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى قوله (يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) فقال المشركون : ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا ، قال : فأنزل الله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ) قال : تاب من الشرك ، قال : وآمن بعقاب الله ورسوله (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) ، قال : صدق ، (فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا في الإيمان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : ثنا قريش بن أنس أبو أنس ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن عطاء الخراساني ، عن سعيد بن المسيب (فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) قال : تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المعمر بن سويد ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَا أَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا إِلَى الْجَنَّةِ » ، قال : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ : تَنَحَّوْا كِبَارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُّوهُ عَنْ صِغَارِهَا ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ كَذًّا وَكَذًّا ، وَعَمِلْتَ كَذًّا وَكَذًّا ، قال : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَقَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ مَكَانٌ كُلُّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ » .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من تأوله : فأولئك يبدل الله سيئاتهم أعمالهم في الشرك ، حسنات في الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى .

(١) هذا بيت للبيد العامري الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده في أصل ديوانه ، وإنما وجدته في الملحق بالديوان طبع ليدن ص ٥٦ ، وروايته فيه كرواية السيوطي في (الاتقان) ١ : (وهذه الرواية أجود وأوضح ، وهي :

بَدَّلْنِ بَعْدَ النَّفْسِ الْوَجِيفًا وَبَعْدَ طُولِ الْحِرَّةِ الصَّرِيفًا

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترعى ليلاً زمناً طويلاً ، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع ، يقال وجف ابمير والفرس وجفا ، ووجيفا : أسرع . وبدلت بعد طول الاجترار في مباركها الصريف . والاجترار : أن يخرج ذو الكرش جزءاً من الطعام ليضمغه جيداً ثم يمیده . والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يحلب ، والحمر : والمراد به هنا : صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال . فكان لبيد يقول : تبدلت أحوالها بعد النيم بؤساً .

ولإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبْح ، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة ، إلى خلاف ما كانت عليه ، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى ، فيجب إن فعل ذلك كذلك ، أن يصير شرك الكافر الذي كان شركاً في الكفر بعينه إيماناً يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة ، وذلك ما لا يقوله ذو حجاً .

وقوله (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده ، وراجع طاعته ، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها . قوله (وَمَنْ تَابَ) يقول : ومن تاب من المشركين ، فأمن بالله ورسوله (وَاعْمَلَ صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله فأطاعه ، فإن الله فاعل به من إبداله سَيِّئِ أَعْمَالِهِ فِي الشَّرْكِ ، بحسبها في الإسلام ، مثل الذي فعل من ذلك ، بمن تاب وآمن وعمل صالحاً قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ تَابَ وَاعْمَلَ صَالِحًا) فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) قال : هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت (وَالَّذِينَ لَا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) . . . إلى قوله (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان هؤلاء إلا معنا ، قال : (وَمَنْ تَابَ وَاعْمَلَ صَالِحًا) فإن لهم مثل ما هؤلاء (فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) لم تخطر التوبة عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِمْزِ وَكَرَمًا ﴿٧٧﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه ، فقال بعضهم : معناه الشرك بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله : (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : هؤلاء المهاجرون ، قال : والزور قولهم لا لهم ، وتعظيمهم إياها . وقال آخرون : بل عُنِيَ بِهِ الْغِنَاءُ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن عبد الأعلى المحاربي قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : لا يسمعون الغناء .

وقال آخرون : هو قول الكذب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال : الكذب .

قال أبو جعفر : وأصل الزور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل في ذلك ، لأنه محسن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق ، وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلى سامعه سماعه ، والكذب أيضا قد يدخل فيه ، لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظن صاحبه أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور . فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله : أن يقال : والذين لا يشهدون شيئا من الباطل ، لا شركا ، ولا غناء ، ولا كذبا ولا غيره ، وكل ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عم في وصفه إياهم ، أنهم لا يشهدون الزور ، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل . وقوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ، ويكلمونهم به من الأذى ، ومرورهم به كراما : إعراضهم عنهم وصفحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : صفحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : إذا أودوا مروا كراما ، قال : صفحوا . وقال آخرون : بل معناه : وإذا مروا بذكر النكاح ، كفوا عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : إذا ذكروا النكاح كفوا عنه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد ، (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبي مخزوم ، عن سيار (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : إذا مروا بالرفث كفوا .

وقال آخرون : إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكربا له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : هؤلاء المهاجرون ، واللغو ما كانوا فيه من الباطل ، يعنى المشركين عوقراً (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) .

وقال آخرون : عنى باللغو ههنا : المعاصي كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : اللغو كله : المعاصي .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى ، أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما ، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لاحقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذى لاحقيقة له من اللغو . وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لاحقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه ، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو ، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ، أن يقال : عنى به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه ، مروا كراما ، مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه ، وذلك كالغناء . وفي بعض ذلك : بأن يعرضوا عنه ويصفحوا ، وذلك إذا أودوا بإسماع القبيح من القول ، وفي بعضه : بأن ينهضوا عن ذلك وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول . وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف ، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ، فيستصرخهم المراد ذلك منهم ، فيصرخونهم ، وكل ذلك مرورهم كراما . وقد حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَتَكْرِيماً » وقيل : إن هذه الآية مكية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدى يقول (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) قال : هي مكية ، وإنما عنى السدى بقوله هذا إن شاء الله ، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وأمرهم إذا مروا باللغو الذى هو شرك ، أن يقتلوا أمراءه ، وإذا مروا باللغو ، الذى هو معصية لله أن يغيروه ، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة ، وهذا القول نظير تأويلنا الذى تأولناه في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : والذين إذا ذكرهم مذكر بحجج الله ، لم يكونوا صُمًّا لا يسمعون ، وعميا لا يبصرونها . ولكنهم يِقَاطُ القلوب ، فهماء العقول ، يفهمون عن الله ما يذكرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه ، فيوعون مواعظه آذانا سمعته ، وقلوبا وعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) فلا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يفقهون حقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) قال : لا يفقهون ، ولا يسمعون ، ولا يبصرون .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، قال : قلت للشعبي : رأيت قوما قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجدا ؛ قال (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) قال : هذا مثل ضربه الله لهم ، لم يدعوها إلى غيرها ، وقرأ قول الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) . . . الآية .

فإن قال قائل : وما معنى قوله (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) أو يخِر الكافرون صُمًّا وَعُمْيَانًا إذا ذُكِّروا بآيات الله ، فُيَسْتَقَى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار ؟ قيل : نعم ، الكافر إذا تلبت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى ، وخره عليها كذلك ، لإقامته على الكفر ، وذلك نظير قول العرب : سببت فلانا . فقام يبكي ، بمعنى فظل يبكي ، ولا قيام هنالك ، ولعله أن يكون بكى قاعدا ؛ وكما يقال : نهيت فلانا عن كذا ، فقعد يشتمني ؛ ومعنى ذلك : فجعل يشتمني ، وظل يشتمني ، ولا قعود هنالك ، ولكن ذلك قد جرى على السن العرب ، حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول : قعد يشتمني ، كقولك : قام يشتمني ، وأقبل يشتمني ؛ قال : وأنشد بعض بني عامر :

(١) أي فكنت أسجد منهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء السائلين بين والمجيبين ، يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاء بدلالة الحال .

لَا يُقْنَعُ الْجَارِيَةُ الْخِضَابُ وَلَا الْوِشَاحَانُ وَلَا الْجِلْبَابُ
مِنْ دُونَ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ وَيَقْعُدَ الْآيَرُ لَهُ لُعَابُ

بمعنى : يصير ، فكذاك قوله (كَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانَا) إنما معناه : لم يَصْمُوا عنها ، ولا عموا عنها ، ولم يصيروا على باب ربه صُمًّا وَعُمِيَانَا ، كما قال الراجز :
وَيَقْعُدُ الْهَنْ لَهُ لُعَابُ
بمعنى : ويصير

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا : (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا) ما تقرّ به أعيننا من أن تربيناهم يعملون بطاعتك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) يعنون : من يعمل لك بالطاعة ، فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة
حدثني أحمد بن المقدام ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت كثيرا سأل الحسن ، قال : يا أبا سعيد ، قول الله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) في الدنيا والآخرة ، قال : لا بل في الدنيا ، قال : وما ذاك ؟ قال : المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قرأ حضرمي (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جرير ، فيما قرأنا عليه في قوله (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : يعبدونك فيحسنون عبادتك ، ولا يجرون الجرائ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، قوله (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : يعبدونك يحسنون عبادتك ، ولا يجرون علينا الجرائر .

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها الفراء في معاني القرآن عن بعض العرب (مصورة الجامعة ص ٢٢٧) قال : وسمعت العرب تقول : قد يشتنى ، كقولك : قام يشتنى ، وأقبل يشتنى ، وأنشدني بعض العرب : لا يقنع الجارية الأبيات . وفي البيت الرابع : « ويقعد الهن » . . . الخ ، كقولك يصير . وقوله : الأركاب ، هو جمع ركب ، كسبب ، وهو العانة أو منبها ، أو ظاهر الفرج . قال الخليل : هو للمرأة خاصة . وقال الفراء : هو للرجل والمرأة . وأنشد الفراء : « لا يقنع الجارية الأبيات » . وفي التهذيب : ولا يقال : ركب الرجل . وقيل يجوز أن يقال ركب الرجل . والهن (في رواية الفراء) : الحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) قال : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .
حدثنا محمد بن عون ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنى أبي ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نَفِير ، عن أبيه ، قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود ، فقال : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعثَ عليها نبيّ من الأنبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فَرَّقَ به بين الحقّ والباطل ، وفَرَّقَ بين الوالد وولده ، حتى إن كان الرجل يرى ولده ووالده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام ، فيعلم أنه إن مات دخل النار ، فلا تقرّ عينه ، وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وإنها لتي قال الله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) . . . الآية .

حدثني ابن عون ، قال : ثنى عليّ بن الحسن العسقلانيّ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نَفِير ، عن أبيه ، عن المقداد ، نحوه .
وقيل : هب لنا قرّة أعين ، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع ، وقوله (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) واحدة ، لأن قوله : قرّة أعين : مصدر من قول القائل : قرّت عينك قرّة ، والمصدر لا تكاد العرب تجمعها .
وقوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : اجعلنا أئمة يقتدى بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عون بن سلام ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . في قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) يقول : أئمة يقتدى بنا .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا . قال ابن زيد : كما قال إبراهيم (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) .

وقال آخرون : بل معناه : واجعلنا للمتقين إماماً : نأتمّ بهم ، ويأتمّ بنا من بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال : أئمة نفتدى بمن قبلنا ، ونكون أئمة لمن بعدنا .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) قال : اجعلنا مؤتمين بهم ، مقتدين بهم .
قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ؟ إماماً يأتمون بنا في الخيرات ، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم

يسأله أن يجعل المتقين لهم إماما ، وقال (وَاجْعَلْنَا لِمُسْتَقِينَ إِمَامًا) ولم يقل أئمة ، وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة ، لأن الإمام مصدر من قول القائل : أمّ فلان فلانا إماما ، كما يقال : قام فلان قياما ، وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام أئمة ، جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام ، وأئمة للناس ، فمن وحد قال : يأتهم بهم الناس . وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحوّي أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام في قوله (لِلْمُسْتَقِينَ إِمَامًا) جماعة ، كما تقول : كلهم عدّول . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل : إذا قيل له : من أميركم ، هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذِلاني لا تُردنَ ملامتي إنَّ العَوَادلَ لسننَ لي بأميرٍ

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي ، وذلك من ابتداء قوله (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا . . . الآية) (يُجْزَوْنَ) يقول : يُثَابُونَ على أفعالهم هذه ، التي فعلوها في الدنيا (الْغُرْفَةُ) وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة (بِمَا صَبَرُوا) يقول : بصبرهم على هذه الأفعال ، ومقاساة شدتها . وقوله (وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (وَيُلَقَّوْنَ) مضمومة الياء ، مشددة القاف ، بمعنى : وتلقاهم الملائكة فيها بالتحية . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (وَيُلَقَّوْنَ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا) بفتح الياء ، وتخفيف القاف ، لأن العرب إذا قالت ذلك بالتحديد ، قالت : فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ، ونحن نَتَلَقَاهُم بالسلام ، قرنته بالياء ، وقلما تقول : فلان يُتَلَقَّى السلام ، فكان وجه الكلام ، لو كان بالتحديد ، أن يقال : وَيُتَلَقَّوْنَ فِيهَا بالتحية والسلام . وإنما اخترنا القراءة بذلك ، كما تجيز : أخذت بالخطام ، وأخذت الخطام . وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(١) البيت من شواهد ابن هشام في المعنى في حرف اللام ، على أن قوله : « لا تردن ملامتي » أبلغ من : لا تلمني ، لأنه نهى عن السبب ، والنهي عن إرادة الفعل أبلغ من النهي عن الفعل نفسه . وقال الأمير في حاشيته : قوله : « بأمير » : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه فصيلا يسوي فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أو إنه صفة لمفرد لفظا جمع معنى محذوف ، أي بفريق أمير . فلاحظ في الإخبار معناه ، وفي وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطي في شرح شواهد المعنى ، في حرف اللام . وتوحيد الأمير في البيت نظير توحيد الإمام في قوله تعالى : واجعلنا للمتقين إماما ، وكلاهما يراد به الجمع في المعنى . قال في اللسان : وقوله تعالى : « واجعلنا للمتقين إماما » . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، خالدون في الغرفة ، يعني أنهم ما كثون فيها ، لا يثون إلى غير أمد ، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما : يقول : وإقامة . وقوله (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي) يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أي شيء يعبدكم ، وأي شيء يصنع بكم ربّي ، يقال منه : عبأت به أعبا عبئا ، وعبأت الطيب أعبؤه : إذا هيأته ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكِبَيْهِ عَصِيرًا بَاتَ يَعْْبُوهُ عَرُوسُ^١

يقول : يهينه ويعمله يعبؤه عبأ وعبوا ، ومنه قولهم : عبأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبته : أهينته والعيب : الثقل :

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي) يصنع لولا دعاؤكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي) قال : يعبا : يفعل وقوله (لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) يقول : لولا عبادة من يعبد منكم ، وطاعة من يطيعه منكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حبسه إلى المؤمنين .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) قال : لولا دعاؤكم إياه لتعبده وتطيعوه .

(١) البيت لأبي زيد الطائي يصف أسدا (اللسان : عبأ) . قال : وعبأ الطيب يعبؤه عبئا : صنعه وخلطه ، قال أبو زيد يصف أسدا : « كَانَ بِنَحْرِهِ . . . البيت » . وروى : « بَاتَ يَعْْبُوهُ » . وقال الفراء في معاني القرآن : وقوله : « مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي » : استفهام أي ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ؟ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (ص ١٧٠) ومنه قولهم : ما عبأت بك شيئا : أي ما عددتك شيئا . اهـ .

وقوله (فَقَدْ كَذَبْتُمْ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتُم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكتُم به ، كان يعبا بكم ربى ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم ، عذابا لكم ملازما ، قتلا بالسيوف وهلاكاً لكم مفنيا يلحق بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَفَاجَأَهُ بِعَادِيَّةٍ لِيَزَامَ كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ !

يعنى باللزام : الكبير الذى يتبع بعضه بعضاً ، وباللقيف : المتساقط الحجارة المتهدم ، ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللزام ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سامان أبا عبد الله ، قال : صابت مع ابن الزبير فسمعتة يقرأ : فقد كذب الكافرون .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن أدهم السدوسي ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن عبد المجيد ، قال : سمعت مسلم بن عمار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف : فقد كذب الكافرون (فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامًا) .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامًا) يقول : كذب الكافرون أعداء الله

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : فسوف يلقون لزاما يوم بدر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الرحمن : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامًا) قال أبي بن كعب : هو القتل يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللزام : يوم بدر ،

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : لقف) . قال : وحوض لقف ولقيف : تهو من أسفله واتسع ، ومنه قول أبي ذؤيب : فلم تر غير غادية لزاما . . . البيت قال : ويقال : الملاذ . والأول : هو الصحيح . قال : والمادية : القوم يعدون على أرجلهم أى : فصلتهم لزاما ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اهـ . وقال (فى لزوم) : واللزام : الملازم قال أبو ذؤيب : (البيت كروايته فى لقف) ثم فسره كما فسره هناك . قال : واللقيف : المتهو من أسفله . وقال أبو حبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٧٠) : لزام : أى كثيرة بعضها فى أثر بعض وهامشه : اللقيف المتهدم ، الذى سقطت حجاره بعضها على بعض ، اهـ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : هو يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : يوم بدر . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن مسعود ، قال : اللزام : القتل يوم بدر .

حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، فسوف يكون لزاما ، وهو يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : قد مضى اللزام ، كان اللزام يوم بدر ، أسروا سبعين ، وقتلوا سبعين . وقال آخرون : معنى اللزام : القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : فسوف يكون قتالا ؛ اللزام : القتال . وقال آخرون : اللزام : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) قال : موتا .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى ذلك : فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر . وقد بينا الصواب من القول في ذلك . وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه ، وهو أن يكون في قوله (يَكُونُ) مجهول ، ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل :

• إِذَا كَانَ طَعْنَا بَيْنَهُمْ وَقَتَلَا •

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك : قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ماتدعون من دونه من الآلهة والأنداد ، وهذا قول لا معنى للتشغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل .

آخر سورة الفرقان ، والحمد لله وحده

(٢٦) سُوْرَةُ الشُّعْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا نَهَا سِتِّعَ وَعَشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْبَيِّنِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ ﴿٣﴾ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء ، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة . وقد بينا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته ، وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله : طسم وطس^٣ ، نظير الذي ذكر عنهم في : الم والمر والمص^٣ .

وقد حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (طسم^٣) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (طسم^٣) قال : اسم من أسماء القرآن .

فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع : إن هذه الآيات التي أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم ، وفكر فيه بعقل ، أنه من عند الله جل جلاله ، لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتقوله من عنده ، بل أوحاه إليه ربه . وقوله (لَعَلَّكَ بَاخِيعٌ نَفْسِكَ^٣) يقول تعالى ذكره : لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك ، ويصدقوك على ما جئتهم به ، والبخيع : هو القتل والإهلاك في كلام العرب ؛ ومنه قول ذي الرمة :

أَلَا أَيُّهُمْ ذَا الْبَاخِيعِ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (باخيعٌ نفسك^٣) : قاتل نفسك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَعَلَّكَ بَاخِيعٌ نَفْسِكَ^٣) قال : لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك ، قال : ذلك البخيع .

(١) البيت لدى الرمة ، وقد تقدم الاستشهاد به في سورة الكهف (١٥ : ١٩٤) على أن معنى البخيع : القتل ، فراجعه ثمة .

حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَعَلَّكَ بِاْخِيعٍ نَفْسِكَ) عليهم حرصا ، وأن من قوله (أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) في موضع نصب بياخع ، كما يقال : زرت عبد الله أن زارني ، وهو جزاء ؛ ولو كان الفعل الذي بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام في « أن » الكسر كما يقال ؛ أزور عبد الله إن يزورني .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ) . . . الآية ، فقال بعضهم : معناه : فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ) لَهَا خَاضِعِينَ) قال : فظلوا خاضعة أعناقهم لها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (خَاضِعِينَ) قال : لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها ، فلا يملأ أحد عنقه إلى معصية الله .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ) قال : لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ) لَهَا خَاضِعِينَ) قال : ملقين أعناقهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ) لَهَا خَاضِعِينَ) قال : الخاضع : الذليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلت ساداتهم وكبرائهم الآية خاضعين ، ويقول : الأعناق : هم الكبراء من الناس .

واختلاف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين ، وهو خبر عن الأعناق ، فقال بعض نحوئي البصرة : يزعمون أن قوله (أَعْنَاقُهُمْ) على الجماعات ، نحو : هذا عنق من الناس كثير ، أو ذكركم كما يذكر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

تَمَرَزْتُهَا وَالذَّيْلُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا ١

(١) هذا البيت أنشده سيبويه للنايفة الجعدي ، (اللسان : نعش) وقيل بيت آخر ، يصف بها الخمر ، وهو قوله :

وَصَهْبَاءُ لَا يَخْفَى الْقَدَى وَهِيَ دُونَهُ تَصَفَّقُ فِي رَأُوقِهَا ثُمَّ تَقَطَّبُ

قال : وبنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها مربعة ، وثلاثة بنات نعش ، الواحد : ابن نعش لأن الكوكب مذكر فيذكرونه عن تذكيره . وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات ، وكذلك بنات نعش الصغرى . واتفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة .

فجماعات هذا أعناق ، أويكون ذكره لإضافته إلى المذكور كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث ، كما قال الأعشى
وتَشْرِقُ بالقول الذي قد أدعته كما شَرَقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنْ الدَّمِ^١
وقال العجاج :
لَمَّا رَأَى مَسْنِ السَّمَاءِ أَبْعَدَتْ^٢

وقال الفرزدق :
إِذَا الْقَنْبُضَاتُ السُّودَ طَوَّفْنَ بالضحي رَقَدْنَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَالُ الْمَسْجِفُ^٣
وقال الأعشى :

وَأَنْ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ يَهْمَاءُ وَبَيْدَاءُ خَيْفَتْ^٤
لَمَحْقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ الْمُؤَفَّقُ^٥

= والتأنيث . وقيل شبت بحملة النعش في تربيها . وجاء في الشعر بنونعش ، أنشد سيبويه للنايفة الجعدي : «وصهباء لا يخنى ... البيتان» *
الصهباء الحمر . وقوله «لا يخنى القذى وهي دونه» أي لا تستره إذا وقع فيها ، لكونها صافية ، فالقذى يرى فيها إذا وقع . وقوله وهي
دونه : يريد أن القذى إذا حصل في أسفل الإناء ، رآه الرائي في الموضع الذي فوقه الحمر ، والحمر أقرب إلى الرائي من القذى . يريد
أنها يرى ما وراءها . وتصفق تدار من إناء إلى إناء وقوله تمزتها أي شربتها قليلا قليلا . وتقطب : تمزج بالماء . قال الأزهري : وللشاعر
إذا اضطر أن يقول : بنونعش ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت ، ووجه الكلام : بنات نعش ، كما قالوا : بنات آوى وبنات
عرس ، والواحد منها ابن عرس ، يؤنثون جمع ماخلا الأكدميين . ورواية أبي عبيدة في (مجاز القرآن ص ١٧١) : شربت إذا ما لديك
... الخ البيت .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (اللسان : شرق) قال : شرق الشيء شرقا ، فهو شرق : اشتدت حرته بدم ، أو بحسن
لون أحمر ، قال الأعشى : «وتشرق بالقول» ... البيت . والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١)
يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر لهاجيه . قال شارح الديوان : «وجئ تشرق بما
أذعت من قول ، كما يشرق ، مقدم الرمح بالدم» . وصدر القناة : أعلاها . والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرق بالتاء ، مع أن فاعله
وهو «صدر» مذكر . ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة ، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها .

(٢) لم أجد البيت في ديوان العجاج ورؤية . ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزفيان ملحقة بديوان العجاج (٩٥،٩٤)
وليس فيها البيت . والمتن : الظاهر . والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل أبعدت بالتاء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن ، وهو
مذكر ؛ لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء ، وتناسى المتن ، فأنث لذلك ، وكأنه قال :
«لما رأى السماء أبعدت» . وهو كالشاهد الذي قبله .

(٣) البيت للفرزدق (اللسان : قبض) . والقنبضة من النساء : القصيرة ، والنون زائدة والضمير في رقدن : يعود إلى نساء
وصفهن بالنعمة والترف إذا كانت القنبضات السود في خدمة وتمتع بهن يعني بالقنبضات الولائد والإماء من الخدم . والحجال : جمع
حجلة ، بالتحريك ، وهي بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويكون له أزرار كبار . ومنه حديث : «أعروا النساء يلزمن الحجال» . وجمع
الحجلة : حجل وحجال ، قال الفرزدق : «رقدن عليهن الحجال المسجف» قال الحجال ، وهي جماعة ، ثم قال المسجف فذكر ،
لأن لفظ الحجال لفظ الواحد مثل الجراب . قال : ومثله قوله تعالى : «قال من يحبس العظام وهي رميم» ، ولم يقل رميمية . وانظر
البيت أيضا في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي ص ٥٥٢) قال : والتسجيف : إرخاء السجفين ، وهما ستر باب الحجلة للعروس .
وكل باب يستره ستران بينهما مشقوق ، فكل شق منهما سجف .

(٤) البيتان لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٢٣) من قافيته التي مطلعها : «أرقت وما هذا السهاد المورق» يمدح بها الملق
ابن خنم بن شداد بن ربيعة . وفي رواية البيت الأول فيه وفي خزنة الأدب الكبرى (البغدادى ١ : ٥٥١ ، ٢ : ٤١٠) أسرى ،
في موضع : أهدى . و«أن المعان موفق» في موضع «أن المعان الموفق» . ومعنى أهدى من الهدية ، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب
للناقة وكان قد أهداها الممدوح إليه ، لأعلى أن الخطاب للمرأة المذكورة في القصيدة قبل البيت في قوله «وكم دون ليلي» وتتمام رواية
البيت على أنه خطاب للناقة هو :

وإن أمرا أهداك بيني وبينه فياف تنوفات ويهماء سملق

والأكثرون على رواية أسرى إليك ، وأنه خطاب للمرأة ، وعليه بنى الكوفيون كلامهم في الاستشهاد بالبيت ، وأسرى : لغة في أسرى =

قال : ويقولون : بنات نعش وبنو نعش ، ويقال : بنات عرس ، وبنو عرس ؛ وقالت امرأة : أنا امرؤ
لا أخبر السر ، قال : وذكر لرؤبة رجل فقال : هو كان أحد بنات مساجد الله ، يعني الحصى . وكان بعض
نحوي الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر :

تَرَى أَرْمَاحَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا إِذَا صَدَيْتِ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُفَاةِ ١

فمعناه عنده : فظلت أعناقهم خاضعيها هم ، كما يقال : يدك باسطها ، بمعنى : يدك باسطها أنت ، فاكتفى
بما ابتدأ به من الاسم أن يكون ، فصار الفعل كأنه للأول وهو الثاني ، وكذلك قوله : لمحقوقة أن
تستجيبى لصوته إنما هو لمحقوقة أنت ، والمحقوقة : الناقة ، إلا أنه عطفه على المرء لما عاد بالذكر . وكان
آخر منهم يقول : الأعناق : الطوائف ، كما يقال : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدة ، فيجعل الأعناق
الطوائف والعصَب ؛ ويقول : يحتمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ، فيكون كأنه
قيل : فظلت رعوس القوم وكبرائهم لها خاضعين ، وقال : أحب إلى من هذين الوجهين في العربية أن
يقال : إن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق ، ثم جعلت خاضعين
للرجال ، كما قال الشاعر :

عَلَى قَبْضَةِ مَرْجُوءٍ ظَهَرَ كَفُّهُ فَلَا الْمَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلَا هُوَ طَاعِمٌ ٢

فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه ، كما أنك تكنى : أن تقول : خضعت لك ، من أن
تقول : خضعت لك رقبتي ، وقال : ألا ترى أن العرب تقول : كل ذي عين ناظر وناظرة إليك ، لأن

= أي سار ليلًا . وللوما : الأرض التي لاماء فيها . والبيداء واليهاء القفر . والسلق : الأرض المستوية . وقد اختلف التحويون في تخريج
قوله : « المحقوقة أن تستجيبى » ، ف قيل : لمحقوقة استجابتك أي استجابتك محقوقة . وعليه فالتأنيث في محقوقة للمصدر المؤنث جوازا .
وعليه أيضا فلا شاهد في البيت . وقال الكوفيون : محقوقة خبر إن امرأ ، غير جار على من هو له وهو امرأ ، وإنما هو جار على المرأة
المخاطبة بقوله إليك . والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه ، فكان حقه أن يقول : لمحقوقة أنت
أن تستجيبى لصوته . ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر في مثل هذه الحالة حكمه الجواز لا الوجوب ، واستدلوا بالبيت على ترك
إبرازه . ورد البصريون كلامهم بما لا محل لذكره هنا . واستشهد المؤلف بالبيت على ما استشهد به الكوفيون .

(١) البيت ذكره ابن الأنباري في الإنصاف ولم ينسبه وكذلك لم ينسبه البغدادى في الخزانة (٢ : ٤١١) وهو كالشاهد الذي قبله .
قال البغدادى : الظاهر من كلام ابن الشجري في أماليه ، ومن كلام ابن الأنباري في مسائل الخلاف ، ومن كلام غيرهما : أن مذهب
الكوفيين ، جواز ترك التأكيد مطلقا ، سواء أمن اللبس أم لا . قال ابن الأنباري : احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، وبقوله
: « ترى أرباقهم » . . . البيت . ولو كان إبراز الضمير واجبا لقال : متقلديها هم . فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه . وأجاب
البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف ، أي ترى أصحاب أرباقهم متقلديها . ورواية البيت في الخزانة والإنصاف : « ترى أرباقهم »
في موضع « ترى أرباقهم » . وكذلك أنشده الفراء في معاني القرآن : أرباقهم (ص ٢٢٨) .

(٢) هذا البيت ما استشهد به الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٢٨) قال عند قوله تعالى : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » : الفعل
للأعناق . فيقول القائل : كيف لم يقل خاضعة . وفي ذلك وجوه كلها صواب . أولها : أن مجاهدا جعل الأعناق الرجال الكبراء ،
فكانت الأعناق ههنا بمنزلة قولك : ظلت رعوسهم ، وظلت رعوس القوم وكبرائهم لها خاضعين ، الآية . والوجه الآخر : أن تجعل الأعناق :
الطوائف ، كما تقول : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدا ، فتجعل الأعناق : الطوائف والعصَب . وأحب إلى من هذين الوجهين
في العربية : أن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق . ثم جعلت خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر
« على قبضة مرجوة » . . . البيت . فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه .

قولك : نظرتُ إليك عيني ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل ، وله الفعل وبرده إلى العين ، فلو قلت : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، كان صواباً .

✽ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء ، وأن يكون قوله خاضعين مذكراً ، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق ، فيكون ذلك نظير قول جرير :
أَرَى مَرَّ السَّنِينَ أَخَذَنَ مَيَّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَيْلَالِ

وذلك أن قوله : مرّ ، لو أسقط من الكلام ، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه ، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله : فظلت أعناقهم ، لأدى ما بقي من الكلام عنها ، وذلك أن الرجال إذا ذلّوا ، فقد ذلت رقابهم ، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا .

فإن قيل في الكلام : فظّلوا لها خاضعين ، كان الكلام غير فاسد ، لسقوط الأعناق ، ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها ، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق ، وإن كان قد ابتداء بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم ، إذا كان الاسم المبتدأ به ، وما أضيف إليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحجدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك ، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك ، لتذكّرهم به ، إلا أعرضوا عن استماعه ، وتركوا أعمال الفكر فيه وتدبره .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَأُوا بِهٖ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله ، وأعرضوا عنه (فسَيَاتِهِمْ أنباء ما كانوا به يستهزئون) يقول : فسَيَاتِهِمْ أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم في كفرهم ، وتمردهم على ربهم .

(١) البيت لجرير ، وقد سبق الاستشهاد به في الجزء (١٢ : ١٥٧) وذكره صاحب (اللسان : خضع) قال : جاز أن يخبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر « رأت مر السنين » ، لما كانت السنون لا تكون إلا بمر أخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المورر . والسرار : الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر . ورواية « رأت مر السنين » : هي رواية الديوان (طبعة الصاوي ٤٢٦) . ورواية أبي عبيدة في مجاز القرآن (ص ١٧١) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرْوُا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض . كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لانبات فيها (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) يعني بالكريم : الحسن ، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل : كريمة ، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا ، فكثرت ألبانها : ناقة كريمة ، وشاة كريمة .
وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال : من نبات الأرض ، مما تأكل الناس والأنعام .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) قال : حسن .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره : إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم آية : لدلالة هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث ، على حقيقته ، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبها ، لن يعجزه أن ينشئ بها الأموات بعد مماتهم ، أحياء من قبورهم . وقوله (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث ، الجاحدين نبوتك يا محمد ، بمصدقك على ما نأتهم به من عند الله من الذكر ، يقول جل ثناؤه : وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون ، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم . وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول : وإن ربك يا محمد هو العزيز في نعمته ، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه ، يقول تعالى ذكره : وإني إن أحللت هؤلاء المكذّبين بك يا محمد ، المعرضين عما يأتهم من ذكر من عندي ، عقوبتي بتكذيبهم إياك ، فلن يمنعهم مني مانع ، لأنني أنا العزيز الرحيم ، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته ، أن يعاقبه على ما سلف من جرّمه بعد توبته .

وكان ابن جريج يقول في معنى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : كل شيء في الشعراء من قوله (عَزِيزٌ رَحِيمٌ) فهو ما أهلك من مضى من الأمم ، يقول عزيز ، حين انتقم من أعدائه ، رحيم بالمؤمنين ، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه .

❦ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع ، لأن قوله (وَإِنْ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) عقيب وعيد الله قوماً من أهل الشرك والتكذيب بالبعث ، لم يكونوا أهلکوا ، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه . ولعل ابن جرير بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من أهلک من الأمم ، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران (أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى الكافرين قوم فرعون ، ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الأول ، وقوله (أَلا يَتَّقُونَ) يقول : ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ، ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون . وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه . وإنما قيل : ألا يتقون بالياء ، ولم يقل ألا تتقون بالياء ، لأن التنزيل كان قبل الخطاب ، ولو جاءت القراءة فيها بالياء كان صواباً ، كما قيل : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ - وَيَسْتُغْلَبُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٤﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره (قَالَ) موسى لربه (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ) من قوم فرعون الذين أمرنى أن آتيهم (أَنْ يُكَذِّبُونِ) بقيلى لهم : إنك أرسلتنى إليهم (وَيَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم إياى إن كذبتونى ، ورفع قوله (وَيَضِيقُ صَدْرِي) عطفاً به على أخاف ، وبالرفع فيه قرأته عامة قرآء الأمصار ، ومعناه : وإنى يضيق صدرى . وقوله (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) يقول : ولا ينطق بالعبارة عما ترسلنى به إليهم لليلة التى كانت بلسانه . وقوله (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) كلام معطوف به على يضيق . وقوله (فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ) يعنى هارون أخاه ، ولم يقل : فأرسل إلى هارون ليؤازرنى وليعيننى ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام ، وذلك كقول القائل : لو نزلت بنا نازلة لفرعنا إليك ، بمعنى : لفرعنا إليك لتعيننا . وقوله (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ) يقول : ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت إليهم ، وذلك قتله النفس التى قتلتها منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) قال : قتل النفس التى قتل منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : قتل موسى النفس .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ) قال : قتل النفس ، وقوله (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) يقول : فأخاف أن يقتلون قودا بالنفس التي قتلت منهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَّ بَيْنَنَا إِنْآ مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره (كَلَّا) : أى لن يقتلك قوم فرعون (فَإِذْ هَبَّ بَيْنَنَا) يقول : فاذهب أنت وأخوك بآياتنا ، يعنى بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم . وقوله (إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) من قوم فرعون ما يقولون لكم ، ويحيونكم به ، وقوله (فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا) . . . الآية ، يقول : فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون (فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك به (أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ) وقال رسول رب العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقال : أرسلت رسالة ورسولا ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسُوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ
يعنى برسالة ، وقال الآخر :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي خُفَا رَسُولًا بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْشَاهَا
يعنى بقوله : رسولا : رسالة ، فأنث لذلك الهاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَلَمْ نُزَيِّدْكَ فِينَا وَلِيًّا وَلَيْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ماظهر عليه منه ، وهو : فأتينا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه ،

(١) البيت في (اللسان : رسل) . وفي رواية « بليلى » في موضع « بسوء » . قال : والإرسال التوجيه ، وقد أرسل إليه . والاسم الرسالة (بكسر الراء المشددة وفتحها) والرسول والرسيل . الأخيرة عن ثعلب . وأنشد : « لقد كذب الواشون » . . . البيت قال : والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر . وفي (اللسان : رسل) رواية أخرى للبيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى كثير .
(٢) البيت لعباس بن مرداس (اللسان : رسل) . قال : فأنث الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة . وهذا البيت من المقطوعة التي منها الشاهد السابق ص ٣٧ وهو فإني ما وأيك . . . البيت . يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن ندبة لشيء كان بينهما (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٢٩) .

فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القتل الذي قتله من القبط ، وفعلت فعلتك التي فعلت : يعني قتله النفس التي قتل من القبط .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين . ، قال : قتل النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
ولما قيل (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ) لأنها مرة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى ؛ وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ) بكسر الفاء ، وهي قراءة لقراءة القرأء من أهل الأمصار مخالفة .

وقوله (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك :
وأنت من الكافرين بالله على ديننا .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يعني على ديننا هذا الذي تعيب .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت من الكافرين نعمتنا عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال : ربيناك فينا وليدا ، فهذا الذي كافأنا أن قتلنا منا نفسا ، وكفرت نعمتنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يقول : كافرا للنعمة أن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية ، لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب ، فغير جائز أن يقول لموسى : إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتل على ما قاله السدي : فعلت الفعل وأنت من الكافرين ، الإيمان عنده : هو دينه الذي كان عليه موسى عنده ، إلا أن يقول قائل : إنما أراد : وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى ، على قولك اليوم ، فيكون ذلك وجهها يتوجه . فتأويل الكلام إذن : وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ، وإحساننا إليك في قتلك إياه . وقد قيل : معنى ذلك : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك ، وتربيتي إياك

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٩٠﴾ فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون : فعلت تلك الفعل التي فعلت : أي قتلت تلك النفس التي قتلتُ إذن وأنا من الضالين : يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتي من الله وحى بتحريم قتله على . والعرب تضع من الضلال موضع الجهل ، والجهل موضع الضلال ، فتقول : قد جهل فلان الطريق وضل الطريق ، بمعنى واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأنا من الضالين) قال : من الجاهلين . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : وفي قراءة ابن مسعود (وأنا من الجاهلين) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن ميمون ، عن قتادة (وأنا من الضالين) قال : من الجاهلين . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وأنت من الكافرين) فقال موسى : لم أكفر ، ولكن فعلتها وأنا من الضالين . وفي حرف ابن مسعود (فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الْجَاهِلِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) قبل أن يأتي من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة خطأ . قال : والضلالة ههنا الخطأ ، لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) يقول : وأنا من الجاهلين .

وقوله (فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره محبرا عن قيل موسى لفرعون : (فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ) معشر الملأ من قوم فرعون (لَمَّا خِفْتُكُمْ) أن تقتلوني بقتلي القتل منكم (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) يقول : فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم .

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) والحكم : النبوة .

وقوله (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول : وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه ، مبلغاً عنه رسالته إليهم بأرساله إياي إليك يا فرعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) يعني بقوله : وتلك تربية فرعون إياه ، يقول : وتربيتك إياي ، وتركك استعبادي ، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحق ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل وتركنتي ، فلم تستعبدني ، فترك ذكر وتركنتي لدلالة قوله أن عبدت بني إسرائيل عليه ، والعرب تفعل ذلك اختصاراً للكلام ، ونظير ذلك في الكلام أن يستحقّ رجلان من ذي سلطان عقوبة ، فيعاقب أحدهما ، ويعفو عن الآخر ، فيقول المعفو عنه هذه نعمة عليّ من الأمير أن عاقب فلانا ، وتركنتي ، ثم حذف وتركنتي لدلالة الكلام عايه ، ولأن في قوله (أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) وجهين : أحدهما النصب ، لتعاقب تمنها بها ، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها عليّ لتعبدك بني إسرائيل . والآخر : الرفع على أنها ردّ على النعمة . وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها عليّ تعبديك بني إسرائيل . ويعني بقوله (أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) : أن اتخذتهم عبيدا لك ، يقال منه : عبدت العبيد وأعبدتهم ، كما قال الشاعر :

عَلَامَ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ
فِيهَا أَبَاعِيرُ مَا شَاءُوا وَعُيُودَانُ^(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) قال : قهرتهم واستعملهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثمن عليّ أن عبّدت بني إسرائيل ، قال : قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) وربيتني قبل وليدا .

(١) البيت من شواهد (اللسان : جد) قال : تعبد الرجل (وعبدته) بتشديد الباء فيهما ، وأعبدته : صيره كالعبد . قال الشاعر :

« حَتَامَ يَعْبُدُنِي قَوْمِي . . . البيت » .

وقال آخرون: هذا استفهام كان من موسى لفرعون، كأنه قال: أتمنّ علىّ أن اتخذت بني إسرائيل عبدا.
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) قال: يقول موسى لفرعون: أتمنّ علىّ أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبدا.
واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحوي البصرة: وتلك نعمة تمنها عليّ، فيقال: هذا استفهام كأنه قال: أتمنّها عليّ؟ ثم فسر فقال: (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وجعله بدلا من النعمة. وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول، ويقول: هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام ياقى، وهو يطلب، فيكون الاستفهام كالخبر، قال: وقد استقبح ومعه أم، وهي داليل على الاستفهام واستقبحوا: تَرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكَرُ وَمَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَنْتَظِرُ؟^(١)

قال: وقال بعضهم: هو أتروح من الحيّ، وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم. وقال أكثرهم: بل الأول خبر، والثاني استفهام، وكأن أم إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف، فأما وائس معه أم، فلم يقله إنسان. وقال بعض نحوي الكوفة في ذلك ما قلنا. وقال: معنى الكلام: وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي: أي لنعمة تربيتي لك، فأجابه فقال: نعم هي نعمة عليّ أن عبّدت الناس ولم تستعبدني. وقول (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول: وأي شيء رب العالمين؟ (قال) موسى هو (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وما لكهنّ (وما بينهما) يقول: وما لك ما بين السموات والأرض من شيء (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعابنونه كما تعابنونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ وَالْأَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ) ألا تستمیعون (قال فرعون لمن حوله من قوله: ألا تستمیعون لما يقول موسى، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله، إذ قال لهم فرعون (ألا

(١) البيت: لامرئ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفی السقا طبعة الحلبي ص ١١٥) تروح: أتروح وتبتكر: تخرج مبكرا. يقول: أتروح إلى أهلك آخر النهار، أم تخرج إليهم بكرة، وما الذي يعجلك عن الانتظار وهو خير لك. والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه. وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع. ويمتنع فيها يلبس بالخبر.

تَسْتَمِعُونَ) إلى قول موسى ، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته (رَبُّكُمْ) الذي خلقكم (وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك ، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه (إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم مغلوب على عقله ، لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدواً لله إلى الجنة ، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربَّ غيره يعبد ، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة ، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم ، ومعرفتهم ربهم بصفته وأدلته ، إذ كان جند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت هو فرعون ، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أرباباً ملوك آخر ، كانوا قبل فرعون ، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون ، لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه الذي أدعوكم، وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما ، يعني ملك مشرق الشمس ومغربها ، وما بينهما من شيء ، لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم ، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم ، فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح ، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عرش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوه موسى إلى عبادته ، هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكباراً عن الحق ، وتماذياً في الغي لموسى (لَسِنِ اتَّخَذَتْ لِهَا غَيْرِي) يقول: لأن أقررت بمعبود سواي (لَا جَعَلْنَكَ مِنِ الْمَسْجُونِينَ) يقول: لا نسجنك مع من في السجن من أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَأَيُّ الْيَوْمِ أَنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون لما عرفه ربه ، وأنه رب المشرق والمغرب ، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الأرواح له ، وأجابه فرعون بقوله (لَسِنِ اتَّخَذَتْ لِهَا غَيْرِي لَا جَعَلْنَكَ مِنِ الْمَسْجُونِينَ) أتجعلني من المسجونين (وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه . وإنما قال ذلك له ، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف ، والإجابة إلى الحق بعد البيان ، فلما قال موسى له ما قال من ذلك قال له فرعون : فأت بالشئ المبين حقيقة ما تقول ، فلما لن نسجنك حينئذ إن اتخذت لها غيري إن كنت من الصادقين ، يقول: إن كنت محققاً فيما تقول ، وصادقاً فيما تصف وتخير ، (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحولت ثعباناً ، وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله (مُبِينٌ) يقول: يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) يقول : مبین له خلاق حية . وقوله (وَتَنَزَّعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ) يقول : وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلمع (لِلنَّازِظِينَ) لمن ينظر إليها ويراه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، قال : ارتفعت الحية في السماء قدر ميل ، ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها ، فجعلت تقول : يا موسى مرني بما شئت ، فجعل فرعون يقول : يا موسى أسألك بالذي أرسلك ، قال : فأخذه بطنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٦٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة مادعاه إليه ، وصدق ما أتاه به من عند ربه (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ) يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله (إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ) يقول : إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا (عَلِيمٌ) ، يقول : ذو علم بالسحر وبصر به (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) يقول : يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر . وإنما قال : يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط ، والمعنى به بنو إسرائيل ، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ، واتخذوهم خدما لأنفسهم وههنا ، فلذلك قال لهم (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ) وهو يريد أن يخرج خدماكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام .

وإنما قلت معنى ذلك كذلك ، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه (فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَتَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) وقوله (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) يقول : فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له : أخر موسى وأخاه وأنظره ، وأبعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحر عليم بالسحر .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة (لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) يقول : لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم ، وذلك يوم الزينة (وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ، ولما تكون الغلبة ، لموسى أو للسحرة ؟ فلعلنا نتبع السحرة ، ومعنى لعل هنا كى يقول : كى نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى . وإنما قلت ذلك معناها ، لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون ، فغير معقول أن يقول : من كان على دين أنظر إلى حجة من هو على خلافى لعل أتبع دينى ، وإنما يقال : أنظر إليها كى أزداد بصيرة بدينى ، فأقيم عليه ، وكذلك قال قوم فرعون ، فإياها عنوا بقيالهم : لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وقيل : إن اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) قال : كانوا بالإسكندرية ، قال : ويقال : بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ ، قال : وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به ، فقال : فخذها يا موسى ، قال : فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الأرض شيئاً ، قال : فأحدث يومئذ تحتها ، قال : وكان إرساله الحية فى القبة الحمراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُفَرِّينَ ﴿٥٢﴾ قَالَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ) فرعون لوعده لموسى وموعده فرعون (قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرَ) سمعنا قبلك (إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) موسى ، (قَالَ) فرعون لهم (نَعَمْ) لكم الأجر على ذلك (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفَرِّينَ) منا ، فقالوا عند ذلك لموسى : إما أن تلقى ، وإما أن نكون نحن الملقين ، وترك ذكر قياهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، على أن ذلك معناه (قَالَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) من حبالكم وعصيكم (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ)

وَعَصِيَّتَهُمْ) من أيديهم (وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنُ) يقول: أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته (إِنَّا لَنَسَحْنُ الْغَالِبُونَ) موسى.

القول في تاويل قوله تعالى:

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ) حين ألقت السحرة حبالهم وعصبيهم، (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لاحقيقة له، وإنما هو مخايل او خدعة (فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ) يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خروا لوجوههم سجدا لله، مذعين له بالطاعة، مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون. ومثله (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ). قال آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته: فآمنوا: آمَنْتُمْ لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علَّمكموه، ولذلك آمَنْتُمْ به، (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به.

القول في تاويل قوله تعالى:

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٢﴾

يقول (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) فوكد ذلك بأجمعين إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا (قَالُوا لَا ضَيْرَ) يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلانا فلانا فهو يضير ضيرا، ومعناه: لا ضرر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

(١) مخايل: جمع مخيلة، بمعنى المظنة، وأصله مخايل. والكوفيون يزيدون في مثل هذا الجمع ياء قبل آخره، مثل دراهم وصياريف جمى درهم وصيرف.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا ضير) قال : يقول : لا نبصرنا الذي تقول ، وإن صنعتنا واصلبتنا (إنا إلى ربنا مستقالبون) يقول : إنا إلى ربنا راجعون ، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا ، وثباتنا على توحيدك ، والبراءة من الكفر به .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة : إنا نطمع : إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به ، فلا يعاقبنا بها .

كما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) قال : السحر والكفر الذي كانوا فيه (أن كننا أول المؤمنين) يقول : لأن كننا أول من آمن بموسى وصدقوه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أن كننا أول المؤمنين) قال : كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها . وقوله (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبيدي) يقول : وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا ، أن أسر بعبيدي : يقول : أن سر بني إسرائيل ليلا من أرض مصر (إنكم متبعون) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل ، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم ، أرض مصر .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَيْرِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ، ويقول لهم (إن هؤلاء) يعني بهؤلاء : بني إسرائيل (لشيرذمة قليلون) يعني بالشرذمة : الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة ، وشرذمة : كل شيء بقيته القليلة ، ومنه قول الراجز :

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم يضحك منه التواق^١

وقيل : قليلون ، لأن كل جماعة منهم : كان يلزمها معنى القلة ؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل : قليلون ، كما قال الكميت :

فرد قواصي الأحياء منهم فقصد صاروا كتحى واحدينا^٢

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين ، كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة (إن هؤلاء لشيرذمة قليلون) ، قال : كانوا ست مئة وسبعين ألفا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الشرذمة : ست مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون . وخرجوا مع موسى وهم ست مئة ألف ، فقال فرعون (إن هؤلاء لشيرذمة قليلون) ، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد الجريري ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل ، قال : فحدثنا أن الشرذمة الذين سباهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف ، قال : وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف ، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة ، وفي يده حربة ، وهو خافهم في الدهم . فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر ، قالت بنو إسرائيل : يا موسى أين ما وعدتنا ، هذا البحر بين أيدينا ، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا ، فقال موسى للبحر : انفلق أبا خالد ، قال : لا لن أنفلق لك يا موسى ، أنا أقدم منك

(١) البيت في (اللسان : خلق) منسوب لراجز . قال : يقال ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلقة فيه كله ، كما قالوا : برمة أعشار ، وحبل أرماس ، وأرض سباب ، وكذلك برمة أخلاق عن اللحياني ، أي نواحيها أخلاق . وقال الراجز : « جاء الشتاء . . . البيت » اه . كأنه لما صار خلقا كله ، كان كل جزء فيه خلقا ، فجمعه باعتبار أجزائه ، كما تفيد عبارة اللحياني والتواق اسم ولد الراجز . (وفي اللسان : شرذم) الشرذمة : القطعة من الشيء ، والجمع شراذم . والشرذمة : الجماعة من الناس القليلة ، وفي التنزيل « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » . وثياب شراذم : أي أخلاق متقطعة . وثوب شراذم : أي قطع . وأنشد البيت عن ابن بري .

(٢) البيت للكيت (اللسان : وحد) . قال : الجوهرى : العرب تقول : أنتم حى واحد ، وحى واحدون ، كما يقال شرذمة قليلون ، وأنشد للكيت : « فرد قواصي الأحياء » . . . البيت . وهو يشبه كلام الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٢٩) قال : وقوله « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » : يقول عصبة قليلة ، وقليلون وكثيرون . وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير . وقليلون وكثيرون : جائز عربي ، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعا ، فقليل قليل ؛ وأثر « قليل » على « قليلين » ، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى ، فظهرت أسماؤهم على ذلك . ومثله أنتم حى واحد ، وحى واحدون . ومعنى واحدون : واحد ، كما قال الكيت : « فرد قواصي الأحياء » . . . البيت .

خلقا ؛ قال : فنودي أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه ، فانفلق البحر ، وكانوا اثني عشر سبطا . قال الجريري : فأحسبه قال : إنه كان لكل سبط طريق ، قال : فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر ، هابت الخيل اللهب ؛ قال : ومثل لحصان منها فرس وديق ، فوجد ريجها فاشتد ، فاتبعه الخيل ؛ قال : فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر ، وخرج آخر بني إسرائيل ، أمر البحر فانصفق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : مامات فرعون وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يترأى بنو إسرائيل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَاسِيَاؤُنَ) يعني بني إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَاسِيَاؤُنَ) قال : هم يومئذ ست مئة ألف ، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ) قال : أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل ، كل أربعة أبيات في بيت ، ثم اذبحوا أولاد الضأن ، فاضربوا بدمائها على الأبواب ، فإني سأمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم ، وسأمرهم بقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ، ثم اخبزوا خبزا فطيرا ، فإنه أسرع لكم ، ثم أسر بعبادي حتى تنهي للبحر ، فيأتيك أمري ، ففعل ؛ فلما أصبحوا قال فرعون : هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأموالنا ، فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمس مئة ملك مسور ، مع كل ملك ألف رجل ، وخرج فرعون في الكرش العظيم ، وقال (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَاسِيَاؤُنَ) قال : قطعة ، وكانوا ست مئة ألف ، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين .

قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : كان مع فرعون يومئذ ألف جبار ، كلهم عليه تاج ، وكلهم أمير على خيل .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانوا ثلاثين ملكا ساقا خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم ، يرد أوائل الخيل على أواخرها ، فاتبعهم حتى انتهى إلى البحر ، وقوله (وَلَهُمْ لَسْنَا لَمَّا نَظُنُّونَ) يقول : وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون ، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتل من أبقارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَهُمْ لَسْنَا لَمَّا نَظُنُّونَ) يقول : بقتلهم أبقارنا من أنفسنا وأموالنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ولأنهم لنا لغائظون بدهابهم منهم

بالعوارى التى كانوا استعاروها منهم من الحلى ، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم ، وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك .

وقوله (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الكوفة (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) بمعنى : أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) بغير ألف . وكان القراء يقول : كأن الحاذر الذى يحذر الآن ، وكان الحذر المخلوق حذرا لاتلقاه إلا حذرا ، ومن الحذر قول ابن أحر :

هَلْ أَنْسَأَنْ يَوْمًا إِلَى غَيْرِهِ إِنِّي حَوَالِيَّ وَإِنِّي حَازِرٌ

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الأمصار متقاربتا المعنى ، فأتتاهما قرأ القارئ ، فمصيب الصواب فيه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) قال : مقوون مؤدون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن أيوب ، عن أبي العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) يقول : مؤدون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى قوله (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) يقول : حذرنا ، قال : جمعنا أمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ) قال : مؤدون مغدون فى السلاح والكراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان مع فرعون ست مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل .

(١) البيت لابن أحر الباهل . قاله المؤلف . ونسبه فى (اللسان : حول) إلى المرار بن منقذ العدوى . قال : ويقال رجل حوالى : للجيد رأى ذى الخيلة كما قال ابن أحر ، ويقال للمرار بن منقذ العدوى • أو تنسأ يومى إلى غيره • . وقال فى « حذر » : ورجل حذرو حذر (بكسر الذال وضمها) وحاذرة ، وحذريان : متيقظ ، شديد الحذر والفرع متحرز . وحاذر : متأهب معد ، كأنه يحذر أن يفاجأ . والجمع « حذرون وحذارى » . وفى التنزيل : « وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ » ، وقرأ « حذرون » و « حذرون » . الأخيرة بضم الذال ، حكاه الأخفش . ومعنى « حذرون » متأهبون ، ومعنى « حذرون » غائفون . وقيل : معنى « حذرون » معدون . الأزهرى : من قرأ « وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ » أى مستعدون . ومن قرأ « حذرون » فعناء : إنا نخاف شرهم . وقال القراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٢٩) وقوله « حذرون ، وحذرون : حدثني أبو ليلى السجستاني ، عن ابن جرير قاضى سجستان ، أن ابن مسعود قرأ : « وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ حَازِرُونَ » . يقولون : مؤدون فى السلاح . يقولون ذوو أداة من السلاح . و « حذرون » وكان الحاذر : الذى يحذر الآن ، وكان « الحذر » : المخلوق حذرا ، لاتلقاه إلا حذرا . اهـ .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا سليمان بن معاذ الضبي ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس أنه قرأها (وَلَئِنَّا بِلَحْمِيعِ حَادِرُونَ) قال : مؤدون مقوون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۚ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۖ

يقول تعالى ذكره : فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء ، وكنوز ذهب وفضة ، ومقام كريم . قيل : إن ذلك المقام الكريم : المنابر . وقوله (كَذَلِكَ) يقول : هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها (وَأَوْرَثْنَاهَا) يقول : وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل . وقوله (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) فأتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل ، مشرقين حين أشرق الشمس ، وقيل حين أصبحوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : خرج موسى ليلا ، فكسف القمر وأظلمت الأرض ، وقال أصحابه : إن يوسف أخبرنا أنا سننجد من فرعون ، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا ، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره ، فوجد عجوزا بيتها على قبره ، فأخرجته له بحكمها ، وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا ، أن قالت : احملي فأخرجني معك ، فجعل عظام يوسف في كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ، فجعله على رقبتة ، ونخيل فرعون هي ملء أعنتها حضرا في أعينهم ، ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال : فرعون وأصحابه ، ونخيل فرعون في مل أعنتها في رأى عيونهم ، ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَنَدْرُكَوْنَ ۚ قَالِ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۚ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالظَّوْدِ الْعَظِيمِ ۚ

يقول تعالى ذكره : فلما تناظر الجمعان : جمع موسى وهم بنو إسرائيل ، وجمع فرعون وهم القبط

(١) في الأصل خضراء ، والراجح أنه « حضرا » ، وهو الإسراع في العدو . أي يرونها مسرعة وهي لا تبرح أماكنها .

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) أى إنا ملحقون ، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤما بموسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الرحمن (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) قال : تشاءموا بموسى ، وقالوا : أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم قالوا (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) . (قَالُوا) ياموسى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون ، البحر بن أيدينا ، وفرعون من خلفنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : لما انتهى موسى إلى البحر ، وهاجت الرياح العاصف ، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى البحر ، وإلى البحر أمامهم (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين . واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى الأعرج (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) ، وقراه الأعرج (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) كما يقال نزلت ، وأنزلت .

والقراءة عندنا التي عليها قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراءة عليها .

وقوله (كلاً إن معي ربي سيهدين) قال موسى لقومه : ليس الأمر كما ذكرتم ، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين ، يقول : سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل ، سوى ما في جنده من شية الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين (أى للنجاة ، وقد وعدني ذلك ، ولا تخلف لموعوده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قَالَ كلاً إن معي ربي سيهدين) يقول : سيكفيني ، وقال (عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ، وقوله (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : فتقدم هارون فضرب البحر ، فأبى أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذي يضربني ، حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه فانفلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : أوحى الله فيما ذكر إلى البحر : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله ، وانتظار أمره ، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، ظن سليمان التيمي ، عن أبي السليل ، قال : لما ضرب موسى بعصاه البحر ، قال : ليها أبا خالد ، فأخذه إفكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، وحماد عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الرياح والبحري يرمي بنياره ، ويموج مثل الجبال وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا ، فقال له يوشع : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ههنا ، قال : فجاز البحر ما يوارى حافره الماء ، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك ، فلم يقدرُوا ، وقال له الذي بكنم إيمانه : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ههنا ، فكبح فرسه باجماعه حتى طار الزبد من شذقيه ، ثم قحمه البحر فأرسل في الماء ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق ، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده .
وقوله (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم ، وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فانفلق - فكان كل فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقا ، في كل طريق سبط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، فقال : كل سبط قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، وحماد عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا : انفلق البحر ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط ، وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا ، وكانت الطرق بجدران ، فقال كل سبط : قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر .

قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، قال : لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم إلى بعض .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)

أي كالجبل على نشز من الأرض .
حدثني علي ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) يقول : كالجبل .

حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (كالطود العظيم) قال : كالجبل العظيم ؛ ومنه قول الأسود بن يعفر :
 حَبَلُوا بِأَنْقِرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
 ماء الفُراتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
 يعني بالأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَزَلَفْنَا لَآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَجْمَعْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾

بُيِّنَ معنى بقوله تعالى ذكره (وَأَزَلَفْنَا لَآخِرِينَ) : وقربنا هنا لك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم إليه ، ومنه قوله (وَأَزَلَفْنَا لَآخِرِينَ) بمعنى : قربت وأُدنيت ، ومنه قول العجاج :
 طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفًا سَمَاوَةَ الْهَيْلَالِ حَتَّى احْتَقَرَقَفْصًا
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَزَلَفْنَا لَآخِرِينَ) قال : قربنا .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَأَزَلَفْنَا لَآخِرِينَ) قال : هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم في البحر .

(١) البيت للأسود بن يعفر ، قاله المؤلف . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص ١٧٢) قال : كالطود العظيم : أي الجبل . قال : « حلوا بأنقرة . . . البيت » وفي (اللسان : طود) : الطود : الجبل العظيم . وفي حديث عائشة تصف أباها (رضى الله عنهما) : ذاك طود منيف : أي جبل عال . والطود : الهضبة . عن ابن الأعرابي . والجمع : أطواد . اهـ . وفي رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن : « يجيش » في موضع « يسيل » ورواية البكري في معجم ما استعجم ص ٢٠٤ طبعة القاهرة : « يسيل » كرواية المؤلف . وأنقرة : موضع بظهر الكوفة ، أسفل من الخورنق ، كانت إياد تنزله في الدهر الأول ، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة . قال البكري : وفيه اليوم طي وسليح ، وفي بارق إلى هيث وما يليها ، كلها منازل طي وسليح . هذا قول عمر بن شبة . وقال غيره : أنقرة : موضع بالحيرة . وقد صرحوا بأن أنقرة هذه . غير أنقرة التي في بلاد الروم (الأناطول) وهي الآن قاعدة دولة الترك .
 (٢) البيت من مشطور الرجز ، وهما للعجاج ، من أرجوزة مطولة له ، وصف ارتحاله في ظلال الليل ، وجلا ناجيا حمله . (النظر للسان : زلف . وأراجيز العرب للسيد البكري ص ٥٢) . وقبل البيتين بيت متصل بمعناها ، وهو قوله : ناج طواه الأبن ما وجفا . قال في اللسان : يقول : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة . وقال السيد البكري : زلفا فزلفا : أي درجة لدرجة . وسماوة : أي أعلى . واحقوقف : اعوج . يريد طواه السير كما تطوى الليالي الأهلة حتى تنحل (من التحول) وتموج اهـ . وفي اللسان الزلف (كسبب) والزلفة والزلنى : القربة ، والدرجة والمنزلة . وأزلف الشيء : قربه . وفي التنزيل : « وأزلفت الجنة للمتقين » : أي قربت . قال الزجاج : وتأويله : أي قريب دخولهم فيها ، ونظرهم إليها . وقوله عز وجل : « وأزلفنا ثم الآخرين » معنى : أزلفنا : جمعنا ، وقيل : قربنا الآخرين من الفرق ، وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما حسن جميل ، لأن جمعهم : تقريب بعضهم من بعض . والبيتان من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (ص ١٧٢ من مخطوطة جامعة القاهرة) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى بنى إسرائيل البحر من البحر ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا ، قال : ألا ترون البحر فراق مني ، قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ، فذلك قول الله (وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ) يقول : قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون ؛ فلما قام فرعون على الطرق ، وأبت خيله أن تتقدم ، فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة ، فتشامت الحصن ريح الماذيانة فاقترحت في أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر ، فجعل يدسها في فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : أقبل فرعون فلما أشرف على الماء ، قال أصحاب موسى : يا مكرم الله إن القوم يتبعوننا في الطريق ، فاضرب بعصاك البحر فاخبطه ، فأراد موسى أن يفعل ، فأوحى الله إليه : أن اترك البحر رهوًا : يقول : أمره على سكناته (لَئِنْهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) فما أكرههم ، فإذا سلكوا طريقكم غرقهم ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر قال : ألا ترون البحر فراق مني حتى تفتح لي ، حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ؛ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان ، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف ، وقال فرعون : أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام ، فأقبل على فرس أنثى ، فأدناها من حصان فرعون ، فطفق فرسه لا يقر ، وجعل جبرائيل يقول : تقدم ، ويقول : ليس أحد أحق بالطريق منك ، فتشامت الحصن الماذيانة ، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره ؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر ، أوحى الله إلى البحر ، خذ عبيد الظالم وعبادي الظلمة ، سلطاني فيك ، فإني قد سلطتك عليهم ، قال : فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال ، وضرب بعضها بعضها ؛ فلما أدركه الغرق (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما رد من آيات الله ، ولطول علاج موسى إياه ، فدخل في أسفل البحر ، فأخرج طينا ، فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية ، فتدركه الرحمة ، قال : فبعث الله إليه ميكائيل بغيره (آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) وقال جبرائيل : يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين أحدهما من الجن وهو إبليس ، والآخر فرعون (قَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) ولقد رأيتني يا محمد ، وأنا أحشوف في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ) وجمعنا ، قال : ومنه ليلة المزدلفة ، قال : ومعنى ذلك : أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأزلفنا ثم وأهلكنا . وقوله (وَأُنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : وأنجيننا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بنى إسرائيل أجمعين ، وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) يقول : ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجيننا موسى منه ومن معه ، وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريق إياهم في البحر إذ كذبوا رسولي موسى ، وخالفوا أمري بعد الإعدار إليهم ، والإنذار لدلالة بيته يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سنيلهم من تكذيب

رسلى ، وعظة لهم وعبرة أن اذكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم ، فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم ، ولك آية في فعلى بموسى ، وتنهيتى لإياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه ، وإظهارى لإياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم ، على أنى سالك فيك سبيله ، إن أنت صبرت صبره ، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه ، ومظهرك على مكذبتك ومعلتك عليهم ، وما كان أكثرهم مؤمنين يقول : وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما آتاك الله من الحق المبين ، فسابق فى علمى أنهم لا يؤمنون (وَإِنْ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه ، (الرَّحِيمُ) بمن أنجى من رسله ، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذى عذب به الكفرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَمَّا كَيْفَيْنِ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه : أى شىء تعبدون ؟ (قَالُوا) له : (نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَمَّا كَيْفَيْنِ) يقول : فنظّل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها . وقد بيّنا معنى العكوف بشواهد فى ما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَمَّا كَيْفَيْنِ) قال : الصلاة لأصنامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَفْئُضُّونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لهم : هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم . واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحوي البصرة معناه : هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم ، فحذفت الدعاء ، كما قال زهير :

القائِدُ الخَيْسَلُ مَسْكُوبًا دَوَابِرُهَا قَدْ أُحْكِمَتِ حَكَمَاتِ الْقَيْدِ وَالْأَبْقَا

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى المزنى ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ٢٤٨) قال شارحه : الدوابر : الخوافر ، أى تأكلها الأرض وتؤثر فيها . (وفى اللسان : دبر) : دائرة الحافر مؤخره . وقيل هى التى تلى مؤخر الرسغ . وجمها : دوابر . (وأحكمت) : جعل لها حكمت . والحكمة : التى تكون على الأف من الرسن . والقيد : ما قطع من الجلد . والأبق : شبه الكتان ، وقيل : هو القنب . اهـ . وفى (اللسان : حكم) : والحكمة : حديدة فى اللجام -

وقال : يريد أحكمت حكمت الأبق ، فألقى الحكمت وأقام الأبق مقامها . وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن ، لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلماً ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي ، إنما يقع على كلامهم ثم يقولون : سمعت زيدا : أى سمعت كلامه ، قال : ولولم يقدم في بيت زهير حكمت القد لم يجز أن يسبق بالأبق عليها ، لأنه لا يقال : رأيت الأبق ، وهو يريد الحكمة ، وقوله (أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) يقول : أو تنفعكم هذه الأصنام ، فيرزقوكم شيئاً على عبادتكموها ، أو يضرّونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم ، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ، وذلك جوابهم لإبراهيم عن مسأله إياهم (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ) فكان جوابهم إياه ، لا ، ما يسمعوننا إذا دعوناهم ، ولا ينفعوننا ولا يضرّون يدلّ على أنهم بذلك أجابوه . قولهم (بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وذلك رجوع عن مجحود ، كقول القائل : ما كان كذا بل كذا وكذا ، ومعنى قولهم (وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) وجدنا من قبلنا ولا يضرّون ، يدلّ على أنهم بذلك أجابوه . قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم ، واتباعاً لمنهجهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أفرايتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وأباؤكم الأقدمون ، يعنى بالأقدمين : الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم ، وهم الأولون قباهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ، فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين : يقول قائل : وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم ، فإن معنى ذلك : فإنهم عدوٌّ لي لوعبدتهم يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَذَلِكَ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) . وقوله (إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) نصبها على الاستثناء ، والعدو بمعنى الجمع ، ووحيد لأنه أخرج مخرج المصدر ، مثل القعود والجلوس . ومعنى الكلام : أفرايتم كل معبود لكم ولآبائكم ، فإنني منه برىء لأعبدّه ، إلا رب العالمين .

تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راحبه وحكم الفرس حكماً (بفتح الحاء) وأحكمه بالحكمة : جعل اللجامه حكمة ، وكانت العرب تتخذها من القد والأبق ، لأن قصدهم الشجاعة ، لا الزينة ، قال زهير : « القائد الخيل » . . . البيت . يريد قد أحكمت بحكمات القد ، وبحكمات الأبق . فحذف الحكمت ، وأقام الأبق مكانها . ويروى : « محكومة حكمت القد والأبق » على اللفتين جميعاً . قال أبو الحسن : عدى « قد أحكمت » لأن فيه معنى قلدت ، وقلدت : متعدية إلى مفعولين . الأزهرى : وفرس محكومة : في رأسها حكمة ، وأنشد « محكومة حكمت القد والأبق . ابن شميل : الحكمة : حلقة تكون في فم الفرس .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

❦ يقول : فإنيهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) للصواب من القول والعمل ، ويسدّدني للرشاد (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) يقول : والذي يغذوني بالطعام والشراب ، ويرزقني الأرزاق (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) يقول : وإذا سقم جسمي واعتلّ ، فهو يبرّئه ويعافيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي مِمَّا يَشَاءُ ثُمَّ يُخَبِّرُنِي بِالْحَقِّ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

❦ يقول : والذي يبيّنني إذا شاء ثم يخبرني إذا أراد بعد مماتي (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) فرّبّي هذا الذي بيده نفعي وضرّي ، وله القدرة والسلطان ، وله الدنيا والآخرة ، لا الذي لا يسمع إذا دُعِيَ ، ولا ينفع ولا يضرّ ، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجاً على قومه ، في أنه لا تصلح الألوهة ، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال ، لا لمن لا يطبق نفعا ولا ضراً . وقيل : إن إبراهيم صلوات الله عليه ، عني بقوله (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) والذي أرجو أن يغفر لي قولي (إِنِّي سَقِيمٌ) ، وقولي (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقولي لسارة إنها أختي . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) قال : قوله (إِنِّي سَقِيمٌ) ، وقوله (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله لسارة : إنها أختي ، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) قال : قوله (إِنِّي سَقِيمٌ) ، وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، وقوله لسارة : إنها أختي .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تمّيلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد نحوه . ويعني بقوله (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الحساب ، يوم المجازاة ، وقد بينّا ذلك بشواهد فيها مضى .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله إبراهيم إياه (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) يقول : رَبِّ هَبْ لِي نبوة (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يقول : واجعلني رسولا إلى خلقك ، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك ، وأتمته على وحيك ، واصطفيته لنفسك ، وقوله (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) يقول : واجعل لي في الناس ذكرا جميلا ، وثناء حسنا ، باقيا فيمن يجيء من القرون بعدى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قوله (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) ، قوله (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : إن الله فضله بالخلعة حين اتخذه خليلا ، فسأل الله فقال (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) حتى لا تكذبني الأمم ، فأعطاه الله ذلك ، فإن اليهود آمنت بموسى ، وكفرت بعبسى ، وإن النصارى آمنت بعبسى ، وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يتولى إبراهيم ؛ قالت اليهود : هو خليل الله وهو منا ، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرؤا له بالنبوة وآمنوا به ، فقال (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، ثم ألحق ولايته بكم فقال (إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) فهذا أجره الذي عجل له ، وهي الحسنة ، إذ يقول (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) قال : اللسان الصدق : الذكر الصدق ، والثناء الصالح ، والذكر الصالح في الآخرين من الناس ، من الأمم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

ﷺ يعنى إبراهيم صلوات الله عليه بقوله (وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أورثني يارب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة ، وأسكني ذلك (وَاعْفُرْ لِأَبِي) يقول : واصفح لأبي عن شركه بك ، ولا تعاقبه عليه (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) يقول : إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى ، فكفر بك .
وقد بينا المعنى الذى من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه ، واختلاف أهل العلم في ذلك ، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) يقول : ولا تؤذني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم .

لموقف القيامة (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مالٌ كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه. وقوله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم. والذي غنى به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن عون، قال: قلت لمحمد: ما القاب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: لا شك فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: ليس فيه شك في الحق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: سليم من الشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد.

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جويبر، عن الضحاك، في قول الله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال: هو الخالص،

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿١٦﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨﴾ فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿١٩﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٥﴾ يعني جل ثناؤه بقوله (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) وأدريت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا (وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) يقول: وأظهرت النار للذين غواوا فضلوا عن سواء السبيل (وَقِيلَ لَهُمْ) للغاوين (أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه (أَوْ يَنْصُرُونَ) لأنفسهم، فينجونها مما يراد بها؟

وقوله (فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) يقول : فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم . وأصل كذبوا : كذبوا ، ولكن الكاف كررت كما قيل : (بَرِيحٌ صَرَصَرٌ) يعني به صرّ ، ونهني يَنْهِنِي ، يعني به : نهى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : (فَكُذِّبُوا) قال : فدهوروا .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : (فَكُذِّبُوا فِيهَا) يقول : فجمعوا فيها .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَكُذِّبُوا فِيهَا) قال : طرحوا فيها ، فتأويل الكلام : فكذب هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم والغاوون .
وذكر عن قتادة أنه كان يقول : الغاوون في هذا الموضع : الشياطين .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) قال : الغاوون : الشياطين .
فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة : فكذب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين .
وقوله (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) يقول : وكذب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون ، وجنوده ، كل من كان من تبعه من ذريته كان أو من ذرية آدم .
القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٦﴾ تَاللّٰهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس ، وهم في الجحيم يختصمون (تالله إن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول : تالله لقد كنا في ضلال عن الحق ، إن كنا لفي ضلال مبين ، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه ، لمن تأمله وتدبره ، أنه ضلال وباطل . وقوله (إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله : تالله إن كنا لفي ضلال عن الحق حين نعد لكم رب العالمين فنعبدكم من دونه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : لتلك الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٦﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٨﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين في الحميم (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) يعني بالمجرمين إبليس ، وابن آدم الذي سنّ القتل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) قال : إبليس وابن آدم القاتل .

وقوله (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) يقول : فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعد ، فيعفو عنا ، وينجينا من عقابه (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) من الأقارب .

واختلاف أهل التأويل في الذين عمنوا بالشافعين ، وبالصديق الحميم ، فقال بعضهم : عني بالشافعين : الملائكة ، وبالصديق الحميم : النسيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) قال : من الملائكة (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : من الناس ، قال مجاهد : صديق حميم ، قال : شقيق . وقال آخرون : كل هؤلاء من بني آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا إسحاق بن سعيد البصري المسمعى ، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى ، قال : كان قتادة إذا قرأ (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) قال : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع . وقوله (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾

﴿١٠٧﴾ يقول تعالى ذكره : إن فيما احتج به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له للدلالة بينة واضحة لمن اعتبر ، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ، ويقتلون بهم في ذلك ماسن فيهم في الدار الآخرة ، من كذبهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم ، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين ، وإن ربك يا محمد هو الشديد الانتقام ممن عبد دونه ، ثم لم يتب من كفره حتى هلك ، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٩﴾

﴿١٠٧﴾ يقول تعالى ذكره : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ) رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما (قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) فتحذروا عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم رساله (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) من الله (أَمِينٌ) على وحيه إلى ، برسالته إياي إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾

﴿١٠٨﴾ يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به ، وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باتقائه (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمرى إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، من ثواب ولا جزاء (إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) دونكم ودون جميع خلق الله ، فاتقوا عقاب الله على كفركم به ، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله ، وأطيعوني : يقول : وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* قَالُوا أَنْتُمْ مِلْكٌ لِلَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِلْكٌ لَنَا قَالُوا وَمَا عَلَيْنَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ إِنْ حِسَابُنَا إِلَّا عَلَى رَبِّنَا لَوْ

تَشْعُرُونَ ﴿١١٢﴾

﴿١١١﴾ يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح له مجيبه عن قبله لهم : إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعوا قالوا : أنؤمن لك يا نوح ، ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه ، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوى الشرف وأهل البيوتات (قَالُوا وَمَا عَلَيْنَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال نوح لقومه : وما علمي بما كان أتباعي

يعملون ، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ، ولم أكلّف علم باطنهم ، وإنما كلفت الظاهر ، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا ، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا (إِنْ حِسابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ) يقول : إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربّي لو تشعرون ، فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلايته . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنْ حِسابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ) قال : هو أعلم بما في نفوسهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّا إِنَّا لَا نَذِيرُ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْهَ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه : وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقول : ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم بأمره ، وسطوته على كفركم به مبين : يقول : نذير قد أبان لكم إنذاره ، ولم يكتكم نصيحتي (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْهَ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) يقول : قال لنوح قومه : لئن لم تنه يانوح عما تقول ، وتدعو إليه ، وتعيب به آلهتنا ، لتكونن من المشرمين ، يقول : لنشتك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَاحْأَوِّجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ) فيما أنبتهم به من الحق من عندك ، وردوا على نصيحتي لهم (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَاحْأَوِّجْنِي) يقول : فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل ، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك ، وكذب رسولاك .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَاحْأَوِّجْنِي) قال : فاقض بيني وبينهم قضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَاحْأَوِّجْنِي) قال : يقول : اقض بيني وبينهم ، (وَأَنْجِنِي) يقول : ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم (وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي .

وقوله (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يقول: فَأَنْجَيْنَا نُوحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين في الفلك المشحون، يعنى في السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال: يعنى الموقر .

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: المشحون: الموقر .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال: المفروغ منه المملوء .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: (الْمَشْحُونِ) المفروغ منه تحميلا .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قول الله (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال: هو المحمل .

وقوله (ثُمَّ أَخْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ) من قومه الذين كذبوه، وردوا عليه النصيحة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٢﴾

يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بإمحمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كذبوه، آية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم، إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله، وكذلك سنتي فيك وفي قومك (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن كفر به، وخالف أمره (الرَّحِيمُ) بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته .

القول في تأويل قوله تعالى:

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٥﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (كَذَّبَتْ عَادٌ) رسل الله إليهم (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ) عقاب الله على كفركم به (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من ربي يأمركم بطاعته ، ويحذركم على كفركم بأسه ، (أَمِينَ) على وحيه ورسالته. (فَاتَّقُوا اللَّهَ) بطاعته والانتها إلى ما يأمركم وينهاكم (وَأَطِيعُوا) فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أطلب منكم على أمرى إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا (إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۖ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخْدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ۖ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ۖ ﴿١٣٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه (أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) والريح : كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد ، ومنه قول ذي الرمة :
طِرَاقُ الْحَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرِقُ ١
وقول الأعشى :

وَيَهْمَاءُ قَفْصِرٍ تَجَاوَزَتْهَا إِذَا خَبَّ فِي رِيْعِهَا آهَاءُ

(١) البيت لدى الرمة (اللسان : ريع) قال : والريح : الجبل ، والجمع أرياع ، وريوع ، ورياع . وقيل : الواحدة ريمة . والجمع : ريع . وحكى ابن بري عن أبي عبيدة : الريمة : جمع ريع ، خلاف قول الجوهري ، قال ذو الرمة : طِرَاقُ الْحَوَافِي واقعا فوق ريمة . والريح : السبيل ، سلك أو لم يسلك . وقوله تعالى : « أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً » . وقرئ : « بكل ريع » ، (بفتح الراء) : قيل في تفسيره : بكل مكان مرتفع . وقيل معناه : بكل فج . والفج : الطريق المتفرج في الجبال خاصة . وقيل : بكل طريق . وقال الفراء : الريح والريح (بكسر الراء وفتحها) لغتان ، مثل الرير والرير . اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ١٧٣) : بكل ريع ، وهو الارتفاع من الأرض ، والطريق . والجمع أرياع وريمة . قال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْحَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرِقُ

وفي (اللسان : طرق) : وطائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضا . قال ذو الرمة يصف بازيا :

طِرَاقُ الْحَوَافِي وَأَقِيعٌ فَوْقَ رِيْعِهِ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرِقُ

ويتَرَقَّرِقُ : يلمع . وكل شيء له بصيص وتلاؤ فهو رِقْرَاق . والحوافي : ما تحت القوادم في الطائر من الريش . والقوادم : جمع قادمة ، وهي أربع ريشات طويلة في أول جناحه .

(٢) البيت نسبته المؤلف للأعشى (أعشى بن قيس بن ثعلبة) وفي ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ١٦٣ - ١٦٩)

قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها ، عدتها ٤٧ بيتا ، يمدح بها إلياس بن قبيصة الطائي . ولكن البيت سقط منها في نسخة =

وفيه لغتان : ريع ورّيع بكسر الراء وفتحها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَسُونَ) يقول : بكلّ شرف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِكُلِّ رِيحٍ) قال : فجّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عني ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً) قال : بكل طريق .

حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رِيحٍ) قال : الريح : الثنية الصغيرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة (بِكُلِّ رِيحٍ) قال : فجّ وواد ، قال : وقال مجاهد (بِكُلِّ رِيحٍ) بين جبلين .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رِيحٍ) قال : شرف ومنظر .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِكُلِّ رِيحٍ) قال : بكلّ طريق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِكُلِّ رِيحٍ) بكلّ طريق . ويعني بقوله (آيَةً) بديانا ، علما . وقد بينّا في غير موضع من كتابنا هذا ، أن الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عني ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً) قال : الآية : علم .

الديوان ، ولعله يوجد في نسخ أخرى منه قديمة . واليهام : القازة : لاماء بها ولا أنيس . وخب : تحرك واضطرب . والريح قد فسرناه في الشاهد قبل هذا ، ونقلنا كلام العلماء . والآل : السراب . وخب السراب : أي تحرك ولمع . وهذا الشاهد كالذي قبله . يريد المؤلف : أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد . وفيه لغتان : ريع ورّيع بكسر الراء وفتحها كما قال ، وكما قال غيره من أهل اللغة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ) قال : آية : بنيان .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (آيَةٌ) بنيان .
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله (بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ) قال : بنيان الحمام .
وقوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله (تَعْبَثُونَ) قال : تلعبون .
وقوله (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) اختلف أهل التأويل في معنى المصانع ، فقال بعضهم : هي قصور مشيدة .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) قال : قصور مشيدة ، وبنيان مغلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (مَصَانِعَ) : قصور مشيدة وبنيان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن مجاهد ، قال : (مَصَانِعَ) يقول : حصون وقصور .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله (مَصَانِعَ) لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ) قال : أبرجة الحمام .
وقال آخرون : بل هي مأخذ للماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (مَصَانِعَ) قال : مأخذ للماء .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مصنعة ، والعرب تسمى كل

بناء مصنعة ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصونا مشيدة ، وجائز أن يكون كان مأخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان ، ولا هو مما يُدرك من جهة العقل .
فالصواب أن يقال فيه ، ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع .
وقوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون ، فتبقون في الأرض .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) يقول : كأنكم تخلدون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال في بعض الحروف (وَتَسْتَخِيدُونَ مَصَانِعَ) كأنكم تملكون . وكان ابن زيد يقول : لعلكم في هذا الموضع استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَسْتَخِيدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قال : هذا استفهام ، يقول : لعلكم تملكون حين تبنون هذه الأشياء .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى « كما » .
وقوله (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) يقول : وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف ، وضربا

بالسياط .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) قال : القتل بالسيوف والسياط .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُمْ بِإِنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّتْ وَعُيُونٌ ۝ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، وانتهوا عن اللهو واللعب ، وظلم الناس ، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض ، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون ، وأعانكم به من بين المواشي والبنين والبساتين والأنهار (إِنِّي أَخَافُ عَمَائِكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ) من الله (عَظِيمٍ)

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٢٨﴾

اللهم يقول تعالى ذكره : قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم : معتدل عندنا وعظك إيانا ، وتركك الوعظ ، فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به .

وقوله (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) من قبلنا . وقرأ ذلك أبو جعفر ، وأبو عمرو بن العلاء (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) بفتح الحاء وتسكين اللام بمعنى : ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، نحو اختلاف القراء في قراءته ، فقال بعضهم : معناه : ما هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : دين الأولين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : هكذا خِلقة الأولين ، وهكذا كانوا يحيون ويموتون . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هذا إلا كذب الأولين وأساطيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : أساطير الأولين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : كذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) قال : إن هذا إلا أمر الأولين وأساطير الأولين اكتبها فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) يقول : إن هذا إلا اختلاق الأولين .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله ، أنه كان يقرأ (إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ) ويقول شيئاً اختلقوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : قال علقمة (إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ) قال : اختلاق الأولين .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ (إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ) بضم الخاء واللام ، بمعنى : إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك ، احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاءً منهم آثارهم ، فقالوا : ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين ، ينعنون بالخلق : عادة الأولين . ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل ، قولهم (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) لأنهم لو كانوا لا يُقَرَّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ، ما قالوا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) بل كانوا يقولون : إن هذا الذي جئنا به يهود إلا خلق الأولين ، وما لنا من معذب يعذبنا ، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع ، ويعبدون الآلهة ، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ، ويقولون (إِنَّا تَقَرَّبْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) ثم قالوا له : ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم ، وما الله معذبنا عليه ، كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا ، أنهم كانوا يقولون لرسولهم (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : فكذب عاد رسول ربهم هوداً ، والهاء في قوله (فَكَذَّبُوهُ) من ذكر هود . (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) يقول : فأهلكنا عاداً بتكذيبهم رسولنا ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ، لعلهم يوعظوا لقومك يا محمد ، المكذبين فيما أتيتهم به من عند ربك . (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله . (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه ، (الرَّحِيمُ) بالمومنين به .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَتْ ثَمُودُ النَّبِيِّينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

يقول تعالى ذكره : كذبت ثمود رسل الله ، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله ، فقال لهم : ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه ، وخلافكم أمره ، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله ، (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره (آمين) على رسالته التي أرسلها معي إليكم (فَاتَّقُوا اللَّهَ) أيها القوم ، واحذروا عقابه (وَأَطِيعُوا) في تحذيري إياكم ، وأمر ربكم باتباع طاعته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصحي إياكم ، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب (إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات ، وما في الأرض . وما بينهما من خلق .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلْتَرَكُونَ فِي مَاهَلِكُنَّ آمِينَ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝ وَنُحُوتٍ مِنْ أَيْجَالٍ يُبْتَغَاهُنَّ زُفَرٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : أترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمين ، لا تخافون شيئا (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) يقول : في بساتين وعيون ماء (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يعني بالطلع : الكفري .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (هَضِيمٌ) فقال بعضهم : معناه البائع النضيج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) يقول : أينع وبلغ فهو هضم . وقال آخرون : بل هو المهشم المفتت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال محمد بن عمرو في حديثه تهشم هشيا . وقال الحارث : تهشم تهشما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الكريم يقول : سمعت مجاهدا يقول في قوله (وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال : حين تطلع يقبض عايه فيه ضمه .

قال ابن جرير ، قال مجاهد : إذا مس تهشم وتفتت ، قال : هو من الرطب هضم تقبض عليه فهضمه .
وقال آخرون : هو الرطب اللين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله (وَتَنخُلِ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) قال :
الهضم : الرطب اللين .
وقال آخرون : هو الراكب بعضه بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(طَلْعُهَا هَضِيمٌ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا ، حتى نقص بعضها بعضا ، فهو حينئذ هضم .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضم : هو المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم :
هضم فلان حقه : إذا انتقصه وتحيفه ، فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه
إما بمس الأيدي ، وإما بركوب بعضه بعضا ، وأصله مفعول صرف إلى فعيل .
وقوله (وَتَنخُلُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْئَاتًا فَرِهِينَ) يقول تعالى ذكره : وتتخذون من الجبال بيوتا .
فاختلفت القراء في قراءة قوله (فَارِهِينَ) فقراءته عامة قراء أهل الكوفة (فَارِهِينَ) بمعنى : حاذقين بنحتها .
وقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (فَارِهِينَ) بغير ألف ، بمعنى : أشرين بطرين .
واختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته ، فقال بعضهم : معنى فارهين :
حاذقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح وعبد الله بن شداد
(وَتَنخُلُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْئَاتًا فَارِهِينَ) قال أحدهما : حاذقين ، وقال الآخر : يتجبرون .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح
(وَتَنخُلُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْئَاتًا فَارِهِينَ) قال : حاذقين بنحتها .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَارِهِينَ)
يقول : حاذقين .

وقال آخرون : معنى فارهين : مستفهمين متجبرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عبد الله بن شداد في قوله
(فَارِهِينَ) قال : يتجبرون .
قال أبو جعفر : والصواب : فارهين .

وقال آخرون ممن قرأه فارهين : معنى ذلك : كيسين .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد . قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (فارهين) قال : كيسين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد : عن الضحاك أنه قرأ (فارهين) قال : كيسين .

وقال آخرون : فرهين : أشرين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه : عن ابن عباس ، في قوله (وَتَنَحَّيْتُمْ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَرَاهِينَ) يقول : أشرين ، ويقال : كيسين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (بَيْوتًا فَرَاهِينَ) قال : شرهين . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بمثله . قال آخرون : معنى ذلك : أقوياء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : في قوله (وَتَنَحَّيْتُمْ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَرَاهِينَ) قال : الفره : القوي .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، في قوله (فَرَاهِينَ) قال : معجبين بصنيعكم .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأها (فارهين) وقراءة من قرأ (فرهين) قراءتان معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في علماء القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . ومعنى قراءة من قرأ (فارهين) : حاذقين بنحتها ، متخيرين لمواضع نحتها ، كيسين ، من الفراهة . ومعنى قراءة من قرأ (فرهين) : مرحين أشرين . وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا ، فيكون فاره مبنيًا على بنائه ، وأصله من فعل يفعل ، ويكون فره صفة ، كما يقال : فلان حاذق بهذا الأمر وحذق ، ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفي من الأزدي :

لَا أُسْتَكِينُ إِذَا مَا أْزَمَّةٌ أَزَمَّتْ وَلَكِنْ تَرَانِي بِخَسِيرٍ فَارِهِ الطَّلَبِ

(١) البيت لعدى بن وادع الشاعر الأزدي الأعشى ، (كما سماه صاحب معجم الشعراء ص ٢٥٢) ، وكما في مجاز القرآن لأبي عبيدة (مصورة الجامعة ص ١٧٣) قال : « وتنهتون من الجبال بيوتًا فارهين » أي مرحين . قال عدى بن وادع العوفي من العفاء بن عمرو ابن فهم من الأزدي :

أى مرح الطلب . وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم ، وخلافكم أمره ، وأطيعون فى نصيحتى لكم ، وإنذارى إياكم عقاب الله ترشدوا .
القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾

❦ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم فى تماديهم فى معصية الله ، واجترأهم على سخطه ، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ) يقول : الذين يسعون فى أرض الله بمعاصيه ، ولا يصلحون ، يقول : ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله .

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه إنما أنت من المسحورين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال : من المسحورين حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال : إنما أنت من المسحورين . وقال آخرون : معناه : من المخلوقين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمرو ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) قال : من المخلوقين .

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَرْمَتْ أَزْمَتٌ وَلَسْتُ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَأَرَهُ لَلِئَلِّبِ

أى مرح اللب . قال : ويجوز : « فرهين » فى معنى « فارهين » .

أوهو ابن وادع العوفى ، كما فى (اللسان : فره) قال : الفاره : الجاذق بالشئ والفروهة والفراهة والفراية : النشاط . وفره بالكسر : أشروبطر ، ورجل فره نشيط أشر . وفى التنزيل : « وتنتحون من الجبال بيوتا فرهين » . فنقرأ كذلك ، فهو من هذا : شرهين بطرين . ومن قرأه : « فرهين » ، فهو من فره بالضم . قال ابن برى عند هذا الموضع : قال ابن وادع العوفى : لا أستكين إذا ما أزمته أزمته ولن ترانى بخير فاره الطلب قال الفراء : معنى فرهين : حاذقين . اهـ . وأما « اللب » فى رواية أبي عبيدة ، فلملها الرواية الصحيحة . ومعناه : البال . يقال : إنه لرخى اللب . وفى التهذيب : فلان فى بال رضى ، وللب رضى : أى فى سعة وخصب وأمن .

❖ واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك ، فكان بعض أهل البصرة يقول : كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر ، وذلك لأن له سحرا يقرى ما أكل فيه ، واستشهد على ذلك بقول لبيد :
 فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ
 وقال بعض نحوّي الكوفيين نحو هذا ، غير أنه قال : أخذ من قولك : انتفخ سحرُك : أي أنك تأكل الطعام والشراب ، فتسحر به وتعلّل . وقال : معنى قول لبيد : « من هذا الأنام المسحر » : من هذا الأنام المعلّل المخدوع . قال : ويروى أن السحر من ذلك ، لأنه كالخدعة .
 ❖ والصواب من القول في ذلك عندى : القول الذى ذكرته عن ابن عباس ، أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يعملون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربا ولا ملكا فطبعك ، ونعلم أنك صادق فيما تقول ، والمسحر : المفعّل من السحرة ، وهو الذى له سحرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبينا صالح (ما أنت) يا صالح (إلا بشرٌ مثلنا) من بنى آدم ، تأكل ما تأكل ، وتشرب ما تشرب ، ولست برب ولا ملك ، فعلام تتبعك ، فإن كنت صادقا في قبلك ، وأن الله أرسلك إلينا (فأْتِ بَيِّنَاتٍ) يعنى : بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول ، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا .
 وقد حدثني أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابى ، قال : ثنا داود بن أبي الفرات ، قال : ثنا عليّ بن أحمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن صالحا النبى صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه ، فآمنوا به واتبعوه ، فمات صالح ، فرجعوا عن الإسلام ، فأتاهم صالح ، فقال لهم : أنا صالح ، قالوا : إن كنت صادقا فأتنا بآية ، فأتاهم بالناقة ، فكذبوه وعقروها ، فعذبهم الله .

(١) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا في (١٥ : ٩٦) وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٤) قال : وكل من أكل إنس أو دابة فهو مسحّر ، وذلك أن له سحرا يقرى فيه ما أكل ، قال لبيد (وأنشد البيت) . وفى (اللسان : سحر) : سحره بالطعام والشراب يسحره سحرا وسحره : غذاه وعلاه . وقيل : خدعه . والسحر : الغداء . قال امرؤ القيس :

أَرَأَنَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

موضعين : مسرعين . ولأمر غيب : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت » . يكون على وجهين . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » ؛ يكون من التغذية ومن الخديعة . وقال الفراء : « إنما أنت من المسحرين » : قالوا لنبي الله : لست بملك ، إنما أنت بشر مثلنا . قال : والمسحر : المحجوف ؛ كأنه والله أعلم أخذ من قولك : انتفخ سحرُك ، أي أنك تأكل الطعام والشراب ، فتعلّل به . وقيل « من المسحرين » أي من سحر مرة بعد مرة .

وقوله (قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ الْيَمِينِ) يقول تعالى ذكره : قال صالح
لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة يا قوم ، لها
شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ، ما لكم من الشرب ، ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من
شربها شيئاً ، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئاً ويعنى بالشرب : الحظ والنصيب من الماء ، يقول :
لها حظ من الماء ، ولكم مثله ، والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر .

وقد حكى عن العرب سماعاً : آخرها أقالها شرباً وشرباً .

وقوله (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) يقول : لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ) لا تعقروها . وقوله (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : فيحل بكم من الله عذاب
يوم عظيم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَھُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى ذكره ، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم ، فعقروا الناقة التي قال لهم
صالح : لا تمسوها بسوء ، فأصبحوا نادمين على عقرها ، فلم ينفعهم ندمهم ، وأخذهم عذاب الله الذي كان
صالح توعدهم به فأهلكهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) يقول : إن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله
وخلافها أمر نبي الله صالح لعلهم ياعتبر به يا محمد من قومك (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ) يقول :
ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (لَھُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه (الرَّحِيمُ)
بمن آمن به من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَجْرٍ إِلَّا أَجْرٌ آلٍ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ﴾ (كَذَّبْتُمْ قَوْمٌ لُوطٍ) من أرسله الله إليهم من الرسل حين (قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ : أَلَا تَتَّقُونَ) الله أيها القوم (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ) من ربكم (أَمِينٌ) على وحيه ، وتبليغ رسالته (فَاتَّقُوا اللَّهَ) في أنفسكم ، أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله (وَأَطِيعُوا) فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول : وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعائتكم إلى ربى جزاء ولا ثوابا (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : ماجزائي على دعائتكم إلى الله : وعلى نصيحتي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم ، إلا على رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ إِنَّمِنْ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٨٠﴾

﴿يَعْنِي بِقَوْلِهِ﴾ (أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ إِنَّمِنْ الْعَالَمِينَ) : أنكحون الذكران من بنى آدم في أدبارهم . وقوله (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) يقول : وتدعون الذى خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن ، فأحلّه لكم . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَتَذَرُونَ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) قال : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) يقول : بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم ، وأحلّه لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) قال : قوم معتدون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا لَيْسَ لَهُ تَنْذِيرٌ يَكُونُ مِنَ الْخُرَجِينَ ﴿١٨١﴾ قَالَ إِنِّي لَعَمْرِ لَكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٨٢﴾

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط (لَيْسَ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ) عن نهينا عن إتيان الذُّكران (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بين أظهرنا وبلدنا (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعمالونه من إتيان الذُّكران في أدبارهم من القالين، يعنى من البغضين، المنكرين فعله.

القول في تأويل قوله تعالى:

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيمهم عن ركوب الفاحشة، فقال (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي) من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذُّكران (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ) من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط (أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) يعنى في الباقيين، لطول مرور السنين عليها، فصارت حرمة، فإنها أهليكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم، وإنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها.

القول في تأويل قوله تعالى:

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿١٧٣﴾ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٦﴾

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) في سابق علم الله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) بمن آمن به.

القول في تأويل قوله تعالى:

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ ﴾ (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وَالْأَيْكَةُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفَ ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الْأَيْكِ .
وَكُلُّ شَجَرٍ مَلْتَفٍ فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَيْكَةٌ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ نَابِغَةَ بَنِي ذُبْيَانَ :
تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً بَرَدًا أُسِفَ لِيثَاتُهُ بِالْإِثْمِ
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ : هُمْ أَهْلُ مَدِينٍ فِيهَا ذُكِرَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَوْلُهُ (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) يَقُولُ : أَصْحَابُ الْغَيْضَةِ .
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قَالَ : الْأَيْكَةُ : مَجْمَعُ الشَّجَرِ .
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ . عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ . قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَوْلُهُ (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قَالَ : أَهْلُ مَدِينٍ . وَالْأَيْكَةُ : الْمَلْتَفُ مِنَ الشَّجَرِ .
حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) قَالَ : الْأَيْكَةُ : الشَّجَرُ ، بَعَثَ اللَّهُ شُعَيْبًا إِلَى قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ مَدِينٍ . وَإِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ . قَالَ : وَهُمْ أَصْحَابُ لَيْكَةٍ ، وَلَيْكَةُ وَالْأَيْكَةُ : وَاحِدٌ .
وَقَوْلُهُ (إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ : أَلَا تَتَّقُونَ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ (إِنِّي لَكُمْ) مِنْ اللَّهِ (رَسُولٌ أَمِينٌ) عَلَى وَحْيِهِ (فَاتَّقُوا) عِقَابَ (اللَّهِ) عَلَى خِلَافِكُمْ أَمْرَهُ (وَأَطِيعُوا) تَرَشَّدُوا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ

(١٨١)

﴿ يَقُولُ : ﴾ (وَمَا أَسْأَلُكُمْ) عَلَى نَصْحِي لَكُمْ مِنْ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ ، مَا جَزَائِي وَثَوَابِي عَلَى ذَلِكَ (إِلَّا) عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ) يَقُولُ : أَوْفُوا النَّاسَ حَقُوقَهُمْ مِنَ الْكَيْلِ (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) يَقُولُ : وَلَا تَكُونُوا مِنْ نَقَصَ حَقُوقَهُمْ .

(١) الْبَيْتُ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي زِيَادِ بْنِ مُعَاوِيَةَ (مُخْتَارُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِ بِشَرْحِ مِصْطَلَحِ السَّقَا طَبِيعَةِ الْحَلْبِيِّ ص ١٨٥) قَالَ شَارِحُهُ : تَجْلُو : تَكْشِفُ . وَالْقَوَادِمُ : الرِّيشُ الْمَقْدَمُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ . وَيَكُونُ شَدِيدَ السَّوَادِ . شَبَّهِ سَوَادَ شَفْتَيْهَا بِالْقَوَادِمِ ؛ وَشَبَّهِ بَيَاضَ ثَنَرِهَا بِبَيَاضِ الْبَرَدِ . وَاللَّثَاتُ : مَنَارِزُ الْأَسْنَانِ ، وَمِنْ عَادَاتِهِمْ أَنْ يَذَرُوا عَلَيْهَا الْإِثْمَ ، لِيَبِينَ بَيَاضُ الْأَسْنَانِ . اهـ . وَالْأَرْيَكَةُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُ . وَقِيلَ : هِيَ الْغَيْضَةُ تَنْبَتُ السَّدْرَ وَالْأَرَاكَ وَنَحْوَهُمَا مِنْ نَاصِمِ الشَّجَرِ . وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ مَنْبَتَ الْأَثَلِ وَمَجْتَمِعَهُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ : قَدْ تَكُونُ الْأَيْكَةُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ الشَّجَرِ ، حَتَّى مِنَ النَّحْلِ . قَالَ : وَالْأَوَّلُ أَعْرَفُ . وَالْجَمْعُ أَيْكٌ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٦﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٦﴾ يعني بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وزنوا بالميزان (المستقيم) الذي لا يبخس فيه على من وزنتم له (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يقول : ولا تكثرُوا في الأرض الفساد . وقد بينا ذلك كله بشواهد ، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ﴿١٨٨﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٩﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩٠﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩١﴾

﴿١٨٨﴾ يقول تعالى ذكره : (واتقوا) أيها القوم عقاب ربكم (الَّذِي خَلَقَكُمْ ، وَ) خلق (الجِبِلَّةَ الْأُولَى) يعني بالجبل : الخلق الأولين . وفي الجبل لغتان : كسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وضم الجيم والباء وتشديد اللام ، فإذا نُزعت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه (وَكَانَ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) وربما سكنوا الباء من الجبل ، كما قال أبو ذؤيب :
مَنَايَا يُقَرَّبْنَ الْحَتُوفَ لِأَهْلِهَا
جِيهَارًا وَيَسْتَمْتِعْنَ بِالْأَنْسِ الْجِبِلِ
وبنحو ما قلنا في معنى الجبلة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : قوله (واتقوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى) يقول : خلق الأولين .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : جبل) والمنايا : جمع منية ، وهي الموت . والحتوف جمع حتف ، وهو الهلاك . والأنس الناس . والجبل : الأمة من الخلق . وفيه لغات ، فيكون مثلث الجيم ، ساكن النون . ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام . قال في اللسان : وحى جبل كثير . قال أبو ذؤيب : « منايا . . . البيت » . أي الكثير . يقول : الناس كلهم متعة للموت ، يستمتع بهم . قال ابن بري : ويروى : الجبل ، بضم الجيم . قال : وكذا رواه أبو عبيدة . وقول الله عز وجل : « ولقد أضل منكم جبلا كثيرا » : يقرأ : جبلا (بضم فسكون) عن أبي عمرو . وجبلا (بضميتين) عن الكسائي . وجبلا (بكسر فسكون) عن الأعرج وعيسى ابن عمر . وجبلا (بكسرتين فلام مشددة) عن أهل المدينة . وجبلا (بضميتين مع التشديد) عن الحسن وابن أبي إسحاق . قال : ويجوز أيضا جبل (بكسر ففتح) جمع جبلة (بكسرة فسكون) وهو في جميع هذه الوجوه : خلقا كثيرا . اهـ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى) قال : الخليفة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى) قال : الخلق الأولين ، الجبلية : الخلق .

وقوله (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) يقول : قالوا : إنما أنت يا شعيب معطل تعلل بالطعام والشراب ، كما نعلل بهما ، ولست ملكا (وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) تأكل وتشرب (وَإِنْ نَنْظُنُّكَ كَمِثْنِ الْكَاذِبِينَ) يقول : وما نحسبك فيما نخبرنا وتدعونا إليه ، إلا ممن يكذب فيما يقول ، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ) يعني قِطعا من السماء ، وهي جمع كِسْفَةٍ ، جمع كذلك كما تجمع ثمرة : تمرا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كِسْفًا) يقول : قِطعا .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ) : جانبا من السماء .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ) قال : ناحية من السماء ، عذاب ذلك الكسف .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا نَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : (رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : بأعمالهم هو بها محيط ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم بها جزاءكم (فَكَذَّبُوهُ) يقول : فكذبوه قومه (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) يعني بالظلة : سحابة ظلهم ، فلما تاملوا تحتها التهب عليهم نارا وأحرقهم ، وبذلك جاءت الآثار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية ، في قوله (فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أصابهم حرّ أفلقهم في بيوتهم ، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة ، فابتدروها ، فلما تاملوا تحتها أخذتهم الرجفة .

(١) كذا في الأصل . وقياس الجمع الأخير على ما قبله ليس بواضح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، في قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : كانوا يحضرون الأسراب ليتبرّدوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّاً من الظاهر ، وكانت الظلة سخابة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة : من شجر ملتف ؛ فلما أراد الله أن يعذبهم ، بعث الله عليهم حرّاً شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سخابة ؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها ، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا ، قال : فذلك قوله (فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ)
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى سعيد بن زيد أن خوخاذاً بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : ثنى يزيد الباهلي ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية (فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَمَا نَعَذِّبُ يَوْمَ عَظِيمٍ) فقال عبد الله بن عباس : بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا البيوت ، فدخل عليهم أجواف البيوت ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية ، فبعث الله عليهم سخابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذّة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسلها الله عليهم نارا . قال عبد الله بن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : إظلال العذاب إياهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قال : أظّل العذاب قوم شعيب .

قال ابن جريج : لما أنزل الله عليهم أول العذاب ، أخذهم منه حرّاً شديداً ، فرفع الله لهم عمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله (عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : ثنى رجل من أصحابنا ، عن بعض العلماء قال : كانوا عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ففعلوا كلما عطّلوا حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد إهلاكهم سلّط الله عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقاروا ، ولا ينفعهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم ، فاستظلّ تحت ظلة ، فوجد روحاً ، فنادى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعاً ، حتى إذا اجتمعوا ألهمها الله عليهم نارا ، فذلك عذاب يوم الظلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تمّيلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن ابن عباس ، قال : من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة ؟ فكذب به .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله

(۱) هرباً : لعله جمع هارب ، ولم أجده في اللسان .

(فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) قوم شعيب ، حبس الله عنهم الظل والريح ، فأصابهم حر شديد ، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب ، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمنونها ، زعموا يستظلون ، فاضطربت عليهم نارا فأهلكتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) قال : بعث الله إليهم ظُلَّةً من سحاب ، وبعث إلى الشمس فأحرقت ماعلى وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظُلَّة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم ، كشف الله عنهم الظُلَّة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقلَى . وقوله (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةًٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

يقول تعالى ذكره : إن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة : بتكذيبهم نبيهم شعيبا . لآية لقومك يا محمد ، وعبرة لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا في أصحاب الأيكة (وما كان أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) في سابق علمنا فيهم (وَإِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (لَهُوَ الْعَزِيزُ) في نعمته من انتقم منه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وأتاب إلى طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٠٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٠٣﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن (لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) والهاء في قوله (وَإِنَّهُ) كناية الذكر الذي في قوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ) . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : هذا القرآن .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة (نَزَلَ) به مخففة (الرُّوحُ الْأَمِينُ) رفعا بمعنى : أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد ، وهو جبريل . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (نَزَلَ) مشددة الزاى (الرُّوحُ الْأَمِينُ) نصبا ، بمعنى : أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن ، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول ، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله ، وأن الله إذا أنزله به نزل .
وبنحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال : جبريل .
حدثنا الحسين ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قول الله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال : جبريل .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قال (الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال : جبريل .
وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) يقول : نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد ، حتى وعيته بقلبك ، وقوله (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) يقول : لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أُرسلوا إليه من قومهم ، فتندر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله . وقوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) يقول : لتندر قومك بلسان عربي مبين ، يبين لمن سمعه أنه عربي ، وبلسان العرب نزل ، والباء من قوله (بِلِسَانٍ) من صلة قوله : (نَزَلَ) ، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع ، لإعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك ، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا ، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه ، لأننا لا نفهمه ، وإنما هذا تقرير لهم ، وذلك أنه تعالى ذكره قال (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُمْ مُعْرِضِينَ) ثم قال : لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه ، بل يفهمونها ، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربي ، ولكنهم أعرضوا عنه تكديبا به واستكبارا (فَتَقَدَّرُ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأولين : يعني في كتب الأولين ، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص ، وإنما هو : وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأولين ؛ يعني : أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله . وقوله (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول تعالى ذكره : أو لم يكن هؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك ، دلالة على أنك رسول رب العالمين ، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل . وقيل : عنى بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع : عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل ، وكان من خيارهم ، فأمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الله : أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : عبد الله بن سلام وغيره من علماءهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ) قال محمد : (أَنْ يَعْلَمَهُ) قال : يعرفه (عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : علماء بني إسرائيل : عبد الله بن سلام ، وغيره من علماءهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال : أو لم يكن للنبي آية ، علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم ، وقوله (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) يقول تعالى ذكره : ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق ، وإنما قيل على بعض الأعجمين ، ولم يقل على بعض الأعجمين ، لأن العرب تقول إذا نعتت الرجل بالعُجمة وأنه لا يفصح بالعربية : هذا رجل أعجم ، والمرأة : هذه امرأة أعجماء ، وللجماعة : هؤلاء قوم عُجَم وأعجمون ، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربي والأعجمي ، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان ، وقد يكون كذلك ، وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر :

مِنْ وَائِلٍ لَاحِيٍّ يَمُودُ لَهُمْ مِنْ سَوْقَةٍ عَرَبٍ وَلَا عُجَمٍ^١

(١) السوقة : الرعية التي تسوسها الملوك . يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر . والعجم بضم العين : جمع أعجم . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٥) : يقال : رجل أعجم : إذا كان في لسانه عجمة ، ورجل عجمي : أي من العجم . والدواب : عجم ، لأنها لا تتكلم . وفي (اللسان : عجم) قال أبو إسحاق : الأعجم : الذي لا يفصح ولا يبين كلامه ، وإن

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال : هذا رجل عجمي ، وهذان رجلان عجميان ، وهؤلاء قوم عجمي ، كما يقال : عربي ، وعربيان ، وقوم عرب . وإذا قيل : هذا رجل أعجمي ، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر : هذا أحمر ضخم ، وكما قال العجاج :
 * والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي * .

ومعناه : دوار ، فنسبه إلى فعل نفسه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة ، فتلا هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) قال : لو نزل على بعيرى هذا فتكلم به ما آمنوا به (لَقَالُوا : لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) حتى يفقهه عربي وعجمي ، لو فعلنا ذلك ؟

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة ، فقرأ هذه الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) فقرأه عليهم ، قال : فقال : جملي هذا أعجم ، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين .

وروى عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) قال : لو نزل الله أعجميا كانوا أخسر الناس به ، لأنهم لا يعرفون بالعجمية .

= كان عربي النسب ، كزياد الأعجم . والأنثى : عجماء ، وكذلك الأعجمي . فأما العجمي فالذي من جلس العجم : أفصح أولم يفصح ، والجمع : عجم (بالتحريك) كعربي وعرب . ورجل أعجمي وأعجم : إذا كانت في لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية . وكلام أعجم وأعجمي : بين العجمة . وفي التنازل : « لسان الذي يلهوون إليه أعجمي » . وجمعه بالواو والنون ، تقول : أحمر وأحمران ، وأعجمي وأعجمون ، على حد أشعث وأشعثين وأشمري وأشمريين . وعليه قوله عز وجل : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » (١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور (اللسان : دور . وأراجيز العرب للسيد توفيق البكري ١٧٤) وهو

من أرجوزة له حزينة ، بدأها بقوله :

بَكَيْتُ وَالْمُحْسِنِينَ الْبَكِيَّ
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي
 وَأَنْتَ قَنْسَرِي

يقول : بكيت ومن حزن كان بكائك . والقنصري : المسن القديم . ودواري دائر ، أي أنه يتصرف بالإنسان ويدور به أطوارا وأحوالا . والقنصري : الشديد ، يريد الدهر . ومحل الشاهد في قوله : « دواري » قال في اللسان : أي دائر به ، على إضافة الشيء إلى نفسه (أي نسبته إلى نفسه ، لأن دواري منسوب إلى دوار ، فلفظ المنسوب إليه كلفظ المنسوب) . قال ابن سيده : هذا قول اللغويين . قال الفارسي : هو على لفظ النسب ، وليس بنسب ، ونظيره يخنى وكرسى . وفي (اللسان : عجم) : وينسب إلى الأعجم الذي في لسانه عجمة ، فيقال : لسان أعجمي ، ولا يقال : رجل أعجمي : فتنسب إلى نفسه ، إلا أن يكون أعجم بأعجمي بمعنى ، مثل دوار ودواري ، وجل قنصر وقنصري ، هذا إذا ورد ودا لا يمكن رده . اهـ .

وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لاوجه له ، لأنه وجه الكلام أن معناه : ولو أنزلناه أعجميا ، وإنما التنزيل (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) يعني : ولو أنزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح ولم يقل : ولو أنزلناه أعجميا . فيكون تأويل الكلام ما قاله .

وقوله (فَتَقْرَأُهُمْ) يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين : يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء ، وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه ، لئلا يشتد وجده بإدبارهم عنه ، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم ، فقال له : (لَعَلَّكَ بَاخِرٌ نَفْسَكَ أَنْ لَيْسَ كُونُوا مُؤْمِنِينَ) ثم قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته ، كما ذلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة ، ولو أنزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما أنت إلا بشر مثلنا ، وهلا نزل به ملك ، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق ، وأنه تنزيل من عندي ، ما كانوا به مصدقين ، فخفض من حرصك على إيمانهم به ، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين ، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم من الشقاء والبلاء ، فقال : كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) فقرأ عليهم (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ) التكذيب والكفر (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) . ويعني بقوله : سلطنا : أدخلنا ، والهاء في قوله (سَلَّكْنَاهُ) كناية من ذكر قوله (ما كانوا به مؤمنين) ، كأنه قال : كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (كَذَلِكَ سَلَّكْنَاهُ) قال : الكفر (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَذَلِكَ سَلَّكْنَاهُ) فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) ! .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن حميد ، عن الحسن ، في هذه الآية (كَذَلِكَ سَلَّكْنَاهُ) فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ قال : خلقتنا .

قال : ثنا زيد ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن في بيت أبي خليفة ، عن قوله (كَذَلِكَ سَلَّكْنَاهُ) فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ قال : الشرك سلكه في قلوبهم ، وقوله (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) يقول : فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن ، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل

(١) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية ، ولعله الكفر أو الشرك ، أو نحوه ، أو مثله .

الدنيا ، كما رأت ذلك الأمم الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة ، ورفع قوله (لَا يُؤْمِنُونَ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع « لا » ربما جزمت ما بعدها ، وربما رفعت فتقول : ربطت الفرس لا تنفلت ، وأحكمت العقد لا ينحلّ جزما ورفعا . وإنما تفعل ذلك لأن تأويل ذلك : إن لم أحكم العقد انحلّ ، فجزمه على التأويل ، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر . ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر :

لَوْ كُنْتُ إِذْ جِئْتَنَا حَاوِلْتَ رُؤْيَتَنَا أَوْ جِئْتَنَا مَاشِيَا لَا يَعْرِفُ الْفَرَسُ^۱
وقول الآخر :

لَطَالَمَا حَلًّا نَمَاهَا لَا تَرِدُ فَخَلَّيَاهَا وَالسَّجَالُ تَبْتَرِدُ^۲

القول في تأويل قوله تعالى :

فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿١٦٧﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن ، العذاب الأليم بغتة ، يعني فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة (فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) أي هل نحن مؤخرنا العذاب ، ومُنْظَرُونَ في آجالنا لنشوب ، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله ، فراجع الإيمان به ، وننيب إلى طاعته . وقوله (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره : أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم : لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٦٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧٠﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿١٧١﴾

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٣٠) قال : وقوله : « كذلك سلكناه » تقول : سلكناه التكنيب في قلوب المجرمين كيلا يؤمنوا به حتى يروا العذاب الأليم . وإذا كان موقع كفي في مثل هذا « لا » و « إن » جميعا ، صلح الجزم في « لا » والرفع . والعرب تقول : ربطت الفرس لا ينفلت : جزما ورفعا ، وأوثقت العبد لا يفر : جزما ورفعا ، وإنما جزم ، لأن تأويله : إن لم أربطه فر ، فجزم على التأويل . أنشدني بعض بني عقيل :

وَحَتَّى رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَيْنَنَا مُسَاكِنَةً لَا يَتَفَرِّقُ الشَّرُّ فَارِقُ

ينشد رفعا وجزما . وقال الآخر : « لو كنت إذ جئتنا . . . البيت » : رفعا وجزما وقوله « لَطَالَمَا حَلًّا نَمَاهَا . . . الشاهد الآخر بعد ذلك .

(٢) البيت في (اللسان : حلا) . وروايته : قد طالما . . . الخ قال : حلا الإبل والماشية عن الماء تحليتها وتحلته : طردها أو حبسها عن الورود ، ومنعها أن ترده . وكذلك حلا القوم عن الماء . وقال ابن الأعرابي : قالت قريبة : كان رجل عاشق لمرأة .

يقول تعالى ذكره : ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا ، وتكذيبهم رسولنا ، (ما أغشيتني عنهم) يقول : أي شيء أغشى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم ، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة ، إذ لم يتوبوا من شركهم ، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا ، وهل نفعهم شيئا ، بل ضرهم بازديادهم من الآثام ، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتنعوا لم يكتسبوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أفرايت إن متعناهم سنين) إلى قوله (ما أغشيتني عنهم) ما كانوا يمتنعون) قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) من هذه القرى التي وصفت في هذه السور (إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) يقول : إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم (ذِكْرَى) يقول : إلا لها منذرون ينذرونهم ، تذكرة لهم وتنبيهها لهم على مافيه النجاة لهم من عذابنا . ففي الذكرى وجهان من الإعراب : أحدهما النصب على المصدر من الإنذار على ما بينت ، والآخر : الرفع على الابتداء ، كأنه قيل : ذكرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى) قال : الرسل . قال ابن جريج : وقوله (ذِكْرَى) قال الرسل . قوله (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) يقول : وما كنا ظالمين في تعذيبناهم وإهلاكهم ، لأننا إنما أهلكناهم ، إذ عتوا علينا ، وكفروا نعمتنا ، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار ، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه ، فأبوا إلا التمادي في الغي .

وقوله (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) يقول تعالى ذكره : وما نزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ، ولكنه ينزل به الروح الأمين (وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) يقول : وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه ، ولا يصلح لهم ذلك (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : وما يستطيعون أن ينزلوا به ، لأنهم لا يصلون إلى استماعه

فتزوجها ، فجاءها النساء ، فقال بعضهن لبعض . قد طامأ حلقها لا ترد . . . البيت . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان) والبيت شاهد كالذي قبله ، على أن « لا ترد » يجوز فيه الرفع والجزم على التأويل الذي ذكره الفراء .

(١) يجوز أن يكون قوله تعالى (ذكرى) مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف ، أي ذكرى لهم . ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر عن مبتدأ ، تقديره : « هم » أي المنذرون ، ذكرى لهم .

في المكان الذي هو به من السماء (لَا يَنهَمُ عَنْ السَّمْعِ كَالْعُزُولُونَ) يقول : إن الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لعزولون ، فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) قال : هذا القرآن . وفي قوله (لَا يَنهَمُ عَنْ السَّمْعِ كَالْعُزُولُونَ) قال : عن سمع السماء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه ، إلا أنه قال : عن سمع القرآن .

والقراء مجمعة على قراءة (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) بالتاء ورفع النون ، لأنها نون أصلية ، واحدهم شيطان ، كما واحد البساتين بستان . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ) بالواو وذلك لحن ، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه ، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين ، وذلك بعيد من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿١١٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١١٣﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَدْعُ) يا محمد (مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) : أي لاتعبد معه معبودا غيره (فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا . وقوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة ، وحدثهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم . وذكر أن هذه الآية لما نزلت ، بدأ بيني جده عبد المطلب وولده ، فحدثهم وأنذرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أحمد بن المقدام ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ويونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، يَا صَفِيَّةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سلامة ، قال : قال عقيل : ثنى الزهري ، قال : قال سعيد ابن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه « (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، سَلِّبْنِي مَا شِئْتَ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

حدثني محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا أبو الهيثم ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ » ثم ذكر نحو حديث يونس ، عن سلامة ، غير أنه زاد فيه « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » ولم يذكر في حديثه فاطمة .

حدثني يونس ، قال : ثنا سلامة بن روح ، قال : قال عقيل : ثنى ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع قريشا ، ثم أتاهم ، فقال لهم : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ » فقالوا لا إلا ابن أخت لنا لا نراه إلا منا ، قال : إِنَّهُ مِنْكُمْ ، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لهم في آخر كلامه : لَا أَعْرِفَنَّ مَا وَرَدَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسُوقُونَ الْآخِرَةِ ، وَجِئْتُمْ إِلَى تَسُوقُونَ الدُّنْيَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِّبْنِي مَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحجاج يحدث ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما أنزل الله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ رِجَامًا سَابِلَهَا بِيَلَاهَا » .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعمّ وخصّ ، فقال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبٍ بَنِي لُؤَيٍّ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَقُولُ لِكُلِّهِمْ : أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَلَهَا بِبِلَالِهَا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن زهير بن عمرو وقبيصة ابن مخارق : أنهما قالا : أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ عَلَا صَخْرَةً مِنْ جَبَلٍ ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا آلَ عَبْدِ مَنْفَاهُ ، يَا صَبَاحَاهُ ، إِنِّي نَذِيرٌ ، إِنَّمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أَتَى الْجَيْشَ ، فَخَشِيَهِمْ عَلَى أَهْلِهِ ، فَذَهَبَ يَرْبُؤُهُمْ ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ : يَا صَبَاحَاهُ ! أَوْ كَمَا قَالَ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : « بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جَاءَ فَوْضِعُ أَصْبَعِهِ فِي أُذُنِهِ ، وَرَفَعَ مِنْ صَوْتِهِ ، وَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَاصْبَاحَاهُ ! » .

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : أظنه عن الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس ، عن عوف ، قال : قال قسامة بن زهير ، حدثني الأشعري ، قال : لما نزلت ، ثم ذكر نحوه ؛ إلا أنه قال : وضع أصبعيه في أذنيه .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصُّفَا ، ثُمَّ نَادَى يَا صَبَاحَاهُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَبَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ ، وَبَيْنَ آخَرٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي هَاشِمٍ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي يَاسِينَ ، أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بَسْتَفْحِ هَذَا الْجَبَلَ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ صَدَقَتُمُونِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَأَنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ ، مَا دَعَوْتُمُونِي إِلَّا لِهَذَا ؟ فَزِلْتُ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) .

حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الصُّفَا ، فَقَالَ : يَا صَبَاحَاهُ ! فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ ؟

(١) يقال : ربا القوم يربوهم ، وربا لهم : إذا وقف على مكان عال ، ونظر بعيدا ، يرقب عدوا أو جيشا منيرا ، أو نحو ذلك .

أَوْ مَمْسِيكُمْ أَلَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟ قالوا: بلى، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ). قال أبو لهب: تَبَّأُ لَكَ، ألهذا دعوتنا أو جمعتنا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) . . . إلى آخر السورة». حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا أبو أُسَامَةَ، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن سعيد بن جُبَيْرٍ. عن ابن عباس، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ! فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْعِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأُ لَكَ، مَا جَمَعْنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) وَقَدْ تَبَّ» كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا أبو معاوية بن هشام، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقَامَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهُ!

قال: ثنا خالد بن عمرو، قال: ثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبَيْرٍ. عن ابن عباس، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهُ! فَجَعَلَ يُعَدِّدُهُمْ: يَا بَنِي فُلَانٍ، وَيَا بَنِي فُلَانٍ، وَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ». حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مرة الجهملي، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قَالَ: أَتَى جَبَلًا، فَجَعَلَ يَهْتَفُ: يَا صَبَاحَاهُ، فَأَنَاهُ مَنْ خَفَ مِنَ النَّاسِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَأَقِّلُونَ مِنَ النَّاسِ رُسُلًا، فَجَعَلُوا يَجِثُونَ يَتَّبِعُونَ الصَّوْتَ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قَالَ: إِنْ مِنْكُمْ مَنْ جَاءَ لِيَسْتَنْظِرَ، وَمِنْكُمْ مَنْ أَرْسَلَ لِيَنْظُرَ مَنْ الْهَاتِفُ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَكثُرُوا قَالَ: أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا مُصَبَّحَتَكُمْ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَ، وَأَنْذَرَهُمْ كَمَا أَمَرَ، فَجَعَلَ يَنَادِي: يَا قُرَيْشُ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، حَتَّى قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عمرو: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وَرَهْطَكَ الْمُخْلِصِينَ.

قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ: فَضَعْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا، وَعَرَفْتُ أَنِّي مَتَى مَا أَنَادَهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَّ مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ، فَصَمْتُ حَتَّى جَاءَ جِبْرَائِيلُ، فَقَالَ:

يا محمد ، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعدّ بك ربك . فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسّاً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب ، حتى أكلمتهم ، وبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبوطالب ، وحزرة ، والعباس ، وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، فجئت به . فلما وضعت تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم^١ ، فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصّحفة ، قال : محذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وآيم الله الذي نفس على يده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمت لجميعهم ، ثم قال : اسقِ النَّاسَ ، فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، وآيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدًا^٢ ما سحركم به صاحبكم ، ففترّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا علي ، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما قد سمعت من القول ، ففترّق القوم قبل أن أكلمتهم ، فأعدّ لنا من الطعام مثل الذي صنعت ، ثم اجتمعهم لي ، قال : ففعلت ثم جمعهم ، ثم دعاني بالطعام ، فقرّبتهم لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، قال : اسقِهم ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني عبد المطلب ، إني وآله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جيئتم به ، إني قد جيئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيتكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي وكذا وكذا ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدّثهم سناً ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطناً ، وأخشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك ، فأند برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتلك الأقربين) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني قصي ، قال : ثم فخذ قريشاً قبيلة قبيلة ، حتى مرّ على آخرهم ، إني أدعوكم إلى الله ، وأنذركم عذاباً . »
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنذر عشيرتلك الأقربين) قال : أمير محمد أن ينذر قومه ، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته ، قال : (وكذب به قومك وهو الحق) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معجم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

(١) (اللسان : حذا) : أعطيته حذية من لحم ، وحذبة وفلذة ، كل هذا إذا قطع طولاً . هـ . وقيل هي القطعة الصغيرة .
(٢) (اللسان : هذ) وفي الحديث أن أبا لهب قال : « لهد ما سحركم صاحبكم » قال : لهد : كلمة يتمجب بها ، يقال : لهد الرجل أي ما أجده . قلت : وهو كقولنا : لهد ما قال فلان ، أي ما أشد .

« ولما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، اتقوا النار ولو بشق تمرة » .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : « لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم ، فقال : يا بني هاشم ، أَلَا لَا تُفَيِّسَنَّكُمْ تَأْتُونِي تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا ، وَيَأْتِي النَّاسُ بِحَمِلُونَ الْآخِرَةِ ، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته ؛ قال : وشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله تعالى (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

وقوله (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ) يقول : وألن جانبك وكلامك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : يقول : لن لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : فإن عصيتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم ، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحمن ، فقل لهم (لَمَّا تَبَرَّيْتُ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنام (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) في نعمته من أعدائه (الرَّحِيمِ) بمن أناب إليه وتاب من معاصيه ، (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) يقول : الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، قوله (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) قال : أينما كنت .

(وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ، ثم تركع ، وحين تسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ) يقول : قيامك وركوعك وسجودك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت أبي وعلى بن بزيمة يحدثان عن عكرمة في قوله (يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قيامه وركوعه وسجوده .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال عكرمة ، في قوله : (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : قائما وساجدا وراكعا وجالسا .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى قلبك في المصلين ، ولابصارك منهم من هو خلفك ، كما تبصر من هو بين يديك منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) كان يرى من خلفه ، كما يرى من قدّامه .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : المصلين ، قال : كان يرى في الصلاة من خلفه .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين : أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعدهم معهم .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في المصلين .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في الساجدين : المصلين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرفك في الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : سألت الحسن عن قوله : (وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) قال : في الناس .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (الذي يَرَاكَ) . . . الآية ، قال : كما كانت الأنبياء من قبلك .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله : ويرى تقابلك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجهه إلى أن معناه : وتقبلك في الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو في الساجدين ، أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم يسجد ، السجود المعروف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضا في قول من قال : معناه : تتقلب في أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه .

فتأويل الكلام إذن : وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى تقبلك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاتك يا محمد ، وذكرك في صلاتك ما تثلوا وتذكر ، العايم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك ، يقول : فرتل فيها القرآن ، وأقم حدودها ، فإنك بمراى من ربك ومسمع .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿١١٦﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١١٧﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أيها الناس (عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) من الناس ؟ (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) يعني كذاب بهات (أَثِيمٍ) يعني : آثم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كل كذاب من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : كذاب من الناس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قال : هم الكهنة تسترق الجن السمع ، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس .

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : كنت عند عبد الله بن الزبير ، فقليل له : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، ثم تلا (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .
وقوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) يقول تعالى ذكره : يلقي الشياطين السمع ، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء إلى (كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) من أوليائهم من بني آدم .
وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) قال : الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفَّاك كذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يُلْقُونَ السَّمْعَ) الشياطين ما سمعته ألقته (عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ) قال : يلقيون السمع ، قال : القول .
وقوله (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يقول : وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون وينخرون وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) عن عروة ، عن عائشة قالت : الشياطين تسترق السمع ، فتجسس بكامة حق فيقذفها في أذن وليه ، قال : ويزيد فيها أكثر من مئة كذبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أُوْسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : والشعراء يتبعهم الغاؤون .
واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغى في هذا الموضع فقال بعضهم : رواة الشعر

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يزيد الطحان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا قيس ، عن يعلى ، عن عكرمة عن ابن عباس ، وحدثني أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن قيس ، وحدثنا أبو كريب ، قال :

ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : الرواة .
وقال آخرون : هم الشياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) الشياطين .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : يتبعهم الشياطين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، في قوله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : عصاة الجن .
وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأنهما تهاجيا ، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء ، فقال الله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، تهاجيا مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء .
وقال آخرون : هم ضلال الجن والإنس .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال : الغاوون المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عم بقوله (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ

النَّاعُونَ) فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض ، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أنهم ، يعني الشعراء في كل واد يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد ، بل جائرا على الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضرب به الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) يقول : في كل لغو يخوضون .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : في كل فن يفتشون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : فن (يَهِيمُونَ) قال : يقولون .
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) قال : يمدحون قوما بباطل ، ويشتمون قوما بباطل .
وقوله (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) يقول : وأن أكثر قبيهم باطل وكذب .
كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » يقول : أكثر قولهم يكذبون ، وعنى بذلك شعراء المشركين .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال رجل لأبي : يا أبا أسامة ، رأيت قول الله جل ثناؤه (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فقال له أبي : إنما هذا لشعراء المشركين ، وليس شعراء المؤمنين ، ألا ترى أنه يقول (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الخ . فقال : فرجعت عني يا أبا أسامة ، فرج الله عنك .
وقوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذا استثناء من قوله (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) .
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها .
وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعلي بن مجاهد . وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد

ابن عبد الله بن قُسيط، عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى تميم الداري، قال: لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إلى آخر السورة في حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة وطاوس، قال: قال (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فَنَسَخَ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَنَى، قال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الآية.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ثم استثنى المؤمنين منهم، يعني الشعراء، فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، فذكر مثله.

حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي حسن البراد، قال: لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة.

وقوله (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء، فقال بعضهم: هي حال منطقهم ومحاورتهم الناس، قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)

قال : ذكروا الله في شعرهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه ، ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم .

وقوله (وَانْتَصَرُوا مِنِّي بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) يقول : وانتصروا عمن هجأهم من شعراء المشركين ظلما

بشعرهم وهجأهم إياهم ، وإجابتهم عما هجؤهم به .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَانْتَصَرُوا مِنِّي

بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) قال : يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَانْتَصَرُوا) من المشركين

(مِنِّي بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) .

وقيل : عني بذلك كله الرهط الذين ذكرت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا علي بن مجاهد وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله

ابن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البراءد مولى تميم الداري ، قال : لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)

جاء حسبان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالوا

قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنِّي بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن

عبد الله بن قسيط ، عن أبي حسن البراءد ، قال : لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَانْتَصَرُوا مِنِّي بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) قال

عبد الله بن رواحة وأصحابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَانْتَصَرُوا مِنِّي

بِعَدِي مَا ظَلَمُوا) قال : عبد الله بن رواحة .

وقوله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِشَرِّهِمْ بِاللَّهِ

من أهل مكة (أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يقول : أَيُّ مرجع يرجعون إليه ، وأَيُّ معاد يعودون إليه بعد مماتهم ، فلأنهم يصيرون إلى نار لا يُطفأ سعيها ، ولا يَسْكُنُ لها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى نعيم الداري (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) يعني : أهل مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) قال : وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أَيُّ منقلب ينقلبون .
آخر تفسير سورة الشعراء

(٢٧) سُوْرَةُ الْفَاكِهَةِ
وَأَنبِئَانَهَا ثَلَاثٌ وَتَسْبِحُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

قال أبو جعفر : وقد بينّا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور ، فقوله (طس) من ذلك . وقد روى عن ابن عباس أن قوله (طس) : قسم أقسمه الله هو من أسماء الله .
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : فالواجب على هذا القول أن يكون معناه : والسميع اللطيف ، إن هذه الآيات التي أنزلها إليك يا محمد لايات القرآن ، وآيات كتاب مبين : يقول : بين لمن تدبره ، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله ، أنزله إليك ، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوله ، ولا أحد سواك من خلق الله ، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ، ولو تظاهر عليه الجن والإنس . وخفض قوله (وكتاب مبين) عطفاً به على القرآن . وقوله (هُدًى) من صفة القرآن . يقول : هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام (وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وبشارة لمن آمن به ، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد .

وفي قوله (هُدًى وَبُشْرَى) وجهان من العربية : الرفع على الابتداء بمعنى : هو هدى وبُشْرَى . والنصب على القطع من آيات القرآن ، فيكون معناه : تلك آيات القرآن الهدى والبُشْرَى للمؤمنين ، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبُشْرَى ، فصارا نكرة ، وهما صفة للمعرفة فنصبها .

وقوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : هو هدى وبشرى لمن آمن بها ، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها . وقوله (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) يقول : ويؤدون الزكاة المفروضة . وقيل : معناه : ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصي .

وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : وهم مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون ، فيذلون في طاعة الله ، رجاء جزيل ثوابه ، وخوف عظيم عقابه ، وليسوا كالذين يكفّون بالبعث ، ولا يبالون ، أحسنوا أم أساءوا وأطاعوا ، أم عصوا ، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا ، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة ، وقيام الساعة ، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب ، والعقاب (زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) يقول : حبينا إليهم قبيح أعمالهم ، وسهلنا ذلك عليهم (فَعَمَهُمْ يَعْمَهُونَ) يقول : فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينناها لهم يترددون حيارى ، يحسبون أنهم يحسنون . وقوله (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا ، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ) يقول : وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسرها باشرائهم الضلالة بالهدى (فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ أَوْ تَنْصِيلٍ ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتحنظ القرآن وتعلمه (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) يقول : من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضي من أخبارهم ، والحادث منها (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ) وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى (لأَهْلِيهِ) وهو في مسيره من مدين إلى مصر ، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) : أى أبصرت نارا أو أحسستها ،

فامكثوا مكانكم (سَأَتِيكُمْ مِنْهَا نَجَّيْرٌ) يعنى من النار ، والهاء والألف من ذكر النار (أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بإضافة الشهاب إلى القبس ، وترك التنوين ، بمعنى : أَوْ آتِيكُمْ بِشِعْلَةٍ نَارٍ أَقْبَسَهَا مِنْهَا . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس ، يعنى : أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ مَقْبَسٍ .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . وكان بعض نحوي البصرة يقول : إذا جعل القبس بدلا من الشهاب ، فالتنوين في الشهاب وإن أضاف الشهاب إلى القبس ، لم ينون الشهاب . وقال بعض نحوي الكوفة : إذا أضيف الشهاب إلى القبس فهو بمنزلة قوله (وَلَدَّارُ الْآخِرَةِ) مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماءه ولفظاه ترهما بالثاني أنه غير الأول قال : ومثله حبة الخضراء ، وليلة القمر ، ويوم الخميس وما أشبهه . وقال آخر منهم : إن كان الشهاب هو القبس لم تجز الإضافة ، لأن القبس نعت ، ولا يضاف الاسم إلى نعته إلا في قابل من الكلام ، وقد جاء (وَلَدَّارُ الْآخِرَةِ - وَلَدَّارُ الْآخِرَةِ) .

والصواب من القول في ذلك أن الشهاب إذا أريد به أنه غير القبس ، فالقراءة فيه بالإضافة ، لأن معنى الكلام حينئذ ، ما بينا من أنه شعلة قيس ، كما قال الشاعر :

فِي كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُشَقَّقَةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةِ الْقَبَسِ ١

وإذا أريد بالشهاب أنه هو القبس ، أو أنه نعت له ، فالصواب في الشهاب التنوين ، لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته ، وإلى نفسه ، بل الإضافات في كلامها المعروف بإضافة الشيء إلى غير نفسه وغير نعته .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : كي تصطلوا بها من البرد . وقوله (فَلَمَّا جَاءَهَا) يقول : فلما جاء موسى النار التي أنساها (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يقول : قدس .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (مَنْ فِي النَّارِ) فقال بعضهم : عني جل جلاله بذلك نفسه ، وهو الذي كان في النار ، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٥) قال : « بشهاب قيس » أى بشعلة نار . ومجاز قيس : ما اقتبست منها ومن الجمر ، قال : « في كفه . . . البيت » . والصعدة : القناة تنبت مستقيمة . والشاهد في البيت : إضافة الشعلة إلى القبس أى شعلة مقتبسة من نار كما في قول الله عز وجل « بشهاب قيس » في قراءة من قرأه بالإضافة . ويجوز تنوين « شهاب » وجعل قيس صفة له إذا اعتبر الشهاب هو نفس القبس ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، ولا إلى صفته .

في قوله (فَلَسَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) يعني نفسه ؛ قال : كان نور رب العالمين في الشجرة .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في قول الله (بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) قال : ناداه وهو في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَمَّوْهُمَا) قال : هو النور .

قال معمر ، قال قتادة (بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) قال : نور الله بورك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الحسن البصري (بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) ١ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بورك في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) بورك في النار كذلك قاله ابن عباس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) قال : بورك في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) قال : بورك في النار .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا مكى بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب ، في قوله (أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ) نور الرحمن ، والنور هو الله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : النور كما ذكرت عن ذكرت ذلك عنه .

وقال آخرون : معناه النار لا النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : حجاب العزة ، وحجاب الملك ، وحجاب السلطان ، وحجاب النار ، وهي تلك النار التي نودي منها ، قال : وحجاب النور ، وحجاب الغمام ، وحجاب الماء ، وإنما قيل : بورك من في النار ، ولم يقل : بورك فيمن في النار على لغة الذين يقولون : باركك الله . والعرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك

(١) لعل المؤلف لم يحس بمقول القول ، اكتفاء بنص ما قبله ، لموافقة إياه لفظا ومعنى . وقد تكرر منه ذلك في مواضع .

وقوله (وَمَنْ حَوَّلَهَا) يقول : ومن حول النار . وقيل : عني بمن حولها : الملائكة .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ حَوَّلَهَا) قال : يعني الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الحسن ، مثله .
وقال آخرون : هو موسى والملائكة .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا مكي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ حَوَّلَهَا) قال موسى النبي والملائكة ، ثم قال (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) .
وقوله (وَسُبُّحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وتنزيها لله رب العالمين ، مما يصفه به الظالمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الرَّسُلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى (إنه أنا الله العزيز) في نعمته من أعدائه (الحكيم) في تدبيره في خلقه ، والهاء التي في قوله (إنه) هاء عماد ، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية . وقال بعض نحوي الكوفة : يقول هي الهاء المجهولة ، ومعناها : أن الأمر والشأن : أنا الله . وقوله (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) في الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ذكر عما حذف ، وهو فألقاها فصارت حية تهتز (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) يقول : كأنها حية عظيمة ، والجنان : جنس من الحيات معروف .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) قال : حين تحولت حية تسعى ، وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله :

يَرْفَعُنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جَنَّانٍ وَهَامَا رُجْفًا
وَعَسَنَقَا بَعْدَ الرَّسِيمِ خَيْطَ طَفَا

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطي وهو حليفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم . يصف إبله وسيرها في الليل . وأسدف : أظلم . والجنان جنس من الحيات ، إذا مشت رفعت رموسها . والهام : جمع هامة . والرجف جمع راجفة أى مضطربة ، لا تهتزها في مشيها ورمعها . والعنق : ضرب من السير السريع . والرسيم سير خفيف . والخيطف : السريع . ويروى : خطفا وهذا لقب حليفة جد جرير : الخطي ، لحيى اللفظة في شعره . وفي (اللسان : خطف) : والخيطف والخيطن : سرعة انجذاب السير ، كأنه

وقوله (وَلِي مُدَبِّرًا) يقول تعالى ذكره : ولي موسى هاربا خوفا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يرجع من قوتهم : عقب فلان : إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، قال : لم يلتفت .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال : لم يرجع (يَا مُوسَى) قال : لما أتى العصا صارت حية ، فرعب منها وجزع ، فقال الله (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) قال : فلم يرعو لذلك ، قال : فقال الله له (أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) قال : فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) قال : فالتفت فإذا هي عصا كما كانت ، فرجع فأخذها ، ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها .
وقوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) يقول تعالى ذكره : فناداه ربه : يا موسى لا تخف من هذه الحية ، إني لا يخاف لدى المرسلون : يقول : إني لا يخاف عندي رسل وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة ، إلا من ظلم منهم ، فعمل بغير الذي أُذن له في العمل به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله الفزاري ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر .
عن الحسن ، قال : قوله (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) قال : إني إنما أخفكتك لقتلك النفس ، قال : وقال الحسن : كانت الأنبياء تذنّب فتعاقب .

واختلف أهل العربية في وجه دخول إلا في هذا الموضع ، وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) بقوله (فَلِإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله ، وذلك أن يكون ما بعده إن كان ما قبله متفيا مثبتا كقوله : ما قام إلا زيد ، فزيد مثبت

— يختلف في سيره عنقه ، أي يمتدبه . ويمل خيطف : أي سريع المر . ويقال : عنق خيطف وخطف ، قال جده جرير :
« وعنقاهد الرسيم خيطفا » وقيل : هو مأخوذ من الخطف ، وهو الخلس . ويمل خيطف : سيره كذلك أي سريع المر .

له القيام ، لأنه مستثنى مما قبل إلا ، وما قبل إلا منى عنه القيام ، وأن يكون ما بعده إن كان ما قبله مثبتا منفيًا كقولهم : قام القوم إلا زيدا ؛ فزيد منى عنه القيام ؛ ومعناه : إن زيدا لم يقم ، والقوم مثبت لهم القيام ، وإلا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة ، وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخلت إلا في هذا الموضع ، لأن إلا تدخل في مثل هذا الكلام ، كمثل قول العرب : ما اشتكى إلا خيرا ؛ فام يجعل قوله : إلا خيرا على الشكوى ، ولكنه علم أنه إذا قال : ما أشتكى شيئا أنه يذكر عن نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا .

وقال بعض نحويي الكوفة : يقول القائل : كيف صبر خائفا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول لك : في هذه الآية وجهان : أحدهما أن يقول : إن الرسل معصومة مغفورها آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه . والآخر : أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة ، لأن المعنى : لا يخاف لدى المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ، ثم استثنى فقال (إلا من ظلم ثم بدّل حسنا) يقول : كان مشركا ، فتاب من الشرك ، وعمل حسنا ، فذلك مغفور له ، وليس يخاف . قال : وقد قال بعض النحويين : إن إلا في اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لا يخاف لدى المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا ، قال : وجعوا مثله كقول الله (لِشَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : ولم أجد العربية تحتل ما قالوا ، لأنني لأجيز قام الناس إلا عبد الله ، وعبد الله قائم ؛ إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء التي قبل إلا ، وقد أراه جائزا أن يقول : لي عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا في هذا الموضع صاحت ، وكانت إلا في تأويل ما قالوا ، فأما مجردة قد استثنى قايها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى إلا بمعنى الواو ، وليست بها قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) هو في المعنى ، والذي شاء ربك من الزيادة ، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو ، ولكن بمنزلة سوى ؛ فإذا كانت «سوى» في موضع «إلا» صاحت بمعنى الواو ، لأنك تقول : عندي مال كثير سوى هذا : أي وهذا عندي ، كأنك قلت : عندي مال كثير وهذا أيضا عندي ، وهو في سوى أبعد منه في إلا ، لأنك تقول : عندي سوى هذا ، ولا تقول : عندي إلا هذا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في قوله (إلا من ظلم ثم بدّل) عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية ، بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جرير ومن قال قولهما ، وهو أن قوله (إلا من ظلم) استثناء صحيح من قوله (لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم) منهم فأتى ذنبا ، فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهما قوله قال : إني إنما أخفئك لقتلك النفس .

فإن قال قائل : فما وجه قياه إن كان قوله (إلا من ظلم) استثناء صحيحا ، ونحارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، وكيف يكون بخائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة ؟ قيل : إن قوله (ثم)

بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ (كَلَامٌ آخِرٌ بَعْدَ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ تَنَاهَى الْخَبْرُ عَنِ الرُّسُلِ مِنْ ظَلَمَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يَظْلَمْ عِنْدَ قَوْلِهِ (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبْرُ عَنْ ظَلَمَ مِنَ الرُّسُلِ ، وَسَائِرُ النَّاسِ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ : فَنَ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي لَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَعَلَامَ تَعْطِفُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ بِثُمَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ (ظَلَمَ) قِيلَ : عَلَى مَتْرُوكِ اسْتَعْنَى بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) عَلَيْهِ عَنْ إِظْهَارِهِ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَى قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ نَظِيرُهُ ، وَهُوَ فَنَ ظَلَمَ مِنَ الْخَلْقِ . وَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَقَدْ قَالُوا عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِيَّةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ أَغْفَلُوا مَعْنَى الْكَلِمَةِ وَحَمَلُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا مِنَ التَّأْوِيلِ . وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ التَّأْوِيلِ ، وَيَأْتِمَسُّ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ لِلْإِعْرَابِ فِي الصَّحِيحَةِ مَخْرَجٌ لِأَعْلَى إِحَالَةِ الْكَلِمَةِ عَنْ مَعْنَاهَا ، وَوَجْهِهَا الصَّحِيحُ مِنَ التَّأْوِيلِ .

وَقَوْلُهُ (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَنَ أَنَّى ظَلَمْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَرَكِبْنَا مَأْتَمًا ، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا ، يَقُولُ : ثُمَّ تَابَ مِنْ ظَلَمِهِ ، ذَلِكَ وَرَكُوبُهُ الْمَأْتَمِ ، (فَإِنِّي غَفُورٌ) يَقُولُ : فَإِنِّي سَاتِرٌ عَلَى ذَنْبِهِ وَظَلَمِهِ ذَلِكَ بِغَفْوَى عَنْهُ ، وَتَرَكَّ عَقْرِبَتَهُ عَلَيْهِ (رَحِيمٌ) بِهِ أَنْ أَعَاقِبَهُ بَعْدَ تَبْدِيلِهِ الْحَسَنَ بِضَدِّهِ . وَبَنَحُو الَّذِي قَامَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَوْلِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ) ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِ إِسَاءَتِهِ (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تَشِيعٍ إِلَيْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِهِ لَنَبِيِّهِ مُوسَى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَمْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ كَفَّهُ فِي جَيْبِهِ ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ فِي جَيْبِهِ ، لِأَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَمْ يَكُنْ لَهَا كُمٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ كَمَاهَا إِلَى بَعْضِ يَدِهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَوْلِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) قَالَ : الْكَفُّ فَقَطْ فِي جَيْبِكَ ، قَالَ : كَانَتْ مِدْرَعَةٌ إِلَى بَعْضِ يَدِهِ ، وَلَوْ كَانَ لَهَا كُمٌ أَمْرُهُ أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ فِي كَمِهِ .

قال : ثنى حجاج ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود إن موسى أتى فرعون حين أتاه في ذُرِّ مائقة ، يعني جبة صوف .

وقوله (تَخْرُجُ بَيْضَاءَ) يقول : تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من (غير سوء) يقول : من غير برص في تسع آيات ، يقول تعالى ذكره : أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهن إلى فرعون ، وترك ذكر مرسل للدلالة قوله (إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) على أن ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ خِيفَةً فِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ^١

ومعنى الكلام : رأيتني مقبلا بحبلها ، فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين ، معناه في ذلك إذ قال : رأيتني بحبلها ، ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة :

والآيات التسع : هن الآيات التي بيناهن فيما مضى .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) قال : هي التي ذكر الله في القرآن : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطفوفان ، والدم ، والحجر ، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم .

وقوله (لَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين ، يعني كافرين بالله ، وقد بينا معنى الفسق فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ وَخَذُوا بِهَاوَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا ، يعني أدلتنا وجمعنا ، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل . وقوله (مُبْصِرَةً) يقول : يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا

(١) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد في الجزء (٤ : ٤٩) وهو لحيد بن ثور الهلال . وانظره في (اللسان : حبل) وفرق . وفي الأساس (روح) . وفي معاني القرآن للفراء (الورقة ٢٣٢) قال الفراء : أراد رأيتني أقبلت بحبلها : بحبل الناقة ، فأضر فعلا ، كأنه قال : رأيتني مقبلا .

مُبْصِرَةً) قال : بينة (قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ، يقول : قال : فرعون وقومه : هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين ، يقول : يبين للناظرين له أنه سحر .

وقوله (وَجَحَدُوا بِهَا) يقول : وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَجَحَدُوا بِهَا) قال : الجحود : التكذيب بها . وقوله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقينا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبيينهم الحق ، ومعرفتهم به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) قال : يقينهم في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا) قال : استيقنوا أن الآيات من الله حق ، فلم يجحدوا بها ؟ قال : ظلما وعلوا .

وقوله (ظُلُمًا وَعُلُوًّا) يعني بالظلم : الاعتداء ، والعلو : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (ظُلُمًا وَعُلُوًّا) قال : تعظما واستكبارا ، ومعنى ذلك : وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا ، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم ، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم . وقوله (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة ، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم ، وأعقبهم ما فعلوا ، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون ، وزرع ومقام كريم ، إلى هلاك في العاجل بالغرق ، وفي الآجل إلى عذاب دائم ، لا يفر عنهم ، وهم فيه مبلسون . يقول : وكذلك يا محمد سنهي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) وذلك علم كلام الطير والدواب ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)

يقول جل ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنَّمَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ) أباه (دَاوُودَ) العلم الذي كان آتاه الله في حياته ، والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه ، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنَّمَنْطِقَ الطَّيْرِ) يقول : وقال سليمان لقومه : يا أيها الناس علمنا منطق الطير ، يعني فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنَّمَنْطِقَ الطَّيْرِ) قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ : خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مئة صريخة ، وسبع مئة سرية ، فأمر الريح العاصف فرفعه ، وأمر الرضاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته . وقوله (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) يقول : إن هذا الذي أوتينا من الخيرات هو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين ، يقول : الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون . واختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : جعل على كل صنف من يرد أولاهها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما تصنع الملوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَحُشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يردّ أولهم على آخرهم . وقال آخرون : معنى ذلك : فهم يساقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحُشِيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يوزعون : يساقون . وقال آخرون : بل معناه : فهم يتقدمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، قال : قال الحسن (يُوزَعُونَ) يتقدمون . قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : يردّ أولهم على آخرهم ، وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكاف ، يقال منه : وزع فلان فلانا عن الظلم : إذا كفه عنه ، كما قال الشاعر :
أَلَمْ يَزَعْ هَمْوَى إِذْ كَمْ يَسْوَاتِ بَيْلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الْفَتَاةِ^١
وقال آخر :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ^٢

ولمّا قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعة : لكفهم إياهم عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ۖ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (حتى إذا أتوا على وادى النمل) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) يقول : لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل يقال له الحكم ، عن عوف ، في قوله (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ) قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب .

(١) الوزع : كف النفس عن هواها . وزعه وبه يزع (بفتح الزاى وكسر ها) وزعا : كفه ويؤات : يوافق . قال في اللسان : واتاه على الأمر : طاعه . والمؤاتاة : حسن المطاوعة . وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة : إذا وافقته وطاعته . والعامة تقول : وآتية . ولا تقل وآتيته إلا في لغة أهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت . وإنما جعلوها واوا على تخفيف الهمزة .

(٢) البيت للناطقة الذبياني من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر (مختار الشعر الجاهل : بشرح مصطلح السقا ، طبعة الحلبي ١٥٦ وما بعدها) قال : صفا : أفاق . والوازع : الكاف الزاجر عن اللهو . والصبا : الصبوة ، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من العليش واللهو .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت ، وقال (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يعني بقوله (أَوْزِعْنِي) ألهمني وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) يقول : اجعلني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله الله (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) قال في كلام العرب ، تقول : أوزع فلان بفلان ، يقول : حرص عليه . وقال ابن زيد (أَوْزِعْنِي) ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي . وقوله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول : وأوزعني أن أعمل بطاعتك وماترضاه (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين ، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبهم لوحيك ، يقول : أدخلني من الجنة مداخلهم . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) قال : مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَتْرَكَانِ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٢﴾ لَا عَذَابَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَفْوَلاً أَدْبَحْتَهُمْ
أَوَّلِيَّاتِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره (وَتَفَقَّدَ) سليمان (الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ، ما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران عن أبي مجاز ، قال : جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدهد : لم تفقده سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسير له ، فلم يدر ما بُعِدَ الماء ، فقال : من يعلم بُعِدَ الماء ؟ قالوا : الهدهد ، فذاك حين تفقده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود يوضع له ست مئة كرسي ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتظلمهم ، ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فبينما هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض ، قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فيصيب موضع الماء ، قال : ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ، قال : ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق قف يا وقاف ، رأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض ، فيصيب الماء كيف يبصر هذا ، ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه ، قال : فقال له ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير . وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد ، فقال : مالي لأرى الهدهد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أول ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد فسأل الإنس عن مائه ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن ، فدعا الجن فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير ، فدعا الطير فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد ، فلم يجده ، قال : فذاك أول ما فقد الهدهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لَأَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) قال : تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدلّه على الماء إذا ركب ، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فن أجل ذلك تفقده ، فقال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل ، فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر ، وحال القدر دون البصر ، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه ، فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره . وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها والله أعلم بأي ذلك كان إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير ، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء .

وقوله (فَتَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَدَّ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) يعني بقوله (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَدَّ) أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَدَّ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) أخطأه بصرى في الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟

وقوله (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) يقول : فلما أخبر سليمان عن الهدد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد ، أقسم (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها أن يلتف ريشها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحماني ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) عذابه : نتفه وتشميسه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه وتشميسه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريش الهدد كله ، فلا يغفو سية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نتف ريشه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَا أَعَدُّ بَنَّهُ عَدَّ أَبَا شَدِيدًا) يقول : نتف ريشه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان أنه حدث أن عذابه الذي كان يعذب به الطير نتف جناحه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قيل لبعض أهل العلم هذا الذبيح ، فما العذاب الشديد ؟ قال : نتف ريشه بتركه بضعة تنزو .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تُعَذِّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نتفه .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبي شدّاد ، قال : نتفه وتشميسه ، أو لأذبحنه ، يقول : أو لأقتلنه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ) يقول : أو لأقتلنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حصّين ، عن عبد الله بن شدّاد : (لَا تُعَذِّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستثن .

وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدّهني ، عن سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان في القرآن فهو حجة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : بيينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ

فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) يقول : بغير بيينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شيء

في القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قباث بن رزين ، أنه سمع

عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، كان للهدهد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال

بعذر بّين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه

(أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي بحجة عذر له في غيبته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله

(أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول بيينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ

سُلْطَانٍ) بغير بيينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ

مُّبِينٍ) قال : بعذر أعذره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمي (ويقال : التجيبي) . وقباث : اسم عربي .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ ۝١١

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ) فكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدد ، حتى جاء الهدد .

واختلف القراء في قراءة قوله (فَكَتَّ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم (فَكَتَّ) بضم الكاف ، وقرأه عاصم بفتحها ، وكاتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إلى ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول : فقال الهدد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدد ، فقال له سليمان : ما خلفك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به . وقوله (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ) يقول : وجئتك من سبأ بنخريقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ) : أى أدركت ملكا لم يباغحه ملكك .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء . المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَإٍ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة أو لامرأة .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، فالإجراء في سبأ ، وغير الإجراء صواب ، لأن سبأ إن كان رجلا كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجرى ، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر ، كما قال الشاعر في إجرائه :
الْوَارِدُونَ وَتَمِيمٌ فِي ذَرَا سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ١

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حدثت عن القراء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدري ما هو ، فكان أبا عمرو ترك إجرائه ، إذ لم يدر ما هو ، كما تفعل العرب بالأسماء البهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه في (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد القراء في معاني القرآن (الورقة ١٧٢) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث . وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبي القبيلة ، فهو مذكر مجرى .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : نفيه .
حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبي شدّاد ، قال : نفيه وتشميسه ، أو لأذبحه ، يقول : أو لأقتلنه .
كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ) يقول : أو لأقتلنه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حصّين ، عن عبد الله بن شدّاد : (لَا تُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستثن .
وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدّهّقي ، عن سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان في القرآن فهو حجة .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : بينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) يقول : بغير بينة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شيء في القرآن سلطان ، فهو حجة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قباث بن رزين ، أنه سمع عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، كان للهدد سلطان .
حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال بعذر بّين .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي بحجة عذر له في غيبته .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول بينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) بغير بينة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال : بعذر أعذره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمي (ويقال : التجيبي) . وقباث : اسم عربي .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ ۝٢٢

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ) فكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدد ، حتى جاء الهدد .

واختلف القراء في قراءة قوله (فَكَتَّ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم (فَكَتَّ) بضم الكاف ، وقراه عاصم بفتحها ، وكاتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إلى ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) يقول : فقال الهدد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ) ثم جاء الهدد ، فقال له سليمان : ما خلّفك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به . وقوله (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ) يقول : وجئتك من سبأ بنخريقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنَاتٍ يَمِينٍ) : أى أدركت ملكا لم يباغى ملكك .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنْ سَبَإٍ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (مِنْ سَبَإٍ) بالإجراء . المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقراه بعض قراء أهل مكة والبصرة (مِنْ سَبَإٍ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة أو لامرأة .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، فالإجراء في سبأ ، وغير الإجراء صواب ، لأن سبأ إن كان رجلا كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجرى ، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر ، كما قال الشاعر في إجرائه :

النَّوَارِدُونَ وَتَمِيمٌ فِي ذَرَا سَبِيلٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَحَوَامِيسِ ۱

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حدثت عن القراء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدري ما هو ، فكان أبا عمرو ترك إجرائه ، إذ لم يدر ما هو ، كما تفعل العرب بالأسماء البهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه في (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد القراء في معاني القرآن (الورقة ١٧٢) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث . وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبي القبيلة ، فهو مذكور مجرى .

التي لا تعرفها من ترك الإجراء ، حكى عن بعضهم : هذا أبو معروف قد جاء ، فترك إجراءه إذ لم يعرفه في أسمائهم ، وإن كان سبأ جبلاً ، أجرى لأنه يُراد به الجبل بعينه ، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهُمْ بَاقِيَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذِ اعْتَزَلْتُمْ عَنْهُمْ لِيَمُوتَ عَنْهُمْ وَاللَّهُ جَلِيلٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن قبل المدهد لسليمان مخبراً بعنبره في مغيبه عنه (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) يعني تملك سبأ ، وإنما صار هذا الخبر للمدهد عنده عند سليمان ، درأ به عنه ما كان أُوعد به ، لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه ، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً حبيباً إليه الجهاد والغزو ، فلما دله المدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره ، وقوم كثره يعبدون غير الله ، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل ، والثواب العظيم في الآجل ، وضمَّ مملكة لغيره إلى ملكه ، حقَّت للمدهد المَعذرة ، وصحَّت له الحجة في مغيبه عن سليمان .

وقوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي عبيدة الباجي ، عن الحسن ، قوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعني : من كل أمر الدنيا .
وقوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول : ولها كرسي عظيم . وعُني بالعظيم في هذا الموضع : العظيم في قدره ، وعظم خطره ، لاعظمه في الكبر والسعة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال : سرير كريم ، قال : حسن الصنعة ، وعرشها : سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

قال : ثني حجاج ، عن أبي عبيدة الباجي ، عن الحسن ، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) : يعني سرير

عظيم .

وقوله (وَجَعَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله . وقوله (وَزَيْنَ كَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَاءٌ لَهُمْ) يقول : وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وسجودهم لها من دون الله ، وحسب ذلك لإيهم (فَصَدَّاهُمْ عَنْ السَّبِيلِ) يقول : فنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدهم عن سبيل الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) يقول : فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۖ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾

اختلفت القراء ، في قراءة قوله (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين (أَلَا) بالتخفيف ، بمعنى : ألا يهؤلاء اسجدوا ، فأضمر وا هؤلاء اكتفاء بدلالة « يا » عليها . وذكر بعضهم سماعا من العرب : ألا يا أرحمنا ، ألا يا تصدق علينا ، واستشهد أيضا ببيت الأخطل :

أَلَا يَا اسْلَمَى يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَاتَنَا عِدَا آخِرِ الدَّهْرِ

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله « ألا » في الإعراب . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة (أَلَا يَسْجُدُوا) بتشديد ألا ، بمعنى : وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله « ألا » في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، ويسجدوا في موضع نصب بأن .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنيهما .

واختلف أهل العربية في وجه دخول « يا » في قراءة من قرأه على وجه الأمر ، فقال بعض نحوي البصرة من قرأ ذلك كذلك ، فكأنه جعله أمرا ، كأنه قال لهم : اسجدوا ، وزاد « يا » بينهما التي تكون للتنبيه ، ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا ، وأذهبت الألف التي في « يا » لأنها ساكنة لقيت السين ، فصار

(١) البيت : نسه في (اللسان : عدا) إلى الأخطل التغلبي الشاعر الأموي . قال : وقد جاء في الشعر العدى بمعنى الأعداء . وقال ابن الأعرابي في قول الأخطل : « ألا يا اسلمى » . . . البيت : العدى : التباعد . وقوم عدى : إذا كانوا متباعدين لا أرحام بينهم ولا سلف . وقوم عدى : إذا كانوا حربا . وقد روى البيت بالكسر والضم ، مثل سوى وسوى . الأصمى : يقال : هؤلاء قوم عدى ، مقصور ، يكون للأعداء وللغرباء . ولا يقال : قوم عدى ولا يقال : قوم عدى (بضم العين) إلا أن تدخل الماء ، فتقول : عداة ، في وزن قضاة . قال أبو زيد : طالت عداؤهم ، أي تباعدتهم وتفرقتهم . وشاهد المؤلف في هذا البيت : أن حرف النداء يا ، داخل على منادى محذوف . تقديره ألا ياهله اسلمى . وهو نظير قول الله عز وجل : « ألا يا اسجدوا » تقديره : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فأضمر هؤلاء ، اكتفاء بدلالة « يا » عليها .

ألا يسجدوا . وقال بعض نحوي الكوفة : هذه « يا » التي تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم ، ويكتفى بالاسم منها ، فتقول : يا أقبل ، وزيد أقبل ، وما سقط من السواكن فعلى هذا .
ويعنى بقوله (يُخْرِجُ الْخَبْءَ) يخرج الخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ، ونبات في الأرض ونحو ذلك .

وبالذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عبارتهم عنه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جرير ، قراءة عن مجاهد (يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ) قال : الغيث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُخْرِجُ الْخَبْءَ) قال : الغيث .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : نخب السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق ، والمطر من السماء ، والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر ، هذه ولا تنبت هذه ، ففتق السماء ، وأنزل منها المطر ، وأخرج النبات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم ابن جابر ، في قوله (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ويعلم كل خفية في السموات والأرض .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أسامة بن زيد ، عن معاذ بن عبد الله ، قال : رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب : هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر ، قال : سمعت كعبا يقول : البذر ينزل من السماء ويخرج من الأرض ، قال : صدقت .

قال أبو جعفر : إنما هو تبيح ، ولكن هكذا قال محمد . وقيل : يخرج الخبء في السموات والأرض ، لأن العرب تضع «مين» مكان «في» وفي مكان من في الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول : ويعلم السر من أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلازمة منها ، وذلك على قراءة من قرأ أَلَّا بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه : ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله : ألا يا هؤلاء اسجدوا . وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي (أَلَّا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سُرَّتْكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ) .

وقوله (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو ، لا معبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا

به شيئا (رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) يعنى بذلك : مالك العرش العظيم الذى كل عرش ، وإن عظم فدونه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِيطْ بِهِ) إلى قوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) هذا كله كلام الهدد .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره (قَالَ) سليمان للهدد (سَنَنْظُرُ) فيما اعتذرت به من العذر ، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا ، وفيما جئتنا به من الخبر (أَصَدَقْتَ) فى ذلك كله (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فيه (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ) ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ .

فاختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : اذهب بكتابي هذا ، فألقه إليهم ، فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم منصرفا إلى ، فقال : هو من المؤخر الذى معناه التقديم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : فأجابه سليمان ، يعنى أجاب الهدد لما فرغ (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) وانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم منصرفا إلى ، وقال : وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء الهدد حتى وقع فيها فسدّها ، واستبطأت الشمس ، فقامت تنظر ، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه ، وطار حتى قامت تنظر الشمس .

قال أبو جعفر : فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدد تولى إلى سليمان راجعا ، بعد إلقائه الكتاب ، وأن نظره إلى المرأة ما الذى ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، ثم تول عنهم ، فكن قريبا منهم ، وانظر ماذا يرجعون ؛ قالوا : وفعل الهدد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكها ، وقولها لهم : (إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قوله (فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ : أى كن قريبا (فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) . وهذا القول أشبه

بتأويل الآية ، لأن مراجعة المرأة قومها ، كانت بعد أن أتى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان :

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها ، فألقاه إليها ؛ فلما قرأته قالت لقومها (يا أيُّها الملأُ) إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كتب ، يعني سليمان بن داود مع الهدهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن داود ، إلى بلقيس بنت ذى سرح وقومها ، أما بعد : فلا تعلو عليّ وأتوني مسلمين ، قال : فأخذ الهدهد الكتاب برجله ، فانطلق به حتى أتاه ، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فأتى الهدهد الكوة فسدّها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ، ثم أتى الكتاب من الكوة ، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه ، فأخذته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أنها امرأة يقال لها بلقيس ، أحسبه قال : ابنة شراحيل ، أحد أبويها من الجن ، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة ، وكانت في بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثني عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف ، وكانت بأرض يقال لها مأرب ، من صنعاء على ثلاثة أيام ؛ فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود ، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد ، فجاء الهدهد وقد غلقت الأبواب ، وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها ، فجاء الهدهد فدخل من كوة ، فألقى الصحيفة عليها ، فقرأتها ، فإذا فيها : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ) وكذلك كانت تكتب الأنبياء لا تنطب ، إنما تكتب جملاً .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه :

إِنَّهُ وَإِنَّهُ :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ) فضى الهدهد بالكتاب ، حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها أتى إليها الكتاب :

وقوله (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) والمالء: أشراف قومها ، يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المالءُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) .

واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم : وصفته بذلك لأنه كان مختموماً ؛ وقال آخرون : وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكريم لكرم صاحبه . ومن قال ذلك ابن زيد . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) قال : هو كتاب سليمان حيث كتب إليها .

وقوله (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) كُسِّرَتْ إِنْ أَوَّلَى والثانية على الردّ على إني من قوله (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) . ومعنى الكلام : قالت : يا أيُّها المالءُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ ، وإنه من سليمان .

وقوله (أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : أَلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ . ففي أَنْ وجهان من العربية : إن جعلت بدلاً من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب بدلاً منه ؛ وإن جعل معنى الكلام : إني أَلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَىَّ كانت نصبا بتعلق الكتاب بها . وعنى بقوله (أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَىَّ) : أَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا وَلَا تَتَعَاطَمُوا عَمَّا دَعَوْتَكُمْ إِلَيْهِ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَىَّ) : أَنْ لَا تَمْتَنَعُوا مِنَ الَّذِي دَعَوْتَكُمْ إِلَيْهِ إِنْ امْتَنَعْتُمْ جَاهِدْتَكُمْ ، فقالت لابن زيد (أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَىَّ) أَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا عَلَىَّ ، قال : نعم ؛ قال : وقال ابن زيد (أَنْ لَا تَعْمَلُوا عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) ذلك في كتاب سايمان إليها . وقوله (وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول : وَأَقْبِلُوا إِلَىَّ مَذْعِنِينَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٦﴾ قَالُوا نَحْنُ أَفْوَاقٌ وَأَفْلُحُوا بِأَنفُسِكُمْ شِدِيدًا وَلِأَمْرِ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشراف قومها (يا أيُّها المالءُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) تقول : أشيروا عليَّ في أَمْرِي الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي أَلْقِيَ إِلَيَّ ، فجعلت المشورة فتياً . وقوله (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) تقول : ما كنت قاضية أَمْرًا في ذلك حتى تشهدون ، فأشاوركم فيه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : دعت قومها تشاورهم (أيُّها المالءُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (يقول في الكلام : ما كنت لأقطع أَمْرًا دونك ولا كنت لأقضي أَمْرًا ، فلذلك قالت (مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) بمعنى : قاضية .

وقوله (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، ففكرنا نأتمر لأمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، والأمر إليك بعد هذا، فانظري ماذا تأمرين. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول^١، مع كل قبول^١ مئة ألف. حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان مع بلقيس مئة ألف قبيل، مع كل قبيل مئة ألف. قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، قال: سمعت مجاهدا يقول: كانت تحت يد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول، والقبول^١ بلسانهم: الملك تحت يد كل ملك مئة ألف مقاتل.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك (إن الملوك إذا دخلوا قرية^٢ أفسدوها) يقول: خربوها (وجعلوا أعزة^٣ أهلها أذلة^٤) وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم، وتناهي الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع، فقال الله (وكذلك يفعلون) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية^٢ أفسدوها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، في قوله (وجعلوا أعزة^٣ أهلها أذلة^٤) قال أبو بكر: هذا عنوة.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس، في قوله (إن الملوك إذا دخلوا قرية^٢ أفسدوها) قال: إذا دخلوها عنوة خربوها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس (قالت

(١) القيل، بفتح فسكون: الملك الصغير في اليمن، وجمعه أقيال وقبول. وأما القبول، ولعله بفتح القاف، للملك الواحد، فلم أجده بالمعجم، ولعله لفظ عام عند اليمن.

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَمَعُوا أَهْلَهَا أَذِلَّةً (قال ابن عباس : يقول الله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَرْسِلْهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِّدُّونِي بِمَالٍ فَإِنَّهُ كَانَ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُلُودٍ لَا قَبْلَ لَهَا بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧﴾

✽ ذكر أنها قالت : إني مرسله إلى سليمان ، لتختبره بذلك وتعرفه به ، أملك هو ، أم نبي ؟ وقالت : إن يكن نبيا لم يقبل الهدية ، ولم يرضه منا ، إلا أن نتبعه على دينه ، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قالت (وَلَا تَرْسِلْهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم رد الهدية فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ، ونتبع دينه ، ونلحق به .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (وَلَا تَرْسِلْهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : بجوار لباسهم لباس الغلمان ، وغلمان لباسهم لباس الجوارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قولها (وَلَا تَرْسِلْهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : مثني غلام ومثني جارية . قال ابن جريج ، قال مجاهد : قوله (بِهَدِيَّةٍ) قال : جوار ألبستهم لباس الغلمان ، وغلمان ألبستهم لباس الجوارى .

قال ابن جريج ، قال : قالت : فإن نخلص الجوارى من الغلمان ، ورد الهدية فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نتبعه .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : فخلص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديتها .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن ثابت البثاني ، قال : أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج ، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فوثقوا له الآجر بالذهب ، ثم أمر به فألقى في الطرق ؛ فلما جاءوا فرأوه ملقى ما يلفت إليه ، صغر في أعينهم ما جاءوا به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا

قَرِيْبَةً أَفْسَدُوهَا) . . . الآية ، وقالت : إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسُـرْضِيهِ ، وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبلَ غيره (وَلَا تَنِي مُرْسِلَاتُهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرَةٌ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : سمعت بانقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك ، لم تملك إلا لبقايا من مضي من أهلها ، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية ؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبليها ، فبعثت إلى المتقاول من أهل اليمن ، فقالت لهم (يا أيُّها الملأُ إِنِّي أُكْفِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) إلى قوله (يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ثم قالت : إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبلي ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلًا فلا طاقة لنا به ولا قوة ، وإن يكن الرجل ملكا يكثر ، فليس بأعزَّ منا ، ولا أعدُّ ، فهيأت هدايا مما يُهدى للملوك ، مما يُفتنون به ، فقالت : إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال ، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه في دينه وننبتعه على أمره ، أو كما قالت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَنِي مُرْسِلَاتُهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء ، لباسهم لباس واحد ، فقالت : إن زبيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردَّ الهدية فهو نبي ، وينبغي لنا أن نتبعه ، وندخل في دينه ، فزبيل سليمان بين الغلمان والحواري ، وردَّ الهدية ، فقال (أُتِمِدُّونَ سِنِينَ بِمَالٍ ، فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ) حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم ، ليميز الغلمان من الحواري ، قال : فدعا بماء ، فجعل الحواري يتوضأون من المرفق إلى أسفل ، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق . قال : وكان أبي يحدثنا هذا الحديث .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (وَلَا تَنِي مُرْسِلَاتُهُ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : أرسلت بلينة من ذهب ، وقالت : إن كان يريد الدنيا علمته ، وإن كان يريد الآخرة علمته .

وقوله (فَنَظَرَةٌ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) تقول : فأَنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي ، أقبول وانصراف عنا ، أم بردَّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه ؟ وأسقطت الألف من « ما » في قوله (يَمَّ) وأصله : بما ، لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى : أي ، ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره ، كما قال جل ثناؤه (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) (وَقَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ) ، وربما أثبتوا فيها الألف ، كما قال الشاعر :

عَلَامًا قَامَ يَشْتُمُنِي لَشِيمٌ كَمَخِيزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي تُرَابٍ

(١) البيت لحسان بن ثابت وهو من شواهد كتاب « المغني لابن هشام : « ما » وفي قافيته روايتان أخريان : (في دمان ، في رماد) . قال ابن هشام : ويجب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، نحو : فيم ، وإلام ، وعلام ، ويم =

وقلت (وإِني مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ) وإنما أرسلت إلى سليمان وحده على النحو الذى بيّنا فى قوله (على خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) ، وقوله (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) .
 ﴿١٠﴾ إن قال قائل : وكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ) فجعل الخبر فى مجيء سليمان عن واحد ، وقد قال قبل ذلك (فَمَنَظِرَةٌ لِّمَن يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) فإن كان الرسول كان واحدا ، فكيف قيل (لِّمَن يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) وإن كانوا جماعة فكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ) قيل هذا نظير ما قد بيّنا قبل من إظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر ، عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه ، يُشار إليه بعينه ، فسمى فى الخبر . وقد قيل : إن الرسول الذى وجهته مائة سبأ إلى سليمان كان أمرا واحدا ، فلذلك قال (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ) يُراد به : فلما جاء الرسول سليمان ، واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول (ارجع إليهم) وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ، فلما جاءوا سليمان على الجمع ، وذلك للفظ قوله (لِّمَن يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى .
 وقوله (قال أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) يقول : قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها : أتمدونن بمال واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة (أَتُمِدُّونَنِ) بنونين ، وإثبات الياء . وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك ، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الأخيرة . وقرأه بعض قراء البصرة بنونين ، وإثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف . وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون وإثبات الياء . وكل هذه القراءات متقاربات وجوبها صواب ، لأنها معروفة فى لغات العرب ، مشهورة فى منطقتها .
 وقوله (فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم) يقول : فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يقول : ما أفرح بهديتكم التى أهديتم إلى ، بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدي إليكم ، لأنكم أهل ملاخنة بالدنيا ، ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتى ، لأن الله تعالى ذكره قد مكنتني منها وملكتني فيها ما لم يملك أحد (ارجع إليهم) وهذا قول سليمان لرسول المرأة (ارجع إليهم) فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لَهُمْ يَجْؤُودُ لِاقْبَلْ لَهُمْ) لاطاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوصفاء ، والخيل العرب ، وأصناف من أصناف الدنيا ، قال للرسول

« وعلة حذف الألف : الفرق بين الاستفهام والخبر ، فلهذا حذفت فى نحو - فم أنت من ذكرها ؟ فمناظرة لِمَ يرجع المرسلون - لم تقولون ما لا تفعلون ؟ - وأما قراءة عكرمة وعيسى : عما يتساءلون ؟ فتأدر . وأما قول حسان : « على ما قام » . . . البيت ، فضرورة واللسان كالرماد : وزنا ومعنى . ويروى : فى رماد ؟ فلذلك رجحته على تفسير ابن الشجرى له بالسرجين . ومثله قول الآخر :

إنا قتلنا بفتلانا سرائكم أهل اللواء فقيما يكثر القيل

وهذا يتضمن معنى قول المؤلف فى هذا الشاهد .

الذين جاءوا به (أُمِّدُونَنِي بِمَا لِي ، فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ) لأنه لا حاجة لي بهديتكم ، وليس رأيي فيه كرايكم ، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها ، (فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ بِمُجْنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ مِنْهَا) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ بِمُجْنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ مِنْهَا) قال : لاطاقة لهم بها .
وقوله (وَلَمَّا خُرِجَتْهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ) يقول : ولما خرجت من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَلَمَّا خُرِجَتْهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، أو لتأتيني مسلمة هي وقومها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ اتِّبَعْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ اتِّبَعْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾

اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي) فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنياً صاحبه سبأ ، وقال له (جئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم (سَتَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فكان اختباراً صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء : أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين . وقالوا : إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صبح عنده صدق الهدهد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدهد ، قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري ، هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة قبل مجيئها عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له (سَتَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) معنى ، لأنه لا يسلم بخبره الثاني من إياها الكتاب ، أو ترك لإبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأول حين قال له (جئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان

محالا أن يقول نبي الله قولا لا معنى له وقد قال (سَدَّ نَظْرُ أَصْدَقْتِ أَمْ كُنْتِ مِنَ الْكَاذِبِينَ) علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن سليمان أوتي ملكا ، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره ؛ فلما فقد الهدهد سأل : من أين جئت ؟ ووعدته وعيدا شديدا بالقتل والعذاب ، قال (جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) قال له سليمان : ما هذا النبأ ؟ قال الهدهد : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً) بسبأ (تَمْلِكُهُمْ) ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا ، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره . فقال لمن عنده من الجن والإنس (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) قال عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلْتِيهِ لَقَوِي أَمِينٌ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر ، الذي إذا دعي به أجاب (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) فدعا بالاسم وهو عنده قائم ، فاحتمل العرش احتملا حتى وضع بين يدي سليمان ، والله صنع ذلك ؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون ، يسجدون للشمس والقمر ، أخبره الهدهد بذلك ، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم ، حتى إذا جاء الهدهد الملكة أتى إليها الكتاب (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) . . . إلى (وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقالت لقومها ما قالت (وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِيرَةٍ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا . حتى لا يعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردت الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به ، فرد سليمان الهدية وزيل بينهم ، فقال : هؤلاء غلمان ، هؤلاء جوار وقال (أُتِمِدْ وَتَنِينَ بِمَالٍ ، فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحالك يقول في قوله (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) . . . الآية ؛ قال : وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره ، قال لمن حوله من الجن والإنس (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا) . . . الآية . وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان : قالت : والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة ، وما نصنع

بمكائرتة شيئاً ، وبعثت : إني قادمة عليك بملوك قومي ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها ، الذي كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، وكانت إنما يخدمها النساء ، معها ست مئة امرأة يخدمنها ، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها ، احتفظ بما قبلك ، وبسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ، ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن ، فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده ، فقال (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) .

وتأويل الكلام : قال سليمان لأشراف من حضره من جنده من الجن والإنس (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا) يعني سريرها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا) قال : سرير في أريكة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عرشها سرير في أريكة . قال ابن جريج : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا) : بسريرها .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا) قال : مجلسها .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خص سليمان مسألة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها ، فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدد صفته ، ونخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخبر سليمان الهدد أنها قد خرجت لتأتيه ، وأخبر بعرشها فأعجبه ، كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحمل لهم أموالهم ، فقال للجن (أَيُّكُمْ يَا تَيْيَ بَعَرُشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) .

وقال آخرون : بل فعل ذلك سليمان ليعاتبا به ، ويختبر به عقلها ، هل تثبته إذا رآته ، أم تنكره ؟

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أعلم الله سليمان أنها مستأثية ، فقال :

(أَيْتُكُمْ يَا تَيْبِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) حتى يعاتبها، وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) فقال بعضهم: معناه: قبل أن
يأتوني مستسلمين طوعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) يقول: طائعين .

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج (أَيْتُكُمْ يَا تَيْبِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بحرمة الإسلام فيمنعهم وأموالهم، يعني الإسلام بمنعهم .
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصدواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته .
فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أنه مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة .

وقوله (قَالَ عِصْرِيثٌ مِّنَ الْجِنِّ) يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنّ مارد قوى . وللعرب فيه لغتان: عفرية، وعفرية؛ فمن قال: عفرية، جمعه: عفارى؛ ومن قال: عفرية، جمعه: عفاريت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد (قَالَ عِصْرِيثٌ مِّنَ الْجِنِّ) قال: مارد من الجنّ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ) .
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة وغيره، مثله .
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن بعض أصحابه (قَالَ عِصْرِيثٌ) قال: داهية .

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي قال: العفرية الذي ذكره الله: اسمه كوزن .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، (قَالَ عِيفْرِيتُ) اسمه كوزن .
 وقوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) يقول : أَنَا آتِيكَ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
 مقعدك هذا . وكان فيما ذُكر قاعدا للتضاء بين الناس ، فقال : أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ هذا
 الذي جلست فيه للحكم بين الناس . وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله . قال : وكان يقضي ،
 قال : قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَنَا
 آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) يعني مجلسه .
 وقوله (وَلَآتِي عَمَلِيهِ لَتَتَوَيَّ أَمِينٌ) على ما فيه من الجواهر ، ولا أخون فيه .
 وقد قيل : أمين على فرج المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَآتِي
 عَمَلِيهِ لَتَتَوَيَّ أَمِينٌ) يقول : قوى على حمله ، أمين على فرج هذه .
 قوله (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) يقول جل ثناؤه : قال الذي عنده علم من كتاب الله
 وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم ، فقال بعضهم : اسمه بليخا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عثمة ، قال : ثنا شعبة ، عن بشر ، عن قتادة ، في قوله (قَالَ
 الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) قال : كان اسمه بليخا .
 حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (الَّذِي
 عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) رجل من الإنس .
 حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول
 الله (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ) قال : أَنَا أَنْظِرُ فِي كِتَابِ رَبِّي ، ثُمَّ آتِيكَ
 بِهِ (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض حتى
 نخرج إليهم .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثني حماد بن محمد ، عن عثمان بن مطر ، عن الزهري ، قال : دعا الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء وإلهنا واحدا ، لا إله إلا أنت ، ائتنى بعرشها ، قال : فمثل بين يديه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قال الذي عنده علم من الكتاب) قال : رجل من بني آدم أحسبه قال : من بني إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعى به أجاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الذي عنده علم من الكتاب) قال : الاسم الذي إذا دعى به أجاب ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قال سليمان لمن حوله (أَيُّكُمْ يَا تَبِيَّ بَعَثْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ) فقال عفريت (أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب ، يعني اسم الله الذي إذا دعى به أجاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ) لا آتيك بغيره ، أقول غيره أمثله لك .
قال : وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر ، فلما سمع العفريت (قال أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : ثم دعا باسم من أسماء الله ، فإذا هو يحمل بين عينيه . وقرأ (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي) . . . حتى بلغ (إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رجل من الإنس .
قال : وقال مجاهد : الذي عنده علم من الكتاب : علم اسم الله .
وقال آخرون : الذي عنده علم من الكتاب ، كان آصف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قال عفريت) سليمان (أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ) فزعموا أن سليمان بن داود قال : أبتغي أعجل من هذا ، فقال آصف بن برخيا ، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : (أنا) يا نبي الله (آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)
وقوله (أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مد البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني إبراهيم ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن

جُبَيْر (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى ، فذلك قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال غير قتادة (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك ، قال : ذلك أريد . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، قال : أخبرني أنه قال : ارفع طرفك من حيث يحىء فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن مجاهد ، في قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : مد بصره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مد البصر حتى يرد الطرف خاسئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مد البصر حتى يحسر الطرف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره ، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر ، إذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتد ماضيا إلى أن يتناهى ما امتد نوره . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول : أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا (إِلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه .

وقوله (فَلَمَّا رآه مُسْتَقِيرًا عِنْدَهُ) يقول : فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرا عنده . وفي الكلام متروك استغنى بدلالة مظهر عما ترك ، وهو : فدعا الله ، فأتي به ؛ فلما رآه سليمان مستقرا عنده . وذكر أن العالم دعا الله ، فغار العرش في المكان الذي كان به ، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : ذكروا أن آصيف بن برخيا توضحاً ، ثم ركع ركعتين ، ثم قال : يا نبي الله ، امدد عينك حتى ينتهي طرفك ،

فقد سبَّان عينه ينظر إليه نحو اليمين ، ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه ، ثم نبع بين يدي سليمان (فَلَمَّا رَأَاهُ) سليمان (مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) . . . الآية . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : نبع عرشها من تحت الأرض .

وقوله (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى خُلَّ إلى عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام ، من فضل ربي الذي أفضله عليّ وعطائه الذي جاد به عليّ ، لِيَبْلُوَنِي ، يقول : ليختبرني ويمتحنني ، أشكر ذلك من فعله عليّ ، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له .

وقد قيل : إن معناه : أشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به ، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ) على السرير إذ أتيت به (أم أكفر) إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني ؟ .

وقوله (وَمَنْ شَكَرَ فَلْيُتِمَّ بِشُكْرِهِ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن شكر نعمة الله عليه . وفضله عليه ، وإنما يشكر طلب نفع نفسه ، لأنه ليس بنفع بذلك غير نفسه ، لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه . وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع ، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) يقول : ومن كفر نعمه وإحسانه إليه ، وفضله عليه لنفسه ظلم وحظها بخس ، والله غني عن شكره ، لا حاجة به إليه ، لا يضره كفر من كفر به من خلقه كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال سليمان لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ ، قدمت هي عليه بلحده : غيروا لهذه المرأة سريرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيروا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
 ذلما أتته (قال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : وتنكير العرش ، أنه زيد فيه ونقص .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال : غيره .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) قال :
 مجلسها الذي تجلس فيه .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ،
 في قوله (نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أمرهم أن يزدوا فيه ، وينقصوا منه .
 وقوله (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي) يقول : ننظر أن عقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها (أَمْ تَكُونُ مِنْ
 الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) يقول : من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها .
 وقيل : إن سليمان إنما نكر لها عرشها ، وأمر بالصرح بعمل لها ، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه
 أنه لا عقل لها ، وأن رجلها كحافر حمار ، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك .
 وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال أهل التأويل .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
 (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) قال : زيد في عرشها ونقص منه ، لينظر إلى
 عقلها ، فوجدت ثابتة العقل .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (نَنْظُرُ
 أَتَهْتَدِي) أنعرفه .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثني ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي) قال : تعرفه .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه :
 (أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) : أي أتعدل ، أم تكون من الذين لا يعقلون ؟ ففعل
 ذلك لينظر أنعرفه ، أم لا تعرفه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: (أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟) قالت وشبهته به: (كَأَنَّهُ هُوَ).

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، قال: لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها، ثم قال (أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟) قالت: (كَأَنَّهُ هُوَ).
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟) قالت: (كَأَنَّهُ هُوَ) قول: شبهته، وكانت قد تركته خلفها.
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله، يعني حديث سليمان، وهذه المرأة؛ فلما جاءت (قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ؟) قالت: (كَأَنَّهُ هُوَ) شككت. وقوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان، وقال سليمان: (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) أي هذه المرأة، بالله وبقرته على ما يشاء، (وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) لله من قبلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) قول: سليمان يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال: كفرها بقضاء الله غير الوثن أن تهتدي للحق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ

(١) لعل العبارة سقط منها كلمة، وهي «صدما» كما تدل الرواية الآتية بعد.

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : كفرها بقضاء الله ، صدها أن تهتدى للحق . ولو قيل : معنى ذلك : وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه ، كان وجهها حسنا . ولو قيل أيضا : وصدها الله ذلك بتوفيقها للإسلام ، كان أيضا وجهها صحيحا .

وقوله (لَإِنَّا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين : وكسرت الألف من قوله « لَإِنَّا » على الابتداء . ومن تأول قوله (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) التأويل الذي تأولنا ، كانت « ما » من قوله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ) في موضع رفع بالصد ، لأن المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها ، وأنها لاتعقل ، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان ذلك من دين قومها وآبائها ، فاتبعت فيه آثارهم . ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت « ما » في موضع نصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾

ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريد ، أمر الشياطين فبنوا له صرحا ، وهو كهيئة السطح من قوارير ، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك ، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبه بذلك كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ، ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : (ادْخُلِي الصَّرْحَ) ليرىها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا) لاتشك أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ادخلي إنه صرح ممرد من قوارير ؛ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله ، وعليها في عبادتها الشمس دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوق سليمان ساجدا إعظاما لما قالت وسجد معه الناس ، وسقط في يديها حين أت سليمان صنع ما صنع ؛ فلما رفع سليمان رأسه قال : ويحك ماذا قلت ؟ قال : وَأُنْسِيْتُ مَا قَالَتْ ، فَقَالَتْ (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأسلمت ، فحسن إسلامها .

وقيل : إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله ، لأن الجن خافت من سليمان أن يتزوجها ، فأرادوا أن يزهدوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل نمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قالت الجن لسليمان ترهده في بليقيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأمر سليمان بالصرح ، فعمل نسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ؛ فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق ؟ (فَحَسِبْتَهُ بُحْتَةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا) قال : فإذا أحسن الناس ساقا وقدماء ، قال : فضن سليمان بساقها عن موسى ، قال : فاتخذت النورة بذلك السبب .

وجائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح الأمرين الذي قاله وهب ، والذي قاله محمد بن كعب القرظي ، ليختبر عقلها ، وينظر إلى ساقها وقدمها ، ليعرف صحة ما قيل له فيها .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى الصرح ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصرح) قال : بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها . قال : وكانت بليقيس هلباء شعراء قدمها كحافر الحمار ، وكانت أمها جنية .

حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَانَ أَحَدُ أَبَوَيْ صَاحِبَةِ سَبِيلٍ جَنِيًّا » .

قال : ثنا صفوان بن صالح ، قال : ثنى الوليد ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر النضر بن أنس . وقوله (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) يقول : فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : وكان من قوارير ، وكان الماء من خلفه فحسبته لجة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) قال : بحرا .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا ابن سوار ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، في قوله (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا) فإذا هما شعراوان ، فقال : ألا شيء يذهب هذا ؟ قالوا : موسى ، قال : لا ، الموصي له أثر ، فأمر بالنورة فصنعت .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن عكرمة وأبي صالح قالا :

لما تزوج سليمان بلقيس قالت له : لم تمسني حديدة قط ، قال سليمان للشياطين : انظروا ما يذهب الشعر ؟ قالوا : النورة ، فكان أول من صنع النورة .
وقوله (إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ) يقول جل ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه صرخ ممرّد من قوارير ، يقول : إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير ؟
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، (مُمَرَّدٌ) قال : مشيد .
وقوله (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره
قالت المرأة صاحبة سبأ : ربّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس ، وسجودى لما دونك (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ) تقول : وانقذت مع سليمان مدعنة لله بالتوحيد ، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في (حَسَبَتْهُ لُجَّةٌ) قال : (إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ) فعرفت أنها قد غلبت (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ) وحده لا شريك له ، ولا تجعلوا معه إلها غيره (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) يقول : فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون ، فريق مصدّق صالحا مؤمن به ، وفريق مكذّب به كافر بما جاء به .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن وكافر ، قولهم صالح مرسل ، وقولهم صالح ليس بمرسل . ويعنى بقوله (يَخْتَصِمُونَ) يختلفون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) قال : مؤمن ، وكافر .

وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه : يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة .
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قال : السيئة : العذاب ، قبل الحسنة : قبل الرحمة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ) قال بالعذاب قبل الحسنة ، قال : العافية .
 وقوله (لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : هلا تتوبون إلى الله من كفركم ، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم ، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أنتم من عظيم الخطيئة .
 وقوله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم .
 القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح (اطيرنا بك وبمن معك) أي تشاء منا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب ، فأجابهم صالح فقال لهم (طائيركم عند الله) أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه ، لا يدري أي ذلك كائن ، أما تظنون من المصائب أو المكاره ، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب .
 وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) يقول : مصائبكم .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) علمكم عند الله .
 وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) يقول : بل أنتم قوم تختبرون ، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم ، أنطيعونه ، فتعملون بما أمركم به ، فيجزىكم الجزيل من ثوابه ، أم تعصونه ، فتعملون بخلافه ، فيحل بكم عقابه .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا اتَّقَاسْمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وكان في مدينة صالح ، وهي حِجْر ثمود ، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وكان إفسادهم في الأرض : كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض ، ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة ، وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تِسْعَةُ رَهْطٍ) قال : من قوم صالح .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبيد الله ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) هم الذين عقروا الناقة ، وقالوا حين عقروها : نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئا ، ومالنا به علم ، فدمرهم الله أجمعين .
وقوله (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حِجْر ثمود ، ولا يصلحون ، تقاسموا بالله : تحالفوا أيها القوم ، ليحلف بعضهم لبعض : لنبيت صالحا وأهله ، فلنقتلنه ، ثم لنقولن لولايه : ما شهدنا مهلك أهله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) قال : تحالفوا على إهلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
ويتوجه قوله (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) إلى وجهين : أحدهما النصب على وجه الخبر ، كأنه قيل : قالوا متقاسمين . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَلَا يُصْلِحُونَ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) وليس فيها قالوا ، فذلك من قراءته يُلّ على وجه النصب في تقاسموا على ما وصفت . والوجه الآخر : الجزم ، كأنهم قال بعضهم لبعض : اقساموا بالله ، فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة (لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالياء والنون ، لأن القائل لهم تقاسموا ، وإن كان هو الأمر فهو فيمن أقسم ، كما يقال في الكلام : انهضوا بنا نمض إلى فلان ، وانهضوا نمضى إليه . وعلى الوجه الأول الذي هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح ، لأن معناه : قالوا متقاسمين لبيته ، وقد

تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال في الكلام : قالوا لنكرمن^١ أباك ، وليكرمن^٢ أباك ، وبالنون قرأ ذلك قرأه المدينة ، وعامة قرأه البصرة وبعض الكوفيين : وأما الأغلب على قرأه أهل الكوفة ، فقراءته بالياء ، وضم^٣ التاء جميعا . وأما بعض المكيين ، فقراءه بالياء .

وأعجب القراءات في ذلك إلى^٤ النون ، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بيّنت من النصب والحزم وإن كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها إلى^٥ القراءة بها الياء ، لقلة قارئ ذلك كذلك . وقوله (لَسَنُيُتَنَّهُ) قال : ليبين^٦ صالحا ثم يفتكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلم^٧ فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث عجلناه قبله ، وإن كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا لبيتونه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطثوا على أصحابهم أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مشدوخين قد رضعوا بالحجارة . وقوله (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) نقول لوليه : وإنا لصادقون ، أنا ما شهدنا مهلك أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا وَمَكْرًا أَوْ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ
أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك (وَمَكْرًا أَوْ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيلنا العذاب لهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا .

وقد بيّنا فيما مضى معنى : مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخذ من أخذ منهم على غرة ، أو استدراجهم من استدراج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن رجل ، عن علي^٨ ، قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَكْرًا أَوْ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : احتالوا لأمرهم ، واحتال الله لهم ، مكروا بصالح مكرًا ، ومكرنا بهم مكرًا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بمكرنا وشعرنا بمكرهم ، قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك ، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه ، فخرجوا إلى كهف وقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ،

ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّٰهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَنْقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم ، فخشوا أن تشدهم ، فبادروا الغار ، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار ، فلا يدرى قومهم أين هم ؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم ؟ فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) قال : فسلب الله عليهم صخرة فقتلتهم .

وقوله (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح ، كيف كانت ؟ وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا ، وطغى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قريش ، أن ينالهم بتكذيبهم إياك ، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلث .

وقوله (إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين ، فلم يبق منهم أحدا .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (إِنَّا) فقرأ بكسرهما عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) بفتح الألف . وإذا فتحت كان فى (أَنَّا) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الإتيان لها ، والآخر النصب على الرد على موضع كيف ، لأنها فى موضع نصب إن شئت ، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ؟ كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيـب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِنَّكَ بِبُؤْسِهِمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

ببؤسهم أى بفسادهم ، فإِنَّكَ بِبُؤْسِهِمْ خَاوِيَةٌ (فَتِلْكَ بِبُؤْسِهِمْ خَاوِيَةٌ) فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ، ليس فيها منهم أحد ، قد أهلكهم الله فأبادهم (بما ظلموا) : يقول تعالى ذكره : بظلمهم أنفسهم ، بشركهم بالله ، وتكذيبهم رسولهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة ، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا ، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند

ربك وعبرة (وأنجيئنا الذين آمنوا) يقول: وأنجيئنا من نعمتنا وعذابنا الذي أحللناه بشمود رسولنا صالحا والمؤمنين به (وكانوا يتشققون) يقول: وكانوا يتقون بيمانهم، ويتصدقهم صالحا الذي حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فكذاك ننجيك يا محمد وأتباعك، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم.

وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطا إلى قومه، إذ قال لهم: يا قوم (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أنها فاحشة، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله (أينكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) منكم بذلك من دون فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح. وقوله (بل أنتم قوم تجهلون) يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتهم لذلك أمره، وعصيتهم رسوله.

تمّ الجزء التاسع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري،
وبلّيه الجزء العشرون
أوله : القول في تأويل قوله تعالى (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) . . . الخ

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء العشرون

دار الفکر

فهارس الجزء العشرون
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٦	فما كان جواب قومه . . .	١	٧٩	فتوكل على الله . . .	١٢
٥٧	فأنجيناه وأهلكه . . .	١	٨٠	إنك لا تسمع الموتى . . .	١٢
٥٨	وأهبطنا عليهم مطرا . . .	١	٨١	وما أنت بهادى العمى . . .	١٢
٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده . . .	٢	٨٢	وإذا وقع القول عليهم . . .	١٢
٦٠	أمن خلق السموات والأرض . . .	٢	٨٣	ويوم نحشر من كل أمة فوجا . . .	١٧
٦١	أمن جعل الأرض قرارا . . .	٣	٨٤	حتى إذا جاءوا قال أكذبتم . . .	١٧
٦٢	أمن يجيب المضطر إذا دعاه . . .	٤	٨٥	ووقع القول عليهم . . .	١٧
٦٣	أمن يهديكم في ظلمات البر . . .	٤	٨٦	ألم يروا أنا جعلنا الليل . . .	١٧
٦٤	أمن يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٥	٨٧	ويوم ينفخ في الصور . . .	١٨
٦٥	قل لا يعلم من في السموات . . .	٥	٨٨	وترى الجبال تحسبها جامدة . . .	٢١
٦٦	بل ادرك علمهم في الآخرة . . .	٥	٨٩	من جاء بالحسنة . . .	٢٢
٦٧	وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا . . .	٨	٩٠	ومن جاء بالسيئة . . .	٢٢
٦٨	لقد وعدنا هذا . . .	٨	٩١	إنما أمرت أن أعبد . . .	٢٤
٦٩	قل سيروا في الأرض . . .	٩	٩٢	وأن أنزلوا القرآن . . .	٢٥
٧٠	ولا تحزن عليهم . . .	٩	٩٣	وقل الحمد لله . . .	٢٥
٧١	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٩	تفسير سورة القصص		
٧٢	قل عسى أن يكون ردف لكم . . .	٩	١	طسم . . .	٢٦
٧٣	وإن ربك لذو فضل على الناس . . .	١٠	٢	تلك آيات الكتاب المبين . . .	٢٦
٧٤	وإن ربك أيعلم ما تكن صدورهم . . .	١٠	٣	تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون . . .	٢٦
٧٥	وما من غائبة في السماء والأرض . . .	١١	٤	إن فرعون علا في الأرض . . .	٢٧
٧٦	إن هذا القرآن يقص . . .	١١	٥	ونريد أن نمن على الذين . . .	٢٨
٧٧	ولإنه لهدى ورحمة . . .	١٢	٦	ونمكن لهم في الأرض . . .	٢٨
٧٨	إن ربك يقضي بينهم بحكمه . . .	١٢			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
۷	وأوحينا إلى أم موسى . . .	۲۹	۳۴	وأخي هارون هو أفصح مني . . .	۷۴
۸	فالتقطه آل فرعون . . .	۳۱	۳۵	قال ستشدّ عضدك بأخيك . . .	۷۵
۹	وقالت امرأة فرعون . . .	۳۳	۳۶	فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات . . .	۷۶
۱۰	وأصبح فؤاد أم موسى . . .	۳۵	۳۷	وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى . . .	۷۶
۱۱	وقالت لأخته قصيه . . .	۳۸	۳۸	وقال فرعون يا أيها الملأ . . .	۷۷
۱۲	وحرّمنا عليه المراضع . . .	۴۰	۳۹	واستكبر هو وجنوده في الأرض . . .	۷۸
۱۳	فرددناه إلى أمه . . .	۴۱	۴۰	فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . .	۷۸
۱۴	ولما بلغ أشده واستوى . . .	۴۲	۴۱	وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . . .	۷۹
۱۵	ودخل المدينة على حين غفلة . . .	۴۳	۴۲	وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة . . .	۷۹
۱۶	قال ربّ إني ظلمت نفسي . . .	۴۶	۴۳	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	۷۹
۱۷	قال ربّ بما أنعمت عليّ . . .	۴۶	۴۴	وما كنت بجانب الغربي . . .	۸۰
۱۸	فأصبح في المدينة خائفا يترقب . . .	۴۷	۴۵	ولكنّا أنشأنا قرونا . . .	۸۰
۱۹	فلما أراد أن يبطش . . .	۴۹	۴۶	وما كنت بجانب الطور . . .	۸۱
۲۰	وجاء رجل من أقصى المدينة . . .	۵۰	۴۷	ولولا أن تصيبهم مصيبة . . .	۸۲
۲۱	فخرج منها خائفا يترقب . . .	۵۲	۴۸	فلما جاءهم الحقّ لحن عندنا . . .	۸۳
۲۲	ولما توجه تلقاء مدين . . .	۵۲	۴۹	قل فأتوا بكتاب من عند الله . . .	۸۶
۲۳	ولما ورد ماء مدين . . .	۵۴	۵۰	فإن لم يستجيبوا لك . . .	۸۶
۲۴	فستى لهما . . .	۵۸	۵۱	ولقد وصلنا لهم القول . . .	۸۷
۲۵	فجاءته إحداهما تمشي . . .	۶۰	۵۲	الذين آتيناهم الكتاب . . .	۸۷
۲۶	قالت إحداهما يا أبت استأجره . . .	۶۲	۵۳	وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . . .	۸۹
۲۷	قال إني أريد . . .	۶۵	۵۴	أولئك يؤتون أجرهم مرتين . . .	۹۰
۲۸	قال ذلك بيني وبينك . . .	۶۵	۵۵	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . . .	۹۰
۲۹	فلما قضى موسى الأنجل . . .	۶۷	۵۶	إنك لا تهدي من أحببت . . .	۹۱
۳۰	فلما أتاها نودى . . .	۷۰	۵۷	وقالوا إن نتبع الهدى معك . . .	۹۳
۳۱	وأتى عصاك . . .	۷۱	۵۸	وكم أهلكنا من قرية . . .	۹۵
۳۲	اسلك يدك . . .	۷۲	۵۹	وما كان ربك مهلك القرى . . .	۹۵
۳۳	قال ربّ إني قتلت . . .	۷۴	۶۰	وما أوتيت من شيء . . .	۹۶

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦١	أفمن وعدناه وعدا حسنا . . .	٩٦	١	الم . . .	١٢٧
٦٢	ويوم يناديهم . . .	٩٧	٢	أحسب الناس أن يتركوا . . .	١٢٧
٦٣	قال الذين حقّ عليهم القول . . .	٩٧	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم . . .	١٢٨
٦٤	وقيل ادعوا شركاءكم . . .	٩٨	٤	أم حسب الذين يعملون السيئات . . .	١٣٠
٦٥	ويوم يناديهم . . .	٩٨	٥	من كان يرجو لقاء الله . . .	١٣٠
٦٦	فعميت عليهم الأنباء . . .	٩٨	٦	ومن جاهد فلنما يجاهد لنفسه . . .	١٣٠
٦٧	فأما من تاب وآمن . . .	٩٩	٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٠
٦٨	وربك يخلق ما يشاء . . .	٩٩	٨	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا . . .	١٣١
٦٩	وربك يعلم ما تكنّ صدورهم . . .	١٠٢	٩	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٢
٧٠	وهو الله لا إله إلا هو . . .	١٠٢	١٠	ومن الناس من يقول آمنا بالله . . .	١٣٢
٧١	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل . . .	١٠٢	١١	وليعلمنّ الله الذين آمنوا . . .	١٣٣
٧٢	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار . . .	١٠٣	١٢	وقال الذين كفروا للذين آمنوا . . .	١٣٣
٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار . . .	١٠٣	١٣	وليحملنّ أثقالا وأثقالا . . .	١٣٥
٧٤	ويوم يناديهم فيقول أين شركائي . . .	١٠٤	١٤	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٣٥
٧٥	ونزعنا من كلّ أمة شهيدا . . .	١٠٤	١٥	فأنجيناه وأصحاب السفينة . . .	١٣٦
٧٦	إن قارون كان من قوم موسى . . .	١٠٥	١٦	ولإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله . . .	١٣٦
٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . . .	١١١	١٧	إنما تعبدون من دون الله آوثانا . . .	١٣٧
٧٨	قال : إنما أوتيته على علم عندي . . .	١١٣	١٨	وإن تكذبوا فقد كذب أمم . . .	١٣٨
٧٩	فخرج على قومه . . .	١١٤	١٩	أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق . . .	١٣٨
٨٠	وقال الذين أوتوا العلم . . .	١١٦	٢٠	قل سيروا في الأرض . . .	١٣٨
٨١	فخسفنا به وبداره الأرض . . .	١١٦	٢١	يعذب من يشاء ويرحم من يشاء . . .	١٣٩
٨٢	وأصبح الذين تمنوا مكانه . . .	١٢٠	٢٢	وما أنتم بمعجزين في الأرض . . .	١٣٩
٨٣	تلك الدار الآخرة . . .	١٢٢	٢٣	والذين كفروا بآيات الله ولقائه . . .	١٤٠
٨٤	من جاء بالحسنة فله خير منها . . .	١٢٣	٢٤	فما كان جواب قومه . . .	١٤١
٨٥	إن الذي فرض عليك القرآن . . .	١٢٣	٢٥	وقال إنما اتخذتم من دون الله . . .	١٤١
٨٦	وما كنت ترجو أن يلقى . . .	١٢٦	٢٦	فآمن له لوط وقال إني مهاجر . . .	١٤٢
٨٧	ولا يصدّنك عن آيات الله . . .	١٢٧			
٨٨	ولا تدع مع الله إلها آخر . . .	١٢٧			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	١٤٣	٣٧	فكذبوه فأخذتهم الرجفة . . .	١٤٩
٢٨	ولوطا إذ قال لقومه . . .	١٤٤	٣٨	وعادا وثمودا وقد تبين لكم . . .	١٤٩
٢٩	إنكم لتأتون الرجال . . .	١٤٤	٣٩	وقارون وفرعون وهامان . . .	١٥٠
٣٠	قال رب انصرني على القوم المفسدين . ١٤٧		٤٠	فكلا أخذنا بذنبه . . .	١٥٠
٣١	ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى . . . ١٤٧		٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله . . .	١٥٢
٣٢	قال إن فيها لوطا . . .	١٤٧	٤٢	إن الله يعلم ما يدعون من دونه . . .	١٥٣
٣٣	ولما جاءت رسلنا لوطا . . .	١٤٨	٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس . . .	١٥٣
٣٤	إنا منزلون على أهل هذه القرية . . .	١٤٨	٤٤	خلق الله السموات والأرض . . .	١٥٤
٣٥	ولقد تركنا منها آية . . .	١٤٨	٤٥	انزل ما أوحى إليك من الكتاب . . .	١٥٤
٣٦	وإلى مدين أنحاهم شعبيا .	١٤٩			

٣ - فهرس الموضوعات

الصفحة		الصفحة
٣٥	الخلاف في معنى فراغ فؤاد أم موسى .	١ تأويل قوله تعالى « فما كان جواب قومه » .
٤٢	الخلاف في مقدار سقي الاستواء .	ومعنى التطهر .
٤٣	تأويل قوله تعالى « ودخل المدينة » والسبب في دخولها ، والسبب الذي من أجله قتل القبطى .	٣ بيان أن المشركين يعدلون عن الحق إلى الجور مع علمهم بذلك تقليد لمن مضى .
٤٩	السبب الذي دعا الإسرائيلى أن يظهر أن موسى قتل الفرعونى .	٥ من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم القرية على الله .
٥١	المراد بالرجل الذى جاء موسى فأخبره .	٧ الصواب في قوله « بل ادرك علمهم في الآخرة » .
٥٣	بإجماعهم على قتله ، وأمره بالخروج من البلد .	١١ بيان أن أم الكتاب أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة .
٥٥	دخول موسى مدين وماجرى له مع المرأتين اللتين سقى لهما .	١٤ الدابة وخروجها . وما ورد فيها من الآثار .
٦٥	خبر زواج موسى ، والاتفاق الذى كان بينه وبين أبى امرأته .	١٨ النفع في الصور ، وكم عدده .
٧١	الشجرة التى رأى موسى فيها النار ، ومن أى الأنواع كانت .	٢١ سير الجبال عند قيام الساعة .
٧٧	فرعون أول من طبع الآجر ، وصفة صرحه .	٢٤ المراد بالبلدة التى حرّمها الله « مكة » ومعنى تحريمها .
٨١	تأويل قوله « وما كنت بجانب الطور » ، وأن المنادى أمة محمد عليه الصلاة والسلام .	٢٦ تفسير سورة القصص
٨٧	تأويل قوله « ولقد وصّلنا لهم القول » .	٢٧ تأويل قوله « إن فرعون علا الأرض » ، وما كان يصنعه فرعون بينى لإسرائيل .
٨٨	ما قال الله في مؤمنى أهل الكتاب .	٢٩ الوحي الذى أوحى إلى أم موسى ليس بوحي نبوة .
٩٢	خبر وفاة أبى طالب ، وما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم .	٢٩ أخذ فرعون لموسى وتعيين اللاقط له .
		٣٣ تأويل قوله « وقالت امرأة فرعون » ، وما قاله فرعون لامرأته عند ذلك .

الصفحة	الصفحة
١٢٧ تفسير سورة العنكبوت	٩٦ تأويل قوله « أفن وعدناه وعدا حسنا » ...
١٢٨ ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا » .	الآية ، والخلاف فيمن نزلت فيه .
١٣٥ عمر نوح حين أرسل إلى قومه ، وكم لبث فيهم حتى جاءهم الطوفان .	٩٩ تأويل قوله « وربك يخلق ما يشاء » ، وأن معناها لا يدل على تنق الاختيار عن الخلق .
١٤٢ هجرة إبراهيم ولوط من كوثى إلى الشام .	١٠٤ نداء الله للمشركين ، ونزعه من كل أمة شهيدا ، وهو الرسول .
١٤٤ ما كان يفعله قوم لوط من السيئات بمن يمر عليهم .	١٠٥ خبر قارون وما أوتي به من الغنى .
١٥٤ تأويل قوله « اتل ما أوحى إليك » . . .	١١٦ ما فعله قارون بموسى حتى طلب من الله أن يخسف الأرض به ، واستغاث به فلم يستغثه .
الآية . والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر .	١٢٢ تأويل قوله « تلك الدار الآخرة » ، وأن العلو هو الكبر ، والحكم بغير العدل هو الفساد .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١١٠	مَا تَجْهَرُ		
		١٠٩	الْحُسْنُ		
٨٧	يُوصِلُ	١١٩	وَحَجَّزِ	٦٦	لَا يَرَاهَا
١١٠	مَوَاصِلُهُ	١١٩	يَصْبِرُ	١٤٠	مَوَاضٍ
١١٠	كَاهِلُهُ	١٢٠	بَنُكْرٍ		ب
١٢٧	وَالْعَسَلُ	١٢٠	ضُرَّ	٨	حَبِيبُ
١٥٤	مَشَلَا	٧٠	دَعِيرٍ		ت
١٥١	شَمَالَا	٥٣	الْقَادِرِ		
١٥١	جُفَلَا	١٥١	مَنْشُورٍ	١٠٩	عَجِيزٌ تَهَا
١٠٩	أَجْدَا آهَا		ط		ج
٥٢	شَيْئًا لَكَ	٣١	فُرَاطَا	٢١	تَهْمَلِجُ
٧٨	نِعَالِيكََا		ع		ح
	م	٦٦	تَا بَعُ	٧٧	الصُّرُوحَا
١٢١	أَقْدِمُ	٥٥	نُزْعَا		د
	ن		ف		
		١٠١	مُكَلِّفُ	٥٥	تَدُودُ
١٣٤	دَاعِيَانِ	١٠١	وَمُسْلِفُ	٨١	مَوْعِدَا
٧٥	مَكْنُونَا	١٠٠	مَعْرُوفُ	٣٩	جَاهِدَا
١٣١	تَشْكُونَا	١٣٦	جَارِفِ		ر
١٣١	يُوصِينَا		ق	٦٩	قَرَرُ
١٣١	جَافُونَا	١٠٨	أَطِيقُ	٥٢	يُؤْتَمَرُ

٤ - فهرس الأحاديث

مطلع الحديث	الصفحة
اشهد بكلمة الإخلاص ...	٩٣
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ...	٩٢
أنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ما الصور؟	١٩
إن الله تبارك وتعالى ...	١٩
إن النبي ﷺ سأل جبرائيل : أي الأجلين ...	٦٩
إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز أهل الأرض ... ١٤٢	١٤٢
إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعصاي .	٥٥
بلى والذي نفسي بيده إنه الساعة لفي ضحضاح ...	٩٣
تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى ...	١٥
دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً، فقلت : لمن هذا؟ ... ١٢٦	١٢٦
سألت جبرائيل : أي الأجلين قضى موسى؟ ...	٦٨
سألت رسول الله ﷺ عن هذا الآية :	
﴿ وتأتون في ناديك المنكر ﴾ ...	١٤٥
سئل رسول الله ﷺ أي الأجلين قضى موسى؟ ...	٦٨
قلت يا رسول الله من أين تخرج (يعني الدابة) ...	١٥
قل كلمة الإخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة .	٩٣
قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة .	٩٢
كانوا يحذفون أهل الطريق ، ويسخرون منهم	
(في قوله : ﴿ وتأتون في ناديك المنكر ﴾) .	١٤٥
لا صلاة لمن لم يقطع الصلاة ...	١٥٥
لوقال فرعون : قرأ عين لي ولك ...	٣٣
﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ الآية ...	٢٢
من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر ...	١٥٥
والذي يحلف به لو أقر فرعون ...	٣٤
يا عماه قل لا إله إلا الله ...	٩٣، ٩٢
يا عم قل لا إله إلا الله ...	٩٢

شعر

قصیدہ

شاعر

الحسن

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى :

* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : فلم يكن لقوم لوط جواب له ، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال ، إلا قيل بعضهم لبعض (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ) إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) عما نفعله نحن من إتيان الذكور في أدبارهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : سمعت الحسن بن عمارة يذكر عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : من إتيان الرجال والنساء في أدبارهن . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال (يَّتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال والنساء ، استهزاء بهم يقولون ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (إِنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : عابوهم بغير عيب : أي لأنهم يتطهرون من أعمال السوء .

القول في تاويل قوله تعالى :

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : فَأَنجَيْنَا لُوطًا وَأَهْلَهُ سِوَى امْرَأَتِهِ مِنْ عَذَابِنَا حِينَ أَحْلَلْنَاهُ بِهِمْ ، ثُمَّ (قَدَّرْنَاهَا) يقول

فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا (مِنَ الْغَابِرِينَ) من الباقين (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) يقول : فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه ، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرُ مَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

* يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُل) يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على نعمه علينا ، وتوفيقه إيانا لما وفقنا من الهداية (وَسَلَامٌ) يقول : وأمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط ، وقوم صالح ، على الذين اصطفاهم ، يقول : الذين اجتباهم لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به ، الجاحدين نبوة نبية .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، يعني ابن غنام ، عن ابن ظهير ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبية .
حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك : رأيت قول الله (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) من هؤلاء ، فحدثني عن سفيان الثوري ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (اللَّهُ خَيْرُ مَا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء الذين زيننا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون : الله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة ، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير ، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم ، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءا ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا ، يقول : إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ، ولا دفع ضرر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرر ، وله كل شيء . ثم ابتداء تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم ، وأياديه عندهم ، وتعريفهم بقله شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك ، فقال (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْشِرَ شَجَرَهَا ۚ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

* يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تنفع ولا تضر ،

أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعني مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجّرها في الأرض ، لأن كل ذلك من خلقه (فَأَنْبَتْنَا بِهِ) يعني بالماء الذي أنزل من السماء (حَدَّثَاتٍ) وهي جمع حديقة ، والحديقة : البستان عليه حائط محوط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله (ذَاتَ بَهْجَةٍ) يقول : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق ، كما قال (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ، وقد بينت ذلك فيما مضى .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (حَدَّثَاتٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : البهجة : الفقاح مما يأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (حَدَّثَاتٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ) قال : من كل شيء تأكله الناس والأنعام .

وقوله (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) يقول تعالى ذكره : أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق إذ لم يكن لكم ، لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك ، لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء . وقوله (أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك ، وأنزل من السماء الماء ، فأنبت به لكم الحدائق ، فقوله : أم له مردود على تأويل : أمع الله له (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْتَدِلُونَ) يقول جل ثناؤه : بل هؤلاء المشركون قوم ضلال ، يعدلون عن الحق ، ويجورون عليه ، على عمد منهم لذلك ، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم ، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر ، خير ممن خلق السموات والأرض ، وفعل هذه الأفعال ، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة ، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : أعبادة ماتشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضُر ولا ينفع ، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم (وَجَعَلَ) لكم (خِلَالَهَا أَنْهَارًا) يقول : بينها أنهارا (وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا) وهي ثوابت الجبال ، (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح ، أن يفسد أحدهما صاحبه (أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ) سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه ؟ وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله ، وما عليهم من الضر

في إشراكهم في عبادة الله غيره ، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالآلوهة ، وإخلاصهم له العبادة ، وبرائتهم من كل معبود سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) قال : الضر .

وقوله (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) يقول : ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم . وقوله (أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ) يقول : أليس مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم عليكم هذه النعم ؟ وقوله (قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ) يقول : تذكروا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجاج الله عليكم بسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللت فيهما الطريق ، فأظلمت عليكم السبل فيهما .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ) في ظلمات السبيل (وَالْبَحْرِ) والضلمات في البر ، ضلاله الطريق ، والبحر ، ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه . قوله (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) يقول : والذي يرسل الرياح نشر الموتان الأرض بين يدي رحمته ، يعنى : قدام الغيث الذي يحيى موات الأرض . وقوله (أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : أليس مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبده من دونه ، أو تشركونه في عبادتكم إياه (تَعَالَى اللَّهُ) يقول : لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به ، وعبادتكم معه ما تعبدون .

(١) (في اللسان : نشر) . وقوله تعالى : وهو الذي يرسل الرياح نشر بين يدي رحمته (لنشرا بضم النون والشين) وقرئ لنشرا ولنشرا . بضم النون وفتحها وسكون الشين . والقراءة المشهورة بشرا ، بضم وسكون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قُلُّ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون أيها القوم خير ، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، فينشئه من غير أصل ، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء ، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه ، والذي يرزقكم من السماء والأرض فينزل من هذه الغيث ، وينبت من هذه النبات لأقواتكم ، وأقوات أنعامكم (أءلَمْ تَعْلَمْ) سوى الله يفعل ذلك ؟ وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه فـ (قُلْ) لهم يا محمد (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) : أي حججتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في دعواكم . ومن التي في « أَمَّنْ » وما مبتدأ في قوله : أما يشركون ، والآيات بعدها إلى قوله (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) بمعنى الذي ، لا بمعنى الاستفهام ، وذلك أن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ أَدَارِكُهُمْ
فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة (لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ) الذي قد استأثر الله بعلمه ، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول : وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم يبعثون من قبورهم لقيام الساعة .

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد ، فقد أعظم الله على الفرية ، والله يقول (لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) .

واختلف أهل العربية في وجه رفع الله ، فقال بعض البصريين : هو كما تقول إلا قليل منهم . وفي حرف ابن مسعود : قليلا بدلا من الأول ، لأنك نفيت عنه وجعلته للآخر . وقال بعض الكوفيين : إن شئت أن تتوهم في من المجهول ، فتكون معطوفة على : قل لا يعلم أحد الغيب إلا الله . قال : ويجوز أن تكون « من » معرفة ، ونزل ما بعد « إلا » عليه ، فيكون عطفا ولا يكون بدلا ، لأن الأول منفي ، والثاني مثبت فيكون في النسق كما تقول : قام زيد إلا عمرو ، فيكون الثاني عطفا على الأول ، والتأويل جمعه ، ولا يكون

أن يكون الخبر جحدا ، أو الجحد خبرا ، قال : وكذلك (مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ) وقليلًا من نصب ، فعلى الاستثناء في عبادتكم إياه ، ومن رفع فعلى العطف ، ولا يكون بدلا .

وقوله (بَلْ أَدَارِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة (بَلْ أَدَارِكْ) بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادأرك ، بمعنى : بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ، ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل : (أَتَأَقَلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته .

وقراءته عامة قراء أهل مكة (بَلْ أَدُرِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ (بَلْ أَدُرِكْ) ويقول : إن بل إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك (بَلْ أَدُرِكْ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبالأستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره .

وبنحو الذي ذكرت عن المكيين أنهم قرعوه ذكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع

بل : أم .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، أنه قرأ (أَمْ أَدُرِكْ عَلَيْهِمْ) وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ بإثبات ياء في بل ، ثم يبتدى أدأرك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس في هذه الآية (بَلْ أَدَارِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) : أي لم يدرك .

حدثنا محمد بن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ (بَلْ أَدَارِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكان ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذابين بالبعث .

والصواب من القراءات عندنا في ذلك القراءتان اللتان ذكرت إحداهما عن قراءة أهل مكة والبصرة ، وهي (بَلْ أَدُرِكْ عَلَيْهِمْ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها ، والأخرى منهما عن قراءة الكوفة ، وهي (بَلْ أَدَارِكْ) بكسر اللام وتشديد الدال من ادأرك ، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب عندنا ، فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس ، فلمنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فمخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ، وذلك أن في بلي زيادة ياء في قراءاته ليست في المصاحف ، وهي مع ذلك قراءة لانعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار . وأما القراءة التي ذكرت عن ابن محيصن ، فإن الذي قال فيها أبو عمرو قول صحيح ، لأن العرب تحقق بيل ما بعدها لاتنفيه ، والاستفهام في هذا الموضع إنكار لإثبات ، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة في شك ، فقال (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل أدرك علمهم في الآخرة فأيقنوها إذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها ، إذ كانوا بها في الدنيا مكذّبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ) قال : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر . وقال آخرون : بل معناه : بل غاب علمهم في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) يقول : غاب علمهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) قال : يقول : ضلّ علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم ، (هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) . وقال آخرون : معنى ذلك : لم يبلغ لهم فيها علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، عن جدي ، قال : ثنا الحسين ، عن قتادة في قوله (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) قال : كان يقرؤها (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ) قال : لم يبلغ لهم فيها علم ، ولا يصل إليها منهم رغبة . وقال آخرون : معنى ذلك : بل أدرك : أم أدرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ) قال : أم أدرك . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان ، عن مجاهد (بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ) قال : أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ (بَلْ أَدْرَكَ) القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما في الدنيا فلم ينفعهم منها في شك ، بل هم منها عمون .

ولما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على القراءة التي ذُكِرَتْ ، لأن ذلك أظهر معانيه . وإذا كان ذلك معناه كان في الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ظهر منه عنه . وذلك أن معنى

الكلام : وما يشعرون أيا ن يُسبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيا ن يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه (بَلْ اَدَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام ، كما قال الشاعر :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسَلَمَتْنِي تَغَوَّلَتِ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَى حَبِيبٍ
يعنى بذلك بل كل إلى حبيب ، فيكون تأويل الكلام : وما يشعرون أيا ن يبعثون ، بل تدارك علمهم في الآخرة : يعنى تتابع علمهم في الآخرة : أى بعلم الآخرة : أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه .
وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا) يقول : بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ، (بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) يقول : بل هم من العلم بقيامها عمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا نَا بَنَّا لِلْخُرْجُونَ ﴿٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءِٰبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال الذين كفروا بالله أثنا لمخرجون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا (لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءِٰبَاؤُنَا مِن قَبْلُ) يقول : لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا ، فلم نر لذلك حقيقة ، ولم ننبين له صحة (إِن هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)

(١) تنول : تراءت لي في النوم في صور مختلفة . والشاهد في البيت : أن أم الأولى متصلة ، لأنها معادلة للهمزة ، يقول : لا أدرى أهو طيف سلمى عرض لي وتراءى ، أم هو النوم يخلط على صور الأشياء ، وهى أضغاث الأحلام . وأما (أم) الثانية فإنها للإضراب ، بمعنى (بل) يقول : بل كل ذلك حبيب إلى نفسى . يريد ما يتراءى له من طيف الخيال . وما يراه في النوم من الأحلام . والبيت من شواهد الفراء في معنى القرآن (الورقة ٢٣٦ من مصورة الجامعة) . وفى (اللسان : درك) : فأما من قرأ : « بل أدرك » ، فإن الفراء قال : معناه لغة : تدارك ، أى تتابع علمهم في الآخرة ؛ يريد بعلم الآخرة : تكون أولا تكون : ولذلك قال : « بل هم في شك منها ، بل هم منها عمون » قال : وهى في قراءة أبى : « أم تدارك » ؛ والعرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) إذا كان في أول الكلام استفهام ، مثل قول الشاعر : « فوالله ما أدرى . . . البيت » . معنى (أم) : (بل) . وقال أبو معاذ النحوى : ومن قرأ : « بل أدرك » ، ومن قرأ : « بل أدرك » فعنها واحد . يقول : هم علماء في الآخرة . كقول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » ونحو ذلك . قال السدى في تفسيره : اجتمع علمهم في الآخرة ، ومعناها عنده : أى علموا في الآخرة أن الذى كانوا يوعدون به حق . وقال الأزهري : والقول في تفسير أدرك وأدارك ومعنى الآية : ما قال السدى وذهب إليه أبو معاذ وأبو سعيد . والذى قاله الفراء في معنى تدارك أى تتابع علمهم في الآخرة ، أنها تكون أو لا تكون : ليس بالبين ، إنما المعنى : أنه تتابع علمهم في الآخرة وتوطلأ حين حقت القيامة ، وخسروا ، وبأن لهم صدق ما وعدوا ، حين لا ينفعهم ذلك العلم . اهـ .

الأوليين) يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ماسطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء المكذبين ماجثهم به من الأنبياء من عند ربك: (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا) إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخربها الله، وبهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردتهم عليهم نصائحهم فمذلت منهم الديار وتعتقت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم. وقوله (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك (وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) يقول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرهم عليهم، ومهلكهم قتلا بالسيف.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى ذكره: ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذبونك فيما أتيتهم به من عند ربك (مَتَى) يكون (هَذَا الْوَعْدُ) الذي تعدونه من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تعدولنا به (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) يقول جل جلاله: قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقتراب لكم ودنا (بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) من عذاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) يقول: اقتراب لكم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس،

قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) يقول : اقترب لكم بعض الذي تستعجلون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) قال : ردف : أعجل لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال : أزف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (رَدِفَ لَكُمْ) اقترب لكم .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله (رَدِفَ لَكُمْ) وكلام العرب المعروف : ردفه أمر ، وأردفه كما يقال : تبعه وأتبعه ، فقال بعض نحوي البصرة : أدخل اللام في ذلك ، فأضاف بها الفعل كما يقال (لِرَأْيَا تَعْبُرُونَ - وَ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) . وقال بعض نحوي الكوفة : أدخل اللام في ذلك للمعنى ، لأن معناه : دنا لهم ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا الْحَاجَاتُ يَطْرَحُنَ بِالْفَتَى ١

فأدخل الباء في يطرحن ، وإنما يقال طرحته ، لأن معنى الطرح : الرمي ، فأدخل الباء للمعنى ، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى ، وهذا القول الثاني هو أولاهما عندى بالصواب ، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (تَسْتَعْجِلُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) قال : من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

(١) هذا صدر بيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ٢٣٦ من مصورة جامعة القاهرة) وعجزه : * وهم تمناني معنى ركائبه وهو في (اللسان : عنا) وفي روايته « تمناء » في موضع تمناني . قال : وعاني الشيء : قاساه . يقال : عاناه وتمناه ، وتعني هو . وقال : « فقلت . الخ » . والبيت شاهد على أن الباء في بالفتى زائدة . مثلها في قوله تعالى : « ردف لكم » .

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ (وَإِنَّ رَبَّكَ) يَا مُحَمَّد (لَتَذُوقُ فَضْلَ عَسَلِ النَّاسِ) بِتَرْكِهِ مَعَاجِلَتِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وَكَفَرِهِمْ بِهِ ، وَذُو إِحْسَانٍ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ)﴾^٥ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ ، فَيَمْخُلُصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، وَلَكِنَّهُمْ يَشْرَكُونَ مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَمِنْ لَا فَضْلَ لَهُ عِنْدَهُمْ وَلَا إِحْسَانَ . وَقَوْلُهُ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَسْأَلُكُمْ مَا تَكُنُونَ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) يَقُولُ : وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ضَمَائِرَ صُدُورِ خَلْقِهِ ، وَمَكُنُونَ أَنْفُسِهِمْ ، وَخَفَى أَسْرَارِهِمْ ، وَعِلَانِيَةُ أُمُورِهِمُ الظَّاهِرَةِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَجَازِيَ بِجَمِيعِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالْإِسَاءَةِ جَزَاءَهَا .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنِي الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنِي حُجَّاجٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَسْأَلُكُمْ مَا تَكُنُونَ صُدُورُهُمْ) قَالَ : السِّرُّ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : (وَمَا مِنْ) مَكْنُومٌ سَرٌّ وَخَفَى أَمْرٌ يَغِيبُ عَنْ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) وَهُوَ أَمُّ الْكِتَابِ الَّذِي أَثْبَتَ رَبُّنَا فِيهِ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ لَدُنْ أِبْتَدَأَ خَلْقَ خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَبَعْنَى بِقَوْلِهِ (مُبِينٌ) أَنَّهُ يَبِينُ لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَقَرَأَ مَا فِيهِ مِمَّا أَثْبَتَ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ . وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) يَقُولُ : مَا مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ سَرٌّ وَلَا عِلَانِيَةٌ إِلَّا يَعْلَمُهُ .

وَقَوْلُهُ (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ يَقْصُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحَقَّ فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا ، وَذَلِكَ كَالَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ عِيسَى ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ فِيهِ مَا قَالَتْ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى فِيهِ مَا قَالَتْ ، وَتَبَرَأَ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا ، فَذَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ : إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُصُ عَلَيْكُمْ الْحَقَّ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَاتَّبِعُوهُ ، وَأَقْرُوا لِمَا فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَقْصُصُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، وَيَهْدِيكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن هدى ، يقول : لبيان من الله ، بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم (وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول : ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) يقول : إن ربك يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ، ويجازى المحسن منهم الحق بجزائه (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) يقول : وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم ، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بنى إسرائيل فيما اختلفوا فيه ، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ففوض إلى الله يا محمد أمورك ، وثق به فيها ، فإنه كافيك (إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ) لمن تأمله ، وفكر ما فيه بعقل ، وتدبره بنهم ، أنه الحق ، دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بنى إسرائيل ، ودون ما عليه أهل الأوثان المكذبون فيما أتيتهم به من الحق ، يقول : فلا يحزنك تكذيب من كذبك ، وخلاف من خالفك ، واضض لأمر ربك الذي بعثك به . وقوله (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ) يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته ، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه (وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ) يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ، ولا يصغون للحق ، ولا يتدبرونه ، ولا ينصتون لقائله ، ولكنهم يعرضون عنه ، وينكرون القول به ، والاستماع له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وما أنت بهادي)
بالياء والألف وإضافته إلى العمى بمعنى : لست يا محمد بهادي من عمى عن الحق (عَنْ ضَلَالَتِهِ) وقراءة
عامة قراء الكوفة (وما أنت تهدي العمى) بالتاء ونصب العمى ، بمعنى : ولست تهديهم (عَنْ
ضَلَالَتِهِمْ) ولكن الله يهديهم إن شاء .

والقول في ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارى
فصيب : وتأويل الكلام ما وصفت (وَمَا أَنْتَ) يا محمد (بهادي) من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على
بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هوفها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد . وقوله (إِنْ
تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) يقول : ماتقدرون تفهم الحق وتوعيه أحدا إلا سمع من يصدق بآياتنا
يعنى بأدائه وحججه وآى تنزيله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) فإن أولئك يسمعون منك ماتقول ويتدبرونه ،
ويفكرون فيه ، ويعملون به ، فهم الذين يسمعون .

ذكر من قل مثل الذى قلنا في قوله تعالى (وَقَعَ) ١

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال :
حق عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ)
يقول : إذا وجب القول عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَعَ الْقَوْلُ
عَلَيْهِمْ) قال : حق العذاب .
قال ابن جريج : القول : العذاب .

ذكر من قال قولنا في معنى القول

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) والقول :
الغضب .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن حفصة ، قالت : سألت أبا العالية ،
عن قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) فقال : أوحى الله إلى نوح (إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا
مَنْ قَدْ آمَنَ) قالت : فكأنما كان على وجهى غطاء فكشف .

وقال جماعة من أهل العلم : خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية العوفى ، عن

(١) سقط كلام المؤلف في تأويل الآية رقم ٨٢ ، ويدل عليه إيراد كلام أهل التأويل فيه .

ابن عمر في قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ) قال : هو حين لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ) قال : ذلك إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : حين لا يأمرؤن بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر .

حدثني محمد بن عمرو المقدسي ، قال : ثنا أشعث بن عبد الله السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن عطية ، في قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : إذا لم يعرفوا معروفا ، ولم ينكروا منكرا .
وذكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كمرّيب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن الفرات القزاز ، عن عامر ابن واثلة أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يقدر على شيء ، قال : ثم تخرج فيراها الناس ، فيقولون : والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الإمام فيطلب فلا يرى شيئا ، فيقول : أما إني إذا حدث الذي يذكرها قال : حتى يعد فيها القتل ، قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجئ إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غرة ، قال : فيعيش الناس زمانا يقول هذا يأمؤمن ، وهذا ياكافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عثمان بن مطر ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن أبي الطفيل عن حذيفة ، وأبي سفيان ، ثنا عن معمر ، عن قيس بن سعد ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد ، في قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) قال : للدابة ثلاث خرجات : خرجة في بعض البوادي ثم تكمن ، وخرجة في بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء ، ثم تكمن ، فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها ، إذ ارتفعت بهم الأرض ، فانطلق الناس هربا ، وتبقى طائفة من المؤمنين ، ويقولون : إنه لا ينجينا من الله شيء ، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرّي ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، وتأتي الرجل يصلي ، فيقول : والله ما كنت من أهل الصلاة

فيلتفت إليها فتخطمه ، قال : تجلو وجه المؤمن ، وتخطم الكافر ، قلنا : فما للناس يومئذ ؟ قال : جيران في الرباع ، وشركاء في الأموال ، وأصحاب في الأسفار .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيهقي ، عن ابن عمر : يبيت الناس يسرون إلى جمع ، وتبيت دابة الأرض تسيرهم ، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تخطته .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحبيري ، عن حيان بن عمير ، عن حسان بن حمصة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لو شئت لانتعلت بنعل هاتين ، فلم أمس الأرض قاعدا حتى أقف على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها ، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج ، قال : فما حمجت قط إلا خفت تخرج بعقبنا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو ، وكان منزله قريبا من الصفا ، رفع قدمه وهر قائم ، وقال : لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور ابن المعتمر ، عن ربيع بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول : وذكر الدابة ، فقال حذيفة : قلت يا رسول الله ، من أين تخرج ؟ قال : من أعظم المساجيد حرمة على الله ، بيتي عيسى يطوف بالبيت ومعته المسلمون ، إذ تضطرب الأرض تحتهم ، تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يسدو رأسها ملسمة ذات وبر وریش ، لم يدركها طالع ، ولئن يفتوها هارب ، تسم الناس مؤمنين وكافرين ، أمّا المؤمن فتمتركة وجهه كأنه كوكب دري ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأمّا الكافر فتمتركة بين عينيه نكته سوداء كافر » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الحسين ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جلعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى ، فتجملو وجه المؤمنين بالعصا ، وتختيم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هَذَا يا مؤمن ، ويقول هَذَا يا كافر » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هي دابة ذات زغب وریش ، ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة ، قال : قال عبد الله بن عمر : إنها تنكت في وجه الكافر نكته سوداء ، فتفشو في وجهه ، فيسود وجهه ، وتنكت في وجه المؤمن نكته بيضاء فتفشو في وجهه ، حتى

يبيض وجهه ، فيجلس أهل البيت على المائدة ، فيعرفون المؤمن من الكافر ، ويتبايعون في الأسواق ، فيعرفون المؤمن من الكافر .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن الهاد ، عن عمر بن الحكم ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : تخرج الذابة من شعب ، فيمس رأسها السحاب ، ورجلاها في الأرض ماخرجتا ، فتمر بالإنسان يصلي ، فتقول : ما الصلاة من حاجتك فتخطمه حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا يزيد بن عياض ، عن محمد بن إسحاق ، أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو ، قال : تخرج ذابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى ، فأما الكافر فتعظم بين عينيه بخاتم سليمان ، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض . واختلفت القراء في قراءة قوله (تَكَلَّمُ لَهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (تَكَلَّمُ لَهُمْ) بضم التاء وتشديد اللام ، بمعنى تخبرهم وتحديثهم ، وقرأه أبو زرعة بن عمرو (تَكَلَّمُ لَهُمْ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى : تسميهم .

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ) قول : تخلصهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَخْرَجْنَا لَهُمْ ذَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ) وهي في بعض القراء تحديثهم تقول لهم (إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله (تَكَلَّمُ لَهُمْ) قال : كلامها تنبهم (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ) . وقوله (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام (إِنَّ النَّاسَ) بكسر الألف من « إِنَّ » على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون وهي وإن كسرت في قراءة هؤلاء فإن الكلام لها متناول ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا) بفتح أن بمعنى : تكلمهم بأن الناس ، فيكون حينئذ نصبه بوقوع الكلام عليها .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان في قراءة الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصييب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَٰلِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا ، يعنى جماعة منهم ، وزمرة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) يقول : ممن يكذب بأدلتنا وحججنا ، فهو يحبس أولهم على آخرهم ، ليجتمع جميعهم ، ثم يساقون إلى النار . وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) يعنى : الشيعة عند الحشر :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِمَّنْ كُتِلَ أُمَّةٌ فَوْجًا) قال : زمرة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) قال : زمرة زمرة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يقول : فهم يدفعون . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يحبس أولهم على آخرهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : وزعة ترد أولاهم على أخراهم .

وقد بينت معنى قوله (يُوزَعُونَ) فيما مضى قبل بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . وقوله (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله : (أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا) : أى بحججى وأدلتى (وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا) يقول ولم تعرفوها حق . مرفها ؟ (أَمْ مَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيها من تكذيب أو تصديق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٠﴾

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَوَجِبَ السَّخَطُ وَالْغَضَبُ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمَكْذِبِينَ بآيَاتِهِ﴾ (بِمَا ظَلَمْتُمْ) يعني بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون (فَنَهُمُ لَا يَسْتَطِيقُونَ) يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول. وقوله (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ نَكُشُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه، ويهدعون راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا، وهذا مضينا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيقبلون فيه لمعايشهم، فيتفكرون في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يُعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجئ بالليل، والمجئ بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره: إن في تصويرنا الليل سكنا، والنهار مبصرا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْه

ذَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾

﴿اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى، وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد، غير أننا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم يذكر هناك من الأخبار، فقال بعضهم: هو قرن يُنْفَخُ فيه.

ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الجارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) قال كهيئة البوق. حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: الصور: البوق. قال: هو البوق صاحبه أخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه، وبين فيه قدر قبضة أو نحوها، قد برك على ركة إحدى رجله، فأشار، فبرك على ركة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذيه وأليته وأطراف أصابعها في التراب.

قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، قال: الصور كهيئة القرن قد رفع إحدى ركبتيه إلى السماء، وخفض الأخرى، لم يلق جفون عينه على نعمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدا، قد وضع الصور على فيه ينتظر متى يؤمر أن ينْفَخَ فيه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن زياد «قال أبو جعفر: والصواب: يزيد بن أبي زياد» عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار

عن أبي هريرة: أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، ما الصور؟ قال: قرن»، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم يُنفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفرع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لله رب العالمين، يأمر الله إسماعيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفرع، فينفخ نفخة الفرع، فيفرع أهل السموات وأهل الأرض، إلا من شاء الله، ويأمره الله فيمد بها ويوطئ لها، فلا يفتتر، وهي التي يقول الله (ما ينظرون هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسئّر الله الجبال، فتكون سرابا، وترج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واهية) فتكون الأرض كالسفينة الموثقة في البحر، تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالوتر، ترجفه الأرياح، فتמיד الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة، حتى تأتي الأقطار، فتلتقها الملائكة، فتضرب وجوهها، فتراجع، ويؤتى الناس مذبرين ينادى بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله (يوم التناد، يوم تولثون مذبرين ما لكم من الله من عاصم، ومن يضلّل الله فلا له من هاد). فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كاللؤلؤ، ثم خسف شمسها وقمرها، وانتشرت نجومها، ثم كشيّطت عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى الله حين يقول (ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله)؟ قال: أولئك الشهداء، وإنما يصل الفرع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فرع ذلك اليوم وآمنهم، وهو عذاب الله يبعثه على شراير خلقه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من السموات والأرض، خلق الصور، فأعطاه ملكاً، فهو واضع على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر، قال: قلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: قرن، قلت: وكيف هو؟ قال: عظيم، والذي نفسي بيده، إن عظم دائرة فيه، لكعرض السموات والأرض، يأمره فينفخ نفخة الفرع، فيفرع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله»، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث أبي كريب عن المحاربي، غير أنه قال في حديثه «كالسفينة المرفأة في البحر». وقال آخرون: بل معنى ذلك: ونفخ في صور الخلق.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) : أى في الخلق ، قوله (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) يقول : ففزع من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والإنس والشیاطین ، من هول ما يعاينون ذلك اليوم .
 فإن قال قائل : وكيف قيل : ففزع ، فجعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ ، وهى ينفعل ؟ قيل : العرب تفعل ذلك في المواضع التي تصلح فيها إذا ، لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل ، كقولك : أزورك إذا زرتني ، وأزورك إذا تزورني ، فإذا وضع مكان إذا يوم أجرى مجرى إذا . فإن قيل : فأين جواب قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ) قيل : جائز أن يكون مضمرا مع الواو ، كأنه قيل : ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وذلك يوم ينفخ في الصور . وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه ، كما قيل (وَلَمَّا يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فترك جوابه .
 وقوله (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قيل : إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء ، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه في الخبر الماضي :
 وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام عن حدثه ، عن أبي هريرة ، أنه قرأ هذه الآية (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال : هم الشهداء ، وقوله (وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) يقول : وكل أتوه صاغرين .
 وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) يقول : صاغرين .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) قال : صاغرين .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) قال : الداخِر : الصاغر الراغم ، قال : لأن المرء الذي يفرع إذا فرع إنما همته الهرب من الأمر الذي فرع منه ، قال : فلما نفخ في الصور فزعوا ، فلم يكن لهم من الله منجى .
 واختلفت القراء في قراءة قوله (وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) فقراءته عامة قراء الأمصار (وَكُلُّ أَتَوْهُ) بمد الألف من أتوه على مثال فاعلوه ، سوى ابن مسعود ، فإنه قرأه (وَكُلُّ أَتَوْهُ) على مثال فاعلوه ، واتبعه على القراءة به المتأخرون الأعمش وحمة ، واعتل الذين قرعوا ذلك على مثال فاعلوه بإجماع القراء على قوله (وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ) قالوا : فكذلك قوله : (أَتَوْهُ) في الجمع . وأما الذين قرعوا على قراءة عبد الله ، فإنهم ردوه على قوله (فَفَزِعَ) كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ، وأتوه كلهم داخرين ، كما يقال في الكلام : رأى وفر وعاد وهو صاغر .

(١) أتوه : جمع آتى بوزن فاعل . وأصله آتوه ، نقلت النسخة من الياء لاستثناها إلى التاء ، ثم حذفت الياء ، لسكونها وسكون الواو بعدها فصارت آتوه على وزن فاعلوه . ووزنها قبل حذف الياء فاعلوه ، وهو الذي أراده المؤلف .

❦ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، ومتقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (وَتَرَى الْجِبَالَ) يا محمد (تَحْسَبُهَا) قائمة (وَهِيَ تَمُرُّ) كالذي حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) يقول : قائمة ، وإنما قيل : (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) لأنها تجمع ثم تسير ، فيحسب رايتها لكثرتها أنها واقفة ، وهي تسير سيرا حثيثا ، كما قال الجعدي :
بَارِعَنَ مِثْلَ الطُّودِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ وَقُوفٌ لِلْحَاجِ وَالرَّكَّابِ تَمْلِجُ
قوله (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) وأوثق خلقه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يقول : أحكم كل شيء .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يقول : أحسن كل شيء خلقه وأوثقه .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) قال : أوثق كل شيء وسوى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَتَقَنَ) أوثق .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم ونخبة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية ، وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك على الخير والخير ، وعلى الشر الشر نظيره .

(١) الأرعن : يريد به الجيش العظيم ، شبه بالجبل الضخم ذي الرعان ، وهي الفضول ، كراءان الجبال . والرعن الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما . وقيل الأرعن : هو المضطرب لكثرة . والطود : الجبل العظيم . والحاج : جمع حاجة ، وتملج : تمشي الهلجة ، والهلجة سير حسن في سرعة والبيت شاهد على أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك ، فتحسبه ساكنا ، مع أنه مسرع في سيره جدا ، وذلك كبير الجيش ، وكبير السفينة في البحر ، يحسبها الناظر إليها وهي مجدة في سيرها ، كأنها واقفة . وذلك هو شأن الجبال عند القيامة : تراها كأنها جامدة ، وهي تسير بسرعة كالسحاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (مَنْ جَاءَ) الله بتوحيده والإيمان به ، وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه ، (فَلَهُ) من هذه الحسنة عند الله (خَيْرٌ) يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله (مِنْهَا) الجنة ، ويؤمنه (مِنْ فَزَعٍ) الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يقول : ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه ، وجحود وحدانيته (فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ) في نار جهنم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يحيى بن أيوب البجلي ، قال : سمعت أبا زرعة ، قال : قال أبو هريرة ، قال يحيى : أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) قال : وهبي لا إله إلا الله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) قال : وهبي الشرك » .
حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو يحيى الحماني ، عن الزهر بن عربي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) قال : من جاء بلا إله إلا الله ، (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) ، قال : بالشرك .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) يقول : من جاء بلا إله إلا الله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) وهو الشرك .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال : بالشرك .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) قال : كلمة الإخلاص (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جريج : وسمعت عطاء يقول فيها الشرك ، يعني في قوله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، قال : كان يحلف ما يستثنى ، أن (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) قال : لا إله إلا الله ، (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عُبَيْدَة ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ) قال : الشرك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا سعيد بن سعيد ، عن علي بن الحسين ، وكان رجلا غزاء ، قال : بينا هو في بعض خلواته حتى رفع صوته : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛ قال : فردّ عليه رجل : ما تقول يا عبد الله ؟ قال : أقول ما تسمع ، قال : أما إنها الكلمة التي قال الله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) قال : الإخلاص (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعني : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) : يقول : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ لَهُمْ فِي النَّارِ) قال : السيئة : الشرك الكفر .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ثنا حفص بن عمر العدني ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال : السيئة : الشرك . قال الحكم ، قال عكرمة : كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) فمنها وصل إليه الخير ، يعني ابن عباس بذلك من الحسنة وصل إلى الذي جاء بها الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا حسين الشهيد ، عن الحسن (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال : له منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : من جاء بلا إله إلا الله ، فله خير منها خيرا ٧ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) يقول : له منها حظ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال : له منها خير ، فأما أن يكون خيرا من الإيمان فلا ، ولكن منها خير يصيب منها خيرا ١ .

(١) يريد أن (من) ليست للتفصيل ، ولذلك قدمها على خير ، وإنما هي للتعليل أو نحوه .

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم ، عن عكرمة ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ نَخِيرٌ مِنْهَا) قال : ليس شيء خيرا من لاله إلا الله ، ولكن له منها خير وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ نَخِيرٌ مِنْهَا) قال : أعطاه الله بالواحدة عشرة ، فهذا خير منها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فقرأ ذلك بعض قراء البصرة (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) بإضافة فزع إلى اليوم ، وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة (مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ) بتنوين فزع .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الإضافة أعجب إلى ، لأنه فزع معلوم . وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك في سياق قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فَرَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه عني بقوله (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لاشك أنه معرفة ، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة ، وأخرى أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضيف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضيف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله . وقوله (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون ، إذ كذبكم الله أوجوهكم في النار ، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم ، وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ عَبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) وهي مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما ، أو يظلموا فيها أحدا ، أو يصاد صيدها ، أو يختلخلها دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) يعني : مكة .

وقوله (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) يقول : ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا ، فإياه أمرت أن أعبد ، لا من لا يملك شيئا . وإنما قال جل ثناؤه (رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) فخصها بالذكر دون سائر

البلدان ، وهو ربّ البلاد كلها ، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرّم بلدهم ، فمنع الناس منهم ، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، لا من لم تجر له عليهم نعمة ، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرر . وقوله (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول : وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا ، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون ، لا من يخالف دين جدّه الحق ، ودان دين إبليس عدوّ الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) و (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ، فَمَنْ أَهْتَدَىٰ يقول : فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به ، فسلك طريق الرشاد (فَلَا إِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) يقول : فلإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياي ، وإيمانه بي ، وبما جئت به لنفسه ، لأنه بإيمانه بي ، وبما جئت به يأمن نعمته في الدنيا وعذابه في الآخرة . وقوله (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله (فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) يقول تعالى ذكره : فقل يا محمد لمن ضلّ عن قصد السبيل ، وكذبك ، ولم يصدق بما جئت به من عندي ، إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه ، وقد أذرتكم ذلك معشر كفار قريش ، فإن قبلتم وانتهيت عما يكرهه الله منكم من الشرك به ، فحفظوا أنفسكم تصيبون ، وإن ردّدتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم ، وقد بلغتكم ما أمرت بأبلاغه إياكم ، ولصحت لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - الْحَمْدُ لِلَّهِ) على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون ، سيرتكم ربكم آيات عذابه وسخطه ، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم ، ويتبين صدق مادعوتكم إليه من الرشاد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَمِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) قال : في أنفسكم ، وفي السماء والأرض والرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (سَمِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) قال : في أنفسكم والسماء والأرض والرزق .

وقوله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا يحزنك تكذيبهم إياك ، فإنني من وراء إهلاكهم ، وإني لهم بالمرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولعدوك بالذل والخزي .

آخر تفسير سورة النمل

ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعصمة

(۲۸) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الثَّانِي وَثَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

طَسَمَ ۖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿۱﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿۲﴾

قال أبو جعفر : قد بينا قبل فيما مضى تأويل قول الله عز وجل (طسم) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويله . وأما قوله (تلك آيات الكتاب المبين) فإنه يعني هذه آيات الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد ، المبين أنه من عند الله ، وأنت لم تتقوله ولم تتخرصه .

وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثني بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طسم) . تلك آيات الكتاب المبين) يعني مبين والله بركته ورشده وهداية .

وقوله (نَتْلُو عَلَيْكَ) يقول : نقرأ عليك ونقص في هذا القرآن من خبر موسى (وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَتْلُو عَلَيْكَ) من نَبَأِ

مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول في هذا القرآن نبؤهم . وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

يقول : لقوم يصدقون بهذا الكتاب ، ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبؤهم فيه نبؤهم ، وتطمئن نفوسهم ، بأن

سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى ، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون

وقومه ، أن نهلكهم كما أهلكناهم ، وننجيهم منهم كما أنجيناهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر ، وعلا أهلها وقهرهم ، حتى أفرّوا له بالعبودية . كما حدثنا محمد بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إن فرعونَ علّا في الأرض) يقول : تجبر في الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن فرعونَ علّا في الأرض) : أي بغى في الأرض .

وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعني بالشيعة : الفرق ، يقول : وجعل أهلها فرقا متفرقين . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) : أي فرقا يذبح طائفة منهم ، ويستحي طائفة ، ويعذب طائفة ، ويستعبد طائفة ، قال الله عز وجل (يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه ، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط ، وتركت بني إسرائيل ، وأحرقت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة^(١) ، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ، يعنون بيت المقدس ، رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فأمر بني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت ، وقال للقبط : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا ، فأدخلوهم ، واجعلوا بني إسرائيل يلبون تلك الأعمال القذرة : فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول : (إن فرعونَ علّا في الأرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فرق بينهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : فرقا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال : الشيعة : الفرق .

وقوله (يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده .

(١) لعله : الحزاة ، بضم الحاء ، جمع الحازي ، وهو المتكهن . قال في (اللسان : حزا) التحزى : التكهن ؛ حزى حزيا وتحزى : تكهن . وم نجه في مادة (حوز) معنى التكهن . فلعل ما في الأصل خطأ النسخ . ويؤيد ما قلناه أنه سيحى في صفحة ٢٩ سطر ٤ صحيحا كما قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : يستعبد طائفة منهم ، ويذبح طائفة ، ويقتل طائفة ، ويستحي طائفة : وقوله (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) يقول : إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل ، واستعباده من ليس له استعباده وتجبره في الأرض على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١٠١﴾
وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزِيلُهُمْ وَأَهْلُهُمْ وَنُزِيلُهُمْ وَأَهْلُهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠٢﴾

قوله (وَنُرِيدُ) عطف على قوله (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) ومعنى الكلام : أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها من بني إسرائيل فیرقا يستضعف طائفة منهم (و) نَحْنُ (نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ) عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزِيلُهُمْ وَأَهْلُهُمْ وَنُزِيلُهُمْ)

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ) عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي ولاية وعلو .
وقوله (وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزِيلُهُمْ وَأَهْلُهُمْ وَنُزِيلُهُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي ولاية الأمر :
وقوله (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) يقول : ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الأرض من بلد مهلكهم .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) : أي يرثون الأرض بعد فرعون وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) يقول : يرثون الأرض بعد فرعون :
وقوله (وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول : ونوطي لهم في أرض الشام ومصر (وَنُزِيلُهُمْ)

وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل ، فكانوا من ذلك على وجل منهم ، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَمَكْنُ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) شيئا ما حذر القوم . قال : وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون ، فقال : يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك ، فتتبع أبناءهم ذلك العام ، يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم حذرا مما قال له الحازي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو صفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره ، يعني أنه كاهن ، فقال له : إنه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم ، فكان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم حذرا ، فذلك قوله (وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) بمعنى : ولرى نحن بالنون عطفًا بذلك على قوله (وَنَمَكْنُ لَهُمُ) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَنُرِي فِرْعَوْنَ) على أن الفعل لفرعون ، بمعنى : ويعاين فرعون ، بالياء من يرى ، ورفع فرعون وهامان والجنود .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لأنه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى ، إلا بأن يريه الله عز وجل منه ، ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه إلا رآه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) حين ولدت موسى (أَنْ أَرْضِعِيهِ) .

وكان قتادة يقول ، في معنى ذلك (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) فذفنا في قلبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) وحيا جاءها من الله ، فذف في قلبها ، وليس بوحى نبوة أن أَرْضِعِي موسى (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي (... الآية) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو صفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) قال : ذف في نفسها :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني إسرائيل سنة ، ويتركوا سنة ؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى ؛ فلما أرادت وضعه ، حزن من شأنه ، فأوحى الله إليها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) . واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقى موسى في اليم ، فقال بعضهم : أمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر ، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أن أرضعيه فإذا خفت عليه) قال : إذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك (فألقيه) حينئذ (في اليم) فذلك قوله (فإذا خفت عليه) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : لم يقل لها : إذا ولدته فألقيه في اليم ، إنما قال لها (أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) بذلك أمرت ، قال : جعلته في بستان ، فكانت تأتيه كل يوم فترضعه ، وتأتيه كل ليلة فترضعه ، فيكفيه ذلك . وقال آخرون : بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادها إياه ، وبعد رضاعها .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا ، فجعل له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه ، فألقته في اليم . وأولى قول قيل في ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم . وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه ، وأنى ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أي ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه ، واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فألقيه في اليم) قال : هو البحر ، وهو النيل . وقد بينا ذلك بشواهد ، وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته . وقوله (ولا تخافي ولا تحزني) يقول : لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزني لفراقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) قال : لا تخافي عليه البحر ، ولا تحزني لفراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ) .
وقوله (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول : إنا رادّو ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه ، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ) وباعثوه رسولا إلى هذه الطاغية ، وجاعلو هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَخَرْنًا يَخُفُّونَ ۖ

خَطِئِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه ، وأصله من اللقطة ، وهو ما وجد ضالا فأخذ ، والعرب تقول : لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة ، أصبته التقاطا ، ولقيت فلانا التقاطا ، ومنه قول الراجز :

وَمَسْنَهْلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقِاطَا كَمْ أَتَقَى إِذْ وَرَدَّتْهُ فُرَاطَا

يعنى : فجأة .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (آلُ فِرْعَوْنَ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني بذلك : جوارى امرأة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبل الموج بالتابوت يرفعه

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لنقادة الأسدي ، أوردهما في (اللسان : لقط) وأورد معهما بيتا ثالثا ، وهو :
« إلا الحمام الورق والنطاطا » قال : ولقيته التقاطا : إذا لقيته من غير أن ترجوه أو تحسبه ؛ قال نقادة الأسدي : « ومنهل وردته . . . »
الآبيات الثلاثة . وقال سيبويه : التقاطا : أى فجأة ، وهو من المصادر التي وقعت أحوالا ، نحو جاء ركضا . ووردت الماء والشجر .
التقاطا : إذا هجمت عليه بفتة ، ولم تحتسبه . وحكى ابن الأعرابي : لقيته لقاطا : مواجهة . وفي حديث عمر أن رجلا من تميم التقط شبكة ، فطلب أن يجعلها له . الشبكة : الآبار القريبة الماء . والتقاطه : عشوره عليها من غير طلب . اهـ . وقال في (فرط) : وفراط القطا : متقدماتها إلى الوادى والماء . وأنشد البيت ونسبه إلى نقادة الأسدي . (وفي غطط) : والنطاط القطا ، بفتح الفين . وقيل : ضرب من القطا ، واحده : غطاطة . وقيل القطا : ضربان ؛ فالقصار الأرجل ، الصفر الأعناق ، السود القوام . الصهب الخوافى هي الكدرية والجلونية (بضم أولهما) والطوال الأرجل ، البيض البطون ، النبر الظهور ، الواسعة العيون : هي النطاط . وقيل : النطاط : ضرب من الطير ، ليس من القطا ، هن غير البطون والظهور والأبدان ، سود الأجنحة . وقيل : سود بطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق ، لطاف . اهـ . وانظر أقوالا أخرى في (اللسان : غطط) . والبيت الأول في (معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة ، بترتيب مصطفى السقا ص ٧٧٩) . وفي الكتاب لسيبويه (١ : ١٨٦) .

مرة وبخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية ، وظنن أن فيه مالا ؛ فلما نظرت إليه آسية ، وقعت عليها رحمة فأحبته ؛ فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله (فَالْتَقِطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَسَكُونَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) .
وقال آخرون : بل عني به ابنة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : كانت بنت فرعون برصاء ، فجاءت إلى النيل ، فإذا التابوت في النيل تحفقه الأمواج ، فأخذته بنت فرعون ، فلما فتحت التابوت ، فإذا هي بصبي ، فلما اطلعت في وجهه برأت من البرص ، فجاءت به إلى أمها ، فقالت : إن هذا الصبي مبارك لما نظرت إليه برأت ، فقال فرعون : هذا من صبيان بنى إسرائيل ، هلم حتى أقتله ، فقالت (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) ، لا تَقْتُلُوهُ) .
وقال آخرون : عني به أعوان فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة ، فبينما هو جالس ، إذ مر النيل بالتابوت يقذف به ، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقالت : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه ، حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهد ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه ، قالت امرأته آسية : (لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل (فَالْتَقِطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ) وقد بينا

معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته ههنا .

وقوله (لِيَسَكُونَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) فيقول القائل : ليكون موسى لآل فرعون عدوا وحزنا فالتقطوه ، فيقال (فَالْتَقِطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَسَكُونَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قيل : لأنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل لما تقدم ذكره . ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، في قوله (فَالْتَقِطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَسَكُونَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قال : ليكون في عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به ، وليس لذلك أخذوه ، ولكن امرأة فرعون قالت (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) فكان قول الله (لِيَسَكُونَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) لما هو كائن في عاقبة أمره لهم ، وهو كقول الآخر إذا قرّعه لفعّل ، كان فعله وهو يحسب محسنا في فعله ، فأدّاه فعله ذلك إلى مساة منه ما له على فعله : فعلت هذا لضرّ نفسك ، ولتضرّ به نفسك فعلت . وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عتد نفسه بفعله راجيا نفعه ، غير

أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو . فكذاك قوله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) إنما هو : فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ، ليكون قرّة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه .

وقوله (عَدُوًّا وَحَزَنًا) يقول : يكون لهم عدوّا في دينهم ، وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) عدوّا لهم في دينهم ، وحزنا لما يأتيهم .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَحَزَنًا) بفتح الحاء والزاي . وقرأته عامة قراء الكوفة (وَحَزَنًا) بضم الحاء وتسكين الزاي ، والحزن بفتح الحاء والزاي مصدر من حزن حزنا ، والحزن بضم الحاء وتسكين الزاي الاسم : كالعديم والعديم ونحوه .
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العديم ، والعديم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) يقول تعالى ذكره : إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين ، فلذلك كان لهم موسى عدوّا وحزنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالِ امْرَأْتُ فِرْعَوْنُ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْسُوهُ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ تَخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) له هذا (قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ) يافرعون ، فقرّة عين مرفوعة بمضممر هو هذا ، أو هو . وقوله (لَا تَقْسُوهُ) مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله ، وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أمّا لك فنعم ، وأمّا لي فلا ، فكان كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : قالت امرأة فرعون (قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ) ، لَا تَقْسُوهُ عَنِّي أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ تَخِذَهُ وَلَدًا) قال فرعون : قرّة عين لك ، أمّا لي فلا . قال محمد بن قيس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قَالَ فِرْعَوْنُ : قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَكَانَ لَهُمَا جَمِيعَا » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : اتخذ فرعون ولدا ، ودعى على أنه ابن فرعون ، فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيا ، فبينما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناواته فرعون ،

وقالت : خذه قرّة عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرّة عين لك ، لا لي . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لي قرّة عين إذن لآمن به ، ولكنه أبي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قالت امرأة فرعون (قرّة عين لي ولك) تعني بذلك موسى .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمعي بن يزيد ، قال : ثنا القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : لما أتت موسى امرأة فرعون فرعون قالت : (قرّة عين لي ولك) قال فرعون : يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَاللّٰدِي يُخْلَفُ بِهِ لَوْ أَقْرَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَتْ ، لَهْدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَىٰ بِهِ امْرَأَتَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ ذَلِكَ » .

وقوله (لَا تَقْسُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين همّ بقتله . قال بعضهم : حين أتى به يوم التقطه من اليم . وقال بعضهم : يوم نتف من لحيته أو ضربه بعضا كانت في يده .

ذكر من قال : قالت ذلك يوم نتف لحيته

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أتى فرعون به صبيا أخذه إليه ، فأخذ موسى بلحيته فنتفها ، قال فرعون : علىّ بالذباحين هو هذا ، قالت آسية (لَا تَقْسُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَقْسُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) قال : أُلْقِيَتْ عليه رحمتها حين أبصرته .

وقوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وهم لا يشعرون هلاكهم على يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه ، وفي زمانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : إن هلاكهم على يديه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : آل فرعون لأنه لهم عدو .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : (وَهْمٌ لَا يَشْعُرُونَ) بما هو كائن من أمرهم وأمره .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت امرأة فرعون آسية (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول الله : وهم لا يشعرون أي بما هو كائن بما أراد الله به .

وقال آخرون : بل معنى قوله (وَهْمٌ لَا يَشْعُرُونَ) بنو إسرائيل لا يشعرون أننا اتقطناه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : يقول : لا تدرى بنو إسرائيل أننا اتقطناه .

والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه .

ولما قلنا ذلك أولى التأويلات به لأنه عقيب قوله (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكِ ، لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وإذا كان ذلك عقبه ، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذي هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عني الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا ، فقال بعضهم : الذي عني جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا : كل شيء سوى ذكر ابنها موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن العلاء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، وحسان أبي الأشرس عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي عن ابن عباس ، قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : يقول : لا تذكروا إلا موسى .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، مجاهد (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : من كل شيء غير ذكر موسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شاذب ، عن مطر ، في قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) : أي لا غيا من كل شيء ، إلا من ذكر موسى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فرغ من كل شيء غير ذكر موسى .

وقال آخرون : بل عني أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقية في اليم فقال (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) قال : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله عز وجل : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من وحيها الذي أوحيناه إليها :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال : فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقية في البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ، قال : فجاءها الشيطان ، فقال : يا أم موسى ، كرهت أن يقتل فرعون موسى ، فيكون لك أجره وثوابه وتوليت قتله ، فألقيته في البحر وغرقته ، فقال الله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من الوحي الذي أوحاه إليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : ثني الحسن ، قال : أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها ، فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته في البحر ، هل تسمع له بذكر ، حتى أتاه الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا في النيل في التابوت ، فعرفت الصفة ، ورأت أنه وقع في يدي عدوه الذي فرت به منه ، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه

قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه . وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب : معنى ذلك : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من الحزن ، لعلمها بأنه لم يغرق . قال : وهو من قولهم : دم فرغ : أى لا قود ولا دية ، وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى قول من قال : معناه : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من كل شيء إلا من هم موسى .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب للدلالة قوله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَيْطُنَا عَلَى قُلُوبِهَا) ولو كان عسى بذلك : فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) لأنها إن كانت قاربت أن تبدى الوحي ، فلم تكد أن تبدى إلا لكثرة ذكرها إياه ، وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهى ذاكرة . وإذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوجى إليها ، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه . وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من الفزع .

وقوله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) يختلف أهل التأويل في المعنى الذى عادت عليه الهاء في قوله (بِهِ) فقال بعضهم : هى من ذكر موسى ، وعليه عادت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد وحسان أبي الأشرس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) أن تقول : يا ابناه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ) أى لتبدى به أنه ابنها من شدة وجدها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما جاءت أمه أخذ منها ، يعنى الرضاع ، فكادت أن تقول : هو ابني ، فعصمها الله ، فذلك قول الله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَيْطُنَا عَلَى قُلُوبِهَا) .

وقال آخرون (يَمَّا أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْهَا) : أى تظفر .

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا : إن كادت لتقول : يا بنياء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، وأنه عقيب قوله (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) فلا أن يكون لو لم

(١) في (اللسان : فرغ) يقال : ذهب دمه فرغا وفرغا (بفتح الفاء وكسرهما مع سكون الراء) أي باطلا هدرا، لم يطلب به .

يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك من ذكر موسى ، لقربه منه ، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي .
وقال بعضهم : بل معنى ذلك (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدِي) بموسى فتقول : هو ابني قال وذلك أن
صدرها ضاق إذ نُسِبَ إلى فرعون ، وقيل ابن فرعون . وعنى بقوله (لَتُسْبِدِي بِهِ) لتظهره وتخبر به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ۝

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ،
في قوله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدِي بِهِ) لتشعر به .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدِي بِهِ)
قال : لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين .
وقوله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمَا) يقول : لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوقيفناها
للسكوت عنه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهَا) : أى بالإيمان (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) :
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كادت تقول : هو ابني ،
فعصمها الله ، فذلك قول الله (إِنَّ كَادَتْ لَتُسْبِدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهَا) .
وقوله (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها ، وثبتناها
للعهد الذي عهدنا إليها (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوعد الله ، الموقنين به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَتْ) أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم (قُصِّيهِ) يقول : قصي أثر
موسى ، اتبعي أثره ، تقول : قصصت آثار القوم : إذا اتبعت آثارهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال : اتبعي أثره كيف يصنع به .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قُصِّيهِ) أى
قصي أثره .

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال : اتبعني أثره .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أي
انظري ماذا يفعلون به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) يعني :
قصي أثره :

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن
أبي أيوب ، قال : ثني سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أي قصي أثره واطلبه
هل تسمعون له ذكرا ، أحيى ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ، ونسيت الذي كان الله وعدها .
وقوله (فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ) يقول تعالى ذكره : فقصت أخت موسى أثره ، فبصرت به عن جنب :
يقول فبصرت بموسى عن بُعد لم تدن منه ولم تقرب ، لئلا يعلم أنها منه بسبيل ، يقال منه : بصرت به
وأبصرته ، لغتان مشهورتان ، وأبصرت عن جنب ، وعن جنابة ، كما قال الشاعر :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَاهِدًا^١

يعني بقوله : عن جنابة : عن بُعد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنْ جُنُبٍ) قال : بُعد .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد (عَنْ جُنُبٍ)
قال : عن بُعد . قال ابن جريج (عَنْ جُنُبٍ) قال : هي على الحد في الأرض ، وموسى يجرى به النيل
وهما متحاذيان كذلك تنظر إليه نظرة ، وإلى الناس نظرة ، وقد جعل في تابوت مقبر ظهره وبطنه ، وأقفلته
عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي سفيان ، عن معمر ، عن قتادة :
(فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ) يقول : بصرت به وهي محاذيته لم تأته .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثني القاسم بن
أبي أيوب ، قال : ثني سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس (فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ) والجنب : أن
يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد ، وهو إلى جنبه لا يشعر به .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ص ٦٥) قصيدة يمدح بها هوزة بن حل الحنق ، ويلم الحارث بن
وعلة بن مجالد الرقاشي ، وقد صغر اسمه تحقيرا له وذما . وعن جنابة عن بعد وغربة . ورجل جنب أيضا : يعني غريب . والجاحد :
الذي ينكر ما يعلم . جحدته حقه ، وبحقه . قاله في اللسان . والشاهد في البيت « عن جنابة » ومعناه : عن بعد .

وقوله (وَهَمُّ لَإِشْعُرُونَ) يقول : وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهَمُّ لَإِشْعُرُونَ) قال : آل فرعون .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَبَصَّرَتْ بِهِيَ عَنْ جُنُبٍ وَهَمُّ
لَإِشْعُرُونَ) أنها أخته ، قال : جعلت تنظر إليه كأنها لا تريد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَهَمُّ لَإِشْعُرُونَ) أنها أخته .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَهَمُّ لَإِشْعُرُونَ) أي لا يعرفون أنها منه بسبيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ
لَهُ نَصِيبٌ ۖ

يقول تعالى ذكره : ومنعنا موسى المراضع أن يرضع منهن من قبل أمه ، ذكر أن أختا موسى هي التي
قالت لآل فرعون (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أرادوا له المرضعات ، فلم
يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك
قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ) فلما جاءت أمه أخذ منها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ)
قال : لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد
ابن جبشير ، عن ابن عباس (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَحَرَّمْنَا
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال : لا يرضع ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها، قال: (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: جمعوا المراضع حين أتى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرضعهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئا منهن (ذَنَبًا لَتْ) لهم أخته حين رأت من وجدهم به، وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) . وبغنى بقوله (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) : يضمونه لكم . وقوله (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ذكر أنها أخذت، فتبيل: قد عرفته، فقالت: إنما عنيت أنهم للملك ناصحون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما قالت أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلبنا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) قال: فعلموها حين قالت: وهم له ناصحون، قالوا: قد عرفته، قالت: إنما أردت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أي لمنزله عندهم، وحرصكم على مسرة الملك، قالوا: هاتى .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره: (فَرَدَدْنَاهُ) موسى (إِلَىٰ أُمِّهِ) بعد أن التقطه آل فرعون، لتقر عينها بابنها، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون (وَلَا تَحْزَنَ) على فراقه إياها (وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) الذي وعدها إذ قال لها (إِذَا خِفْتُ عَلَيْكِ فَأَقْصِيهِ فِي السِّمِ، وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي) ... الآية، حق . وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ) فقرأ حتى بلغ (لَا يَعْلَمُونَ) ووعدنا أنه رادّه إليها وجاعله من المرسلين، ففعل الله ذلك بها . وقوله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

(١) في (اللسان: رمضى) والرمض: حرقه النيط . وقد أرمضني هذا الأمر، فرمضت . ويقال: أرمضني: أوجعني .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نُجَيِّدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَمَّا بَلَغَ) موسى (أَشُدَّهُ) ، يعني حان شدة بدنه وقواه ، وانتهى ذلك منه . وقد بينا معنى الأشد فيا مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع : وقوله (وَاسْتَوَى) يقول : تناهى شبابه ، وتم خلقه واستحكم . وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء ، فقال بعضهم : يكون ذلك في أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله : (وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . قوله (وَاسْتَوَى) قال : بلغ أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

قال : ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال : أربعين سنة ، وأشدّه : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال : كان أبي يقول : الأشد : البلوغ ، والاستواء : أربعون سنة . وقال بعضهم : يكون ذلك في ثلاثين سنة .

وقوله (وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) يعني بالحكم : الفهم بالدين والمعرفة . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : الفقه والعقل والعمل قبل النبوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : الفقه والعمل قبل النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) آتاه الله حكما وعلمها فقها في دينه ودين آبائه ، وعلمها بما في دينه وشرائعه وحدوده .
وقوله (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا ، كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا ، فصبر على أمرنا وأطاعنا ، وانتهى عما نهينا عنه :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره (وَدَخَلَ) موسى (الْمَدِينَةَ) مدينة منف من مصر (عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) وذلك عند القائلة نصف النهار .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت ، فقال بعضهم : دخلها متبعا أثر فرعون ، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد ؛ فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره ، وأدركه المقييل في هذه المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ، ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون ، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى ؛ فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض يقال لها منف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها ، وليس في طرقها أحد ، وهي التي يقول الله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) .

وقال آخرون : بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه ، لأنه كان قد خالفهم في دينهم ، وعاب ما كانوا عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ موسى أشده واستوى ، آتاه الله حكما وعلمها ، فكانت له من بني إسرائيل شيعه يسمعون منه ويطيعونه ويجمعون إليه ، فلما استدارأيه ، وعرف ما هو عليه من الحق ، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه ، فتكلم وعادى وأنكر ،

(١) استدارأيه : من السداد أى أحكم عقله ، وقويت تجاربه .

حتى ذكر ذلك منه ، وحتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال آخرون : بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده . قالوا : ومعنى الكلام : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى : أى من بعد نسيانهم خبره وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (على حين غفلة من أهلها) قال : ليس غفلة من ساعة ، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره . وقال فرعون لامرأته : أخرجيه عني حين ضرب رأسه بالعصا ، هذا الذي قُتِلَ فيه بنو إسرائيل ، فقالت : هو صغير ، وهو كذا ، هات جمرا ، فأني بجمر ، فأخذ جمرة فطرحها في فيه فصارت عقدة في لسانه ، فكانت تلك العقدة التي قال الله (وَأَحْمَلُ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَتَمَتَّعُهَا قَوْمِي) قال : أخرجيه عني ، فأخرج ، فلم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة من ذكره .

وأولى الأقوال في الصحة بذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) .

واختلفوا في الوقت الذي عني بقوله (على حين غفلة من أهلها) فقال بعضهم : ذلك نصف النهار

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : نصف النهار . قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : يقولون في القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : دخل نصف النهار .

وقوله (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ) يقول : هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من القبط من قوم فرعون (فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) يقول : فاستغاثة الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوه من القبط (فَوَكَّزَهُ مُوسَىٰ فَفَقَضَىٰ عَلَيْهِ) يقول : فلكزه ولهزه في صدره بجمع كفه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : أساء موسى من حيث أساء ، وهو شديد الغضب شديد القوة ، فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين ، قال : فلما رأى موسى استغاث به ، قال : ياموسى ، فقال موسى : خل سبيله ، فقال : قد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) قال : حتى إذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال : فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حدة ، قال : فقال ياموسى ، قال : فاشتد غضب موسى ، قال : فأهوى ، قال : فخاف أن يكون إياه يريد ، قال : فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟) قال : فقال الرجل : ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت ؟ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ) قال : رجل من بني إسرائيل يقاتل بجبارا لفرعون (فاستغاثه فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) فلما كان من الغد ، استصرخ به فوجده يقاتل آخر ، فأغاثه ، فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس) فعرفوا أنه موسى ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال عثام أو نحو هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أما الذى من شيعته فن بنى إسرائيل ، وأما الذى من عدوه فقبطى من آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) يقول : من القبط (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عَدُوِّهِ) .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ابن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بلغ موسى أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان : أحدهما من بنى إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى ، فغضب موسى واشتد غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاغة من أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره ، فوكر موسى الفرعونى فقتله ، ولم يرهما أحد إلا الله والإسرائيلي ، (فقال) موسى حين قتل الرجل (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) مسلم ، وهذا من أهل دين فرعون كافر (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من

عَدُوَّهُ) وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق، وشدة في البطش فغضب بعدوَّهما فنازعه (فَوَكَزَهُ مُوسَى) وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله، (فَقَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) .
حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الجارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) قال : من قومه من بني إسرائيل، وكان فرعون من فارس من إصطخر .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه .
قال : ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن أصحابه (هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) لإسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قبطي (فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) .
وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في معنى قوله (فَوَكَزَهُ مُوسَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَوَكَزَهُ مُوسَى) قال : بجمع كفه .
حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله .
حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَوَكَزَهُ مُوسَى) نبى الله، ولم يتعمد قتله
حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : قتله وهو لا يريد قتله .
وقوله (فَتَقَضَّى عَلَيْهِ) يقول : ففرغ من قتله . وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء : الفراغ بما أغنى عن إعادته ههنا .

ذكر أنه قتله ثم دفنه في الرمل

كما حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن أصحابه (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَتَقَضَّى عَلَيْهِ) ثم دفنه في الرمل .
وقوله (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : قال موسى حين قتل القاتل : هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيَّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي ، (إِنَّهُ عَدُوٌّ) يقول : إن الشيطان عدو لابن آدم (مُضِلٌّ) له عن سبيل الرشاد بتزيينه له الصيغ من الأعمال ، وتحسينه ذلك له (مُبِينٌ) يعنى أنه يبين عداوته لهم قديما ، وإضلاله إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها ، وتوبته إليه منه ، ومسلته غفرانه من ذلك (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها ، فاعف عن ذنبي ذلك ، واستره عليّ ، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) قال : يقتل من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر ، ولم يؤمر .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال (ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاعْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ) .

وقوله (فَغَفَرَ لَهُ) يقول تعالى ذكره : فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن الله هو الساتر على المنيين إليه من ذنوبهم على ذنوبهم ، المتفضل عليهم بالعفو عنها ، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها : وقوله (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) يقول تعالى ذكره : قال موسى ربّ بانهامك عليّ بعفوك عن قتل هذه النفس (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) يعني المشركين ، كأنه أقسم بذلك ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) كأنه على هذه القراءة دعا ربه ، فقال : اللهم لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) فابتلى .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) يقول : فلن أعين بعدها ظالميا على فسجره ، قال : وقلما قالها رجل إلا ابتلى ، قال : فابتلى كما تسمعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من بجائته التي جناها ، وقتله النفس التي قتلها أن يؤخذ فيقتل بها (يَتَرَقَّبُ) يقول : يترقب الأخبار : أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس ، مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم

عن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) قال : خائفا من قتله النفس ، يترقب أن يؤخذ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) قال : خائفا أن يؤخذ .

وقوله (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يقول تعالى ذكره : فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف متربعا الأخبار عن أمره وأمر القتل ، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني يقاتله فرعوني آخر ، فرآه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعوني : يقول : فاستغاثه أيضا على الفرعوني ، وأصله من الصراخ ، كما يقال : قال بنو فلان : يا صباحاه ، قال له موسى (إنك لتغوي مبين) يقول جمل ثناؤه : قال موسى للإسرائيلي الذي استنصره ، وقد صادف موسى نادما على ماسلف منه من قتله بالأمس القتل ، وهو يستصرخه اليوم على آخر : إنك أيها المستصرخ لغوي : يقول : إنك لذو غواية ، مبين : يقول : قد تبينت غوايتك بقتلك أمس رجلا ، واليوم آخر .

وبنحو الذي قلنا ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جبشير ، عن ابن عباس ، قال : أتى فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك ، قال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه ، لا يستقيم أن نقضي بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئا ، إذ مر موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فهد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم (إنك لتغوي مبين) ، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إنك لتغوي مبين) إياه أراد ، ولم يكن أراد ، إنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي فحاجه ، فقال (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتاركا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) قال : الاستنصار والاستصرار واحد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يقول : يستغيثه .

(٢) في (اللسان : ثبت) الثبت : بالتحريك : الحجة والبرينة .

(١) أبغوني قاتله : هاتوا لي قاتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قتل موسى القتيل ، خرج فلحق بمنزله من مصر ، وتحدث الناس بشأنه ، وقيل : قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك إلى فرعون ، فأصبح موسى غاديا الغد ، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه ، فقال له موسى (إِنَّكَ لَتَغْوِي مُبِينٌ) أمس رجلا ، واليوم آخر ؟ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبشير والشيباني . عن عكرمة قال : الذي استنصره : هو الذي استنصره .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تُفْتَلِنِي كَمَا فَتَلْتِ نَفْسًا بِالْأَمْسِ
إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أراد موسى أن يبطش بالفرعون الذي هو عدو له وللإسرائيلي ، قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد (أتريد أن تفتلني كما فتلت نفسا بالأمس) . وبنيحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ) : خافه الذي من شيعة حين قال له موسى (إِنَّكَ لَتَغْوِي مُبِينٌ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال موسى للإسرائيلي (إِنَّكَ لَتَغْوِي مُبِينٌ) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، (قَالَ) الإسرائيلي ، وفترق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغاظه له الكلام : (يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تَفْتَلِنِي كَمَا فَتَلْتِ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ) فتركه موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قال : ندّم بعد أن قتل القتيل ، فقال (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) قال : ثم استنصره بعد ذلك الإسرائيلي على قبطن آخر ، فقال له موسى (إِنَّكَ لَتَغْوِي مُبِينٌ) فلما أراد أن يبطش بالقبطن ، ظن الإسرائيلي أنه إياه يريد ، فقال : ياموسى (أتريد أن تفتلني كما فتلت نفسا بالأمس) ؟ . قال : وقال ابن جرير ، أو ابن أبي نجيح « الطبري يشك » وهو في الكتاب ابن أبي نجيح أن موسى لما أصبح ، أصبح نادما ثابا ، يود أن لم يبطش بواحد منهما . وقد قال الإسرائيلي (إِنَّكَ لَتَغْوِي مُبِينٌ) فعلم الإسرائيلي أن موسى غير ناصره ؛ فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش بالقبطن نهاه موسى ففرق الإسرائيلي من موسى فقال : (أتريد أن تفتلني كما فتلت نفسا بالأمس) ؟ فسعى بها القبطن .

وقوله (إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل الإسرائيليين لموسى : (إن تريد) ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض . وكان من فعل الجبابة : قتل النفوس ظلما ، بغير حق . وقيل : إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلى ، لأنه كان عندهم مَنْ قتل نفسين : من الجبابة . ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : من قتل رجلين فهو جبار ؛ قال : ثم قرأ (أُرِيدُ أَنْ تَمُوتُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ) إن الجبابة هكذا ، تقتل النفس بغير النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، (إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ) قال : تلك سيرة الجبابة أن تقتل النفس بغير النفس . وقوله (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) يقول : ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها ، من طاعة الله . وذكر عن ابن إسحاق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) أى ما هكذا يكون الإصلاح .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ لِلْمَلَأِ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٥﴾

ذكر أن قول الإسرائيلى سمعه سامع فأفشاء ، وأعلم به أهل القتل ، فحينئذ طلب فرعون موسى ، وأمر بقتله ، فلما أمر بقتله ، جاء موسى مخبر ، وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر ، بلد فرعون وقومه .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق الفرعونى الذى كان يقاتل الإسرائيلى إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول (أُرِيدُ أَنْ تَمُوتُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) ؟ فأرسل فرعون الدباحين لقتل موسى ، فأخذوا الطريق الأعظم ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أعلمهم القبطى الذى هو عدو

لهما ، فأتمر المملأ ليقتلوه ، فجاء رجل من أقصى المدينة ، وقرأ (إن) . . . إلى آخر الآية ، قال : كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذهب القبطي ، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيل ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بنيات الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدي الطريق ، وأخذ موسى في بنيات الطريق ، وقد جاءه الرجل فأخبره (إن المملأ يأتمرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قالوا : لما سمع القبطي قول الإسرائيل لموسى (أَتُرِيدُ أَنْ تَمُتِلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي بِالْأَمْسِ) سعى بها إلى أهل المقتول فقال : إن موسى هو قتل صاحبكم ، ولولم يسمعه من الإسرائيل لم يعلمه أحد ، فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا ، فطلبه القوم فسبقهم ، قال : وقال ابن أبي نجیح : سعى القبطي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الإسرائيل لموسى (أَتُرِيدُ أَنْ تَمُتِلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي بِالْأَمْسِ) وقبطي قريب منهما يسمع ، فأفشى عليهما .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير ، قال : سمع ذلك عدو ، فأفشى عليهما .

وقوله (وَجَاءَ رَجُلٌ) ذكر أنه مؤمن آل فرعون ، وكان اسمه فيما قيل : سمعان : وقال بعضهم : بل كان اسمه شمعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير ، أخبرني وهب بن سليمان ، عن شبيب الجبتي ، قال : اسمه شمعون الذي قال لموسى (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح المملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه ، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان ، فقال (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) إلى موسى (قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) .

وقوله (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) يقول : من آخر مدينة فرعون (يَسْعَى) يقول : يعجل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) قال : يعجل ليس بالشد .

وقوله (قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) يقول جل ثناؤه : قال الرجل الذي

(١) بنيات الطريق : تصغير بنات الطريق ، وهي الطرق الصغار ، تتشعب من الطرق الكبار .

جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى : ياموسى إن أشرف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك، ويتشاورون ويرتثون فيك ؛ ومنه قول الشاعر :

مَا تَأْتَمِرُ فِينَا فَأَمْسِرُكَ فِي يَمِينِكَ أَوْشِيَاكَ ١

يعنى : ما ترتثى ، وتهم به ؛ ومنه قول النمر بن تولب :

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَخَذَتْهُوا شِيْمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمِرُونَ ٢

أَيُّ يُشْتَشَاوَرُ وَيُزْتَمَى فِيهَا .

وقوله (فَأَخْرَجُ إِيَّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) يقول : فأخرج من هذه المدينة، إني لك في إشارتي

عليك بالخروج منها من الناصحين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا لَوْجَهُ تَلَقَّاءَ مَدْبَنٍ
قَالَ عَمْسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب : يقول : ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة (فخرج منها خائفا يترقب) خائفا من قتله النفس يترقب الطلب (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (فخرج منها خائفا يترقب) قال : خائفا من قتل النفس ، يترقب أن يأخذه الطلب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أى وجه يسلك ، وهو يقول (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فخرج منها خائفا يترقب) قال : يترقب مخافة الطلب .

(١) في (اللسان : أمر) : وفي التنزيل : « إن الملا يأمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة أى يتشاورون عليك ليقتلوك . وجعل منه المؤلف قول الشاعر « ما تأتمر فينا » . يزيد أن ما تشاور فيه أهل الرأي في أمرنا ، فهو أمر نافذ لامعترض عليه . لكن تفسير المؤلف البيت بقوله « يعنى ما ترتثى ، وتهم به » يجعل المعنى ليس من الائتار ، بمعنى المشاورة ، ولكن من الائتار بمعنى الاستبداد بالرأى ، دون مشورة أحد غير نفسه قال الأزهرى : اتتمر فلان رأيه : إذا شاور عقله في الصواب الذى يأتية ، وقد يصيب الذى ياتمر رأيه مرة ، ويخطئ أخرى .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٨ : ١) . والشيمة : الخلق يريد : أحدثوا أخلاقا لم تعرف من قبل . يشير الشاعر إلى ما حدث من إثارة الشكوك والجدل في مسائل السياسة كالخلافة أو العقائد كالقول في القدر أو نحو ذلك . فهذه هي الأخلاق التى أحدثها الناس في الصدر الأول من حياة المسلمين ، بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم . والشاهد في قوله « يؤتمر » أى يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل . ولعل الشاعر رأى مقدمات الخلاف ، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث ، فألذرها .

وقوله (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا : ربّ نجني من هؤلاء القوم الكافرين ، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك .
 وقوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) يقول تعالى ذكره : ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ، ماضيا إليها ، شاخصا عن مدينة فرعون ، وخارجا عن سلطانه ، (قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) وعنى بقوله : « تلقاء » : نحو مدين ؛ ويقال : فعل ذلك من تلقاء نفسه ، يعنى به : من قبيل نفسه ويقال : داره تلقاء دار فلان : إذا كانت محاذيتها ، ولم يصرف اسم مدين لأنها اسم بلدة معروفة ، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ؛ ومنه قول الشاعر :

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكَ تَسَزَّلُوا والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الْفَادِرِ

وقوله (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) يقول : عسى ربّي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها .

وذكر أن الله قبض له إذ قال (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ملكا سدّده الطريق ، وعرفه إياه .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أخذ موسى في بنيات الطريق وجاءه ملك على فرس بيده عسّنة ؛ فلما رآه موسى سجد له من الفرق قال : لا تسجد لي ولكن اتبعني فاتبعه ، فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) فانطلق به حتى انتهى به إلى مدين .

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج موسى متوجها نحو مدين ، وليس له علم بالطريق ٢ إلا حسن ظنه بربه ، فانه قال (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لي أنه خرج وهو يقول (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فهيا الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيغ ، خائفا يترقب ، حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينها وبينها مسيرة ثمان ، قال : وكان يُقال نحو من الكوفة إلى البصرة ، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، وخرج حافيا ، فما وصل إليها حتى وقع خفّ قدمه .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عثّام ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لجرير ، وقد تقدم الاستشهاد به على أن الربيعان جمع راهب في (٧ : ٣) من هذا التفسير . واستشهد به هنا على أن مدين ممنوعة من الصرف لأنها علم على بلدة ، ففيها العلمية والتأنيث . (٢) الظهر : الدابة التي يركب ظهرها ، من حمل ونحوه

قال : لما خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينه وبينها ثمان ليال ، كان يقال : ننحو من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه ، ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) ومدين : ماء كان عليه قوم شعيب (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) .
وأما قوله (سَوَاءَ السَّبِيلِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو قولنا فيه .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق إلى مدين .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : قصد السبيل .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبيد بن راشد ، عن الحسن (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال : الطريق المستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَلُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٥٠﴾
* يقول تعالى ذكره : (وَلَمَّا وَرَدَ) موسى (مَاءَ مَدْيَنَ) ووجد عليه أمة من الناس يسقون .
(مِّنَ النَّاسِ) يسقون . نعمهم ومواشيهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) يقول : كثرة من الناس يسقون .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ) قال : أناسا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء .

حدثنا علي بن موسى وابن بشار، قالوا : ثنا أبو داود ، قال : أخبرنا عمران القطان : قال : ثنا أبو حمزة عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال علي بن موسى قال : مثل ماء جوبكم هذا ، يعني المحدث . وقال ابن بشار : مثل محدثكم هذه ، يعني جوابكم هذا .

وقوله (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء ، امرأتين تذودان ، يعني بقوله (تَذُودَانِ) تحبسان غنمهما : يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شيء من ذلك يشد ويذهب ، فردّه ومنعه يذودها ذوداً . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لا يجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعضا » فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم في الناس ؛ ومن الذود قول سويد بن كراع :

أبيت على باب القوافي كأنما أذود بها سرباً من الوحش نزعاً

وقول الآخر :

وقد سلبت عنصاك بنو تميم فما تدري بأى عصا تذود

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (تَذُودَانِ) يقول : تحبسان .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يعني بذلك أنهما حابستان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) قال : حابستين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول : تحبسان غنمهما .

واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان ، فقال بعضهم : كانتا تذودان غنمهما عن الماء ، حتى يصدر عنه مواشي الناس ، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما .

(١) البيت لسويد بن كراع المكي ، وكان هجاء بني عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها : (تقول ابنة العوف ليل ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا) ؟ والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن . قال عند قوله تعالى : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » : مجاز : تمنان وتردان وتضربان : قال سويد بن كراع « أبيت على باب القوافي » . . . البيت وقد أورد صاحب الأغاني أبيات سويد بن كراع التي منها بيت الشاهد في الجزء (١٢ : ٣٤٤) طبعة دار الكتب . وفيه « أصادي » في موضع « أذود » قال محققه : صاداه : داراه وسآره . ولا شاهد فيه حينئذ .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن الورقة ١٧٨ ب) قال : تذودان مجاز : تمنان وتردان وتضربان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك قوله :
(امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) قال : تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ) يعنى دون القوم
تذودان غنمهما عن الماء ، وهو ماء مدين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تذودان الناس عن غنمهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ
أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) قال : أى حابستين شاءهما
تذودان الناس عن شأهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه (تَذُودَانِ) قال :
تذودان الناس عن غنمهما .
وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه : تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقى
مواشيهم .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله (مَا خَطَبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) على
أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شكَا أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذوديهما ،
ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس ، كان لاشك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذوديهما عنها الناس ، لاعتن
سبب تأخر سقيهما إلى أن يُصْدِرَ الرعاء .

وقوله (قَالَ مَا خَطَبُكُمَا) يقول تعالى ذكره : قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان
ماشيئكما عن الناس ، هلا تسقونها مع مواشى الناس والعرب ، تقول للرجل : ما خطبك : بمعنى ما أمرك
وحالك ، كما قال الراجز :

يَا عَجَبًا مَا خَطَبُهُ وَخَطَبِي ۱

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن
جبشير ، عن ابن عباس ، قال : قال لهما (مَا خَطَبُكُمَا) معزلتين لا تسقيان مع الناس .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وجد لهما رحمة ، ودخلته فيهما خشية ، لما
رأى من ضعفهما ، وغلبته الناس على الماء دونهما ، فقال لهما : ما خطبكما : أى ما شأنكما .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة فى معانى القرآن (الورقة ١٨٧ - ١) قال فى تفسير قوله تعالى : « مَا خَطَبُكُمَا » : أى ما أمركما
وشأنكما ؟ قال : ياعجبا ما خطبه وخطبى . والبيت : من مشطور الرجز لرؤبة بن المعجاج (ديوانه ص ١٦) من أرجوزة يمدح
بها بلال بن أبي بردة ، وهو عامر بن عبدالله بن قيس ، مطلقها : • أتعننى والهوى ذو عتب •

وقوله (قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ) يقول جل ثناؤه : قالت المرأتان لموسى : لانسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، لأننا لانطبق أن نسقي ، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الخوض ، والرعاء : جمع راع ، والراعى جمعه رعاء ورعاة ورعيان .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس ، قال : لما قال موسى للمرأتين (ما نخطبكمما ؟ قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) : أى لانستطيع أن نسقي حتى يسقي الناس ، ثم نتبع فضلاتهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ) قال : تنتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ) امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يمس ذلك من نفسه ، ولا يسقي ماشيته ، فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز سوى أبى جعفر القارى وعامة قراء العراق سوى أبى عمرو (يُصْدِرَ الرَّعَاءُ) بضم الياء ، وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الخوض . وأما الآخرون فلمهم ضموا الياء ، بمعنى : أصدر الرعاء ، وواشيهم ، وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيب .
وقوله (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) بقولان : لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقي ماشيته .

وقوله (فَسَقَى لَهُمَا) ذُكِرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَحَ لَهُمَا عَنْ رَأْسِ بَثْرَ كَانَ عَلَيْهَا حَتَجَرٌ لَا يَطِيقُ رَفْعَهُ إِلَّا جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ اسْتَسْقَى فَسَقَى لَهُمَا مَاشِيَهُمَا مِنْهُ .

ذكر من قل ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فتح لهما عن بئر حجرا على فيها ، فسقى لهما منها .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه ، وزاد فيه : قال ابن جريج : حجرا كان لا يطيقه إلا عشرة رهط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن شريح ، قال : انتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة رجال ، فرفعه وحده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : رجعهما موسى حين (قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فَأَتَى إِلَى الْبَيْتِ فَاقْتَلَعَ صَخْرَةً عَلَى الْبَيْتِ كَانَ النَّفَرُ مِنْ

أهل مَدْيَنَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْفَعُوهَا ، فَسَقَى لَهَا مُوسَى دُلُوءًا فَأَرَوْتَا غَنَمَهُمَا ، فَرَجَعْتَا سَرِيعًا ، وَكَانَتَا إِنَّمَا تَسْقِيَانِ مِنْ فُضُولِ الْخِيَاضِ .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس (فَسَقَى لَهَا) فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا حتى كانت أول الرعاء رياء ، فأنصرفتا إلى أبيهما بغنمهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : تصدق عليهما نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسقى لهما ، فلم يلبث أن أروى غنمهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أخذ دلوها موسى ، ثم تقدم إلى السقاء بنضل قوته ، فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ، ثم سقى لهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ، ثم تولى إلى ظل شجرة ذكير أنها سمرة . ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ تَوَلَّى) موسى إلى ظل شجرة سمرة ، فقال (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثني العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس ، قال : أنصرف موسى إلى شجرة ، فاستظل بظلها ، (فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، قال : حدثت علي جمال لي ليلتين حتى صبحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترف ، فأهوى إليها جملي وكان جائعا ، فأخذها جملي ، فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوت الله لموسى عليه السلام ، ثم أنصرفت ، وقواه ، (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج ، وذكر أن نبي الله موسى عليه السلام قال هذا القول ، وهو بجهد شديد ، وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما ، لعلهما أن تطعماه مما به من شدة الجوع . وقيل : إن الخير الذي قال نبي الله (إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) محتاج ، إنمّا عني به : شبعه من طعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب موسى

من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت تُرَى أمعاؤه من ظاهر الصِّفاق ؛ فلما سقى للمراتين ، وأوى إلى الظل ، قال (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء وإنه ليرأى خُضرةُ البقل في بطنه من الهزال ، (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبَّعة .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) قال : ورد الماء ، وإن خُضرة البقل لُتْرى في بطنه من الهزال .

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : شَبَّعة يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ، فقال (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال هذا وما معه درهم ولادينار .
قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ما سأل إلا الطعام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن سفيان الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله فقال (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : ما سأل ربه إلا الطعام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى : ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضرة أمعائه من شدة الجوع ، وما يسأل الله إلا أَكْلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : كان نبي الله يجهد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن عطاء بن السائب في قوله (إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : طعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال : الطعام يَسْتَطْعِمُ ، لم يكن معه طعام ، وإنما سأل الطعام .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سَتَقِي لهما تَمْشِي على استحياء من موسى ، قد سَتَرَتْ وجهها بثوبها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك .

حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في قوله (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : مستورة بكم درعها ، أو بكم قميصها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حماد بن عمرو والأسدي ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن عمر رضي الله عنه ، قال : واضعة يدها على وجهها مستورة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : قد سَتَرَتْ وجهها بيديها .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : قائلة بيديها على وجهها ، ووضع أبي يده على وجهه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : ليست يسلفن من النساء خراجة ولا بجة واضعة ثوبها على وجهها ، تقول (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا قُرَّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : بعيدة من البذاءة .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) قال : أنه تَمْشِي على استحياء منه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَبَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)
قال : واضعة يدها على جبينها .

وقوله (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) يقول تعالى ذكره : قالت المرأة
التي جاءت موسى تمشي على استحياء : إن أبي يدعوك ليجزيك : تقول : يشيئك أجر ما سقيت لنا .
وقوله (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) يقول : مضى موسى معها إلى أبيها ، فلما جاء أباهما
وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط ، قال له أبوها (لَا تَخَفْ) فقد (نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ) يعني : من فرعون وقومه ، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أتوا بها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن حبيب
عن ابن عباس ، قال : استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلاً بطانا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .
قال أبو جعفر : أحسبه قال : فأخبرناه الخبر ؛ فلما أتاه موسى كلمته ، (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَّوْتَ مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما
سريعا سألهما ، فأخبرناه خبر موسى ، فأرسل إليه إحداهما ، فأتته تمشي على استحياء ، وهو يستحي منه
(قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقام معها وقال لها : امضي ، فشت بين
يديه ، فضربتها الريح ، فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلقي ، ودُليني على الطريق إن أخطأت
فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)
قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) قال : قال مطرف : أما والله لو كان عند نبي
الله شيء ما تتبع مذيقيهما ، ولكن إنما حمله على ذلك الجهد (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : رجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان
فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما فأخبرناه الخبر ، فقال لإحداهما : عَجِّلِي عَلَيَّ بِهِ ، فأتته على استحياء فجاءته ،
فقلت (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فقام معها كما دُكِرَ لي ، فقال لها : امشي
خلقي ، وانعني لي الطريق ، وأنا أمشي أمامك ، فلما لا ننظر إلى أدبار النساء ؛ فلما جاءه أخبره الخبر ،
وما أخرجه من بلاده (فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) قَالَ لَا تَخَفْ نَجَّوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وقد
أخبرت أباهما بقوله إننا لا ننظر إلى أدبار النساء .

(١) ملقيهما : مثنى ملق ، وهو اللبن يخلط بالماء ، ويشرب . يريد أن موسى عليه السلام ، لم يكن معه مال ولا زاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرَّهٗ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرَ لِقَوِيِّ الْأَمِينِ ﴿٦٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أناه موسى ، وكان اسم إحداهما صفورا ، واسم الأخرى ليثا ، وقيل : شرفا كذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الرمادي ، عن شعيب الجبيلي ، قال : اسم الجاريتين ليثا ، وصفورا ، وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون^١ كاهن مدين ، والكاهن : حبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إحداهما صفورا ابنة يثرون وأختها شرفا ، ويقال : ليثا ، وهما اللتان كانتا تزدودان . وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف ، فقال بعضهم : كان اسمه يثرون^١ . ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمر بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى ابن^١ أخى شعيب يثرون^١ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : الذي استأجر موسى يثرون ابن^١ أخى شعيب عليه السلام . وقال آخرون : بل اسمه : يثري^١ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال : الذي استأجر موسى : يثري^١ صاحب مدين .

حدثني أبو العالية العبدى إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى : يري^١ صاحب مدين .

حدثني أبو العالية العبدى إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي المرأة : يثري^١ .

وقال آخرون : بل اسمه شعيب ، وقالوا : هو شعيب النبي عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

❦ قال أبو جعفر : وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى

(١) يثرون ويثري : كذا في الأصل . وفي العرائس (قصص الأنبياء ، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف

بالتماشي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ص ١٧٤ : « يثرون ») . ولعله تحريف من الناسخ .

بأنصواب مما قاله الله جل ثناؤه (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ... قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) تعنى بقولها : استأجره ليرعى عليك ماشيتك (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) تقول : إن خير من تستأجره للرعى القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها ، الأمين الذي لا تخاف خيانتة ، فيما تأمنه عليه . وقيل : إنها لما قالت ذلك لأبيها ، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه فقال لها : وما علمك بذلك ، فقالت : أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر ، وأما الأمانة فما رأيت من غصن البصر عني .

وينحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمعي بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس ، قال (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) قال : فأحفظته الغيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وأمانته ؟ قلت : أما قوته ، فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه ؛ وأما أمانته ، فانه نظر حين أقبلت إليه وشخصت إليه ، فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ، ولم ينظر إليّ حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : امشي خلفي وانعني لي الطريق ، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين ، ففسرني عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله لموسى (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) يقول : أمين فيما ولى ، أمين على ما استودع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) قال : إن موسى لما سقني لهما ، ورأت قوته ، وحركه حجراً على الركبة ، لم يستطعه ثلاثون رجلاً ، فأزاله عن الركبة ، وانطلق مع الجارية حين دعت ، فقال لها : امشي خلفي وأنا أمامك ، كراهية أن يرى شيئاً من خلفها مما حرم الله أن ينظر إليه ، وكان يوماً فيه ريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، ، عن عبد الرحمن بن أبي نعم ، في قوله (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) قال لها أبوها : ما رأيت من أمانته ؟ قالت : لما دعوته مشيت بين يديه ، فجعلت الريح تضرب ثيابي ، فتلرز بجسدي ، فقال : كوني خلفي ، فإذا بلغت الطريق فاذهبي . قالت : ورأيت يملأ الخوض بسجل واحد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) قال : غض طرفه عنهما ، قال محمد بن عمرو في حديثه حين ، أو حتى سقى لهما فصدرتا . وقال الحارث في حديثه : حتى سقى بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : فتح عن
 برحجرا على فيها ، فسقى لهما بها ، والأمين : أنه غص بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خاليد الأحمر وهاني بن سعيد ، عن الحجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد
 (إن نخير من استأجر القوي الأمين) قال : رفع حجرا لا يرفعه إلا فيثام من الناس .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، قال عمرو بن ميمون ، في قوله
 (القوي الأمين) قال : كان يوم ربح ، فقال : لآتمشي أمانى ، فيصفك الريح لى ، ولكن امشى نخلنى
 ودلبنى على الطريق ، قال : فقال لها : كيف عرفت قوته ؟ قالت : كان الحجر لا يطيقه إلا عشرة فرفعه وحده .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن
 شريح في قوله (القوي الأمين) قال : أما قوته : فانهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة ، فرفعه وحده . وأما
 أمانته : فلانها مشيت أمامه فوصفها الريح ، فقال لها : امشى نخلنى وصنى لى الطريق .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، قال : سألت نعيم بن
 إبراهيم : بم عرفت أمانته ؟ قال : في طرفه ، بغض طرفه عنها .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن نخير من استأجر القوي الأمين)
 الأمين : قال : القوي في الصنعة ، الأمين فيما ولى . قال : وذكر لنا أن الذى رأيت من قوته : أنه لم تلبث
 ماشيتها حتى أرواها ، وأن الأمانة التى رأيت منه أنها حين جاءت تدعوه ، قال لها : كوني ورائى ، وكره
 أن يستدبرها ، فذلك ما رأيت من قوته وأمانته .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يا أبت
 استأجره إن نخير من استأجر القوي الأمين) قال : بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى
 عنهما . وبلغنا أنه ملأ الخوض بدلو واحدا . وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشى خلفه .
 حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قالت إحداهما : يا أبت
 استأجره إن نخير من استأجر القوي الأمين) وهى الجارية التى دعت ، قال الشيخ : هذه
 القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، رأيت أمانته ، ما يدريك ما هى ؟ قالت : مشيت قدأمه فلم يحب أن
 يخوننى فى نفسى ، فأمرنى أن أمشى خلفه .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قالت إحداهما : يا أبت
 استأجره إن نخير من استأجر القوي الأمين) فقال لها : وما علمك بقوته وأمانته ، فقالت :
 أما قوته فإنه كشف الصخرة التى على بر آ ل فلان ، وكان لا يكشفها دون سبعة نفر . وأما أمانته فلانى لما
 جئت أدعوه قال : كوني خلف ظهري ، وأشير لى إلى منزلك ، فعرفت أن ذلك منه أمانة .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالت يا أبت استأجره إن نخير من

(١) الدلو : الذى يستقى به من البئر ونحوها : يذكر ويؤنث (عن اللسان) .

مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ) لما رأت من قوته وقوله لها ما قال: أَنْ امْشِي خَلْفِي ، لئلا يرى منها شيئا مما يكره ، فزاده ذلك فيه رغبة :

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنِّي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (قال) أبو المراتين اللتين سقى لهما موسى لموسى : (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنِّي حَجَجٍ) يعني بقوله (عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) : على أن تثبني من تزويجها رعى ماشيتي ثمانى حجج ، من قول الناس : آجرك الله فهو يَأْجُرُكَ ، بمعنى : أثابك الله ، والعرب تقول : أَجَرْتُ الْأَجِيرَ أَجْرَهُ ، بمعنى : أعطيته ذلك ، كما يقال : أَخَذْتُهُ فَأَنَا آخِذُهُ . وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب : أَجَرْتُ غُلَامِي فَهُوَ مُأْجُورٌ ، وَأَجَرْتُهُ فَهُوَ مُؤْجَرٌ ، يريد : أفعَلته . قال : وقال بعضهم : آجَرُهُ فَهُوَ مُؤْاجِرٌ ، أراد فاعلته ، وكأن أباها عندي جعل صداق ابنته التي زوّجها موسى رعى موسى عليه ماشيته ثمانى حجج ، والحجج : السنون .

وقوله (فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ) يقول : فَإِنْ أَتَمَمْتَ الثَّمَانِي الْحَجَجَ عَشْرًا الَّتِي شَرَطْتُهَا عَلَيْكَ بِإِنْكَاحِي إِيَّاكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ ، فجعلتها عشر حجج ، فإحسان من عندك ، وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ) باسْتِطَاعَةِ الثَّمَانِي الْحَجَجَ عَشْرًا عَلَيْكَ (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) في الوفاء بما قلت لك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) أي في حُسْنِ الصَّحْبَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا قُلْتُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : (قال) موسى لأبي المراتين (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) أي هذا الذي قلت من أنك تزوّجتني إحدى ابنتيك على أن آجرك ثمانى حجج ، وأجب بيني وبينك ، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه . وقوله (أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ) يقول : أَيُّ الْأَجْلَيْنِ مِنَ الثَّمَانِي الْحَجَجِ وَالْعَشْرِ الْحَجَجِ قَضَيْتُ ، يقول : فرغت منها فوفيتكها رعى غنمك وماشيتك (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) يقول : فليس لك أن تعتدي عليّ ، فتطالبني بأكثر منه ، و« ما » في قوله (أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ) صلة يوصل بها أي على الدوام ^١ ، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أي ^١ ، وأنشد قول الشاعر :

(١) يظهر أن في عبارة الأصل مقطا ، يعلم من عبارة الفراء في شرح البيت الآتي . وقوله « على الدوام » أي أن (ما) الزائدة تلحق بلفظ أي دائما ، وقوله وزعم أهل العربية الخ : يريد أن أهل العربية قالوا : إن ما إما أن تلحق بلفظ أي ، أو تجيء بعد ما أضيف إليه « أي » ، وهذا أكثر في كلام العرب كما يعلم من الشاهدين الآتين بعد .

وَأَيُّهُمَا مَا أَتْبَعَنَ فَلِإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى أَثَرِ الَّذِي أَنَا تَابِعٌ^١

وقال عباس بن مرداس :

فَأَتَى مَا وَأَيْتُكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا^٢

وقوله (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال موسى (ذَلِكَ بَيْتِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا
الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال : نعم . (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) فزوجه ، وأقام معه
يكفيه ، ويعمل له في رعاية غنمه ، وما يحتاج إليه منه ، وزوجة موسى صفورا أو أختها : شرفا أو ليتها ،
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : الجارية التي

دعته هي التي تزوج .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال له (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ
إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأيتهما تريد أن تنكحني ؟ قال :
التي دعيتك ، قال : لا . ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها ، فقال : هي عندك كذلك ، فزوجه .
وبنحو الذي قلنا في قوله (أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَالَ ذَلِكَ بَيْتِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا
الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) إما ثمانيا ، وإما عشرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن
بجي بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل قال (أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ)
قال : فقال القاسم : ما أبالي أي ذلك كان ، إنما هو موعد وقضاء :

وقوله (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) يقول : والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على

نفسه بهذا القول ، شهيد وحفيظ .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَاللَّهُ
عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) قال : شهيد على قول موسى وختمته . وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقد بينهما

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ٢٤١) على أن (ما) قد تزد بعد المضاف إلى «أي» أداة الجزاء . قال : قوله «أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ»
فجعل ما وهي صفة من صلوات الجزاء مع أي . وهي في قراءة عبد الله : «أَيْ الْأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» . وهذا أكثر في كلام

العرب من الأول . ويتضح من هذا أن عبارة المؤلف قاصرة أو فيها جزء ساقط قبل قوله : «وزعم أهل العربية» . . . الخ .

(٢) البيت لعباس بن مرداس . وقد تقدم الاستشهاد به في مواضع والشاهد هنا في زيادة «ما» بعد ما أضيف إليه . أي والمقامة :
المجلس . وقيد إلى المقامة : دماء عليه بأن يعنى ، فلا يصل إلى مجلس قومه إلا إذا قيد .

هذا العقد ، أمر إحدى ابنتيه أن تعطي موسى عصاً من العصي التي تكون مع الرعاة ، فأعطته إياه ، فذكر بعضهم أنها العصا التي جعلها الله له آية . وقال بعضهم تلك عصا أعطاه إياها جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر يعني أبا المراتين إحدى ابنتيه أن تأتيه ، يعني أن تأتي موسى بعصاً ، فأتته بعصاً ، وكانت تلك العصا عصاً استودعها إياه مَلَكٌ في صورة رجل ، فدفعها إليه ، فدخلت الجارية ، فأخذت العصا ، فأتته بها ، فلما رآها الشيخ قال : لا ، أتته بغيرها ، فألقها تريد أن تأخذ غيرها ، فلا يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردّها ، وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ، فلما رأى ذلك عمد إليها ، فأخرجها معه ، فرعى بها ، ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت وديعة ، فخرج يتلقى موسى ، فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال موسى : هي عصاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما ، فرضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاها ، فأتاهما ملك يمشي ، فقال : ضعوها في الأرض ، فمن حملها فهي له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذ موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشرين سنين . قال عبد الله ابن عباس : كان موسى سائحاً بالفناء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال يعني أبا الجارية لما زوجها موسى لموسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا ، فتوكأ عليها ، فدخل ، فلما وقف على باب البيت ، طارت إليه تلك العصا ، فأخذها ، فقال : اردّها ونخذ أخرى مكانها ، قال : فردّها ، ثم ذهب ليأخذ أخرى ، فطارت إليه كما هي ، فقال : لا أردّها ، فعل ذلك ثلاثاً ، فقال : ارددها ، فقال : لا أجد غيرها اليوم ، فالتفت إلى ابنته ، فقال لابنته : إن زوجك لنبي .

ذكر من قال التي كانت آية عصاً أعطاه موسى جبرائيل عليه السلام :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سألت عكرمة قال : أما عصا موسى ، فإنها خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ، فلقى موسى بها ليلاً ، فدفعها إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ۚ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ۚ الْعَالِي ۚ ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما وّفى موسى صاحبه الأجل الذي قارقه عليه ، عند إنكاحه إياه ابنته ، وذكر أن الذي وفّاه من الأجلين ، أتمهما وأكملهما ، وذلك العشر الحجج ، على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال : زاد مع العشر عشراً أخرى .

ذكر من قال : الذي قضى من ذلك هو الحجج العشر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت ابن عباس : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : خيرهما وأوفاهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس سئل : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأخيرهما .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قضى موسى آخر الأجلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عبيدة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأوفاهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج : إني أراك رجلاً تتبع العلم ، أخبرني أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا الآن قادم على حبيب العرب ، يعني ابن عباس ، فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودي ، فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى هذا ، والله العالم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصمعي بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت رجل من أهل النصرانية : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا يوهئ لأعلم ، فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذي سألتني عنه النصراني ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه ، لم يكن نبي الله نقص منها شيئا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عيده التي وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَسَّمَا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) قال : حدث ابن عباس ، قال : رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيّ الأجلين قضى موسى ؟ » قال : أوفاهما وأتمهما .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحميدي أبو بكر بن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت جبرائيل : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : إن النبي

(١) في الخلاصة للخزرجي : عبد الله بن الزبير بن عبد الله (أبو عبيد الله) الأسدي الحميدي المكي أحد الأئمة .

صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل « أَيْ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قَالَ سَوَّفَ أَسْأَلُ إِسْرَافِيلَ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : سَوَّفَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : أَبَرَّهُمَا وَأَوْفَاهُمَا »

ذكر من قال : قضى العشر الحجيح وزاد على العشر عشرين أخرى

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) قال : عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرين أخرى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرين أخرى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس ، قال : لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولد ، فعمد ، فرفع خيالا على الماء ، فلما رأت الخيال ، فزعت ، فجالت بجولة فولدت كلهن بُلُتًا ، إلا شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام .

وقوله (وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) يقول تعالى ذكره : (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ) شاخصا بهم إلى منزله من مصر (آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) يعني بقوله : آنَسَ : أبصر وأخس كما قال العجاج :

آنَسَ خَيْرَبَانٍ فَضَاءً فَاثْكَدَرُ دَأَانِي جَنَاحِيهِ مِنْ الطُّورِ قَمَرٌ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، غير أنا نذكر دهنا بعض ما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) قال : لَأَهْلِهِ : امْكُثُوا لِي أَنَسْتُ نَارًا) : أي أحسست نارا .

وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهد ، وما فيه من الرواية عن أهل التأويل .

وقوله (لَأَهْلِهِ امْكُثُوا لِي أَنَسْتُ نَارًا) يقول : قال موسى لأهله : تمهلوا وانتظروا . لِي أَبْصُرَ نَارًا (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا) يعني من النار (بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يقول : أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧) ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثاني هو ٧٤ . وفي رواية الأول : « أبصر » في موضع « آنس » وهما بمعنى . والحربان بالكسر جمع خرب كسب ، وهو ذكر الجباري ، وقيل هو الجباري كلها . ومن جموعه أيضا : أخراب ، وخراب . وانكدر : أسرع وانقض . والضمير في الفعلين للبازي المذكور في البيت قبله ، وقد شبه الممدوح عمر بن عبيد الله بالبازي ينقض على أعدائه ، كما ينقض البازي على الجباري ، فيصيدها . وانظر شرح البيت الثاني مطولا في الجزء (٩ : ٢٤٣) . وهذه الأرجوزة يمدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولاه ابن الزبير العراق لمحاربة عبيد الله بن بشير بن الماجوز من الخوارج ، فعهد في حربهم إلى أخيه عثمان بن عبيد الله بن معمر ، فقتل . (انظر البلاذري . مخطوط بدار الكتب المصرية) .

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِيرٍ
وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث : جذوة بكسر الجيم ، وبها قرأت قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة ، وهي أشهر اللغات الثلاث فيها . وجذوة بفتح الجيم ، وبها قرأ أيضا بعض قراء الكوفة .^٢ وهذه اللغات الثلاث وإن كنّ مشهورات في كلام العرب ، فالقراءة بأشهرها أعجب إلى ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن .

وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْجَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) يقول شهاب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْجَذْوَةٍ) والجذوة : أصل شجرة فيها نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَأَنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْجَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) قال : أصل الشجرة في طرفها النار ، فذلك قوله (أَوْجَذْوَةٍ) قال : السعف فيه النار . قال معمر ، وقال قتادة (أَوْجَذْوَةٍ) : أو شُعلة من النار .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْجَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (أَوْجَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) قال : أصل شجرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْجَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) قال : الجذوة : العود من الحطب الذي فيه النار ، ذلك الجذوة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : لعلكم تسخنون بها من البرد ، وكان في شتاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾

(١) البيت لقيم بن أبي بن مقبل (اللسان : جذا) قال : يقال لأصل الشجرة جذية وجذاة (الأولى بكسر الجيم ، والثانية بفتحها) . الأصمعي : جذم كل شيء وجذيه : أصله . والجذاء : أصول الشجر العظام العادية . التي بلى أعلاها . وبقي أسفلها ، قال تميم بن مقبل « باتت حواطب ليلي » . . . البيت . اه : والحواطب : جمع حاطبة ، وهي الأمة تجمع الحطب . وقال أبو عبيدة في مجازي القرآن : « جذوة من النار » : أي قطعة غليظة من الحطب ، ليس فيها لهب ، وهي مثل الجذمة ، من أصل الشجرة : قال ابن مقبل . « باتت حواطب ليلي » . . . البيت . اه : والحوار : الضعيف . والدمر : العود يدخن كثيرا ولا يتقد ، وهو الرديء الدخان . وقيل : الدمر من الحطب : البالي .

(٢) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة ، وهي : جذوة (بضم الجيم) وبها قرئ أيضا .

ﷺ يقول تعالى ذكره : فلما أتى موسى النار التي (آنسَ مِن جَنَابِ الطُّورِ) (نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ) يعني بالشاطئ : الشطّ ، وهو جانب الوادي وعدوته ، والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشطّ : الشطوط والأيمن : نعت من الشاطئ عن يمين موسى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِن شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ) قال ابن عمرو في حديثه عند الطور . وقال الحارث في حديثه من شاطئ الوادي الأيمن عند الطور عن يمين موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أَنَاها نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ) قال : شقّ الوادي عن يمين موسى عند الطور . وقوله (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) من صلة الشاطئ .

وتأويل الكلام : فلما أنها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة منه من الشجرة : (أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) .

وقيل : إن معنى قوله (مِن الشَّجَرَةِ) : عند الشجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا أَنَاها نُودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : نودي من عند الشجرة (أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) .

وقيل : إن الشجرة التي نادى موسى منها ربه : شجرة عوسج . وقل بعضهم : بل كانت شجرة العُلُق .

ذكر من قل ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال : الشجرة عوسج . قال معمر ، عن قتادة عصا موسى من العوسج : والشجرة من العوسج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض من لايتهم ، عن بعض أهل العلم (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) قال : خرج نحوها ، فإذا هي شجرة من العُلُق ، وبعض أهل الكتاب يقول : هي عوسجة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام ، شجرة سمراء خضراء ترف

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكُونُ

أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٦١﴾ أَسْلُوكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٢﴾

﴿٦١﴾ يقول تعالى ذكره: نُودِيَ موسى: (أَنْ يَأْمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فَأَلْقَاهَا موسى ، فصارت حية تسعى (فَلَتَمَّهَا رَأَاهَا) موسى (تَهْتَشِرُ) يقول : تتحرك وتضطرب (كَأَنَّهَا بَاجَانٌ) والجان : واحد الجنان ، وهي نوع معروف من أنواع الحيات ، وهي منها عظام . ومعنى الكلام : كأنها جان من الحيات (وَآلَى مُدْبِرًا) يقول : ولي موسى هاربا منها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآلَى مُدْبِرًا) فارا منها ، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يرجع على عقبه .

وقد ذكرنا الرواية في ذلك ، وما قاله أهل التأويل فيما مضى ، فكرهنا إعادته ، غير أننا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : ولم يعقب : أى لم يلتفت من الفرق .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول : لم ينتظر . وقوله (يَا مُوسَى أَتَبِيلٌ وَلَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره : فنودي موسى : يا موسى أقبِلْ إِلَى وَلَا

تَخَفْ مِنَ الَّذِي تَهْرَبُ مِنْهُ ، (إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) من أَنْ يَضُرَّكَ ، إنما هو عصاك . وقوله (اسْلُوكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) يقول : أدخل يدك وفيه لغتان : سلكته ، وأسلكته (فِي جَيْبِكَ) يقول : في جيب قميصك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اسْلُوكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) : أى في جيب قميصك .

وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله أُمِرَ أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ فِي الْجَيْبِ دُونَ الْكُمِ .

وقوله (تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) يقول : تخرج بيضاء من غير برص .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن المفضل ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، عن الحسن ، في قوله (اسْلُوكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال : فخرجت كأنها المصباح ، فأيقن موسى أنه لقي ربه وقوله (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) يقول : واضمم إليك يدك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال : يدك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال :

وجناحاه : الذراع ، والعضد : هو الجناح . والكف : اليد ، (اضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وقوله (من الرهب) يقول : من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (من الرهب) قال : الفرق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (واضمم إليك جناحك من الرهب) : أي من الرعب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (من الرهب) قال : ما دخله من الفرق من الحية والخوف ، وقال : ذلك الرهب ، وقرأ قول الله (يدعوننا رغبا ورهبا) قال : خوفا وطمعا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والبصرة (من الرهب) بفتح الراء والهاء . وقرأته عامة قراء الكوفة (من الرهب) بضم الراء وتسكين الهاء ، وأقول في ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيح .

وقوله (فتدآنك برهانان من ربك) يقول تعالى ذكره : فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من تحول العصا حية ، ويدك وهى سمراء ، بيضاء تلمع من غير برص ، برهانان : يقول : آيتان وحجتان ؛ وأصل البرهان : البيان ، يقال للرجل : يقول القول إذا سئل الحجة عليه : هات برهانك على ما تقول : أى هات تبيان ذلك ومصادقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فتدآنك برهانان من ربك) العصا واليد آيتان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فتدآنك برهانان من ربك) تبيانان من ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فتدآنك برهانان من ربك) هذان برهانان . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فتدآنك برهانان من ربك) (هاتوا برهانكم) على ذلك آية نعرفها ، وقال : برهانان آيتان من الله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (فتدآنك) فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى ابن كثير وأبي عمرو

(فَذَانِكَ) بتخفيف النون ، لأنها نون الاثنين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو (فَذَانَّكَ) بتشديد النون . واختلف أهل العربية في وجه تشديدها ، فقال بعض نحوّي البصرة : ثقل النون من ثقلها للتوكيد ، كما أدخلوا اللام في ذلك . وقال بعض نحوّي الكوفة : شددت فزقا بينها وبين النون التي تسقط للإضافة ، لأن هاتان وهذان لاتضاف . وقال آخر منهم : هو من لغة من قال : هذا آقال ذلك ، فزاد على الألف ألفا ، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة ، وقال في ذانك إنما كانت ذلك فيمن قال : هذان يا هذا ، فكرهوا ثنية الإضافة فأعقبوها باللام ، لأن الإضافة تعقب باللام . وكان أبو عمرو يقول : التشديد في النون في (ذَانِكَ) من لغة قريش (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) يقول : إلى فرعون وأشراف قومه ، حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول : إن فرعون وملائه كانوا قوما كافرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى : ربّ إني قتلت من قوم فرعون نفسا ، فأخاف إن أتيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلوني ، لأن في لساني عقدة ، ولا أبين معها ما أريد من الكلام ، وأخي هارون هو أفصح مني لسانا ، يقول : أحسن بيانا عما يريد أن يبينه (فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا) يقول : عونا يصدقني : أي يبين لهم عني ما أخطبهم به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) : أي يبين لهم عني ما أكلهم به ، فإنه يفهم ما لا يفهمون . وقيل : إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه ، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخبر ، كانت النفس إلى تصديقهما ، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد .

ذكر من قال ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) لأن الاثنين أحري أن يصدقا من واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) قال عونا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رِدْأٌ يُصَدَّقُنِي) : أي عونا .
وقال آخرون : معنى ذلك : كما يصدقني .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (رِدْأٌ يُصَدَّقُنِي)
يقول : كي يصدقني :
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً يُصَدَّقُنِي)
يقول : كما يصدقني :
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(رِدْأٌ يُصَدَّقُنِي) يقول : كما يصدقني . والردء في كلام العرب : هو العون ، يقال منه : قد أردأت
فلانا على أمره : أي أكفيته وأبعثته .

واختلفت القراء في قراءة قوله (يُصَدَّقُنِي) فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة (رِدْأً يُصَدَّقُنِي)
يجزم يصدقني . وقرأ عاصم وحزمة (يَصَدَّقُنِي) برفعه ، فن رفعه جعله صلة للردء ، بمعنى : فأرسله معي
ردءاً من صفته يصدقني ؛ ومن جزمه جعله جواباً لقوله فأرسله ، فلذلك إذا أرسلته صدقني ، على وجه الخبر .
والرفع في ذلك أحب القراءتين إلى ، لأنه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة .
وقوله (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) يقول : إني أخاف أن لا يصدقون على قولي لهم إني أرسلت إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَتَشِدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكَ مُلْكًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ
وَمَنْ أَتَّبَعَكُمْ فَأَلْغِيُوهُمْ

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (سَتَشِدُّ عَضُدَكَ) أي تقويك ونعينك بأخيك ، تقول العرب
إذا أعز رجل رجلاً ، وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم ، قد شد فلان على عضد فلان ، وهو من عاضده على
أمره : إذا أعانه ، ومنه قول ابن مقبل :

عاضدٌ لها بعتودٍ غير مُعتلثٍ كأنه وقف عاجٍ ، بات مكنوناً

(١) البيت لثيم بن أبي بن مقبل ، قاله المؤلف ، نقلاً عن مجاز القرآن لأبي عبيدة ، قال : شدد عضدك بأخيك : أي سقويك به
ونعينك به . يقال إذا أعز رجل رجلاً ومنعه : قد شد فلان على عضد فلان . وهو من عاضده على أمره ، أي حاوته عليه وآزرته :
قال ابن مقبل : « عاضدته . . . بات مكنوناً » . يعني قوساً ، أي عاضدها بهم . اهـ . انظر المصورة (رقم ٢٦٠٥٩ بجامعة
القاهرة) : والعنود : السدرة أو الطلحة ، ولعل بهم بن مقبل كان من شجر السدر أو الطلح . والمعتلث : إما من اعتلث الزند
إذا لم يور ، فهو حينئذ بكسر اللام : وإما من اعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدري أيوري أم يصلد . وقال أبو حنيفة :
اعتلث زنده ، إذا اعترض الشجر اعتراضاً ، فاتخذ ما وجد ، والغين لغة ، عنه أيضاً . وهو حينئذ بفتح اللام . والوقف من الماع : =

يعنى بذلك : قوسا عاضدها بسهم . وفي العَصْد لغات أربع : أجزودها : العَصْد ، ثم العَصْدُ ، ثم العَصْدُ ، ثم العَصْدُ ، والعَصْدُ . يجمع جميع ذلك على أعضاد .

وقوله (وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا) يقول : ونجعل لكما حجة :

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَكُمْ سُلْطَانًا) حجة . حدثنا القاسم قال : قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريح ، عن مجاهد ، مثله : حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا) والسلطان : الحجة .

وقوله (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء : وقوله (بَيَّاتِنَا) يقول تعالى ذكره : (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) فرعون وقومه (بَيَّاتِنَا) أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) فالباء في قوله بَيَّاتِنَا من صلة غالبون . ومعنى الكلام : أنما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بَيَّاتِنَا أى بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججتنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه ، قالوا لموسى : ما هذا الذي بجئتنا به إلا سحرا افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا (وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي تدعونا إليه من عبادة من تدعونا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبانا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ مُوسَى) مجيبا لفرعون (رَبِّي أَعْلَمُ) بالحق منا يا فرعون من المبطل ، ومن الذي جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحججة من عنده ، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا ، وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون ، وبخيل مخاطبة ، إذ ترك أن يقول له ، بل الذي غر قومه وأهلك بجنوده ، وأضل أتباعه أنت لا أنا ، ولكنه قال (رَبِّي أَعْلَمُ) بمن جاء بالهدى

كهيفة السوار ، يريد ما في السهم من خطوط سود سمة له كالتى تكون في الوقف من العاج ، وقوله « بات مكنوز » هذه رواية أبي عبيدة ، ولعل ما في الأصل تحريف من الناسخ . وممنه : أن السهم قد أعد وهى ووضع في الكنانة ، وهى جعبة السهام ، وبقي فيها إلى أن ركب في القوس .

مِنْ عِندِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) ثم بالغ في ذمّ عدوّ الله بأجل من الخطاب فقال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لا ينجح ولا يدرك طلبهم الكافرون بالله تعالى ، يعني بذلك فرعون إنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي بِهَمَكُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه من الكاذبين ﴿٨١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم (يا أيُّها الملأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) فتعبده ، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ومعبودا سوى ، (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ) يقول : فاعمل لي آجرا ، وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبني به :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ) قال : على المدر يكون لبينا مطبوخا .

قال ابن جريج : أول من أمر بصنعة الآجر وبني به فرعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ) قال : فكان أول من طبخ الآجر يبني به الصرح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ) قال : المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان .

وقوله (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) يقول : ابن لي بالآجر بناء ، وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ، ومنه قول الشاعر :

يَهِنٌ نَعَامٌ بَنَاهَا الرَّجَاءُ لَمْ تَحْسَبْ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا
يعني بالصرح : جمع صرح .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف طرق المفازة (اللسان : نعم) . قال : النعامة : كل بناء أو غلة أو علم يهتدى به من أعلام المفاوز . وقيل : كل بناء على الجبل كالغلة والعلم . والجمع : نعم . قال أبو ذؤيب يصف طرق المفازة : « يهين نعم . . . البيت قال : . وروى الجوهري عجزه . تلقى النفااض فيه السريحا » قال : والنفااض الهزل من الإبل : اه . وفي (اللسان : نفص) النفيسة نحو الطليعة ، وهم الجماعة يمشون في الأرض متجسسين ، لينظروا : هل فيها عدو ؟ وخوف . والجمع النفااض . هذا تفسير الأصمعي . وهكذا رواه أبو عمرو بالفاء إلا أنه قال في تفسيره إنها الهزل من الإبل . قال ابن بري : النعام : خشبات يستظل تحتها . والرجال : الرجالة . والسريع : سيور تشد بها النعال ، يريد أن نعال النفااض تقطعت . والصرح : جمع صرح ، وهو كافي (اللسان : صرح) بيت واحد يبنى منفردا ضخما ، طويلا في السماء . قال أبو ذؤيب :

عَسَلِي طَرْقِي كَسُحُورِ الظُّبَا
تَحْسَبُ أَرَامَهُنَّ الصُّرُوحَا

وقال الزجاج في قوله تعالى : « قيل لما ادخل الصرح » قال : الصرح في اللغة القصر ، والصحن . يقال : هذه صرحة الدار وقارعها :

وقوله (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) يقول : أنظر إلى معبود موسى ، الذي يعبد ، ويدعو إلى عبادته (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) فيما يقول من أن له معبودا يعبد في السماء ، وأنه هو الذي يؤيده وينصره ، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .

فكان من قصته وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال فرعون لقومه (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ، فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) لعل أذهب في السماء ، فأنظر إلى إله موسى ؛ فلما بُنِيَ له الصرح ، ارتقى فوقه ، فأمر بِنَشَابَةِ فرمى بها نحو السماء ، فردّت إليه وهي متلطخة دما ، فقال : قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٦﴾ يقول تعالى ذكره : واستكبر فرعون وجنوده في أرض مصر عن تصديق موسى ، واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله ، والإقرار بالعبودية له (بغير الحق) يعني تعديا وعتوا على ربهم (وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) يقول : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الحبيثة .

وقوله (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم جميعهم في البحر ، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدؤلي :

نَظَرْتُ إِلَى عُنُونِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبَذِكَ نَعْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكَا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة :

(فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) قال : كان اليم بحرا يقال له إساف ، من وراء مصر ، غرقهم الله فيه .

وقوله (فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك : كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بربهم وردوا على رسوله نصيحته ، ألم نهلكهم فنُورَتْ ديارهم وأموالهم أولياءنا ، ونحوهم ما كان لهم من جنات وعبود وكنوز ، ومقام كريم ، بعد أن كانوا

من أي ساحتها وعرضها . وقال بعض المفسرين : الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . والصرح : الأرض المملسة . والصرح : متن من الأرض مستو . اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : الصرح : البناء والقصر . ولم يزد ، وروى البيت كرواية صاحب اللسان .

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، كما قاله المؤلف وهو منقول عن مجاز القرآن لأبي عبيدة (الورقة ١٨٠ ب) قال : « فأخذناه وجنوده » أي فجمعناه وجنوده . « فنبدناهم في اليم » : أي فألقيناهم في البحر ، وأهلكناهم وغرقناهم . قال أبو الأسود الدؤلي : « نظرت إلى عنوانه » . . . البيت . اهـ . وفي « اللسان : نبذ » النبد : ط . لك الشيء من يديك ، أمامك أو وراءك . ونبذت الشيء : إذا رميته وأبعدته .

مستضعفين ، تقتل أبناؤهم ، وتُستخيا نساؤهم ، فإننا كذلك بك وبمن آمن بك وصدّك فاعلون مخولوك وإياهم ديار من كذبك ، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم ، ومهلكوهم قتلا بالسيف ، سنة الله في الذين خالوا من قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۖ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۖ

يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتّم بهم أهل العتوّ على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : يوم القيامة لا ينصرهم الله إذا عدّ بهم ناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون ، فاضمحت تلك النصرة يومئذ .

وقوله (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خيزيا وغضبا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ : ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فحزروهم بها الخزي الدائم ، ومهينوهم الحوان اللازم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : لعنوا في الدنيا والآخرة ، قال : هو كقوله (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْئُسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة أخرى ، ثم استقبل فقال (هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) وقوله (هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبّحهم الله ، فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعتظين

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت قبله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) يقول : ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من

أمر دينهم (وَهْدَى) يقول: وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول: ليتذكروا نِعْمَ اللهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فيشكروه عليها ولا يكفروا .
وينحو الذي قلنا في معنى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد وعبد الوهاب ، قالوا : ثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسحوا قرده ، ألم تر أن الله يقول (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) غربى الجبل (إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) يقول : إذ فرضنا إلى موسى الأمر فيما ألزمناه وقومه ، وعهدنا إليه من عهد (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول : وما كنت لذلك من الشاهدين .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ) يقول : بجانب غربى الجبل (إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : غربى الجبل .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، قال : إنكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتكم قبل أن تسألوا ، وقرأ (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوَّا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره بقوله (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) ولكننا خلقنا أمتا فأحدثناها من بعد ذلك (فَتَطَاوَلَ)

عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ) . وقوله (وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيَا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) يقول : وما كنت مقبلا في أهل مدين ، يقال : ثويت بالمكان أثوى به ثواء ، قال الأعشى ثعلبة :
أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْسَلَهُ لِيُزَوِّدَا فَفَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيَا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) قال : الثاوي : المقيم (تَتَلَوُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) يقول : تقرأ عليهم كتابنا (وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) يقول : لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد ، ولكننا كنا نحن نفعل ذلك ونرسل الرسل .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن (سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) ... الآية . كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، في قول الله (وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبثكم قبل أن تدعوني .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله (وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نودوا : يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني . حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا حرملة بن قيس النخعي ، قال : سمعت هذا الحديث من أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة (وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر عن سليمان ، وسفيان عن سليمان ، وحجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، عن أبي هريرة ، في قوله (وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) قال : نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني . واستجبت

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (اللسان : ثوى . والديوان طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) . وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن لما أغار الحارث بن وائلة على بعض السواد . وفي البيت : ليلة . . . فضت . في موضع إيله . . . ومضى . وفي رواية مجاز القرآن لأبي عبيدة : فضى ورواية الديوان أحسن ، لقوله بعده : « ومضى لحاجته » . قال شارح الديوان : ثوى وأثوى بمعنى واحد ، أي أقام . وقصر : توانى . وأخلف فلانا وجد موعده خلفا (بكسر الخاء) أي مختلفا يقول : عدل عن سفره ، فأقام وتخلف ليلة ليتزود من قتيلة ، فضت الليلة ، وأخلفته قتيلة الموعد

لکم قبل أن تدعونی ، قال : وهو قوله حين قال موسى (وَاکْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج مثل ذلك .

وقوله (وَلَکِنْ رَّحْمَةً مِّنْ رَبِّکَ) يقول تعالى ذکره : لم تشهد شیئا من ذلك یا محمد فتعلمه ، ولكننا عرفناک ، وأنزلنا إلیک ، فاقصصنا ذلك کله علیک فی کتابنا ، وابتعثناک بما أنزلنا إلیک من ذلك رسولا إلی من ابتعثناک إلیه من الخلق رحمة منا لك ولهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا یزید ، قال : ثنا سعید ، عن قتادة (وَلَکِنْ رَّحْمَةً مِّنْ رَبِّکَ) ماقصصنا علیک (لِّتُنْذِرَ قَوْمًا) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنی حجاج ، عن ابن جریج ، عن مجاهد (وَلَکِنْ رَّحْمَةً مِّنْ رَبِّکَ) قال : كان رحمة من ربك النبوة .

وقوله (لِّتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِکَ) يقول تعالى ذکره : ولكن أرسلناک بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم یأتهم من قبلك نذیر ، وهم العرب الذین بُعث إلیهم رسول الله صلی الله علیه وسلم ، بعثه الله إلیهم رحمة لينذرهم بأسه علی عبادتهم الأصنام ، وإشراکهم به الأوثان والأنداد .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا خطأ ما هم علیه مقيمون من كفرهم بربههم ، فینیبوا إلی الإقرار لله بالوحدانية ، وإفراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة .

وبنحو الذي قلنا فی ذلك قال أهل التأویل .

ذكر من قال ذلك

حدثني یونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زید (وَلَکِنْ رَّحْمَةً مِّنْ رَبِّکَ) قال : الذي أنزلنا علیک من القرآن (لِّتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِکَ) .

القول فی تأویل قوله تعالى :

وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذکره : ولولا أن يقول هؤلاء الذین أرسلناک یا محمد إلیهم ، لو حل بهم بأسنا ، أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلک إلیهم علی كفرهم بربههم ، واكتسابهم الآثام ، واجترامهم المعاصی : ربنا هلا أرسلنا إلینا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك فتتبع أدلتك ، وآی کتابك الذي تنزاه علی رسولك ونكون من المؤمنین بأوهيتك ، المصدقین رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة علی شركهم من قبل ما أرسلناک إلیهم ، ولكننا بعثناک إلیهم نذیرا بأسنا علی كفرهم ، لئلا يكون للناس علی الله حجة

بعد الرسل . والمصيبة في هذا الموضع : العذاب والنقمة . ويعنى بقوله (بِمَا قَدْ مَتَّ أَيْدِيهِمْ) بما اكتسبوا .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفُورٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك إليهم نذيرا (الحق من عندنا) ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله إليهم ، قالوا : تمرّدا على الله ، وتماديا في الغي : هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب . يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك من قريش ، القائلين لك (لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) قال : اليهود تأمر قريشا ، ثم ذكر نحوه (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) بمعنى : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ، وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم في قول بعض المفسرين ، وفي قول بعضهم لموسى وهارون عليهما السلام ، وفي قول بعضهم : لعيسى ومحمد ساحران تعاونا . وقرأ عامة قراء الكوفة (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) بمعنى : وقالوا لتتورا والفرقان في قول بعض أهل التأويل ، وفي قول بعضهم للإنجيل والفرقان .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء في قراءته .

ذكر من قال : عني بالساحرين اللذين تظاهرا محمد وموسى صلى الله عليهما .

حدثنا سليمان بن محمد بن معدى كرب الرعي ، قال : ثنا بقة بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة قال : سمعت مسلم بن يسار ، يحدث عن ابن عباس ، في قول الله (سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) قال : موسى ومحمد . حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، قال : سألت ابن عباس ، عن هذه الآية (سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) قال : موسى ومحمد .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، أن ابن عباس ، قرأ (ساحيرَانِ) قال موسى ومحمد عليهما السلام .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن كيسان أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، مثله .

ومن قال : موسى وهارون عليهما السلام

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ساحيرَانِ تَظَاهَرَا) قال : يهود لموسى وهارون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) قول يهود لموسى وهارون عليهما السلام .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبتر وأبي رزين أن أحدهما قرأ (ساحيرَانِ تَظَاهَرَا) ، والآخر : (سِحْرَانِ) ، قال الذي قرأ (سِحْرَانِ) قال : التوراة والإنجيل . وقال الذي قرأ (ساحيرَانِ) قال : موسى وهارون .
وقال آخرون : عنوا بالساحرين : عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قوله (ساحيرَانِ تَظَاهَرَا) قال : عيسى ومحمد ، أو قال موسى صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال : عنوا بذلك التوراة والفرقان ، ووجه تأويله إلى قراءة من قرأ (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا)
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) يقول : التوراة والقرآن .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عبيد ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) يعني : التوراة والفرقان .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا) قال : كتاب موسى ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عنوا به التوراة والإنجيل

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عسامة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام ، فقلت : كيف تقرأ سِحْرَانِ ، أو ساحران ؟ فلم يرد علي شيئا ، فقال

عكرمة : ساحران ، وظننت أنه لو كره ذلك أنكره عليّ ، قال حميد : فلقيت عكرمة بعد ذلك فذكرت ذلك له ، وقلت : كيف كان يقرؤها ؟ قال : كان يقرأ (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) أي التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : عنوا به الفرقان والإنجيل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد : عن الضحاك ، أنه قرأ (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان ، فمن قال (ساحِرَانِ) فيقول : محمد ، وعيسى ابن مريم .
قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب . قراءة من قرأه (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) بمعنى : كتاب موسى وهو التوراة ، وكتاب عيسى وهو الإنجيل .

ولمّا قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله (وَقَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوْتِيَ مُوسَى) والذي يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله (فَأُتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ) فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره . وإذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة ، فعلوم أن معنى الكلام : قل يا محمد أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل ، وقالوا لما أوتي موسى^١ من الكتاب وما أوتيته أنت ، سحران تعاونا . وقوله (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل ، رزبور وفرقان كافرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ، وخالفه فيه مخالفون .

ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) قالوا : نكفر أيضا بما أوتي محمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) قال : يهود أيضا نكفر بما أوتي محمد أيضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقالوا إنا بكل الكتابين الفرقان والإنجيل كافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) يقول : بالإنجيل والقرآن .

(١) لله : لما أوتي عيسى ... الخ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) : يعنون الإنجيل والفرقان .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) قال : هم أهل الكتاب ، يقول : بالكتابين : التوراة والفرقان .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) الذي جاء به موسى ، والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾

✽✽✽ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين للتوراة والإنجيل : هما سحران تظاهرا : اثتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما لطريق الحق ، ولسبيل الرشاد (أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) في زعمكم أن هذين الكتابين سحران ، وأن الحق في غيرهما .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال الله تعالى (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) . . . الآية .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فقال الله (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) من هذين الكتابين ، الذي بعث به موسى ، والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَصْلُ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيُهُ هَدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

✽✽✽ يقول تعالى ذكره : فإن لم يجيبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل : سحران تظاهرا ، الزاعمون أن الحق في غيرهما ، من اليهود يا محمد ، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وأن الذي ينطقون به ، ويقولون في الكتابين ، قول كذب وباطل ، لاحقيقة له ، ولعل قائلا أن يقول : أو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والإنجيل من الإفك والزور ، المسموهما سحرين : باطل من القول ، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما ؟ قيل : هذا كلام

خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به المقول لهم أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل من كفار قريش ، وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لم شركي قريش : أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا : هلا أوتى محمد مثل ما أوتى موسى ، بالذي أوتى موسى من قبل هذا القرآن ، ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) فقولوا لهم إن كنتم صادقين أن ما أوتى موسى وعيسى سحر ، فأتوني بكتاب من عند الله ، هو أهدي من كتابيهما ، فإن هم لم يجيبوكم إلى ذلك فاعلموا أنهم كذبة ، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمدا ، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ، ويتركون الحق وهم يعلمون ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلّ عن طريق الرشاد ، وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله ، وعهد من الله ، ويترك عهد الله الذي عهده إلى خلقه في وحيه وتزيله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشاد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته ، وكذبوا رسوله ، وبدلوا عهده ، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحلنا بهم من بأسنا ، إذ كذبوا رسلنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتنى آثارهم ، واحتذى في الكفر بالله ، وتكذيب رسله مثاهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا ، وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ؛ ومنه قول الشاعر :

فَقُلْ لِبَيْتِي مَرَّوَانٌ مَا بَالُ ذِمَّةٍ وَحَبْلٌ ضَعِيفٌ مَا يَزَالُ يُوَصَّلُ^١

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله ، فقال بعضهم : معناه بئسنا . وقال بعضهم : معناه : فصلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال : فصلنا لهم القول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال :

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ١٨١ ب) قال : « ولقد وصلنا لهم القول » أي أتمناه . و (في اللسان : وصل) : وفي التنزيل العزيز « ولقد وصلنا لهم القول » : أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من منى : بعضها ببعض . والذمة : العهد . والحبل : العهد . وقوله « ما يزال يوصل » أي قدرث وبلى ، ويجدد ما بلى منه ، حتى كثر فيه الترقيع .

وصل الله لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع؟ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).
 حدثنا القاسم، قال: ثنا محمد بن عيسى أبو جعفر، عن سفيان بن عيينة: وصلنا: بيننا.
 حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ) الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهاها. وقرأ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة، كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم، نقضى بينهم وبين قومهم.
 واختلف أهل التأويل، فيمن عني بالهاء والميم من قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ) فقال بعضهم: عني بهما قريشا.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: قريش.
 حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: لقريش.
 حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) قال: يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.
 وقال آخرون: عني بهما اليهود.

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن رفاعة القرظي، قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).
 حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي، قال: نزلت هذه الآية (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) حتى بلغ (إِنَّا كُنَّا، مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) في عشرة أنا أحدهم، فكان ابن عباس أراد بقوله يعني محمدا، لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرّون بنبوته ويصدقونه.
 وقوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرّون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب.
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ) . . . إلى قوله (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) في مسلمة أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) . . . إلى قوله (الْجَاهِلِينَ) قال : هم مُسْلِمَةُ أهل الكتاب . قال ابن جرير : أخبرني عمرو بن دينار : أن يحيى بن جعدة أخبره ، عن علي بن رفاعه ، قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب ، منهم أبو رفاعه ، يعني أباه ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا ، فأؤذوا . فنزلت (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) قال : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق ، يأخذون بها ، وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، وصدقوا به ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سلمان ، وعبد الله بن سلام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) : ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل ، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، فأتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا : بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث ، فذلك قوله (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا بَيَّنَّا لِلْعَالَمِينَ آيَاتِنَا فَكَانُوا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا بَيَّنَّا لِلْعَالَمِينَ آيَاتِنَا فَكَانُوا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (قَالَُوا آمَنَّا بِهِ) يقول : صدقنا به (إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا) يعني من عند ربنا نزل ، إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعاليهم من الكتب ، وفي كتبهم صفة محمد ونعته ، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن . فذلك قالوا (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَآوَدُّرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، يُؤْتَوْنَ ثواب عملهم مرتين بما صبروا .
واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه ، فقال بعضهم : وعدهم ما وعد جل ثناؤه ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك . وذلك قول قتادة ، وقد ذكرناه قبل .

وقال آخرون : بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث . وذلك قول الضحاك بن مزاحم ، وقد ذكرناه أيضا قبل ، ومن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) على دين عيسى ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا ، فكان لهم أجرهم مرتين : بما صبروا أول مرة ، ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام .

وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : إن قوما كانوا مشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ، فنزلت (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وقوله (وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) من الأموال (يُنْفِقُونَ) في طاعة الله ، إما في جهاد في سبيل الله ، وإما في صدقة على محتاج ، أو في صلة رحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) قالوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) قال الله (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون ، فقال (وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب : اللغو ، وهو الباطل من القول . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ) لايجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم ، أتاهم من أمر الله ما وقدهم عن ذلك .
وقال آخرون : عُنِيَ باللغو في هذا الموضع : ما كان أهل الكتاب الحقوه في كتاب الله ، مما ليس هو منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله ، وقالوا : هو من عند الله ، إذا سمعه الذين أسلموا ، ومرّوا به يتلونه . أعرضوا عنه . وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى . ألا ترى أنهم يقولون : (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جويرية ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) قال : كان ناس من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، فكانوا يصفحون عنهم ، يقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ) .

وقوله (أَعْرَضُوا عَنْهُ) يقول : لم يصغوا إليه ولم يستمعوه (وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) وهذا يدل على أن اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع ، إنما هو ما قاله مجاهد ، من أنه سماع القوم من يؤذيه بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم ، وأنهم أجابوهم بالجميل من القول (لَنَا أَعْمَالُنَا) قد رضى بها لأنفسنا . (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) قد رضى بها لأنفسكم . وقوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يقول : أَمَنَةٌ لكم منا أن نُسألكم ، أو تسمعوا منا ما لا تحبون (لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ) يقول : لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّكَ) يا محمد (لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته . (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أن يهديه من خلقه ، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله . ولو قيل : معناه : إنك لا تهدي من أحببته ، لقربته منك ، ولكن الله يهدي من يشاء ، كان مذهباً (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) : يقول جل ثناؤه : والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد ، ذلك الذي يهديه الله فيسددّه ويوفقه . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته ، إذ دعاه إلى الإيمان بالله ، إلى ما دعاه إليه من ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن عليّ الصُّدائي ، قالا : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت : « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال : لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينك ، فأنزل الله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) ... الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، قال : ثنا أبو حازم الأشجعي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه : « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ثم ذكر مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعي ، يذكر عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب ، أناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا عَمَّاهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فذكر مثله ، إلا أنه قال : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : ما حملة عليه إلا جزع الموت .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث أبي كريب الصُّدائي .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الزهري ، قال : ثنا سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ » فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أُمَيَّة : يا أبا طالب : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَمَا وَاللَّهِ لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى) ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي) ... الآية » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن أبي سعيد بن رافع ، قال : قلت لابن عمر : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) نزلت في أبي طالب ؟ قال : نعم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) قال : قول

محمد لأبي طالب « قُلْ كَلِمَةٍ الْإِخْلَاصِ أُجَادِلُ عَنْكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال محمد بن عمرو في حديثه: قال: يا ابن أخي ملة الأشياخ، أو سنة الأشياخ. وقال الحارث في حديثه: قال يا ابن أخي ملة الأشياخ. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جبريج، عن مجاهد (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) قال: قال محمد لأبي طالب « أَشْهَدُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ أُجَادِلُ عَنْكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال: أي ابن أخي ملة الأشياخ، فأنزل الله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) ذكر لنا أنها نزلت في أبي طالب قال الأصم عند موته يقول لا إله إلا الله لكيما تحل له بها الشفاعة، فأبى عليه. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر: لما حضر أبا طالب الموت، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: « يَا عَمَّاهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقال له: يا ابن أخي، إنه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل، فقال له ذلك مرارا، فلما مات اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: ما تنفع قرابة أبي طالب منك، فقال « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ السَّاعَةَ لَيَنفِي ضَحَضَاخٍ مِنَ النَّارِ عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ تَغْلِي مِنْهُمَا أُمُّ رَأْسِهِ. وَمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ إِنْسَانٍ هُوَ أَهْوَنُ عَذَابًا مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ). وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ».

وقوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول: وهو أعلم بمن قضى له الهدى.

كالذي حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) قال بمن قدر له الهدى والضلالة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جبريج، عن مجاهد: مثله.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُ حَرَمَاءَ امْنَابُجَىٰ إِلَىٰ مَمَرَاتٍ كُلَّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش: إن تتبع الحق الذي جئنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة، يتخطفنا الناس من أرضنا باجماع جميعهم على خلافتنا وحربنا، يقول الله لنبيه: فقل (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ حَرَمًا) يقول: أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمنا على أهلنا من أن يصيبهم بها غارة، أو قتل، أو سباء.

(١) الذي في الدر عن قتادة قال: التمس منه عند موته أن يقول الخ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، أن الحارث بن نوفل ، الذي قال (إِنَّ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا) وزعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ، ولكننا نخاف أن نتخطف من أرضنا ، أو لم نتمكن لهم (الآية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالُوا إِنَّ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا) قال : هم أناس من قريش قالوا لمحمد : إن نتبعك يتخطفنا الناس ، فقال الله (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قال : كان يغير بعضهم على بعض .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا إِنَّ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا) قال الله (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : أو لم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون ، يجبي إليه ثمرات كل شيء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) قال : كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا ، إذا خرج أحدهم فقال : إني من أهل الحرم لم يتعرض له ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قُتل . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) قال : آمناكم به ، قال : هي مكة ، وهم قريش .

وقوله (يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول يجمع إليه ، وهو من قولهم : جبيت الماء في الخوض : إذا جمعته فيه ، وإنما أريد بذلك : يحمل إليه ثمرات كل بلد .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في (يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال : ثمرات الأرض .

وقوله (رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا) يقول : ورزقا رزقناهم من لدنا ، يعني : من عندنا (وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا) لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبي إليهم ، فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون ، لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَطَرَتْ مَسَاكِينُهَا لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٣١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنّا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبطرت ، وأشبرت ، وطغّت . فكفرت ربها . وقيل : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو في الأصل للمعيشة ، كما يقال : أسفّهت رأيك فسفّهته ، وأبطرك مالك فبطرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير . وقد بنّا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وكم أهلكنّا من قرية بطرت معيشتها) قال : البطر : أشتر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله . وقال : ذلك البطر في النعمة (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) يقول : فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، يقول : خربت من بعدهم . فلم يعمر منها إلا أقلها ، وأكثرها خراب ، ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا ، فإن معناه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها ، كما يقال : قضيت حقلك إلا قليلا منه .
وقوله (وكنا نحن الوارثين) يقول : ولم يكن لنا خربنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها ، لا مالك لها إلا الله ، الذي له ميراث السموات والأرض .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٣٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره (وما كان ربك مهلك القرى) يا محمد (مهلك القرى) التي حوالى مكة في زمانك وعصرك . (حتى يبعث في أمّها رسولا) يقول : حتى يبعث في مكة رسولا ، وهي أم القرى ، يتلو عليهم آيات كتابنا ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى يبعث في أمّها رسولا) وأم القرى مكة ، وبعث الله إليهم رسولا : محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) يقول : ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة إنما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله ، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) قال الله : لم يهلك قرية بإيمان ، ولكنه يهلك القرى بظلم إذا ظلم أهلها ، ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ، ولكنهم كذبوا وظلموا ، فبذلك أهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وما أُعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد ، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا ، وهو من زينتها التي يترين به فيها ، لا يغني عنكم عند الله شيئاً ، ولا ينفعكم شيء منه في معادكم ، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أُوتيتُموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى ، يقول : وأبقى لأهله ، لأنه دائم لا نفاد له .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في قوله (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) قال : خير ثواباً ، وأبقى عندنا (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر ، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما ، وتؤثرون الدائم الذي لا نفاد له من النعيم ، على الفاني الذي لا بقاء له .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَنَنْتَ وَعْدَهُ وَوَعَدْنَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : أفن وعدهنا من خلقنا على طاعته إيانا الجنة ، فآمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا ، فاستحق بطاعته إيانا أن ننجز له ما وعدناه ، فهو لاق ما وعد ، وصائر إله كمن مَتَّعْنَاهُ في الحياة الدنيا متاعها ، فتمتع به ، ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة ، وترك طلبه ، وآثر لذة عاجلة على آجلة ، ثم هو

يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين ، يعنى من المُشْهَدِينَ عذاب الله ، وأليم عقابه .
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَنَنْتَ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) قال : هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) هو هذا الكافر ، ليس والله كالمؤمن (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ابن عمرو فى حديثه : قوله (مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قل : أحضروها . وقال الحارث فى حديثه (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أهل النار : أحضروها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : أهل النار ، أحضروها .
واختلف أهل التأويل فىمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب عن مجاهد (أَفَنَنْتَ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى جهل بن هشام . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَفَنَنْتَ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) قال : النبى صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون : نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما ، وأبى جهل لعنه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدّل بن المُحَسَّبِ التَّغْلَبِيّ^١ ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد (أَفَنَنْتَ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) قال : نزلت فى حمزة وعلى بن أبى طالب ، وأبى جهل :
قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى حمزة وأبى جهل

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَبِّئُهُمْ فَيَقُولُ أَإِنِّ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا

(١) فى الخلاصة للخزرجى : بدّل بن المخبر ، بضم الميم وفتح المهملة والموحدة ، اليربوعى ، أبو المنير (كمطيع) البصرى . قال أبو حاتم : صدوق . توفى فى حدود سنة خمس عشرة ومئتين .

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى ربّ العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان في الدنيا ، فيقول لهم : (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم لي في الدنيا شركاء ؟ (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول : قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته ، وهم الشياطين الذين كانوا يُغْوُونَ بنى آدم : (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) قال : هم الشياطين .
وقوله (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) يقول : تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) : يقول : لم يكونوا يعبدوننا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد فى الدنيا (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) الذين كنتم تدعون من دون الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) يقول : فلم يجيبوهم . (وَرَأَوُا الْعَذَابَ) : يقول : وعانوا العذاب (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) يقول : فودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا فى الدنيا مهتدين للحق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين ، فيقول لهم (مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) فيما أرسلناهم به إليكم ، من دعائكم إلى توحيدنا ، والبراءة من الأوثان والأصنام (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ) : يقول : فخفيت عليهم الأخبار ، من قولهم : قد عَمِيَ عَنِ خَيْرِ الْقَوْمِ : إذا خفى : وإنما عَمِيَ بذلك أنهم عميت عليهم الحجة ، فلم يدروا ما يحتجون ، لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم فى المَعْدرة ، وتابع عليهم الحجة ، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ، ولا خبر يُخبرون به ، مما تكون لهم به نجاة ومخلص .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) قال : الحجج ، يعني الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) قال : الحجج .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) قال : بلا إله إلا الله ، التوحيد : وقوله (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) بالأنساب والقراة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) قال : لا يتساءلون بالأنساب ، ولا يمتاثون بالقرابات ، إنهم كانوا في الدنيا إذا التقوا تساءلوا وتماثوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) قال : بالأنساب . وقيل معنى ذلك : فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحَجَجُ يَوْمَئِذٍ ، فسكتوا ، فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم . القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من المشركين ، فأناب وراجع الحق ، وأخلص لله الألوهة ، وأفرد له العبادة ، فلم يشرك في عبادته شيئا (وَآمَنَ) يقول : وصدق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، (فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) . يقول : فهو من المنجحين المذركين طلبتهم عند الله ، الخالدين في جنته ، وعسى من الله واجب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره (وَرَبُّكَ) يا محمد (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أن يخلقه ، (وَيَخْتَارُ) لولايته الخيرة من خلقه ، ومن سبقت له منه السعادة . وإنما قال جل ثناؤه (وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) والمعنى : ما وصفت ، لأن المشركين كانوا فيما ذكّر عنهم يختارون أموالهم ، فيجعلونها لآلهتهم ، فقال الله لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ، ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهم خيار أموالهم ، فكذلك اختياري لنفسى ، واجتباي لولائى ، واصطفائي لخدمتى وطاعتى ، خيار مملكتى وخلقى .
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) قال : كانوا يجعلون خسير أموالهم لآلهم في الجاهلية . فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلا شك أن « ما » من قوله (وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) : في موضع نصب ، بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذى .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت ، من أن « ما » اسم منصوب بوقوع قوله (وَيَخْتَارُ) عليها ، فأين خبر كان ؟ فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن فى كان ذكرا من ما ، ولا بد لكان إذا كان كذلك من تمام ، وأين التمام ؟ قيل : إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أحيانا ، أخبارا ، كفعالها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها ، ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عبدة :
أَمِنْ سُهَيْتَةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
فرفع معروفا بحرف الصفة ، وهو لاشك خبر لذا ، وذكر أن المفضل أنشده ذلك :
* لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ *

ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة :

(١) البيت من شعر عبدة بن عمرو بن شداد العبسى (يختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ص ٣٩٤) والرواية فيه رواية المفضل ، التى أشار إليها المؤلف :

أَمِنْ سُهَيْتَةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ

قال شارحه : سهية ، وقيل سمية : امرأة أبيه . روى صاحب الأغاني بسنده عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر : قال : أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد : وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني ، قال : كان عبدة قبل أن يدعيه أبوه ، حرشت عليه امرأة أبيه . وقالت إنه . . . عن نفسى ، فغضب من ذلك شداد (شداد : أبوه فى بعض الروايات) غضبا شديدا . وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف ، فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه ؛ فلما رأت ما به من الجراح بكّت . وقوله « مذروف » : من ذرفت عينه تذرف ذريفا ، وذرفانا : وهو قطر يكاد يتصل . وقوله « لو أن ذا منك قبيل اليوم معروف » : أى قد أنكرت هذا الخنو والإشفاق منك ؛ لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره . اهـ . وعلى هذه الرواية لاشاهد فى البيت . أما على رواية المؤلف ، وهى التى نقلها الفراء عن القاسم بن معن القاضى ، فإنه جعل قوله « لو كان ذا منك قبيل اليوم معروف » برفع معروف على أنه خبر بعد الصفة . أى الجار والمجرور « منك » ، التى هى خبر عن ذا ، قال : لأن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها ، أخبارا ، كفعالها بالإنشاء إذا جاءت بعدها أخبارها . . . ثم أنشد البيت وقال : « فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لاشك خبر لذا » . اهـ . قلت : وكأن مراده أن حرف الصفة موضوع موضع ضمير مبتدأ ، ومعروف : خبره ، وكأنه قال : لو كان ذا هو معروف ، أو نحو ذلك . وفى هذا التعبير من التمسك ما فيه . ولو قال إن « معروف » خبر عن مبتدأ محذوف تقديره : هو منك معروف ، والجملة خبر كان ، لكان أوضح تعميلا . ولم أجد البيت ولا توجيه إعرابه فى مائى القرآن للفراء .

قُلْتُ أَجِيبِي عَاشِقًا بِحُبِّكُمْ مُكَلِّفُ
فِيهَا ثَلَاثٌ كَالدُّمَى وَكَاعِيبٌ وَمُسْلِفُ

فمكلف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة ، وهو الباء ، في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذاك قوله (وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) رفعت الخيرة بالصفة ، وهى لهم ، وإن كانت خبرا لما ، لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم . لاشك أن قائما لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوبا ، فكذاك وجه رفع الخيرة . وهو خبر لما .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون « ما » في هذا الموضع جرحا ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله (وَيَخْتَارُ) نهاية الخبر عن الخلق والاختيار . ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة : أى لم يكن للخلق الخيرة ، وإنما الخيرة لله وحده ؟ قيل : هذا قول لا يخلو فسادا على ذى حجا ، من وجوه : لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول . فكيف والتأويل عن ذكرنا بخلافه ، فأما أحد وجوه فساد ، فهو أن قوله (مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن « ما » بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذى ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره . أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة ، لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لاشك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى . وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل ، وذلك من الكلام لاشك خلّف ، لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما ، فليس ذلك لهم أبدا . وبعد ، لو أريد ذلك المعنى ، لكان الكلام : فليس . وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ليس لهم الخيرة ، ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد .

والثانى : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شىء غير مفهوم المعنى . وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء : ما كان لفلان الخيرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك : فكذاك قوله « وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ » ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك الخيرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحا ، وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحا منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ)

(١) البيتان لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي شاعر الغزل زمن بنى أمية ، كما قال المؤلف . ومكلف : من الكلف بالشيء ، وهو الحب والولوع بالشيء ، كلف بالشيء كلفا وكلفة ، فهو كلف ومكلف : لهج به . وثلاث : أى جوار أو نساء . والدنى : جمع دمية ، وهى التمثال من العاج أو الرخام أو نحوها . والكاعب : الفتاة التى تكعب ثديها وبرز . والمسلم : قال فى (اللسان : سلف) : المسلم من النساء : النصف . وقيل : هى التى بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وهو وصف خص به الإناث ، قال عمر بن أبي ربيعة « فيها ثلاث . . . الخ البيت » . وحمل الشاهد فى البيت : أن قوله مكلف بالرفع ، على أنه خبر ، لأنه وقع بعد حرف الجر الذى وضع موضع المبتدأ ، كأنه قال : أجيبى عاشقا هو مكلف . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله من قول عنثرة « لو كان ذا منك قبل اليوم معرف » . اهـ .

مَا تَكُنْ صُدُّوهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فَأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة، والعلانية الرضية.

والثالث : أن معنى الخيرة في هذا الموضع : إنما هو الخيرة ، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعطي الخيرة والخيرة : مثل الطيرة والطيرة ، وليس بالاختيار ، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال : فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا : وذلك أنها إذا كانت مصدرا كان معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والأنعام ؛ وإذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لا يكون لها مالك ، وذلك ما لا يخفى خطؤه ، لأن لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتملكك الله إياهم ذلك ، وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له ، وعلوا عما أضاف إليه المشركون من الشرك ، وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه . وتأويل الكلام : سبحانه الله وتعالى عن شركهم ، وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى : وتعالى عن الذي يشركون به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنْ صُدُّوهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦١﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ
وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد يعلم ما تخفى صدور خلقه ، وهو من أكننت الشيء في صدرى : إذا أضمرته فيه ، وكننت الشيء : إذا صنته ، وما يعلنون : يقول : وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم ، وإنما يعنى بذلك أن اختيار من يختار منهم للإيمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبوادياها ، وأنه يختار للخير أهله ، فيوفقهم له ، ويولى الشر أهله ، ويخليهم وإياه . وقوله (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد المعبود الذى لا تصلح العبادة إلا له ، ولا معبود تجوز عبادته غيره (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى) يعنى في الدنيا والآخرة (وَلَهُ الْحُكْمُ) يقول : وله القضاء بين خلقه (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالحق .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِيلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ
أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٦٣﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله : أيها القوم أرايتم إن جعل الله عليكم الليل دائماً لانهار إلى يوم القيامة يعقبه . والعرب تقول لكل ما كان متصلاً لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (سرمداً) دائماً لا ينقطع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) يقول : دائماً .

وقوله (من إله غير الله يا أيكم بضياء) يقول : من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار ، فتستضيئون به (أفلا تسمعون) يقول : أفلا ترعون ذلك سمعكم ، وتفكرون فيه فتعظون ، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء ، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل ، فينعم باختلافهما كذلك عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ
تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٦﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره انبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك (أرايتم) أيها القوم (إن جعل الله عليكم النهار سرمداً) دائماً لاليل معه أبداً (إلى يوم القيامة من إله غير الله) من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء (يا أيكم بليل تسكنون فيه) فتستقرون وتهدهون فيه (أفلا تبصرون) يقول : أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم ، رحمة من الله لكم . وحجة منه عليكم ، فتعلموا بذلك أن العبادة لاتصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره (ومن رحمته) بكم أيها الناس (جعل لكم الليل والنهار) فتستقرون فيهما ، فخالف بينهما ،

فجعل هذا الليل ظلاماً (لَتَسْكُنُوا فِيهِ) وتهدهوا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تنصرفون نهاراً لمعاشكم ، وفي النهار التي في قوله (لَتَسْكُنُوا) فيه وجهان : أحدهما : أن تكون من ذكر الليل خاصة ، ويضمّر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى . والثاني : أن تكون من ذكر الليل والنهار ، فيكون وجه توحيدها وهي لهما وجه توحيد العرب في قولهم : إقبالك وإدبارك يؤذيني ، لأن الإقبال والإدبار فعل ، والفعل يوحد كثيره وقليله ، وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه ، فتصرفون بأبصاركم فيه لمعاشكم ، وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضله الذي تفضل عليكم .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك ، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر ، وتخلصوا له الحمد ، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم بذلك شريك ، فلذلك ينبغي أن لا يكون له شريك في الحمد عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٦﴾ وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٧﴾

﴿٧٦﴾ يعني تعالى ذكره : ويوم ينادي ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أيها القوم في الدنيا أنهم شركائي .

وقوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وأحضرنا من كل جماعة شهيداً وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة . وقيل : ونزعنا من قوله : نزع فلان بحجة كذا ، بمعنى : أحضرها وأخرجها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشهيداً : نبيها ، يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ؛ عن ابن أبي نجيح ؛ عن مجاهد ؛ قوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) قال : رسولا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه : وقوله (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) يقول : قلنا لأمة كل نبي منهم التي ردت نصيحته ، وكذبت بما جاءها به من عند ربهم ، إذ شهد نبيها عليها بإبلاغه إياها رسالة الله (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) يقول : فقال لهم : هاتوا حجتكم على إشراكم بالله ما كنتم تشركون مع إعدار الله إليكم بالرسول وإقامته عليكم بالحجج

(١) في الأصل : للرسول ، باللام .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أى بينتكم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) قال : حجبتكم
لما كنتم تعبدون وتقولون

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد (فَقُلْنَا هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ) قال : حجبتكم بما كنتم تعبدون .

وقوله (فَتَعَلَّمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) يقول : فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم ، وأن الحق لله ،
والصدق خبره ، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : واضمحل
فذهب الذي كانوا يُشركون بالله في الدنيا ، وما كانوا يتخرون ، ويكذبون على بهم ، فلم ينفعهم هنالك
بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم

القول في تأويل قوله تعالى :

* إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَتُنَا مِنْ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ قَارُونَ) وهو قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) يقول : كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه
وذلك أن قارون هو قارون بن بصهر بن قاهث ، وموسى : هو موسى بن عمران بن قاهث ، كذا نسبه
ابن جرير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : ابن عمه ابن أخى أبيه ، فإن قارون بن بصهر ، هكذا قال القاسم ، وإنما هو بصهر بن
قاهث ، وموسى بن عومر بن قاهث ، وعومر بالعربية : عمران .

وأما ابن إسحاق فإن ابن حميد حدثنا ، قال : ثنا سلمة عنه ، أن بصهر بن قاهث تزوج سميت بنت
بتاويت بن بركنة بن بقمشان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن بصهر ، وقارون بن بصهر ، فنكح عمران بنت
بنت شمويل بن بركنة بن بقمشان بن بركنة ، فولدت له هارون بن عمران ، وموسى بن عمران صلى الله عليه وسلم ،
فموسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخى قارون ، وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه ولأمه . وأكثر أهل العلم
في ذلك على ما قاله ابن جرير .

(١) في كتاب العرائس (قصص الأنبياء للثعلبي المفسر) سميت بنت يتام بن بركياء بن يشعان بن إبراهيم . وفي صفحة ٢١٣ طبعة الحلبي :

عن ابن إسحاق : تزوج بصهر بن قاهث «سمين بنت ماريب بن بركياء بن يشعان بن إبراهيم» وفي أسماء العبرانيين اختلاف كثير بين العلماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، في قوله (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عم موسى .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) كُنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو الله نافق ، كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال كان ابن عمه فبغى عليه .

قال : ثنا يحيى القطان ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .
قال : ثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه .
حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون :

وقوله (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) يقول : فتجاوز حدّه في الكبر والتعبر عليهم .
وكان بعضهم يقول : كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع قالوا : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) قال : زاد عليهم في الثياب شبرا . وقال آخرون : كان بغيه عليهم بكثرة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إنما بغى عليهم بكثرة ماله .
وقوله (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ) يقول تعالى ذكره :
وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتيحه ، وهي جمع مفتاح ، وهو الذي يفتح به الأبواب .
وقال بعضهم : غنى بالمفاتيح في هذا الموضع : الحزائن لتثقل العصبية .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتيح

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا ، كل مفاتيح منها باب كنز معلوم مثل الأصبع من جلود .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح كنوز قارون من

جلود كل مفتاح مثل الأصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلاً أغرّ محجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن خيثمة ، في قوله (ما إنَّ مَفَاتِيحَهُ لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ) قال : نجد مكتوباً في الإنجيل مفاتيح قارون وقر ستين بغلاً غراً محجلة ، ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، قال : كانت المفاتيح من جلود الإبل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (وآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَهُ لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال : مفاتيح من جلود كمفاتيح العيدان . وقال قوم : عنى بالمفاتيح في هذا الموضع : خزائنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح . في قوله (ما إنَّ مَفَاتِيحَهُ لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلاً . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك (ما إنَّ مَفَاتِيحَهُ) قال : أوعيته . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . في قوله (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال : لتثقل بالعصبة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس . قوله (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) يقول : تَشْقُلُ . وأما العصبة فإنها الجماعة .

واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع ، فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه ، والرواية في ذلك ، والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، فقال بعضهم : كانت مفاتيحه تنوء بعصبة ؛ مبلغ عددها أربعون رجلاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، قوله (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال : أربعون رجلاً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ) قال : ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين .

حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَتَسْنُوْهُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ) يزعمون أن العصبة : أربعون رجلاً ، ينقلون مفاتيحه من كثرة عددها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ) قال : أربعون رجلاً . وقال آخرون : ستون ، وقال : كانت مفاتيحه تحمل على ستين بغلاً .

حدثنا كذلك ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة . وقال آخرون : كانت تحمل على مابين ثلاثة إلى عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) قال : العصبه : ثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) قال : العصبه : ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال آخرون : كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) قال : العصبه : ما بين العشرة إلى الخمسة عشر .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) قال : العصبه : خمسة عشر رجلاً .

وقوله (أُولَى الْقُوَّةِ) يعني : أولى الشدة .

وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (أُولَى الْقُوَّةِ) قال : خمسة عشر .

فإن قال قائل : وكيف قيل (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) وكيف تنوء المفاتيح بالعصبه ، وإنما العصبه هي التي تنوء بها . قيل : اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب ، فقال بعض أهل البصرة : مجاز ذلك : ما إن العصبه ذوى القوة لتنوء بمفاتيح نعمه . قال : ويقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله ، قال : والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ^١

والمعنى : فديت بنفسي وبمالي نفسه .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ، (الورقة ١٨٢ ب) عند تفسير قوله تعالى : « مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ » قال : أى مفاتيح خزائنه . ومجازه : ما إن العصبه ذوى القوة لتنوء بمفاتيح نعمه . يقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هي تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمله . والعرب قد تفعل مثل هذا قال : « فديت بنفسي نفسي . . . البيت » . والمعنى : فديت بنفسي ومالي =

وقال آخر: وَتَرْكَبُ خَيْلًا لَاهَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالصِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ^١
ولمّا تشقّ الصياطرة بالرماح . قال : والحيل هاهنا : الرجال .

وقال آخر منهم (ما إنَّ مَفَاتِحَهُ) قال : وهذا موضع لا يكاد يبتدأ فيه « إن » ، وقد قال : إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم . وقوله (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) إنما العصبه تنوء بها ؛ وفى الشعر :
تَنُوءُ بِهَا فَتُثْقِلُهَا عَجِيزٌ^٢

ولست العجيرة تنوء بها ، ولكنها هي تنوء بالعجيزة ؛ وقال الأعشى :
مَا كُنْتُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ مُغْمَرًا إِذْ شَبَّ حَرٌّ وَقُودِهَا أَجْدَا^٣

وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يُنكر هذا الذى قاله هذا القائل ، وابتداء إن بعد ما . ويقول ذلك جائز مع ما ومن ، وهو مع ما ومن أجود منه مع الذى ، لأن الذى لا يعمل فى صلته ، ولا تعمل صلته فيه . فلذلك جاز ، وصارت الجملة عائداً ما ، إذ كانت لاتعمل فى « ما » ، ولا تعمل « ما » فيها ؛ قال : وحسن مع « ما » و « من » ، لأنهما يكونان بتأويل النكرة إن شئت ، والمعرفة إن شئت ، فتقول : ضربت رجلاً ليقومن ، وضربت رجلاً لأنه لمحسن ، فتكون « من » و « ما » تأويل هذا ، ومع الذى أقبح . لأنه لا يكون بتأويل النكرة .

وقال آخر منهم فى قوله (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) : نَوَّءُهَا بِالْعُصْبَةِ : أَنْ تُثْقِلَهُمْ . وقال المعنى : إن مفاتيحه لَتُنِيءُ الْعُصْبَةُ : تَمِيلُهُنَ مِنْ ثِقَلِهَا ، فَإِذَا أُدْخِلْتَ الْبَاءَ قُلْتَ تَنُوءُ بِهِمْ . كما قال (آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) قال والمعنى : آتُونِي بِقِطْرِ أَفْرِغْ عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا حُذِفَتِ الْبَاءُ ، زِدْتَ عَلَى الْفِعْلِ أَلْفًا فِي أَوَّلِهِ ، وَمِثْلُهُ (فَأَجَاءَهَا)

= نفسه . وقوله « وما آلوك . . . الخ » هذا التفتت من الغيبة إلى الخطاب . ومعناه : ما أستطيع . والعرب تقول : أتانى فلان فى حاجة فاستطعت رده . وأتانى فى حاجة فألوت فيها : أى اجتهدت . (اللسان : ألا يألر) .
قلت : وجعل المؤلف البيت فى القلب نظير الآية « ما إن مفاتيحه لتنوء بالمصبة » أى ما إن العصبه أولى القوة تنوء وتمجز عن حملها ، كما قال أبو عبيدة .

(١) البيت لخداش بن زهير (اللسان : ضطر) . والصياطرة : جمع ضيطر ، كالضيطرى والجمع : ضياطر وضياطرة . وهم العظماء من الرجال ؛ وفى كلام على عليه السلام : من يعذرى مع هؤلاء الصياطرة ، وهم الضخام الذين لا غناء عندهم . قال فى اللسان : وقول خداش ابن زهير : « وتركب خيلاً . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ، أى لأنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها . (قلت : وعلى هذا التوجيه ، لا شاهد فى البيت) . ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشق الصياطرة الحمر بالرماح ، يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصاحلة والموادعة . قلت : وعلى التوجيه الثانى من كلام ابن سيده ، يصح الاستشهاد بالبيت ، لما فيه من القلب . قال أبو عبيدة : وإنما يشق الصياطرة بالرماح . اهـ . قلت وهو شاذ كالذى قبله .
(٢) لم أقف على هذا الشعر .

(٣) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١) وهو من قصيدة يمدح بها قيس ابن معد يكرب . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة ثانية بعد الأولى ، كأنهم جعلوا الأولى بكراً . والمغمر : الذى لم يجرب الأمور . وشب النار : أوقدها . والأجذال : جمع جذل (بكسر الجيم ، وسكون الذال) وهو ما عظم من أصول الشجر المقطع ، يجعل حطباً ووقوداً للنار . والبيت خطاب للممدوح يقول له الشاعر : أقسم بمن جعل الشهور علامة ومواقيت للناس (فى البيت الذى قبل البيت) أنك لم تكن فى الحرب الشديدة جاهلاً بإدائها على الأعداء ، حين أوقد حرها الأجذال والحطب . وقد جعل الشاعر الحر هو الذى أوقد الأجذال . وفى هذا قلب للمعنى ، والأصل : إذا ثبت الأجذال حر الحرب . وعلى هذا القلب استشهد به المؤلف ، وهو كالشاهد ين قبله .

المَخَاضُ) معناه : فجاء بها المخاض ؛ وقال : قد قال رجل من أهل العزبية : ما إن العصبية تنوء بمفاتها ،
فحول الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ
تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرَهُ ١

وهو الذي يحلّى بالعين ، قال : فإن كان سمع أثرا بهذا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ، قال :
وأنشدني بعض العرب :

حَتَّى إِذَا مَا التَّأَمَّتْ مَوَاصِلُهُ
وَنَاءَ فِي شِقِّ الشِّمَالِ كَاهِلُهُ ٢

يعنى : الرامى لما أخذ القوس ، ونزع مال عليها . قال : ونرى أن قول العرب : ما ساءك ، وناءك من
ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناك من ذلك ، إلا أنه ألقى الألف لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت
طعاما فهنأتى ومرأتى ، ومعناه : إذا أفردت وأمرأتى فحذفت منه الألف لما أتبع ما ليس فيه ألف .
وهذا القول الآخر فى تأويل قوله (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) : أولى بالصواب من الأقوال الأخرى ، لمعنيين :
أحدهما : أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل . والثانى : أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل : بنحو هذا المعنى
جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما إن العصبية لتنوء بمفاتها ، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه :
ما إن العصبية لتنهض بمفاتها ؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه ،
على نحو ما فيه ، إذا وجه إلى أن معناه : إن مفاتها تثقل العصبية وتميلها ، لأنه قد تنهض العصبية بالقليل من
المفاتيح وبالكثير ؛ وإنما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرة ، كان لاشك
أن الذى قاله من ذكرنا قوله ، من أن معناه : لتنوء العصبية بمفاتها ، قول لامعنى له ، هذا مع خلافه تأويل
السلف فى ذلك .

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٢) وقد تقدم الاستشهاد به فى (٢ : ٨١) من
هذا التفسير ، على مثل ما استشهد به هنا ، مع أبيات أخر . وقلنا فى تفسيره هناك : جهرت فلانا العين تجهرة : نظرت إليه فرأته
عظيما ، فحلّى هو فيها . هذا هو أصل المعنى ، ولكن الشاعر قلب المعنى . فجعل العين تحلّى بالمرئى إذا رآته ، فهو كالشاهدين اللذين قبله .
وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فى التعليق على قول الله تعالى : « ما إن مفاتها لتنوء بالعصبية أولى القوة » :
ونوءها بالعصبية أن تثقلهم . والعصبية هاهنا : أربعون رجلا . ومفاتها : خزائنه . والمعنى : ما إن مفاتها لتنوء بالعصبية ، أى تميلهم من
ثقلها ؛ فإذا دخلت الباء قلت : تنوء بهم ، كما قال : « آتوني أفرغ عليه قطرا » والمعنى : ائتوني بقطر أفرغ عليه . فإذا حذفت الباء
رددت فى الفعل ألفا فى أوله . ومثله : فأجاءها المخاض . معناه : فجاء بها المخاض . وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن
العصبية لتنوء بمفاتها ، فحول الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر : « إن سراجا . . . البيت » ، وهو الذى يحلّى بالعين . فإن كان
سمع بهذا أثرا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى . اهـ .

(٢) البيتان : بما أنشده بعض العرب الفراء (انظر معانى القرآن له ص ٢٤٢ ، واللسان : ناء) قال الفراء بعد الذى نقلناه من قوله
فى الشاهد السابق : ولقد أنشدني بعض العرب :
• حتى إذا ما التأمت مواصلة • وناء فى شق الشمال كاهله •
يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع ، مال على شقه ، فذلك نوءه عليها . ونرى أن قول العرب « ما ساءك وناءك » : من ذلك ، ومعناه :
ساءك وأناك ، إلا أنه ألقى الألف ، لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما ، فهنأتى ومرأتى . ومعناه إذا أفردت : وأمرأتى ،
فحذفت منه الألف ، لما أن أتبع ما لا ألف فيه .

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول : إِذْ قَالَ قَوْمُهُ : لَا تَبْطُرْ فَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ خَلَقَهُ الْأَشِيرِينَ الْبَطْرِينَ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول : المَرِحِينَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : المتبذخين الأشرين البطيرين ، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن جابر ، قال : سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : الأشرين البطيرين البذخين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن مجاهد ، في قوله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : يعني به البغي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : المتبذخين الأشرين ، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : المتبذخين .

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثني ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : الأشرين البطيرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ (لَا تَفْرَحْ) : أي لا تفرح (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) : أي إن الله لا يحب المَرِحِينَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : الأشرين البطيرين ، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن مجاهد ، في قوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال : هو فَرَحُ البغى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ﴾، مخبرا عن قِيلَ قوم قارون له : لا تبغ يا قارون على قومك، بكثرة مالك ، والتمس فيها آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا . وقوله (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) يقول : ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا ، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ، وأحسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) يقول : لا تترك أن تعمل لله في الدنيا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن ابن عباس (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : أن تعمل فيها لآخرتك .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عون بن عبد الله (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : إن قوما يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، تعمل فيها بطاعة الله :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : العمل بطاعته .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : تعمل في دنياك لآخرتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : العمل فيها بطاعة الله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عيسى الجُرَشِيِّ ، عن مجاهد (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : أن تعمل في دنياك لآخرتك .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله : نصيبه من الدنيا ، الذي يُثَاب عليه في الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَتَسَنَّسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك ، فلمّا تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا ، فيما رزقك الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) : قال الحسن : ما أحلَّ الله لك منها ، فإن لك فيه غِنًى وكفاية .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة : (وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : طلب الحلال .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن (وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) : قال : قدَّم الفضل ، وأمسك ما يبلغك .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الحلال فيها .
وقوله (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) يقول : وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله ، في وجوهه وسبله ، كما أحسن الله إليك ، فوسع عليك منه ، وبسط لك فيها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) قال : أحسن فيما رزقك الله (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) يقول : ولا تلمس ما حرم الله عليك من البغى على قومك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) يقول : إن الله لا يحب بغاة البغى والمعاصي .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال قارون لقومه الذين وعظوه : إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي ، علمه الله مني ، فرضى بذلك عني ، وفضلني بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلي عليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) قال : على خبر عندي .
قال : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) قال : لولا رضا الله عني ومعرفة بفضلي ما أعطاني هذا ، وقرأ (أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) . . . الآية .
وقد قيل : إن معنى قوله (عِنْدِي) بمعنى : أرى ، كأنه قال : إنما أوتيته لفضل علمي فيما أرى .

وقوله (أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) يقول جل ثناؤه : أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه ، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا ، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتى الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضيا ، فحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا .

وقوله (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قيل : إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر ، عن قتادة (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : يدخلون النار بغير حساب . وقيل : معنى ذلك : أن الملائكة لا تسأل عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) كقوله (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) زرقا سود الوجوه ، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم . وقيل معنى ذلك : ولا يسأل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال : عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا ، فالهاء والميم في قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمُ) على هذا التأويل لمن الذي في قوله (أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) وعلى التأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة للمجرمين ، وهي بأن تكون من ذكر المجرمين أولى ، لأن الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب ، لا مؤمن ولا كافر . فإذا كان ذلك كذلك ، فعاوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين ، لو كانت الهاء والميم اللتان في قوله (عَنْ ذُنُوبِهِمُ) لمن الذي في قوله (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً) من دون المؤمنين ، يعنى لأنه غير مسؤل عن ذلك مؤمن ولا كافر ، إلا الذين ركبه واكتسبوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُمْ

لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فخرج قارون على قومه في زينته ، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن جابر (فخرجَ على قومه في زينته) قال : في القِرْمَزِ .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فخرجَ على قومه في زينته) قال : في ثياب جُمُر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (فخرجَ على قومه في زينته) قال : على برّاذين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم المعصفرات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فخرجَ على قومه في زينته) قال : عليه ثوبان مُعَصْفَرَان .

وقال ابن جريج : على بغلة شهباء عليها الأرجوان ، وثلاث مئة جارية على البغال الشَّهْب ، عليهن ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ويحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (فخرجَ على قومه في زينته) قال : في ثياب جُمُر و صُفَر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع إبراهيم النخعي ، قال في هذه الآية (فخرجَ على قومه في زينته) قال : في ثياب حمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم النخعي ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا محمد بن عمرو بن عليّ المَقْدُمي ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : دخلنا على مالك بن دينار عشية ، وإذا هو في ذكر قارون ، قال : وإذا رجل من جيرانه عليه ثياب مُعَصْفَرَة ، قال : فقال مالك : (فخرجَ على قومه في زينته) قال : في ثياب مثل ثياب هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فخرجَ على قومه في زينته) : ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فخرجَ على قومه في زينته) قال : خرج في سبعين ألفاً ، عليهم المعصفرات ، فيما كان أبي يذكر لنا (قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون !) يقول تعالى ذكره : قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون : يا ليتنا أُعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ! (إنّه لَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ) يقول : إن قارون لدو نصيب من الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الذين أوتوا العلم بالله ، حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته ، للذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون : ويلكم اتقوا الله وأطيعوه ، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به ووبرسله ، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة ، خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون . وقوله (وَلَا يُلْقَىٰهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) يقول : ولا يلقاها : أي ولا يوفق لقليل هذه الكلمة ، وهي قوله (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) والهاء والألف كناية عن الكلمة . وقال (إِلَّا الصَّابِرُونَ) يعني بذلك : الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فجدوا في طاعة الله ، ورفضوا الحياة الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : فخسفنا بقارون وأهل داره ، وقيل : وبداره ، لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه ، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره ، وكانوا جماعة جلوسا معه ، وهم على مثل الذي هو عاينه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى ، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً ، وكل ألف شيء شيئا ، أو قال : وكل ألف شاة شاة « الطبرى يشك » ، قال : ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا ، فجمع بنى إسرائيل ، فقال : يا بنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا وأنت سيدنا ، فمرنا بما شئت ، فقال : أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي ، فتجعلوا لها جعلاً ، فتقذفه بنفسها ، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها ، ثم أتى موسى ، فقال لموسى : إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم ، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل من سرق قطعنا يده ، ومن افترى جلدناه ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة ، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت ، أو رجمناه حتى يموت « الطبرى يشك » ، فقال له

قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاتة . قال : ادعوها ، فإن قالت ، فهو كما قالت ؛ فلما جاءت قال لها موسى : يا فلاتة ، قالت : يا لبك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك بنفسى ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : مَرِ الْأَرْضَ بِمَا شِئْتَ ، قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى حَقِيهِم^١ ، ثم قال : يا أرض خذهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ قال : فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذهم ، فانطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، يقول لك عبادى : يا موسى ، يا موسى ، فلا ترحمهم ؟ أما لو إياى دَعَوَا ، لوجدوني قريباً مجيباً ؛ قال : فذلك قول الله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) وكانت زينته أنه خرج على دواب شُقِرَ عليها سُروج حُمْر ، عليهم ثياب مُصَبَّغَةٌ بِالْبَهْرَمَانِ^٢ (قال الَّذِينَ سُرِدُونِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) . . . إلى قوله (إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ) يا محمد (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما أمر الله موسى بالزكاة ، قال : رَمَوهُ بِالزَّنَا ، فجزع من ذلك ، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها ، على أن ترميه بنفسها ؛ فلما جاءت عظم عليها ، وسألها بالذى فلق البحر لبني إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلاَّ صَدَقَتْ . قالت : إذ قد استحلقتنى ، فإني أشهد أنك برئ ، وأنت رسول الله ، فخر ساجدا بيكى ، فأوحى الله تبارك وتعالى : ما يبيحك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فرها بما شئت ، فقال : خذهم ، فأخذتهم إلى ما شاء الله ، فقالوا : يا موسى يا موسى ، فقال : خذهم ، فأخذتهم إلى ما شاء الله ، فقالوا : يا موسى يا موسى ، فخسفهم . قال : وأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى ، فقالوا : ادع لنا ربك ؛ قال : فدعاهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهم خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ، أما إيتاى لو دَعَوَا لأجبتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) قال : قيل للأرض خذهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ؛ ثم قيل لها : خذهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ؛ ثم قيل لها : خذهم ، فأخذتهم إلى أحقابهم ؛ ثم قيل لها : خذهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ ثم قيل لها : خذهم ، فخسف بهم ، فذلك قوله (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا على بن هاشم بن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى فى ناحية بني إسرائيل ، وقارون فى ناحية ، قال : فدعا بغية كانت فى بني إسرائيل ، فجعل لها جُعلاً على أن ترمى موسى بنفسها ، فركته إذا كان يوم تجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى ، أتاه قارون

(١) الحقو : مقعد الإزار . جمعه : أحق ، وأحقاء ، وحقى (بشد الياء) وحقاء (اللسان حقا) .

(٢) البهرمان ، بفتح الياء والراء : العصفر أو ضرب منه (اللسان : بهرم) .

فقال : يا موسى ما حدث من سرق ؟ قال : أن تنقطع يده ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فما حدث من زنى ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويهلك بمن ؟ قال : بفلاتة ، فدعاها موسى ، فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدق قارون ؟ قالت : اللهم إني أشدّ تني ، فإني أشهد أنك بريء ، وأنت رسول الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي جُعلاً على أن أرميك بنفسي ؛ قال : فوثب موسى ، فخرّ ساجداً لله ، فأوحى الله إليه : أن ارفع رأسك ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : يا أرض خذهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقو ، قال : يا موسى ؛ قال : خذهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذهم ، قال : فذهبوا . قال فأوحى الله إليه يا موسى : استغاث بك فلم تغته ، أما لو استغاث بي لأجبتة ولأغثته .

حدثنا بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : ثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة ؛ فلما خرج منها ، جلس وتساند عليها ، وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود (وقال يا أيها الملأ أيكم) يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني (مسلمين) . . . إلى قوله (إن ربي غني كريم) ثم سكت عن ذكر سليمان ، فقال (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أُولي القوة) ، (قال إنما أوتيته على علم عندى) قال : وعادى موسى ، وكان مؤذياً له ، وكان موسى يصفح عنه ويعفو ، للقربة ، حتى بنى داراً ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملأ من بني إسرائيل يغمدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ، ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شقيقته والبلاء ، حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالحناء ، مشهورة بالسب ، فأرسل إليها فجاءته ، فقال لها : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك في نسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي ، فتقولي : يا قارون : ألا تنهى عني موسى ، قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاء الملأ من بني إسرائيل ، أرسل إليها ، فجاءت فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ، فقالت في نفسها : لأن أحدث اليوم توبة ، أفضل من أن أؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله له . فقالت : إن قارون قال لي : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك بنسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي ، فتقولي : يا قارون ألا تنهى عني موسى ، فلم أجد توبة أفضل من أن لا أؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله ؛ فلما تكلمت بهذا الكلام ، سقط في يدي قارون ، ونكس رأسه ، وسكت الملأ ، وعرف أنه قد وقع في هلكة ، وشاع كلامها في الناس ، حتى بلغ موسى ؛ فلما بلغ موسى اشتد غضبه ، فتوضأ من الماء ، وصلى وبكى ، وقال : يا رب عدوك لي مؤذ ، أراد فضيحتي وشيئي ، يا رب سلطني عليه ، فأوحى الله إليه أن مري الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه ، عرف الشر في وجه موسى له ، فقال : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ، فأخذتهم إلى ركبهم ، وهو يتضرع

إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذهم ، قال : فاضطربت داره وساخت ، وخُسِفَ بقارون وأصحابه إلى سُرَرِهِمْ ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذهم ، فخُسِفَ به وبداره وأصحابه . قال : وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم : يا موسى ما أفضلك . أما وعزتي لو إياي نادى لأجبهه حدثني بشر بن هلال ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجَوْنِيّ ، قال : بلغني أنه قيل لموسى : لا أُعَبِّدُ الأرض لأحد بعدك أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الحميد الحماني ، عن سفيان ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، قال عبد الحميد ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، ولم يذكر ابن مهدي أبا نصر (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) قال : الأرض السابعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغنا أنه يخسف به كل يوم مئة قامة ، ولا يبلغ أسفل الأرض إلى يوم القيامة ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار ، قال : بلغني أن قارون يُخَسَفُ به كل يوم مئة قامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) ذكر لنا أنه يُخَسَفُ به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها ، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وقوله (أَفَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : فلم يكن له جند يرجع إليهم ، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه ، بل تبرءوا منه (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) يقول : ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحلّ به نعمته ، فيمتنع لقوته منها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ) أي جند ينصرونه ، وما عنده منعة يمتنع بها من الله .

وقد بينا معنى الفئة فيما مضى ، وأنها الجماعة من الناس ، وأصلها الجماعة التي يئى إليها الرجل عند الحاجة إليهم ، للعون على العدو ، ثم تستعمل ذلك العرب في كل جماعة كانت عوناً للرجل ، وظهرها له ؛ ومنه قول خفاف :

فَلَسَمُ أَرَ مِثْلَهُمْ حَيًّا لِقَاحًا وَجَدُّكَ بَيْنَ نَاضِحَةٍ وَحَجَرٍ
أَشَدَّ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ آدَا وَأَكْبَرُ مِنْهُمْ فِئَةً بِضَبْرٍ

(١) البيتان من شعر خفاف بن ندبة ، وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١٨٣ ب) قال عند قوله تعالى : « فَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ » أي من أعوان وظهر ، قال : خفاف : فلم أر مثلهم حيا لقاحا . . . البيتين « . وفي » (اللسان : لقح) : وحى لقاح : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم في الجاهلية سباء . وقال ثعلب : الحى اللقاح : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقحت =

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَوْ أَلَّا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَ لَا يَقْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس من الدنيا ، وغناه وكثرة ماله ، وما بسط له منها بالأمس ، يعنى قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه ، يقولون : وَيَكَآنَ اللَّهُ . . .

اختلف في معنى (وَيَكَآنَ اللَّهُ) فأما قتادة ، فإنه روى عنه في ذلك قولان :

أحدهما : ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال في قوله (وَيَكَآنَ اللَّهُ) قال : ألم تر أنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَكَآنَ اللَّهُ) : أَوْ لَا تَرَى أَنَّهُ .

وحدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة : (وَيَكَآنَ اللَّهُ) قال : ألم تر أنه .

والقول الآخر : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) قال : أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ (وَيَكَآنَ اللَّهُ) : أَوْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ .

وتأول هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة في ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ،

واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك ، بقول الشاعر :

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي قَلَّ مَالِي ، قَدْ جِئْتُمَا بِنُكْرٍ
وَيَكَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُجْسِبُ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ

= لم تطاوع الفحل . وناضحة بالضاد : لعله تحريف ناضحة ، وهى كما في معجم البلدان : ماء لمعاوية بن حزن بنجد . وحجر (بفتح فسكون) : قصة اليمامة . والآد والأيد : القوة . والفئة : الجماعة من الناس ، وهو من الكلمات الشائبة الوضع .

(١) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٩٥ - ٩٧) وقبلهما بيت ثالث وهو :

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِيقَانِ عَلَى عَمْسِدٍ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهَيْتَرٍ

والشاعر ينكر حال زوجته معه ، بعد أن كبر وافتقر . وفي البيت الثانى : « أن رأنا مالى قليلا . . . الخ » والعرس : الزوجة . والهتر

بفتح الهاء : مصدر هتره يهتره هترا من باب نصر : إذا مزق عرضه . وبكسر الهاء : الكذب ، والداهية ، والأمر العجب ، والسقط

من الكلام ، والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . والنكر : الأمر القبيح المنكر . والنشب :

المال الأصيل ، من الناطق والصامت . والشاهد في قوله « ويكان » فقد اختلف فيها البصريون والكوفيون : أهى كلمة واحدة أم كلمتان ؟

فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى : « ويكانه لايفلح الكافرون » وعن قوله « ويكان الله » فزعم أنها : « وى » مفصلة

من « كان » . والمعنى على أن القوم انتبهوا ، فتكلموا على قدر علمهم ، أو نهوا ، فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ؟

وقال الفراء في معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٣) : « ويكان » . . . في كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى

صنع الله ؟ وأنشدنى : « ويكان من يكن . . . البيت » . وأخبرنى شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين

ابنك ، ويلك ؟ فقال : ويكانه وراء البيت ، معناه أما ترىته وراء البيت . . . إلى آخر ما نقله عنه المؤلف . قلت : والذي قاله

الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب ، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء : وى ، والكاف ، وأن . والذي قاله الفراء من

جهة المعنى : حسن واضح .

وقال بعض نحوِّي الكوفة : « ويكأن » في كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنْع الله وإحسانه ، وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها : أين ابننا ، فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترى وراء البيت ؟ قال : وقد يندهب بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان ، يريد : ويكأن أنه ، كأنه أراد ويكأنك ، فحذف اللام ، فتجعل « آن » مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويكأنك اعلم أنه وراء البيت . فأضمر « اعلم » . قال : ولم نجد العرب تُعمِل الظن مضمرا ، ولا العلم وأشباهه في « آن » ، وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين ، أو في آخر الكلمة ، فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ؛ ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن يقول : يا هذا ، أنك قائم ، ويا هذا أن قم ، يريد : علمت ، أو اعلم ، أو ظننت ، أو أظن . وأما حذف اللام من قولك : ويكأنك حتى تصير : ويكأنك ، فقد تقوله العرب ، لكثرتها في الكلام ، قال عنتره :
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيَكُنْ عَنَتَرٍ أَقْدِمُ^١

قال : وقال آخرون : إن معنى قوله (وَيَكُنْ) : « وى » منفصلة من كان : كقولك للرجل : وى أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : « وى » ثم استأنف ، كأن الله يبسط الرزق ، وهي تعجب ، وكان في معنى الظن والعلم ، فهذا وجه يستقيم . قال : ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن تكون كُسر بها الكلام ، فوصلت بما ليست منه .

وقال آخرون : إن « وى » : تنبيه ، وكأن حرف آخر غيره ، بمعنى : لعل الأمر كذا . وأظن الأمر كذا ، لأن كان بمنزلة أظن وأحسب وأعلم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : القول الذي ذكرنا عن قتادة ، من أن معناه : ألم تر ، ألم تعلم ، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر ، والرواية عن العرب ؛ وأن « ويكأن » في خط المصحف حرف واحد . ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة ، فإنه يصير حرفين ، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى : ويكأنك اعلم أن الله ، وجب أن يفصل « ويكأن » من « آن » ، وذلك خلاف خط جميع المصاحف . مع فساده في العربية ، لما ذكرنا . وإن وجهه إلى قول من يقول : « وى » بمعنى التنبيه ، ثم استأنف الكلام بكأن ، وجب أن يُفصل « وى » من « كأن » ، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها .

فإذا كان ذلك حرفا واحدا ، فالصواب من التأويل : ما قاله قتادة ، وإذا كان ذلك هو الصواب ، فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس ، يقولون كَلِمًا عاينوا ما أحل الله به من

(١) البيت لعنتر بن عمرو بن شداد العبسي ، من معلقته (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطلق السقا ص ٣٧٩) قال شارحه : يريد أن تعويل أصحابه عليه ، والتجاءم إليه . شى نفسه ، ونى غمه . اه . ووى : كلمة يقولها المتعجب من شيء ، وهي بدائية ثنائية الوضع . لأنها من أسماء الأصوات ، ثم صارت اسم فعل ، وقد تدخلها كاف الخطاب ، وقد يزيدون عليها لاما ، فتصير ويل أو الحاء ، فتصير ويح ، وتستعمل الأولى في الإنذار بالشر ، والثانية في الإشعار بالرحمة ، فيقال ويك ، وويحك ، وويك ، وويك : مثل ويك . وروايته البيت هنا كروايته في معاني القرآن للفراء (ص ٢٤٣) فقد نقله في كلامه الذي نقله المؤلف ، وذكر فيه هذا الشاهد . وفي مختار الشعر : قيل الفوارس : في موضع : قول الفوارس دوعما بمعنى .

(٢) قلت : العجب من المؤلف ، على إمامته وعلو كعبه في العلم ، كيف يجعل رسم المصاحف دليلا على المني ، مع أن المصاحف مختلفة رسمها اختلافا بينا وليس لاختلاف المعاني أي دخل في ذلك الرسم ، وإنما وجد إلى أسباب أخرى .

نقصته ، ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فَيُوسِّعُ عليه ، لا لفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه ، كما كان بسط من ذلك لقارون ، لا لفضله ولا لكرامته عليه (وَيَقْدِرُ) يقول : ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ، ويقتَر عليه ، لا لهوانه ، ولا لسُخْطه عمله .

وقوله (لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) يقول : لولا أن تفضل علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس . (نَحْسِفَ بَيْنَا) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى شيبة (نَحْسِفَ بَيْنَا) بضم الخاء ، وكسر السين ، وذكر عن شيبة والحسن (نَحْسَفَ بَيْنَا) بفتح الخاء والسين ، بمعنى : نحسف الله بنا . وقوله (وَيَكَاذِبُ الْكَافِرُونَ) يقول : ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ، فتُنْجِجُ طلباتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا : يقول : ولا ظلم الناس بغير حق ، وعملا بمعاصي الله فيها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن زياد بن أبي زياد ، قال : سمعت عكرمة يقول (لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) قال : العلو : التجبر . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) قال : العلو : التكبر في الحق ، والفساد : الأخذ بغير الحق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين (لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) قال : التكبر في الأرض بغير الحق (وَلَا فَسَادًا) أخذ المال بغير حق . قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة (لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) قال : البغي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) قال : تعظما وتجبرا ، (وَلَا فَسَادًا) : عملا بالمعاصي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن أبي سلمان الأعرج ، عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك صاحبه ، فيدخل في قوله (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقوله (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والجنة للمتقين ، وهم الذين اتقوا معاصي الله ، وأدّوا فرائضه .

وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي الجنة للمتقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير . وذلك الخير هو الجنة والنعم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهي الشرك بالله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) : أي له منها حظ خير ، والحسنة : الإخلاص ، والسيئة : الشرك .

وقد بينّا ذلك باختلاف المختلفين ، ودلّلنا على الصواب من القول فيه .

وقوله (فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ) يقول : فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة (إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إلا جزاء ما كانوا يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِنْ لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد . في قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاك القرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) فقال بعضهم : معناه : لمصيرك إلى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى معدنك من الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، قال : إلى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إبراهيم بن حبان ، سمعت أبا جعفر ، عن ابن عباس ، عن أبي سعيد الخدري (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : معاده آخرته الجنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في (لِنَ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى الجنة ليسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ، قال : الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى الجنة .

حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : يردك إلى الجنة ، ثم يسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد ، قالا : إلى الجنة

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبي قزعة والحسن ، قالوا : يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : يجيء بك يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالا : معاده يوم القيامة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : يجيء بك يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : معادك من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : كان الحسن يقول : إني والله ، إن له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ، ويدخله الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لرادك إلى الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيري ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : الموت .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن سعيد (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي عن سمع ابن عباس . قال إلى الموت .
حدثنا أبو كُرَيْب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير . قال : إلى الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبّير في قوله (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو تَمِيْلَةَ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عدی بن ثابت ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت ، أو إلى مكة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لَرَادُّكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وهو مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان العصفري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى مكة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عُمَى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : يقول : لَرَادُّكَ إِلَى مَكَّةَ ، كما أخرجك منها .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن مجاهد . قال : مولده بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعت مجاهدا يقول : (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن عمرو ، وهو ابن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن مجاهد أبي الحجاج ، في قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال : إلى مولده بمكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن أبيه ، عن مجاهد قال : إلى مولدك بمكة .

والصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : لرادك إلى عادتك من الموت ، أو إلى عادتك حيث وُلدت ، وذلك أن المعاد في هذا الموضع : المفعَل من العادة ، ليس من العَوْد ، إلا أن يوجه مُوجَّه تأويل قوله (لَرَادُكَ) لمصيرك ، فيتوجه حينئذ قوله (إلى معادٍ) إلى معنى العود ، ويكون تأويله : إن الذي فرض عليك القرآن لمُصَيِّرَكَ إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك .

فإن قال قائل : فهذه الوجوه التي وصفت في ذلك قد فهمناها ، فما وجه تأويل من تأوله بمعنى : لرادك إلى الجنة ؟ قيل : ينبغي أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر ، وهو لمصيرك إلى أن تعود إلى الجنة .

فإن قال قائل : أو كان أُخرج من الجنة ، فيقال له : نحن نعيدك إليها ؟ قيل : لذلك وجهان : أحدهما : أنه إن كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها ، فكأن ولده بإخراج الله إياه منها ، قد أخرجوا منها ، فمن دخلها فكأنما يُرد إليها بعد الخروج . والثاني أن يُقال : إنه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أُسري به ، كما روى عنه أنه قال : « دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » ، ونحو ذلك من الأخبار التي رويت عنه بذلك ، ثم رُدَّ إلى الأرض ، فيقال له : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك لمصيرك إلى الموضع الذي خرجت منه من الجنة ، إلى أن تعود إليه ، فذلك إن شاء الله قول من قال ذلك .

وقوله (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره انبياء محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين : ربّي أعلم مَنْ جاء بالهدى الذي من سلكه نجا ، ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم . وقوله (مُبِينٌ) يعني أنه يُبَيِّن للمفكر الفهم إذا تأمَّله وتدبَّره ، أنه ضلال وجور عن الهدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن ، فتعلم الأنبياء والأخبار عن الماضين قبلك ، والحادثة بعدك ، مما لم يكن بعد ، مما لم تشهده ولا تشهده ، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش ، إلا أن ربك رحمتك ، فأنزله عليك ، فقوله (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) استثناء منقطع . وقوله (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ) يقول : فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك ، بانزاله عليك هذا الكتاب ، ولا تكونن عوناً لمن كفر بربك على كفره به . وقيل : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم . وإن معنى اللام : إن الذي فرض عليك القرآن ، فأنزله عليك ، وما كنت ترجو أن ينزل عليك ، فتكون نبيا قبل ذلك ، لرادك إلى معاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم (لَوْ لَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى) وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولا تترك الدعاء إلى ربك ، وتبليغ المشركين رسالته . فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه ، وخلافه أمره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبودا آخر سواه . وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه . واختلف في معنى قوله (إِلَّا وَجْهَهُ) فقال بعضهم : معناه : كل شيء هالك إلا هو . وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما أريد به وجهه ، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر :
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخْصِيَةً رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
وقوله (لَهُ الْحُكْمُ) يقول : له الحكم بين خلقه دون غيره ، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالعدل . فيجازى مؤمنكم جزاءهم ، وكفاركم ما وعدهم .

آخر تفسير سورة القصص

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا لِسَعْدٍ وَسَيِّدُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾

(١) البيت من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيبيويه ولا يعرف قائلها . وهو شاهد عند النحاة على أن أصله « أستغفر الله من ذنب » ثم أسقط الجار ، فاتصل المجرور بالفعل ، فنصب مفعولا به . واستشهد به المؤلف هنا تبعا للفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٤٤) قال : (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا هو . وقال الشاعر : « أستغفر الله . . . البيت » أي أوجهه على :

❦ قال أبو جعفر : وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره (الم) وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله ، والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا ، بشواهد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
وأما قوله (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) فإن معناه : أظنّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم ، أن تركهم بغير اختبار ، ولا ابتلاء امتحان ، بأن قالوا : آمنا بك يا محمد ، فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله ، كلاًّ لنختبرهم ، ليتبين الصادق منهم من الكاذب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) قال : يُبْتَلَوْنَ في أنفسهم وأموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) : أي لا يُبْتَلَوْنَ .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، في قوله (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) قال : لا يُبْتَلَوْنَ .

فَأَنَّ الأولى منصوبة بحسب ، والثانية منصوبة في قول بعض أهل العربية ، بتعلق يتركوا بها ، وأن معنى الكلام على قوله (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) لأن يقولوا آمنا ، فلما حذفت اللام الحافضة من لَآنْ ، نصبت على ما ذكرت . وأما على قول غيره فهي في موضع خفض باضمار الحافض ، ولا تكاد العرب تقول تركت فلاناً أن يذهب ، فتدخل أن في الكلام ، وإنما تقول تركته يذهب ، وإنما أدخلت أن هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله (أَنْ يُتْرَكُوا) إذ كان معناه : أحسب الناس أن يُتْرَكُوا وهم لا يفتنون ، من أجل أن يقولوا آمنا ، فكان قوله (أَنْ يُتْرَكُوا) مكثفة بوقوعها على الناس ، دون أخبارهم . وإن جعلت « أن » في قوله (أَنْ يَقُولُوا) منصوبة بنية تكرير أحسب ، كان جائزاً ، فيكون معنى الكلام : أحسب الناس أن يُتْرَكُوا : أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا الذين من قبلهم من الأمم ، ممن أرسلنا إليهم رسلنا ، فقالوا مثل ما قالته أمّتك يا محمد بأعدائهم ، وتمكيننا إياهم من أذاهم ، كعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتليناهم بفرعون وملئهم ، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه ، فكذلك ابتلينا أتباعك

بمخالفتك من أعدائك (فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) منهم في قيلهم آمنا (وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) منهم في قيلهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفي حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : وَلْيُظْهِرَنَّ اللَّهُ صَدَقَ الصَّادِقُ منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوه ، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه ، على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عذبهم المشركون ، ففتن بعضهم ، وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : نزلت ، يعني هذه الآية (الم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا) ... إلى قوله (وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) في عمار بن ياسر ، إذ كان يعذب في الله .

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة ، وتخلفوا عن الهجرة ، والفتنة التي فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء ، هي الهجرة التي امتحنوا بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الشعبي ، قال : إنها نزلت ، يعني (الم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْتَرَكُوا) الآيتين في أناس كانوا بمكة أقرؤا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : إنه لا يقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فاتبعهم المشركون ، فردوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية : فكتبوا إليهم : إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج ، فإن اتبعنا أحد قاتلناه ؛ قال : فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم : منهم من قتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا) قال : ابتلينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد (وَلَقَدْ فَتَنَّا)

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : ابتلينا الذين من قبلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي ابتلينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره ، وهم المعنيون بقوله (الذين يعمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا) يقول : أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم ، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أي الشرك أن يسبقونا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَنْ يَسْبِقُونَا) أن يعجزونا . وقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره : ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : من كان يرجو الله يوم لقائه ، ويطمع في ثوابه ، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريباً ، وهو السميع ، يقول : والله الذي يرجو هذا الراجي ببقائه ثوابه ، السميع لقوله : آمنا بالله ، العليم بصدق قوله ، إنه قد آمن من كذبه فيه . وقوله (وَمَنْ جَاهَدَ) أي إنما يجاهد لنفسه (لِنَفْسِهِ) يقول : ومن يجاهد عدوه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده ، والهرب من العقاب ، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة ، وذلك أن الله غني عن جميع خلقه ، له الملك والخلق والأمر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله ، فصيح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم ، ولم يردوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أي

سلفت منهم في شركهم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولثيبتهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم ، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوَالِدَيْهِ) أن يفعل بهما (حُسْنًا) . واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن ، فقال بعض نحوِّي البصرة : نصب ذلك على نية تكرير وصينا . وكأن معنى الكلام عنده : ووصينا الإنسان بوالديه ، ووصيناها حسنا . وقال : قد يقول الرجل وصيته خيرا : أي بخير .

وقال بعض نحوِّي الكوفة : معنى ذلك : ووصينا الإنسان أن يفعل حسنا ، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه إذا كان فيما بقي الدلالة على ماسقط ، وتعمل ما بقي فيما كان يعمل فيه المحذوف . فنصب قوله (حُسْنًا) وإن كان المعنى ما وصفت وصينا ، لأنه قد ناب عن الساقط ، وأنشد في ذلك :
عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ بُوَصِّينَا
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّا جَافُونَا

وقال : معنى قوله : بوصينا خيرا : أن نفعل بها خيرا ، فاكتفى ببوصينا منه ، وقال ذلك نحو قوله (فَطَطِّقْ مَسْحًا) أي يمسح مسحًا .

وقوله (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) يقول : ووصينا الإنسان ، فقلنا له : إن جاهدك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك : فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ، ولكن خالفهما في ذلك إلى مرجعكم : يقول تعالى ذكره : إلى معادكم ومصبركم يوم القيامة (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها ، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان ، والمسيء بما هو أهله . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبي وقاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ... إلى قوله (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر ، قالت أمه : والله لا يظلي بيت حتى يرجع ، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما ، ولا يطيعهما في الشرك .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور السريع ، وهي من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به خيرا ، وأمرتك به خيرا ، وكان معناه : أمرتك أن تفعل به ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية ، وبالأمر ، قال الشاعر :
« هجيت . . . الأبيات » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالى ذكره (والَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الأعمال ، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله ، ويحتنبوا محارمه (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) في مدخل الصالحين ، وذلك الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يقول : أقررنا بالله فوحدناه ، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله ، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة ، فارتدَّ عن إيمانه بالله ، راجعا على الكفر به (وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ) يا محمد أهل الإيمان به (لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدون عن إيمانهم ، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله : (إِنَّا كُنَّا) أيها المؤمنون (مَعَكُمْ) ننصركم على أعدائكم ، كذبا وإفكا ، يقول الله (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أيها القوم من كل أحد (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) جميع خلقه ، القائلين آمنا بالله وغيرهم ، فإذا أُوذِيَ في الله ارتدَّ عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال : فتنته أن يرتدَّ عن دين الله إذا أُوذِيَ في الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال : أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) . . . الآية ، نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أُوذوا وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم ، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قول الله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال : هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين وكفر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة ، فخرجوا مهاجرين ، فأدركوا وأُخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ، أرادوا منهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بإسلامهم . فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم وقتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) قالوا فيم كنتم . . . إلى آخر الآية ، قال : فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة . فنزلت فيهم هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَمَوَّلُ آمَنًا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية . فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم . حتى نجا من نجا . وقتل من قتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَمَوَّلُ آمَنًا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال : هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردتهم المشركون إلى مكة ، وهذه الآيات العشر مدنية إلى ههنا وسائرهما مكى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وليعلمن الله أولياء الله . وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم . وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر . بإظهار الله ذلك منكم بالحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ، وتناقل المتناقل منكم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) يقول: قالوا: كونوا على مثل مانحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال (وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإننا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) قال: قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم، يقول: قالوا: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا إن كان عليكم شيء فهو علينا.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم القادة من الكفار، قالوا لمن آمن من الأتباع: اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا، وهذا أعنى قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) وإن كان خرج مخرج الأمر، فإن فيه تأويل الجزاء، ومعناه: ما قلت: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لِيصَوْتُ أَنْ يَنْدَى دَاعِيَانِ

يريد: ادعى ولأدع، ومعناه: إن دعوت دعوت.

وقوله (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) يقول جل ثناؤه: وكذبوا في قياهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبوا فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.

(۱) البيت لدثار بن شيان النمري (اللسان: ندى) قال: وفلان أندى صوتا من فلان: أي أبعد مذهباً، وأرفع صوتاً. وأشد الأصمى لدثار بن شيان النمري:

تَقُولُ خَلِيلِي لَمَّا اشْتَكَيْتُنَا سَيَدْرِكُنَا بَنُو الْقُرْمِ الْمُهْجَانِ

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لِيصَوْتُ أَنْ يَنْدَى دَاعِيَانِ

وفي فرائد القلائد، وهي شرح الشواهد الصغرى للعيني في باب إعراب الفعل، قاله الأعشى أو الخطيئة، فيما زعم ابن يعيش، أو ربيعة، حشم فيما زعم الزنجشري أو دثار بن شيان النمري، فيما زعم ابن بري. والشاهد في «أدعو» حيث نصب الواو فيه بتقدير «أن» بعد واو الجمع، أي وأن أدعو. ويروى: «وادع» على الأمر، بحذف اللام، إذ أصله: ولأدع. وهذا التوجيه الثاني هو توجيه الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٤٤) قال: وقوله «اتبعوا سبيلنا ولنحمل» هو أمر فيه تأويل جزاء، كما أن قوله «ادخلوا مساكنكم لا يحطنكم» نهى فيه تأويل الجزاء، وهو كثير في كلام العرب. قال الشاعر: «فقلت ادعى وأدع». البيت. أراد ادعى ولأدع، فإن أندى، فكأنه قال: إن دعوت دعوت. اهـ. وقد نقله المؤلف بهذا فيه.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها ، وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم . وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل . وقبلهم لهم : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أي أوزارهم (وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : أوزار من أضلوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) . وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) . وقرأ قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) قال : فهذا قوله (وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٦﴾

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى ، فإني وإن أملت لهم فأطلت إملاءهم ، فإن مصير أمرهم إلى البوار ، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلو والظفر بهم ، والنجاة مما يحل بهم من العقاب ، كفعلنا ذلك بنوح ، إذ أرسلناه إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد ، وفراق الآلهة والأوثان . فلم يزدتهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه ، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارا . وذكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة .

كما حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عون بن أبي شداد ، قال : إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة ، فأخذهم الطوفان ، يقول تعالى ذكره : فأهلكهم الماء الكثير ، وكل ماء كثير فاش طام ، فهو عند العرب طوفان ، سيلا كان أو غيره ، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا . فهو أيضا عندهم طوفان ؛ ومنه قول الراجز :

أَفَنَاهُمْ طُوفَانٌ مَوْتٍ جَارِفٍ ۱

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) قال : هو الماء الذي أرسل عليهم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الطوفان : الغرق .

وقوله (وَهُمْ ظَالِمُونَ) يقول : وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

✽ يقول تعالى ذكره : فَأَنجَيْنَا نُوحًا وَأَصْحَابَ سَفِينَتِهِ ، وهم الذين حماهم في سفينته من ولده وأزواجهم . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ، وذكرنا الروايات فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
(وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) يقول : وجعلنا السفينة التي أنجيناها وأصحابها فيها عبرة وعظة للعالمين ، وحيجة عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) . . . الآية . قال : أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي . ولو قيل : معنى (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف في قوله (وَجَعَلْنَاهَا) كناية عن العقوبة أو السخط ، ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) كان وجهها من التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

✽ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن ، إذ قال لقومه : اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله لكم غيره ، واتقوه : يقول :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٤ - ١) قال : الطوفان : مجازه كل ماء طام فاش ، من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا . قال : « أفنهم طوفان . . . البيت » . ونقله المؤلف بحروفه . وفي (اللسان : طوف) : والطوفان الماء الذي يفتش كل مكان . وقيل المطر الغالب ، الذي يفرق من كثرتة . وقيل : الطوفان : الموت العظيم . وقيل : الطوفان من كل شيء : ما كان كثيرا محيطا مطيفا بالجماعة كلها ، كالفرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة ؛ والقتل الذريع والموت الجارف ، يقال له طوفان . وبذلك كله فسر قوله تعالى : « فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ » .

واتقوا سخطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ما هو خير لكم مما هو شر لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليفه إبراهيم لقومه : إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا . يعني مثلاً كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم : معناه : وتصنعون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس . في قوله : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تصنعون كذبا . وقال آخرون : وتقولون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : وتقولون إفكا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تقولون كذبا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتنحيتون إفكا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج . عن عطاء الخراساني . عن ابن عباس ، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال : تنحيتون تصورات إفكا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) : أي تصنعون أصناما . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) الأوثان التي ينحيتونها بأيديهم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتصنعون كذبا . وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن : إنما تعبدون من دون الله أوثانا . وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما في قوله ١ (إِفْكًا) مردود على إنما ، كقول القائل : إنما تفعلون كذا ، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده : وإنما المقدرة في قوله إفكا : مردود . . . الخ ، والمقصود منه واضح .

وقرأ جميع قراء الأمصار (وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً) بتخفيف الحاء من قوله (وَتَخْلُقُونَ) وضم اللام : من الخلق. وذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ (وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً) بفتح الحاء وتشديد اللام من التخليق. والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً) يقول جل ثناؤه : إن أوثانكم التي تعبدونها ، لا تقدر أن ترزقكم شيئا (فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) يقول : فالتمسوا عند الله الرزق لامن عند أوثانكم ، تدركوا ما تبتغون من ذلك (وَاعْبُدُوهُ) يقول : وذلوا له (وَاشْكُرُوا لَهُ) على رزقه إياكم ، ونعمه التي أنعمها عليكم ، يقال : شكرته وشكرتُ له ، أفصح من شكرته . وقوله (إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم ، فيسألکم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقته ، وفي نعمه تتقلبون ، ورزقه تأكلون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، والبراءة من الأوثان ، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعاهم إليه الرسل من الحق ، فحل بها من الله سخطه ، ونزل بها منه عاجل عقوبته ، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) يقول : وما على محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته ، ويؤدّي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربّه . ويعنى بالبلاغ المبين : الذي يبين لمن سمعه ما يراه به ، ويفهم به ما يعنى به .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلا صغيرا ، ثم غلاما يافعا ، ثم رجلا مجتمعا ، ثم كهلا ، يقال منه : أبدأ وأعاد ، وبدأ وعاد ، لغتان بمعنى واحد . وقوله (ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه ، كما بدأه أول مرة خلقا جديدا ، لا يتعدّر عليه ذلك (إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل كما كان يسيرا عليه إبداءه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (أولم يترؤا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده) : بالبعث بعد الموت .

وقوله (قل سيروا في الأرض) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات ، الجاحدين الثواب والعقاب : سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها ، وكما أوجدتها وأحدثها ابتداء ، فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئاً ، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً (ثم الله ينشيئ النشأة الآخرة) يقول : ثم الله يبدي تلك البداية الآخرة بعد الفناء . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) خلق السموات والأرض (ثم الله ينشيئ النشأة الآخرة) : أي البعث بعد الموت . حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه . عن ابن عباس ، قوله (ثم الله ينشيئ النشأة الآخرة) قال : هي الحياة بعد الموت ، وهو النشور . وقوله (إن الله على كل شيء قدير) يقول تعالى ذكره : إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فناءه ، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده .

القول في تأويل قوله تعالى

يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم الله ينشيئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فناءهم . فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحاً (وإليه تُقْلَبُونَ) يقول : وإليه ترجعون وتردون .

وأما قوله (وما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) فإن ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) قال : لا يعجزه أهل الأرضين ولا أهل السموات في السموات إن عصوه ، وقرأ (مُثْقَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) .

وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة : وما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ مُعْجِزِينَ قال : وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني . قال : ومثله قول حسان ابن ثابت :

أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ ۚ

أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر « مَنْ » . قال: وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة ؛ ومثله في الكلام: أكرم من أتك وأتى أباك ، وأكرم من أتك ولم يأت زيدا . تريد: ومن لم يأت زيدا فيكتفى باختلاف الأفعال من إعادة مَنْ ، كأنه قال: أَمَّنْ يَهْجُو، ومن يمدحه ، ومن ينصره . ومنه قول الله عز وجل (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وهذا القول أصبح عندى فى المعنى من القول الآخر، ولو قال قائل: معناه: ولا أنتم بمعجزين فى الأرض ، ولا أنتم لو كنتم فى السماء بمعجزين كان مذهباً . وقوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول: وما كان لكم أبها الناس من دون الله من ولي يلى أموركم ، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءاً ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته .

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره: والذين كفروا حُجَّجَ الله، وأنكروا أدلته ، وجحدوا لقاءه والورود عليه ، يوم تقوم الساعة (أُولَٰئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره ؛ أولئك يثبوا من رحمتى فى الآخرة لما عابنوا ما أعد لهم من العذاب ، وأولئك لهم عذاب مٌوجِع .

فإن قال قائل: وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله (وَإِنْ تَكْذِبُوا فَتَكْذِبُوا كَذَبًا أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وترك ضمير قوله (فَتَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) وهو من قصة إبراهيم . وقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَٰهِهِمْ قَرَجَمُونَ) .

قيل: فعل ذلك كذلك ، لأن الخبر عن أمر نوح وإبراهيم وقومهما ، وسائر مَنْ ذَكَرَ الله من الرسل والأئم فى هذه السورة وغيرها ، إنما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الَّذِينَ يَبْتَدِئُ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر، وتحذير منه لهم أن يحل بهم ما حل بهم ، فكأنه قيل فى هذا الموضع: فاعبدوه واشكروا له إياه ترجعون ، فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمداً ، كما كذب أولئك إبراهيم ، ثم جعل مكان: فكذبتم: وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ، إذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم ، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه ، وتتميم قصته وقصتهم بقوله (فَتَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) .

(١) البيت لحسان بن ثابت وقد تقدم الاستشهاد به ، وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٤٤ من مصورة الجامعة) قال: وقوله « وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء » يقول القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون فى الأرض ولا فى السماء ، وليسوا من أهل السماء؟ فالمنى ، والله أعلم ، ما أنتم بمعجزين فى الأرض ، ولا من فى السماء بمعجز . وهو من غامض العربية ، للضمير الذى لم يظهر فى الثانى . ومثله قول حسان: « فن يهجو . . . البيت » . أراد: ومن ينصره ويمدحه ، فأضمر « من » ، وقد يقع فى وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة . ومثله فى الكلام: أكرم من أتك وأتى أباك ، وأكرم من أتك ولم يأت زيدا ؛ تريد: ومن لم يأت زيدا . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم : اعبدوا الله واتقوه . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إلا أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه بالنار ، ففعلوا : فأرادوا إحراقه بالنار ، فأضرموا له النار ، فألقوه فيها ، فأنجاه الله منها ، ولم يسلطها عليه ، بل جعلها عليه برّدا وسلاما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ (إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) قال : قال كعب : ما حرق منه إِلَّا وثاقه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في إنجائنا لإبراهيم من النار . وقد أتى فيها وهي تَسْعَرُ ، وتصيرها عليه بردا وسلاما ، لأداة وحججا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج إذا غابوا ورأوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه (وَقَالَ) إبراهيم لقومه : يا قوم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) فقراءته عامة قراء المدينة والشَّام وبعض الكوفيين (مَّوَدَّةً) بنصب مودة بغير إضافة بينكم بنصبها . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) بنصب المودة وإضافتها إلى قوله (بَيْنِكُمْ) ، وخفض بينكم . وكأن هؤلاء الذين قرءوا قوله (مَّوَدَّةً) نصبها وجهوها معنى الكلام : إلى إنما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم ، فجعلوا إنما حرفا واحدا ، وأوقعوا قوله (اتَّخَذْتُم) على الأوثان ، فنصبوها بمعنى : اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا . تتحابُّون على عبادتها ، وتتوادلون على خدمتها ، فتتواصلون عليها . وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة (مَّوَدَّةُ بَيْنِكُمْ) برفع المودة وإضافتها إلى البين ، وخفض البين . وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك ، جعلوا « إِنَّ مَّا » حرفين ، بتأويل : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا إنما هو مودتكم للدنيا ، فرفعوا مودة على خبر إن . وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعاً بقوله « إِنَّمَا » أن تكون حرفا واحدا ، ويكون الخبر متناها عند قوله (إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) ثم يبتدىء الخبر فيقال : ما مودتكم تلك الأوثان بِنَافِعَتِكُمْ ،

إنما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ، ثم هي منقطعة ، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة بقوله (في الحياة الدنيا) وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودة ، رفعها على ضمير هي .
وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها ، اتخذوها مودة بينهم ، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ، ثم هي عنهم منقطعة ، فبأي ذلك قرأ القارئ فصيبي ، لتقارب معاني ذلك ، وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الأمصار .
و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) قال : صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خلة المتقين .
وقوله (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) يقول تعالى ذكره : ثم يوم القيامة أيها المتوaddون على عبادة الأوثان والأصنام ، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم ، ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل ، والتواد في الدنيا من ألم العذاب ، يكفر بعضكم ببعض : يقول : يتبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضكم بعضا .
وقوله (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ) يقول جل ثناؤه : ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار (وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ) يقول : وما لكم أيها القوم المتخذون الآلهة ، من دون الله مودة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم ، فينقلونكم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى ذكره : فصدق إبراهيم خليل الله لوط (وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) يقول : وقال إبراهيم : إني مهاجر دار قومي إلى ربِّي إلى الشام .
و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عني ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ) قال : صدق لوط (وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) قال : هو إبراهيم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ) أي فصدق لوط (وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) قال : هاجرا جميعا من كوثي ، وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَهَا سِتَّةُ كُؤُنْ هِجْرَةٌ بِعَدَا هِجْرَةٍ ، يَسْتَحَازُ »

أَهْلُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجِرِ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا ، حَتَّى تَلْفِظَهُمْ وَتَقْذَرَهُمْ وَتَحْشُرَهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ) قال : صدقه لوط ، صدق إبراهيم قال : أرأيت المؤمنين ، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ؟ قال : فالإيمان : التصديق . وفي قوله (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) قال : كانت هجرته إلى الشام . وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل ، فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَمَنْتُ لَهُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَيْسَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ مَعَهُ » يعني آمنت له : صدقته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ) وقال إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) قال : إلى حرَّان ، ثم أُمِر بعد بالشَّام الذي هاجر إبراهيم ، وهو أول من هاجر . يقول : (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ) قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنِّي مُهَاجِرٌ . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد . قال : سمعت الضحاك يقول . في قوله (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ) قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) إِبْرَاهِيمَ الْقَائِلُ : إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي . وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : إن ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصَّره . ولكنه يمنعه من أراد به سوء : وإليه هجرته ، الحكيم في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا ، ويعقوب من بعده ولد ولد . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه . عن ابن عباس قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) قال : هما ولدا إبراهيم .

وقوله (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) بمعنى الجمع ، يراد به الكتب ، ولكنه خرَّج مخرج قولهم : كثر الدرهم والدينار عند فلان .

وقوله (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا (وَإِنَّا) مع ذلك (فِي الْآخِرَةِ لَنِ الصَّالِحِينَ) فله هناك أيضا جزاء الصالحين ، غير منتقص حظَّه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله ، عما له عنده في الآخرة .

وقيل : إن الأجر الذي ذكره الله عز وجل ، أنه آتاه إبراهيم في الدنيا : هو الثناء الحسن . والولد الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : الثناء .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قوله (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) قال : قال أجره في الدنيا أن كل ملة تتولاه ، وهو عند الله من الصالحين ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب ،
حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مندل ، عن ذكره ، عن ابن عباس (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : الولد الصالح والثناء .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) يقول : الذكر الحسن .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) قال : عافية وعملا صالحا ، وثناء حسنا ، فليست بلاق أحدا من الملل إلا يرى إبراهيم وبتولاه (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر لوطا إذ قال لقومه : إنكم لتأتون الذكران (ما سَبَقَكُمْ بِهَا) يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها ، وهي إتيان الذكران (مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، في قوله (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)
قال : ما نَزَا ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه (أَتَيْنَكُمْ) أيها القوم (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) في أدبارهم

(وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) يقول : وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الحبيث ، وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين ، من ورد بلادهم من الغرباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) قال : السبيل : الطريق . المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قَطَعُوا به ، وعملوا به ذلك العمل الحبيث . وقوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله ، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديتهم ، فقال بعضهم : كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا رَوْحُ بْنُ عَطِيْفَةَ الثَّقَفِيُّ . عن عمرو بن مصعب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة . في قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال الضراط .

وقال آخرون : بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مرّ بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وابن وكيع قالوا : ثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يحذفون أهل الطريق وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ « فهو المنكر الذي كانوا يأتون . حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا أبو أسامة ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم . مثله . حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا سليم بن أخضر ، قال : ثنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، أن أمّ هانئ سألت عن هذه الآية (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) فقالت : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « كانوا يحذفون أهل الطريق . وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة . قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مرّ بهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة . قال : سمعت عكرمة قال : الحذف .

حدثنا موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كان كل من مرّ بهم حذفوه فهو المنكر .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة . قال : ثنا سماك بن حرب ، عن باذام ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، عن أمّ هانئ ، قالت : « سألت رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قَالَ « كَانُوا يَجْلِسُونَ بِالطَّرِيقِ ، فَيَحْدِفُونَ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .
وقال بعضهم : بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يأتي بعضهم بعضا في مجالسهم ، يعني قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال : ثنا فضيل بن غياض ، عن منصور ابن المعتمر ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كان يأتي بعضهم بعضا في المجالس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : المجالس ، والمنكر : إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) قال : ناديتهم : المجالس ، والمنكر : عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه . وقرأ (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ، وقرأ (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) يقول : في مجالسكم .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتحذفون في مجالسكم المارة بكم ، وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَأَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهام عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله إلا قبيحهم : ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا ، إن كنت من الصادقين فيما تقول ، والمنجزين لما تعد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٤١﴾

❖ يقول تعالى ذكره (ولما جاءت رُسُلنا إبراهيم بالبُشْرَى) من الله بإسحاق . ومن وراء إسحاق يعقوب ، (قالوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) يقول : قالت رسل الله لإبراهيم : إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قرية سدُوم ، وهي قرية قوم لوط (إِنَّا أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) يقول : إِن أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ أَنفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ اللَّهَ ، وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن ابن عباس . قوله (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) . . . إلى قوله (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا) قال : فجاء إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا ، قال : فقال أرايتم إن كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتركوهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة أبيات ، ولا خمسة ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة . ولا اثنان ، قال : فحزن على لوط وأهل بيته ، فقال (إِنَّا فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) فذلك قوله (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) . فقالت الملائكة : (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) فبعث الله إليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه ، فجعل عليها سافلها ، وتبعهم بالحجارة بكل أرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنَّا فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٤٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للرسول من الملائكة . إذ قالوا له (إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) إِنَّا أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فلم يستثنوا منهم أحدا . إذ وصفوهم بالظلم : إِن فِيهَا لُوطًا . وليس من الظالمين . بل هو من رسل الله . وأدل الإيمان به . والطاعة له : فقالت الرسل له : (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا) من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لوطا ليس منهم . بل هو كما قلت من أولياء الله . لننجينه وأهله من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته (إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الذين أبقتهم الدهور والأيام . وتناولت أعمارهم وحياتهم ، وأنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَأَنَّتَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا) من الملائكة (سِئَ بِهِمْ) (سِئَءٌ بِهِمْ) يقول : ساءته الملائكة بمجيبهم إليه ، وذلك أنهم تَضَيَّفُوهُ ، فسأوه بذلك ، فقوله (سِئَءٌ بِهِمْ) : فُضِّلَ بِهِمْ مِنْ سَاءِهِ بِذَلِكَ .

وذكر عن قتادة أنه كان يقول : ساء ظنه بقومه ، وضاق بضيفه ذَرْعًا .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عنه (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) يقول : وضاق ذرعه بضيفهم لما علم من خبيث فعل قومه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) قال : بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه .

وقوله (وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ) يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك ، ولا تحزن مما أخبرناك من أننا مهلكوهم ، وذلك أن الرسل قالت له (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَ يَصْلُوهُنَّ إِلَىكَ فَاَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ . إِنَّا مَنجُوكَ) من العذاب الذي هو نازل بقومك (وَأَهْلَكَ) يقول : ومنجو أهلِكَ معك (إِلَّا امْرَأَتَكَ) فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها ، كانت من الباقيين الذين طالت أعمارهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره عن قبل الرسل للوط (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالوط (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) سَدُومَ (رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ) يعنى عذابا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) : أى عذابا .

وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يقول : بما كانوا يأتون من معصية الله ، ويركبون من الفاحشة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة. لقوم يعقلون عن الله حُجَّتْجِه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندى عُفُو آثارهم، ودروس معالمهم. وذكر عن قتادة في ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد. عن قتادة (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) قال: هي الحجارة التي أمطرت عليهم. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. قوله (مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) قال: عبرة. القول في تأويل قوله تعالى:

وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَكْفُومِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَغْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مدين أخاهم شعيبا. فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده. واذلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة (وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة (وَلَا تَغْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول: ولا تكثروا في الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها. ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله (وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) بمعنى: واخشوا اليوم الآخر. وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول: لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه بالخشد.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره: فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة. فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا في دارهم جاثمين جثوما. بعضهم على بعض متواتي. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ): أى ميتين.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادا وثمود. وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأؤها

منهم بوقائعنا بهم ، وحلول سَطَبَتنا بجميعهم (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله (فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول : فردَّهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر ، عن سبيل الله . التي هي الإيمان به ورسله ، وما جاءوهم به من عند ربهم (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : وكانوا مستبصرين في ضلالهم ، مُعْجَبِينَ بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ) وكانوا مُسْتَبْصِرِينَ يقول : كانوا مستبصرين في دينهم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) في الضلالة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) في ضلالهم مُعْجَبِينَ بها . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) يقول : في دينهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٤٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ، ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات ، يعني بالواضحات من الآيات ، فاستكبروا في الأرض عن التصديق بالبينات من الآيات ، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه (وما كانوا سابقين) : يقول تعالى ذكره : وما كانوا سابقينا بأنفسهم ، فيفوتونا ، بل كنا مقتدرين عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ وَمِنْهُمْ
مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا (فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) وهم قوم لوط ، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ، ومنه قول الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ
تَرْمِي الْعِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِّنْ تَلْمِجِهَا
هَدَجَ الرِّثَالِ يَكْبُثُهُنَّ شَمَالًا
حَتَّى يَبْثِثَ عَلَى الْعِضَاهِ جُفَالًا^١

وقال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا
بِحَاصِبٍ كَسَدِيفِ الْقُطْنِ مَسْشُورٍ^٢
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : قال ابن عباس :
(فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) قوم لوط .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا)
وهم قوم لوط (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ) .
اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بذلك ، فقال بعضهم : هم ثمود قوم صالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : قال ابن عباس
(وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ) ثمود .
وقال آخرون : بل هم قوم شعيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ)
قوم شعيب .
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه
أهلكهم بالصبيحة في كتابه في غير هذا الموضع ، ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : فن الأمم التي
أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا ، ومنهم مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ . فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض مَن أَخَذَتْهُ
الصَّبِيحَةُ من الأمم دون بعض . وكلا الأمتين أعنى ثمود ومدين قد أخذتهم الصَّبِيحَةُ .
وقوله (وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) : يعنى بذلك قارون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال : قال ابن عباس :

(١) البيتان للأخطل ، وقد سبق الاستشهاد بهما في غير هذا الموضع من التفسير انظره في (١٥ : ١٢٤) .
(٢) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة رقم ١٨٥) قال : « أرسلنا عليه حاصبا » :
أي ريحا عاصفا فيها حصى ، ويكون في كلام العرب الحاصب من الجليد ونحوه أيضا . وقال الفرزدق : « مستقبلين شمال الشام » . . .
البيت . اهـ .

(وَمِنْهُمْ مَّنْ نَّحْسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) قارون (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا) يعنى: قوم نوح وفرعون وقومه .
واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : عنى بذلك : قوم نوح عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :
(وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا) قوم نوح .
وقال آخرون : بل هم قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا) قوم فرعون .
❖ والصواب من القول فى ذلك ، أن يقال : عنى به قوم نوح وفرعون وقومه ، لأن الله لم يخص بذلك
إحدى الأمتين دون الأخرى ، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما ، فهما معنيتان به .
وقوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولم
يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم ، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق ، بل إنما
أهلكهم بذنوبهم ، وكفرهم بربهم ، وجحودهم نعمه عليهم ، مع تنابع إحسانه عليهم ، وكثرة أياديه عندهم ،
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم فى نعم ربهم ، وتقليبهم فى آلائه وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من
أنعم عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ
أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ④

❖ يقول تعالى ذكره : مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرتها ونفعها عند
حاجتهم إليها فى ضعف احتياهم ، وقبح رواياتهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كمثال العنكبوت فى ضعفها ،
وقلة احتياها لنفسها ، اتخذت بيتا لنفسها ، كما يمكنها ، فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء
المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا ،
ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قواه (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) . . . إلى آخر
الآية ، قال : ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ، إن مثله كمثال بيت العنكبوت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ) قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك مَثَلُ إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) قال : هذا مثل ضربه الله ، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا .

وقوله (وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ) يقول : وإن أضعف البيوت (لَبَيَّتِ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم ، كغناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١٨﴾

اختلف القراء في قراءة قوله (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ) فقرأته عامة قراء الأمصار (تَدْعُونَ) بالتاء بمعنى الخطاب لمشركي قريش (إِنَّ اللَّهَ) أيها الناس (يَعْلَمُ) ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) . وقرأ ذلك أبو عمرو (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ) بالياء بمعنى الخبر عن الأمم . إن الله يعلم ما يدعوه هؤلاء الذين أهلكتهم من الأمم من دونه من شيء .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأ بالتاء ، لأن ذلك لو كان خبراً عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكتهم ، لكان الكلام : إن الله يعلم ما كانوا يدعون . لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله لم يكونوا موجودين ، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا ، وإنما يقال : إن الله يعلم ما تدعون إذا أريد به الخبر عن موجودين ، لا عن قد هلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا : إن الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه من شيء ، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ، إن أراد الله بكم سوءاً ، ولا يغني عنكم شيئاً ، وإن مثله في قلة غنائه عنكم . مَثَلُ بيت العنكبوت في غنائه عنها .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : والله العزيز في انتقامه ممن كفر به ، وأشرك في عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم ، كما نزل بالأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة عليكم ، فإنه إن نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء . كما لم يغن

عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه ، الحكيم في تدبيره خلقه ١ ، ففُهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح ، والمؤخر من أخر هلاكه من كفره خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه صلاح . وقوله (وتلك الأمثال نضرب بها للناس) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمثال ، وهي الأشباه والنظائر نضربها للناس يقول : نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس ، كما قال الأعشى :
هَلْ تَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمِصٍ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَشَلًا ٢
(وما يعقلها إلا العالمون) يقول تعالى ذكره : وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً إلا العالمون بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : خلق الله يا محمد السموات والأرض وحده منفرداً بخلقها ، لا يشركه في خلقها شريك (إن في ذلك لآية) : يقول إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها ، والآيات إذا رآها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أتل) يعني اقرأ (ما أوحى إليك) من الكتاب يعني ما أنزل إليك من هذا القرآن (وأقم الصلاة) يعني : وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة ، أو في الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الوفاء ، عن أبيه ، عن ابن عمر (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال : القرآن الذي يقرأ في المساجد .

(١) العبارة من أول قوله « كما لم يغن عنهم . . . إلى هنا » : عسرة الفهم . فلتأمل .

(٢) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) وفيه « في » في موضع « من » و « في » أوجه . وتنص ، بفتح أوله وثانيه ، بعده ميم مشددة مضمومة . وصاد مهملة : موضع . هكذا ذكره أبو حاتم ، وأنشد
هل تعرف الدر في تنمص إذ تضرب لي قاعدا بها مثلاً
للأعشى :
وتنمص في ديار حير ، لأنه مدح بها ذا فائش الحميري ، وزعم أنه قال له : مالك لا تمدحني ، وضرب له مثلاً . (انظر معجم ما استمع للبري . ترتيب مصطلح السقا ص ٣٢٢) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١٨٥ - ١) وروايته : هل تذكر المهدي في تنمص . والمؤلف استشهد به عند قوله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس » . قال أبو عبيدة : مجازه : هذه الأشباه والنظائر نضربها .

وقال آخرون : بل غنى بها الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) يقول : في الصلاة منهي ومزدجر عن معاصي الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله . عن العلاء بن المسيب ، عن ذكره . عن ابن عباس . في قول الله (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنا خالد . قال : قال العلاء بن المسيب . عن سمرة بن عطية . قال : قيل لابن مسعود ، إن فلانا كثير الصلاة ، قال : فإنها لا تنفع إلا من أطاعها .

قال : ثنا الحسين . قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث . عن عبد الرحمن بن يزيد . عن ابن مسعود . قال : من لم تأمره صلاته بالمعروف . ونهه عن المنكر . لم يزد بها من الله إلا بعدا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عليّ بن هاشم بن البريد . عن جويبر . عن الضحاك . عن ابن مسعود . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا صلاة لمن لم يطيع الصلاة » ، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر » قال : قال سفيان (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ) قال : فقال سفيان : إني والله تأمره ونهاه .

قال عليّ : وحدثنا إسماعيل بن مسلم . عن الحسن . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزِدْ بِهَا مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا » .

حدثني يعقوب . قال : ثنا ابن علية . عن يونس . عن الحسن . قال : الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، قال : من تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر . لم يزد من الله إلا بعدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة والحسن . قالوا : من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بعدا .

والصواب من القول في ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : كما قال ابن عباس وابن مسعود . فإن قال قائل : وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها ؟ قيل : تنهى من كان فيها ، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش ، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر . ولذلك قال ابن مسعود : من لم يطمع صلاته لم يزد من الله إلا بعدا . وذلك أن طاعته لها إقامة إياها بحدودها . وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر .

حدثنا أبو حميد الحمصي : قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار . قال : ثنا أرطاة . عن ابن عون ، في قول الله (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) قال : إذا كنت في صلاة ، فأنت في معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر . والفحشاء : هو الزنا . والمنكر : معاصي الله . ومن أتى فاحشة أو عصي الله في صلاته بما يفسد صلاته ، فلا شك أنه لا صلاة له .

وقوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : قال لي ابن عباس : هل تدري ما قوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : قلت : نعم ، قال : فما هو ؟ قال : قلت : التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال : لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن ربيعة ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقلت : ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن ، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها ، فقال : لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كما قلت ، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبشير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : حدثني عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود ، عن عكرمة (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : هو قوله (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) لعباده إذا ذكروه (أَكْبَرُ) من ذكركم إياه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه في الصلاة أو غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميم ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرّة ، عن سلمان ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي عريب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، قال : سمعت أبا الدرداء ، يقول : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير من أن تغزوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ذكركم ربكم ، وذكر الله أكبر » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان . عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرّة ، عن سلمان (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .
قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : سألت أبا قرّة ، عن قوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل . عن جابر . عن مجاهد وعكرمة قالا : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه
قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : هو كقوله (اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا حسن بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه .

قال : ثنا أبو يزيد الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولذكركم الله أفضل من كل شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، عن العيزار بن حريث ، عن رجل ، عن سلمان . أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : أما تقرأ القرآن (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) : لا شيء أفضل من ذكر الله .

حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا علي بن عياش ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا معاوية ، عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أمّ الدرداء ، أنها قالت (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فإن صليت فهو من ذكر الله ، وإن صمت فهو من ذكر الله ، وكل خير عمله فهو من ذكر الله وكل شرّ تجنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك تسبيح الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : لا شيء أكبر من ذكر الله ، قال : أكبر الأشياء كلها ، وقرأ (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) قال : لذكر الله : وإياه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رجل لسلمان : أي العمل أفضل ، قال : ذكر الله .

وقال آخرون : هو محتمل للوجهين جميعا ، يعنون القول الأول الذي ذكرناه والثاني .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر مما سواه ، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : لها وجهان : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه ، وذكر الله عند ما حُرِّم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السُّدِّي عن أبي مالك ، في قوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العبد في الصلاة ، أكبر من الصلاة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللصلاة التي أتيت أنت بها ، وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر .

حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، في قول الله (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر .
قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه .

وقوله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) يقول : والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم من إقامة حدودها ، وترك ذلك وغيره من أموركم ، وهو مجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها ، والله أعلم .

تمّ الجزء العشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه : الجزء الحادي والعشرون ،

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) . . . الخ

10. 11. 1991

الکبر من ذکر

1. مقدمة

حاشیہ

1991

1991

100

20



10

10

100

100

15. 500

وقد أسس

الحساب والادارة

10

11-11-11

•

ذکر کم ای

وہو

موسم: بهار

بريد

Figure 1

1990

100

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الحادي والعشرون

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ١١ / ٧٠٦١
المطابع والمعمل، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَيرُوت } لَبْنَان
بَرقِيا، فِكسي - تِلِكس ٤١٣٩٢ فِكْر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الحادي والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

-
- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

۱۔ فہرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
۶۸	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	۱۴	۴۶	ولا تجادلوا أهل الكتاب . . .	۱
۶۹	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . .	۱۵	۴۷	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب . . .	۴
<u>تفسير سورة الروم</u>			۴۸	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب . . .	۴
۱	الم . . .	۱۵	۴۹	بل هو آيات بينات في صدور . . .	۵
۲	غلبت الروم . . .	۱۵	۵۰	وقالوا لولا أنزل عليه آيات . . .	۶
۳	في أدنى الأرض . . .	۱۵	۵۱	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب . . .	۶
۴	في بضع سنين لله الأمر . . .	۱۵	۵۲	قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا . . .	۷
۵	ينصر الله ينصر من يشاء . . .	۱۵	۵۳	ويستعجلونك بالعذاب . . .	۷
۶	وعد الله لا يخلف الله وعده . . .	۲۲	۵۴	يستعجلونك بالعذاب . . .	۸
۷	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . .	۲۲	۵۵	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم . . .	۸
۸	أو لم يتفكروا في أنفسهم . . .	۲۴	۵۶	يا عبادى الذين آمنوا . . .	۹
۹	أو لم يسيروا في الأرض فينظروا . . .	۲۴	۵۷	كل نفس ذائقة الموت . . .	۱۰
۱۰	ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى . . .	۲۵	۵۸	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	۱۰
۱۱	الله يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	۲۵	۵۹	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	۱۰
۱۲	ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . . .	۲۶	۶۰	وكأين من دابة لا تحمل رزقها . . .	۱۱
۱۳	ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء . . .	۲۶	۶۱	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	۱۱
۱۴	ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . . .	۲۶	۶۲	الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . . .	۱۲
۱۵	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	۲۶	۶۳	ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء . . .	۱۲
۱۶	وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	۲۸	۶۴	وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . . .	۱۲
۱۷	فسبحان الله حين تمسون . . .	۲۸	۶۵	فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين . . .	۱۳
۱۸	وله الحمد في السموات والأرض . . .	۲۸	۶۶	ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا . . .	۱۳
۱۹	يخرج الحي من الميت . . .	۳۰	۶۷	أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا . . .	۱۳
۲۰	ومن آياته أن خلقكم من تراب . . .	۳۰			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم . . .	٣١	٤٩	وإن كانوا من قبل . . .	٥٤
٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض . . .	٣١	٥٠	فانظر إلى آثار رحمة الله . . .	٥٥
٢٣	ومن آياته مناكم بالليل والنهار . . .	٣٢	٥١	ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا . . .	٥٥
٢٤	ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	٣٢	٥٢	فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم . . .	٥٥
٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء . . .	٣٤	٥٣	وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم . . .	٥٥
٢٦	وله من في السموات والأرض . . .	٣٤	٥٤	الله الذي خلقكم من ضعف . . .	٥٦
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٣٤	٥٥	ويوم تقوم الساعة . . .	٥٧
٢٨	ضرب لكم مثلا من أنفسكم . . .	٣٨	٥٦	وقال الذين أوتوا العلم . . .	٥٧
٢٩	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم . . .	٣٩	٥٧	فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا . . .	٥٨
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفا . . .	٤٠	٥٨	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن . . .	٥٨
٣١	منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة . . .	٤٢	٥٩	كذلك يطبع الله على قلوب . . .	٥٨
٣٢	من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . . .	٤٢	٦٠	فاصبر إن وعد الله حق . . .	٥٨
٣٣	وإذا مس النار ضرر دعوا . . .	٤٣	تفسير سورة لقمان		
٣٤	ليكفروا بما آتيناهم . . .	٤٣	١	الم . . .	٥٩
٣٥	أم أنزلنا عليهم سلطانا . . .	٤٤	٢	تلك آيات الكتاب الحكيم . . .	٥٩
٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا . . .	٤٤	٣	هدى ورحمة للمحسنين . . .	٥٩
٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق . . .	٤٤	٤	الذين يقيمون الصلاة . . .	٥٩
٣٨	فآت ذا القربى حقه . . .	٤٥	٥	أولئك على هدى من ربهم . . .	٦٠
٣٩	وما آتيتم من ربا ليربو . . .	٤٥	٦	ومن الناس من يشتري . . .	٦٠
٤٠	الله الذي خلقكم ثم رزقكم . . .	٤٨	٧	وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا . . .	٦٤
٤١	ظهر الفساد في البر والبحر . . .	٤٨	٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٦٥
٤٢	قل سيروا في الأرض . . .	٥٠	٩	خالدين فيها . . .	٦٥
٤٣	فأقم وجهك للدين القيم . . .	٥١	١٠	خلق السموات بغير عمد ترونها . . .	٦٥
٤٤	من كفر فعليه كفره . . .	٥١	١١	هذا خلق الله فأروني ماذا خلق . . .	٦٦
٤٥	ليجزى الذين آمنوا . . .	٥٢	١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة . . .	٦٧
٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات . . .	٥٢	١٣	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . . .	٦٨
٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلا . . .	٥٣	١٤	ووصينا الإنسان بوالديه . . .	٦٩
٤٨	الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا . . .	٥٣			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	وإن جاهدك على أن تشرك بى . . .	٧٠	٧	الذى أحسن كل شئ خلقه . . .	٩٣
١٦	يا بنى إنما إن تك مثقال حبة . . .	٧١	٨	ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . . .	٩٣
١٧	يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف . . .	٧٣	٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه . . .	٩٦
١٨	ولا تصغر خدك للناس . . .	٧٤	١٠	وقالوا : أتذا ضللنا فى الأرض . . .	٩٦
١٩	واقصد فى مشيك . . .	٧٦	١١	قل : يتوفاكم ملك الموت . . .	٩٧
٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم	٧٧	١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . . .	٩٨
٢١	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . . .	٧٩	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها . . .	٩٨
٢٢	ومن يسلم وجهه إلى الله . . .	٧٩	١٤	فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا . . .	٩٩
٢٣	ومن كفر فلا يحزنك كفره . . .	٨٠	١٥	إنما يؤمن بآياتنا الذين . . .	٩٩
٢٤	نمتعهم قليلا . . .	٨٠	١٦	تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . .	٩٩
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض . . .	٨٠	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . . .	١٠٣
٢٦	لله ما فى السموات والأرض . . .	٨٠	١٨	أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا . . .	١٠٧
٢٧	ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام . . .	٨٠	١٩	أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٠٧
٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . . .	٨٢	٢٠	وأما الذين فسقوا فأوهم النار . . .	١٠٧
٢٩	ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار . . .	٨٣	٢١	ولنديقهم من للعذاب الأدنى . . .	١٠٨
٣٠	ذلك بأن الله هو الحق . . .	٨٣	٢٢	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه . . .	١١١
٣١	ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر . . .	٨٤	٢٣	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١١٢
٣٢	وإذا غشيهم موج كالظلل . . .	٨٤	٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا . . .	١١٢
٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم . . .	٨٦	٢٥	إن ربك هو يفصل بينهم . . .	١١٣
٣٤	إن الله عنده علم الساعة . . .	٨٧	٢٦	أولم يهد لهم كم أهلكنا . . .	١١٣
تفسير سورة السجدة			٢٧	أولم يروا أنا نسوق الماء . . .	١١٤
١	الم . . .	٨٩	٢٨	ويقولون متى هذا الفتح . . .	١١٥
٢	تنزيل الكتاب لاريب فيه . . .	٨٩	٢٩	قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا . . .	١١٥
٣	أم يقولون افتراه . . .	٨٩	٣٠	فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون . . .	١١٥
٤	الله الذى خلق السموات والأرض . . .	٩٠	تفسير سورة الأحزاب		
٥	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض . . .	٩١	١	يا أيها النبي اتق الله . . .	١١٧
٦	ذلك عالم الغيب والشهادة . . .	٩٣	٢	واتبع ما يوحى إليك من ربك . . .	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا . . .	١١٧	١٧	قل من ذا الذى يعصمكم من الله . . .	١٣٧
٤	ما جعل الله لرجل من قلوبين فى جوفه . . .	١١٧	١٨	قد يعلم الله المعوقين منكم . . .	١٣٩
٥	ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . . .	١٢٠	١٩	أشحة عليكم	١٣٩
٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . .	١٢١	٢٠	يحسبون الأحزاب لم يذهبوا . . .	١٤٢
٧	وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم . . .	١٢٥	٢١	لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة .	١٤٣
٨	ليسأل الصادقين عن صدقهم . . .	١٢٦	٢٢	ولما رأى المؤمنون الأحزاب . . .	١٤٣
٩	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله . . .	١٢٦	٢٣	من المؤمنين رجال . . .	١٤٤
١٠	إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم . . .	١٢٩	٢٤	ليجزى الله الصادقين بصدقهم . . .	١٤٤
١١	هنالك ابتلى المؤمنون . . .	١٢٩	٢٥	ورد الله الذين كفروا بغيظهم . . .	١٤٨
١٢	وإذ يقول المنافقون	١٢٩	٢٦	وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب . . .	١٤٩
١٣	وإذ قالت طائفة منهم . . .	١٣٤	٢٧	وأورثكم أرضهم وديارهم . . .	١٤٩
١٤	ولو دخلت عليهم من أقطارها . . .	١٣٥	٢٨	يا أيها النبي قل لأزواجك :	١٥٥
١٥	ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل . . .	١٣٧	٢٩	وإن كنتم تردن الحياة الدنيا . . .	١٥٥
١٦	قل لن ينفعكم الفرار . . .	١٣٧	٣٠	يا نساء النبي من يأت . . .	١٥٨

٣- فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١٢٥	سَطَرَ		ا
		١٤٥	هَوَّيَرُ		
٢٧	هَطِلُ	٨٥	وَحْشَرُ	١١٤	النَّوَى
٢٧	مُكْتَهِلُ	١٣٦	تَمَرًا	١٣٥	لا يَراها
٢٧	الأَصْلُ	١٣٦	شَرًّا		ب
٣٧	وأَطْوَلُ				
٣٧	أَوَّلُ	س		١٤٥	نَحْبُ
٣٧	وأَفْضَلُ	٢٦	مُكْرَسًا	٩٥	دَبَّابُ
٣٧	أَوَّلُ	٢٦	وأَبْلَسًا	٦٦	مُلَهَّبًا
٩٥	فَعُولُ	ط			ح
١٥٣	يُخَذَلُ	٤٤	قَانِطُ	١٥	رَاحِ
١٥٣	مُقْلَقْلُ	ع		٣٣	أَكْدَحُ
٩٦	ضَلَالًا	٣٦	أَخْضَعُ		د
	م	١٠٢	المُضْجِجُ	٩٧	أَحَدُ
٧١	الدَّامُ	ف		٩٧	العَدَدُ
٣٣	وَمِيسَمُ	٥١	خَلَفُ	٣٧	بَاوَحَدُ
١٤٥	المُتَلَوِّمُ	ق		١٥٤	المُتَدَدُ
٧٤	فَتَقَوِّمًا	١٠٠	دَمَشَقُ	٣٣	مُخْلِدِي
	ن	١٠٠	أَرْفَقُ		ر
٨٥	الدَّانُ	ك		٢٧	الحَبَرُ
٩٥	حَصِينُ	٦٩	هَلَكُوا	٢٧	شَكَرُ

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٤٧	طلحة ممن قضى نحبه ...	١٥٢	اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ...
١٠٦	قال ربكم : أعددت لعبادي الصالحين ...	١٣٣	إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ...
١٠٦	قال ربكم : أعددت لعبادي الذين آمنوا ...	٢٠	أذهب فزايدهم وازدد سنتين ...
١٠٥	قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ...	١١٢	أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً ...
١٢٧	قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب ...	١٠٦	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...
١٢٥	كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث .	١٢٣	اغدوا على اسم الله ، لا تغلوا ولا تولوا ...
٣	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ...	١٦	أفلا جعلته دون العشر؟ ...
٣	لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمناً ...	١٠٢	ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة ...
٦٠	لا يحل بيع المغنيات ، ولا شراؤهن ...	١٥٢	ألا ترضون يا معشر الأوس ...
٦٠	لا يحل تعليم المغنيات ، ولا بيعهن ولا شراؤهن ...	١٦	أما إنهم سيهزمون ...
١٥١	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة .	١٢٢	أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ...
١٥٣	لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ...	١٠٣	إن شئت أنبأتك بأبواب الخير: ...
١٥٨	لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه ...	٨١	أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ ...
١٤٧	لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة ...	١٤٧	أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ ...
١٢٢	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس ...	١٤٦	أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله : ...
١٨	ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين الثلاث ...	٨٨	أن رجلاً قال : يا رسول الله ...
٨٨	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ...	٢٠	إن البضع فيما بين الثلاث إلى التسع ...
١٢٠	من ادعى إلى غير أبيه متعمداً ...	١٠٤	إن موسى سأل ربه : أي رب ...
١٢٧	من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ...	١٥٨	إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً ...
١٠٦	من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ، لا تبلى ثيابه ...	١٢٢	أما رجل ترك ضياعاً فأنا أولى به ...
١٤٧	هذا ممن قضى نحبه .		﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ قال : قيام
١٣٤	هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا ...	١٠٣	العبد من الليل .
١٠٥	يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ...	١١٢	ثلاث من فعلهن فقد أجرم : ...
١٥١	يا إخوان القردة هل أخزاكم الله ...	١٥٨	سأذكر لك أمراً ولا تعجلي حتى تستشيرني أباك ...
١٥٨	يا عائشة إني عارض عليك أمراً ...	١٠٦	شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً ...

شعر لکھنؤ کے شاعر

صفحہ نمبر	تعداد
۱۱۱	۱
۱۱۲	۱
۱۱۳	۱
۱۱۴	۱
۱۱۵	۱
۱۱۶	۱
۱۱۷	۱
۱۱۸	۱
۱۱۹	۱
۱۲۰	۱
۱۲۱	۱
۱۲۲	۱
۱۲۳	۱
۱۲۴	۱
۱۲۵	۱
۱۲۶	۱
۱۲۷	۱
۱۲۸	۱
۱۲۹	۱
۱۳۰	۱
۱۳۱	۱
۱۳۲	۱
۱۳۳	۱
۱۳۴	۱
۱۳۵	۱
۱۳۶	۱
۱۳۷	۱
۱۳۸	۱
۱۳۹	۱
۱۴۰	۱
۱۴۱	۱
۱۴۲	۱
۱۴۳	۱
۱۴۴	۱
۱۴۵	۱
۱۴۶	۱
۱۴۷	۱
۱۴۸	۱
۱۴۹	۱
۱۵۰	۱
۱۵۱	۱
۱۵۲	۱
۱۵۳	۱
۱۵۴	۱
۱۵۵	۱
۱۵۶	۱
۱۵۷	۱
۱۵۸	۱
۱۵۹	۱
۱۶۰	۱
۱۶۱	۱
۱۶۲	۱
۱۶۳	۱
۱۶۴	۱
۱۶۵	۱
۱۶۶	۱
۱۶۷	۱
۱۶۸	۱
۱۶۹	۱
۱۷۰	۱
۱۷۱	۱
۱۷۲	۱
۱۷۳	۱
۱۷۴	۱
۱۷۵	۱
۱۷۶	۱
۱۷۷	۱
۱۷۸	۱
۱۷۹	۱
۱۸۰	۱
۱۸۱	۱
۱۸۲	۱
۱۸۳	۱
۱۸۴	۱
۱۸۵	۱
۱۸۶	۱
۱۸۷	۱
۱۸۸	۱
۱۸۹	۱
۱۹۰	۱
۱۹۱	۱
۱۹۲	۱
۱۹۳	۱
۱۹۴	۱
۱۹۵	۱
۱۹۶	۱
۱۹۷	۱
۱۹۸	۱
۱۹۹	۱
۲۰۰	۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَا تُجَادِلُوا) أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى ، وهم (أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حُججه .

وقوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) اختلف أهل التأويل في تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : إلا الذين أبوا أن يقرّوا لكم باعطاء الجزية ، ونصبوا دون ذلك لكم حربا ، فلأنهم ظلمة ، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلّموا أو يعطوا الجزية .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : من قاتل ولم يُعط الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، بنحوه . إلا أنه قال : من قاتلك ولم يعطك الجزية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقا جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : إن قالوا شرا ، فقولوا خيرا ، (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فانتصروا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : قالوا

مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغلولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم) قال : أهل الحرب ، من لا عهد له ، جادل له بالسيف .

وقال آخرون : معنى ذلك : (ولا تجادلوا أهل الكتاب) الذين قد آمنوا به ، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم (إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم) . فأقاموا على كفرهم ، وقالوا : هذه الآية محكمة ، وليست بمنسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) قال : ليست بمنسوخة ، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم ، لعلمهم يحسنون شيئا في كتاب الله ، لا تعلمه أنت ، فلا تجادله ، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا ، المقيم منهم على دينه . فقال : هو الذي يجادل ، ويقال له بالسيف . قال : وهؤلاء يهود . قال : ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد ، إنما كانوا يهودا هم الذين كلّموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدرت النصير يوم أُحُد ، وغدرت قريظة يوم الأحزاب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال ، وقالوا : هي منسوخة نسخها قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ثم نسخ بعد ذلك ، فأمر بقتالهم في سورة براءة ، ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يقرّوا بالخراج .

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : عني بقوله (إلا الذين ظلموا منهم) : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

فإن قال قائل : أو غير ظالم من أهل الكتاب ، إلا من لم يؤد الجزية ؟ قيل : إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلمة ، فإنه لم يعن بقوله (إلا الذين ظلموا منهم) ظلم أنفسهم . وإنما عني به : إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال .

ولما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجادل ظلمة أهل

(١) يقال له بالسيف : أي يرفع عليه السيف . قال في (اللسان : قول) : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده : أي أخذ ، وقال برجله : أي مشى وقال الشاعر : « وقالت له المينان سمعا وطاعة » أي أرمأت . وقال بثوب : أي رفعه . وكل ذلك على المجاز والاتساع . وفي الأصل : و « يقال له السبت » ، تعريف من الناسخ .

الكتاب بغير الذي هو أحسن ، بقوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فمعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم ، أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن ، غير الذين أذن لهم بذلك ليهم ، وأنهم غير المؤمن . لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق ، لأنه إذا جاء بغير الحق ، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحق . فإذا كان ذلك كذلك ، تبين أن لامعني لقول من قال : عني بقوله (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) أهل الإيمان منهم ، وكذلك لامعني لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال ، وزعم أنها منسوخة ، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر ، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل .

وقد بينا في غير موضع من كتابنا ، أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل .

وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) ، وَلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم ، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين ، وأن يكونوا فيه كاذبين ، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك فقولوا لهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) مما في التوراة والإنجيل (وَلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ) يقول : ومعبودنا ومعبودكم واحد (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول : ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا علي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُواهُمْ » ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، قال : كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لَا تُصَدِّقُواهُمْ وَلَا تَكْذِبُواهُمْ » ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن عمارة بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، عن عبد الله ، قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال^١ .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ

(١) تالية اسم فاعل من تلاه يتلوه : إذا تبعه . يريد : داعية تدعوه إلى الاستمساك بدينه . وتالية المال : لعل المراد به : التالفة التي تتبع أماتها من صفار الإبل ونحوها .

ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال : قالوا مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمداً ، (وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل (كذلك أنزلنا إليك) هذا (الكتاب) ، فالذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بني إسرائيل (يؤمنون به) ، ومن هؤلاء من يؤمن به ، ومن هؤلاء من يجرى على وجهه الكفر (يؤمنون به) ، ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام ، ومن آمن برسوله من بني إسرائيل .

وقوله (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) يقول تعالى ذكره : وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذي يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) قال : إنما يكون الجحود بعد المعرفة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : (وما كنتم تتلوا) يعني تقرأ (من قبله) يعني من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك (من كتاب ولا تخطه بيمينك) يقول : ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنك كنت أمياً (إذا لارتاب المبطلون) يقول : ولو كنتم من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطه بيمينك ، إذن لارتاب : يقول : إذن لشك بسبب ذلك في أمرك ، وما جثتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة ، وإنه أساطير الأولين . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وما كنتم تتلوا من قبله من كتاب) ، ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما كنتم تتلوا من قبله من كتاب) ، ولا تخطه بيمينك) قال : كان نبي الله لا يقرأ كتاباً قبله ، ولا يخطه بيمينه ، قال : كان أمياً ، والأي : الذي لا يكتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إدريس الأودي ، عن الحكم ، عن مجاهد (وَمَا كُنْتُ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) قال : كان أهل الكتاب يحدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ، ولا يقرأ كتابا ، فنزلت هذه الآية .
وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله (إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) إذن لقالوا : إنما هذا شيء تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) قال قریش .
القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤١﴾

﴿٤١﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فقال بعضهم : عني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ ، وأنه أمي ، آيات بينات في صدورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) قال : كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ، ولا يخطه بيمينه ، وهي الآيات البينات .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمَا كُنْتُ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ) قال : كان نبي الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكذلك جعل الله نعتة في التوراة والإنجيل ، أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من أهل الكتاب صدقوا بمحمد ونعته ونبوته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) قال : أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم ، بل هو آية بينة في صدور الذين أوتوا العلم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عنى بذلك القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : بل هذا القرآن آيات بينات في صدور
الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله :
(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا
العلم ، يعنى المؤمنين .

❦ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بذلك : بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا
الكتاب كتابا ، ولا تخطه بيمينك ، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب .
ولمّا قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن قوله (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من
أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل .

وقوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وأدلته ، ويُنكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، يبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وسلم ونبوته ومبعثه إلا الظالمون ، يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقالت المشركون من قريش : هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا
كما جعلت الناقة لصالح ، والمائدة آية لعيسى ، قل يا محمد ، إنما الآيات عند الله لا يقدر على الإتيان بها
غيره (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) وإنما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله .
وما جاءكم به من عند ربكم مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد ، القائلين : لولا أنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم آية من ربه ، من الآيات والحجج (أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ) هذا (الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) يقول

يُقرأ عليهم (إن في ذلك لرحمة) يقول : إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة .
وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين ، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما أن نظر فيها ألقاها ، ثم قال : كفى بها حماقة قوم ، أو ضلالة قوم ، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم ، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم ، فنزلت (أو لم يكفهم) أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بِنِيَّ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ
وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : لولا أنزل عليك آية من ربك ، الجاحدين بآياتنا من قومك ، كفى الله ياهؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعلى ، لأنه يعلم الحق منا من المبطل ، ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، لا يخفى عليه شيء فيهما ، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله ، الحق على ثباته على الحق ، والمبطل على باطله ، بما هو أهله (والذين آمنوا بالباطل) يقول : صدقوا بالشرك ، فأقروا به وكفروا به : يقول : وجحدوا الله (أولئك هم الخاسرون) يقول : هم المغبونون في صفقتهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله (والذين آمنوا بالباطل) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والذين آمنوا بالباطل) : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسْتَ عِجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ،

ويقولون: (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ) ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه ، لجاءهم العذاب عاجلاً . وقوله (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْزَتُهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ) يقول : وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) قال : قال ناس من جهلة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِالْعَذَابِ أَلِيمٍ) . . . الآية .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم ، والنار بهم محيطة لم يبق إلا أن يدخلوها . وقيل : إن ذلك هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المشني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عكرمة يقول في هذه الآية (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) قال : البحر .
أخبرنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم ، ومن تحت أرجلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) : أي في النار .

وقوله (وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : ويقول الله لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله ، وما يسخطه فيها . وبالباء في ويقول (ذُوقُوا) قرأت عامة قراء الأمصار خلا أبي جعفر ، وأبي عمرو ، فإنهما قرآ ذلك بالنون (وَنَقُولُ) . والقراءة التي هي القراءة عندنا بالباء لإجماع الحجة من القراء عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : يا عبادي الذين وحدوني وآمنوا بي وبرسولي، محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض ، فقال بعضهم : أريد بذلك أنها لم تضيق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المقيم فيه ، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره ، فاهربوا منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمل فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد ابن جبيرة ، في قوله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمل فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن رجل ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : اهربوا فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن منصور ، عن عطاء ، قال : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا ، فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن عطاء (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : مجانبة أهل المعاصي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فهاجروا وجاهدوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يا عبادي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ) فقلت : يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين ، فقال : نعم . وقال آخرون : معنى ذلك : إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن شداد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير المعنولي ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري ، في قول الله (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : إن رزقي لكم واسع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شداد ، عن غيلان بن جرير ، عن مطرف بن الشخير (إن أرضي واسعة) قال : رزقي لكم واسع .
 وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : إن أرضي واسعة ، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله (فإياي فاعبدون) على ذلك ، وأن ذلك هو أظهر معنييه ، وذلك أن الأرض إذا وصفها بسعة ، فالغالب من وصفه إياها بذلك ، أنها لاتضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع ، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب .
 وقوله (فإياي فاعبدون) يقول : فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا في معصيتي أحدا

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه : هاجروا من أرض الشرك من مكة ، إلى أرض الإسلام المدينة ، فإن أرضي واسعة ، فاصبروا على عبادتي ، وأخلصوا طاعتي ، فإنكم ميتون ، وصائرون إلى ، لأن كل نفس حية ذائقة الموت ، ثم إلينا بعد الموت لتردون ، ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعد للصابرين منهم على طاعته ، من كرامته عنده ، فقال : (والذين آمنوا) ، يعني صدقوا الله ورسوله ، فيما جاء به من عند الله ، (وعملوا الصالحات) : يقول : وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لننبوئنهم من الجنة غرفا) يقول : لننزلهم من الجنة عملا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لننبوئنهم) بالباء وقرأته عامة قراء الكوفة بالثاء (لنشوينهم) .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة ، منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن قوله (لننبوئنهم) من بوائه منزلا : أي أنزلته ، وكذلك لنشوينهم ؛ إنما هو من أثويته مسكننا إذا أنزلته منزلا ، من الثواء ، وهو المقام .

وقوله (تجرى من تحتها الأنهار) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (خالدين فيها) يقول : ما كثرين فيها إلى غير نهاية (نعيم أجزر العاملين) يقول : نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التي يشوينهموها الله في جناته ، تجرى من تحتها الأنهار ، الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا ، وما كانوا يلقون منهم ، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه ، وجهاد أعدائه (وعلى ربهم يتوكلون) في أرزاقهم

وجهاد أعدائهم ، فلا يَشْكُلُون عنهم ثقة منهم بأن الله مُعَلِّي كلمته ، ومُوهِن كيد الكافرين ، وأن ما قُسِم لهم من الرزق فلن يَفْشَوْا بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَايِّنَ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها ، يعني غذاءها لا تحمله ، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك (اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) يوما بيوم (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العسيلة (الْعَلِيمُ) ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوكم من إذلال الله إياهم ، ونصرتكم عليهم ، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَكَايِّنَ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) قال : الطيرُ والبهائم لا تحمل الرزق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجلز في هذه الآية (وَكَايِّنَ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) قال : من الدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد ، يُوفَّقُ لِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى يَمُوتَ .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علي بن الأقرم (وَكَايِّنَ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) قال : لا تدخر شيئا لغد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَشَجَرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسؤاها ، وشجر الشمس والقمر لعباده ، يجريان دائبين لمصالح خلق الله ، ليقولنَّ الذي خلق ذلك وفعلته الله (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول جل ثناؤه : فأنى يصرفون عن صنع ذلك ، فيعدلون عن إخلاص العبادة له .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَنِّي يُؤَفِّكُونَ) : أى يعدلون .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ، ويضيق فيقتير لمن يشاء منهم : يقول : فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدى دون كل أحد سوى ، أبسط لمن شئت منها ، وأقتر على من شئت ، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عليم بمصالحكم ، ومن لا يصلح له إلا البسط في الرزق ، ومن لا يصلح له إلا التقير عليه ، وهو عالم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء ، وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ) يقول : فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الأرض ، وإحيائها : إنباتة النبات فيها (مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا) من بعد جدوبها وقحوطها . وقوله (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) يقول : ليقولن الذى فعل ذلك الله الذى له عبادة كل شيء . وقوله (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول : وإذا قالوا ذلك ، فقل الحمد لله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم ، وما فيه الضرر ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ، ينالون بها عند الله زلفة وقربة ، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) التى يتمتع منها هؤلاء المشركون (إِلَّا لَهُمُ وَلَعِبٌ) يقول : لإتعليل النفوس بما تلتذ به ، ثم هو منقضى عن قريب ، لا بقاء له ولا دوام (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) يقول : وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التى لازوال لها ولا انقطاع ولا موت معها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حياة لاموت فيها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَلِمَاتٍ الْحَيَوَانُ) قال : لاموت فيها .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنْ الدَّارَ الْآخِرَةَ كَلِمَاتٍ الْحَيَوَانُ) يقول : باقية .
وقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك ، لقصصوا عن تكذيبهم بالله ، وإشراكهم غيره في عبادته ، ولكنهم لا يعلمون ذلك .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الفرق والهلاك فيه (دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول : أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد ، وأفردوا له الطاعة ، وأدعوا له بالعبودة ، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ، ولكن بالله الذي خلقهم (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ) يقول : فلماخلصهم مما كانوا فيه وسلمهم ، فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) فخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك .
القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيُتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ وَلِيُتَخَفَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِ بَطُلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الفرق إلى البر إذا هم بعد أن صاروا إلى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) يقول : ليبحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم .
(وَلِيُتَمَتَّعُوا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (وَلِيُتَمَتَّعُوا) بكسر اللام ، بمعنى : وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (وَلِيُتَمَتَّعُوا) بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ : أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به .
وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد ، وذلك أن الذين قرعوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرهما عطفًا بها على اللام التي في قوله (لِيَكْفُرُوا) ، وأن قوله (لِيَكْفُرُوا) لما كان معناه : كى يكفروا كان الصواب في قوله (وَلِيُتَمَتَّعُوا) أن يكون :

وكي يتمتعوا ، إذ كان عطفاً على قوله : ليكفروا عندهم ، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب ، وذلك لأن لام قوله (لِيَكْفُرُوا) صلحت أن تكون بمعنى كى ، لأنها شرط لقوله : إذا هم يشركون بالله كى يكفروا بما آتيناهم من النعم ، وليس ذلك كذلك في قوله (وَلِيَتَمَتَّعُوا) لأن إشراكهم بالله كان كفراً بنعمته ، وليس إشراكهم به تمتعاً بالدنيا ، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها فإذا كان ذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى : وكى يتمتعوا ، وبعد فقد ذكر أن ذلك في قراءة أُبَيٍّ (وَتَمَتَّعُوا) وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد

وقوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا) يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : لولا أنزل عليه آية من ربه ، نعلمته عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد ، أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا ، فيشكرونا على ذلك ، وينزجروا عن كفرهم بنا ، وإشراكهم ما لا ينفعنا ولا يضرهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرماً ، حرماً على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب آمناً ، يأمن فيه من سكنه ، فأوى إليه من السباء والخوف والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس (وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) يقول : وتُسَلَّبُ الناس من حولهم قتلاً وسباً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قال : كان لهم في ذلك آية أن الناس يغزون ويُسَخَطُّون وهم آمنون .

وقوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول : أفبالشرك بالله يقرّون بالوهة الأوثان بأن يصدقوا ، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرماً آمناً يكفرون ، يعني بقوله « يكفرون » : يمحذون . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) : أى بالشرك (وَبِإِنْعَمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) : أى يمحذون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذباً ، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، والله لا يأمر بالفحشاء (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ) يقول : أو كذب بما بعث الله به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) يقول : أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَنٌ لمن كفر بالله ، وجحد توحيده وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقرير ، وليس باستفهام ، إنما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَفْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
لِنَا أَخْبِرَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ مَسْكَنًا فِي النَّارِ ، وَمَنْزِلًا يَشْتَوُونَ فِيهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ لِمَنْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش ، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا ، مُبْتَغِينَ بِقِتَالِهِمْ عُلُوَّ كَلِمَتِنَا ، وَنُصْرَةَ دِينِنَا (لِنَهْدِيَهُمْ لِمَنْ سُبُلُنَا) يقول : لنوفقهم لإصابة الطرق المستقيمة ، وذلك لإصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : وإن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك ، مُصَدِّقًا رَسُولَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْعَوْنِ لَهُ ، وَالنُّصْرَةَ عَلَى مَنْ جَاهَدَ مِنْ أَعْدَائِهِ

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا)

فَقُلْتُ لَهُ : قَاتِلُوا فِينَا ، قَالَ : نَعَمْ .

آخر تفسير سورة العنكبوت

(٣٠) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَسْمَاؤُهَا زَيْنُ الشُّجُونِ

القول في تأويل قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَى الْأَرْضَ وَهْمًا مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغُلِبُونَ ﴿١﴾ فِي يَضِيعِ سِنِينَ لِلَّهِ
الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُفْرَخُ الْتَوَمُونَ ﴿٢﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي ، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٩٨) والمطايا : جمع مطية ، وهي الإبل يركب مطاها ، أي ظهرها في الأسفار . والراح : جمع راحة اليد . والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبي عبيدة حل أن المراد بالاستفهام فيه التقرير ، لاحقيقة الاستفهام . والتقرير : حمل المخاطب على أن يتقرر بالمستول عنه ويعترف به . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ، الورقة (١٨٦) عند قوله تعالى : « أليس في جهنم مثوى للكافرين » مجازه مجاز الإيجاب ، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والإيجاب ، فهي هاهنا للإيجاب . وقال جرير : « ألسن . . . البيت » ، فهذا لم يشك ، ولكن أوجب لهم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أثابوه ، والرجل يعاتب عبده ويقول : أفعلت كذا ؟ وهو لا يشك . ويروى أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله : نعم نحن كذلك .

❦ قال أبو جعفر : قد بينّا فيما مضى قبل معنى قوله (الم) وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار (غُلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين ، بمعنى : أن فارس غلبت الروم .
وروى عن ابن عمرو أبي سعيد في ذلك ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن الحسن الجفري ، عن سليط ، قال : سمعت ابن عمر يقرأ (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) ف قيل له : يا أبا عبد الرحمن ، على أي شيء غلبوا ؟
قال : على ريف الشام .

❦ والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين ، لإجماع الحجة من القراء عليه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : غلبت فارس الروم (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) من أرض الشام إلى أرض فارس (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس (فِي بَيْضَعِ سِنِينَ . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ) غلبتهم فارس (وَمِنْ بَعْدُ) غلبهم إياها ، يقضى في خلقه ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويظهر من شاء منهم على من أحب لإظهاره عليه (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونصرة الروم على فارس (يَنْصُرُ) الله تعالى ذكره (مَنْ يَشَاءُ) من خلقه ، على من يشاء ، وهو نصرة المؤمنين على المشركين بيد (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : والله الشديد في انتقامه من أعدائه ، لا يمنع من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينه حائل (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه ، وراجع طاعته أن يعذبه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، أو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس ، قال : ثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس ، لأنهم أهل أوثان ، قال : فذكروا ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أما إنهم سَيُهْزَمُونَ ، قال : فذكر ذلك أبو بكر للمشركين ، قال : فقالوا : أفنجعل بيننا وبينكم أجلا ، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا ، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا ، قال : فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين ، قال : فضت فلم يغلبوا ، قال : فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أفلا جعلتته دُونَ الْعَشْرِ ، قال سعيد : والبيضع مادون العشر ، قال : فَغَلِبَتِ الرُّومُ ، ثم غلبت ، قال : فذلك قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ)

سَيَغْلِبُونَ فِي بِيضَعٍ سِنِينَ) قال : البضع : ما دون العشر (للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر ،

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا موسى بن هارون البردي ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) . . . الآية ، ناحب أبوبكر قريشا ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إني قد ناحبتهم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هَلَا احْتَطَطْتَ فَإِنَّ الْبِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ . قال الجمحي : المناجبة : المراهنة ، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال : قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم ، وكانت فارس قد غلبتهم ، ثم غلبت الروم بعد ذلك ، ولقي نبي الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب ، يوم التقت الروم وفارس ، فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ، وفرح المؤمنون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : فسألت أباسعيد الخدري عن ذلك ، فقال : التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب ، والتقت الروم وفارس ، فنصرنا الله على مشركي العرب ، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ، وفرحنا بنصر الله إيانا على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس ، فذلك قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : قد مضى (الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قال : ذكر غلبة فارس إياهم ، وإدالة الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة ، أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض ، قالوا : وأدنى الأرض يومئذ أذرعات ، بها التقوا ، فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمثوا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله (الم) . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَيْضِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ، ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أبي بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : أناحبك عشر قلائص مني ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين ؛ ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البيض ما بين الثلاث إلى التسع ، فزايده في الخطر ، وماده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبياً ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، فقال : أزايدك في الخطر ، وأمادك في الأجل ، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لاتلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري علي أيهم أستعمل ، فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صرد ، وهذا فرخان ، وهو أنفذ من سنان ، وهذا شهربراز ، وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ، قال : إني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهربراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ؛ قال أبو بكر : فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لورأيتها ، لرأيت المدائن التي خرّبت ، والزيتون الذي قطع ، فأريت الشام بعد ذلك فرأيتها .

قال عطاء الخراساني : ثني يحيى بن يعمر ، أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كسرى شهربراز ، فالتقيا بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش ، وكرهه المسلمون ، فأنزل الله (الم) . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ الآيات ، ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يزل شهربراز يطوهم ، ويخرّب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى ، فبلغهم موته ، فانهزم شهربراز وأصحابه ، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك ، فأتبعوهم يقتلونهم قال : وقال عكرمة في حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابي فابعث إلى

برأس فَرُّخَانَ، فكتب إليه : أيها الملك، إنك لن تجد مثل فَرُّخَانَ ، إن له نكاية وضربا في العدو ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس خَلْفًا منه ، فعَجَّلْ إلى برأسه ، فراجعه ، فغضب كسرى : فلم يجبه ، وبعث بريدا إلى أهل فارس ، إني قد نزعنا عنكم شَهْرُ بَرَّازَ ، واستعملت عليكم فَرُّخَانَ ؛ ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة : إذا وليَ فَرُّخَانَ الملك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه ؛ فلما قرأ شَهْرُ بَرَّازَ الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره ، وجلس فَرُّخَانَ ، ودفع الصحيفة إليه ، قال : اثنوني بشهر بَرَّازَ . فقدّمه ليضرب عنقه ، قال : لاتعجل حتى أكتب وصيتي ، قال : نعم ، فدعا بالسفّط ، فأعطاه ثلاث صحائف . وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد . فردّ الملك ، وكتب شهر بَرَّازَ إلى قيصر ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد ، ولا تبلغها الصحف . فالتقني . ولا تلقني إلا في خمسين رُوميا ، فإني ألقاك في خمسين فارسيا ، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي ، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق ، وخاف أن يكون قد مكربه ، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا . ثم بسط لهما ، والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ، مع كل واحد منهما سيكّين ، فدعيا ترجمانا بينهما ، فقال شهر بَرَّازَ : إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي ، بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسدنا ، فأراد أن أقتل أخي ، فأبيت . ثم أمر أخي أن يقتلني ، فقد خلعناه جميعا ، فنحن نقاتله معك ، فقال : قد أصبنا ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين الاثنين ، فإذا جاوز اثنين فشا : قال : أجل ، فقتلا ترجمان جميعا بسكينيهما ، فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، ففرح ومن معه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لم . غلبت الروم) قال : غلبتهم فارس على أدنى الشام (وهم من بعد غلبتهم سيفلون) . . . الآية ، قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم ، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس ، فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص ، خمس قلائص ، وأجلّوا بينهم خمس سنين ، فولى قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه ، وولى قمار المشركين أبي بن خلف ، وذلك قبل أن ينهت عن القمار ، فحلّ الأجل ، ولم يظهر الروم على فارس ، وسأل المشركون قمارهم ، فذكر ذلك أصحاب النبي للنبي صلى الله عليه وسلم قال : لم تكونوا أحقّاء أن تؤجلّوا دون العشر ، فإنّ البيض ما بين الثلاث إلى العشر ، وزايد وهم في القمار ، ومادوهم في الأجل ، ففعلوا ذلك ، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البيض سنين من قمارهم الأول ، وكان ذلك مرجعه من الحديبية ، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان ، وبظهور أهل الكتاب على المجوس ، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) . . . الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، في قوله (لم . غلبت الروم) . . . إلى قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب ، قال : فنزل القرآن بذلك ، قال : وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس ، لأنهم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ، قال : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) ... إلى (فِي بِيضِ سِنِينَ) قالوا : يا أبا بكر : إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال : صدق ، قالوا : هل لك أن تقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، ففُضت السبع ، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك ، وشقَّ على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بيضُ سنينَ عندكم ؟ قالوا : دون العشر . قال : اذهب فزأيدهم وأزدَدْ سنَتَيْنِ » قال : فما مضت السنان . حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) ... إلى قوله (وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، ومطر عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : مضت الروم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) في أدنى الأرض (قال : أدنى الأرض : الشام) (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) قال : كانت فارس قد غلبت الروم ، ثم أديلت الروم على فارس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسًا ، فقال المشركون : هذا مما يتخَرَّص محمد ، فقال أبو بكر : تُسَاحِبُونِي ؟ والمناجبة : المجاعة ، قالوا : نعم ، فناحبهم أبو بكر ، فجعل السنين أربعة أو خمساً ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ البِيضَ فيما بين الثلاثِ إلى التسعِ ، فارْجِعْ إِلَى الْقَوْمِ ، فزِدْ فِي الْمُنَاحِبَةِ ، فرجع إليهم ، قالوا : فناحبهم فزاد ، قال : فغلبت الروم فارساً ، فذلك قول الله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) يوم أديلت الروم على فارس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) قال : غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ ، فأما الذين قرءوا ذلك (غُلِبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين ، فإنهم قالوا : نزلت هذه الآية خبراً من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان ، يعني الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يومُ ظهر الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، فنزلت (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) على فارس .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سليمان ، عن عطية ، عن

أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، غلبت الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله (آلم غُلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، لأنهم أهل كتاب ، فأنزل الله (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) قال : كانوا قد غلبوا قبل ذلك ، ثم قرأ حتى بلغ (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) .

وقوله (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل ، وأذكر قول من لم يذكر قوله . حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) يقول : في طرف الشام . ومعنى قوله أدنى : أقرب ، وهو أفعل من الدنو والقرب . وإنما معناه : في أدنى الأرض من فارس ، فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ماظهر من قوله (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) عليه منه . وقوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس . وقوله (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) مصدر من قول القائل : غلبته غلبة ، فحذفت الهاء من الغلبة . وقيل : من بعد غلبهم ، ولم يقل : من بعد غلبتهم للإضافة ، كما حذفت من قوله (وَأَقَامِ الصَّلَاةَ) للإضافة . وإنما الكلام : وإقامة الصلاة .

وأما قوله (سَيَغْلِبُونَ) فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها ، والواجب على قراءة من قرأ (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين ، أن يقرأ قوله (سَيَغْلِبُونَ) بضم الياء ، فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون ، حتى يصح معنى الكلام ، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء ، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون ، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر .

وقوله (فِي بَضْعِ سِنِينَ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى ، وأتينا على الصحيح من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا خلاد بن أسلم الصفار ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت له : ما البضع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع .

وأما قوله (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ) دولة فارس على الروم (وَمِنْ بَعْدُ) دولة الروم على فارس .

وأما قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل ، وبينا معناه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : وعد الله جل ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ، ونصب (وَعَدَ اللَّهُ) على المصدر من قوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون ، فكأنه قال : وعد الله ذلك المؤمنين وعدا (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) يقول تعالى ذكره : إن الله يني بوعدده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس ، لا يخلفهم وعده ذلك ، لأنه ليس في مواعيده خلف (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين ، من أن الروم تغلب فارس ، لا يعلمون أن ذلك كذلك ، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا ، وتدير معاشهم فيها ، وما يصلحهم ، وهم عن أمر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون ، لا يفكرون فيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميمة يحيى بن واضح الأنصاري ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني معاشهم ، متى يحصدون ومتى يغرسون .
حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال ثنا : عمرو بن عثمان بن عمر ، عن عاصم بن علي ، قال : ثنا أبو تميمة ، قال : ثنا ابن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : متى يزرعون ، متى يغرسون .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثني شرقى ، عن عكرمة ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : هو السراج أو نحوه .
حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبي ، قال : ثنا أبو قتية ، قال : ثنا شعبة ، عن شرقى ، عن عكرمة ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : السراجون .
حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا شعبة ، عن شرقى ، عن عكرمة ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : الخرازون والسراجون .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم وما يصلحهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور . عن إبراهيم مثله .

حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة . وعن منصور عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس . قوله (ظاهراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني الكفار ، يعرفون عُمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم ، وما يصلحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم . مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من حيرتها وتصرفها وبغيها (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : يعلمون متى زرْعُهُمْ ، ومتى حَصَادُهُمْ .

قال : ثنا حفص بن راشد الهلالي ، عن شعبة ، عن شَرِيق ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : السراج ونحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية . قال : صرفها في معيشتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (١) .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : تسترق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ، ينبغى لها أن تكون في الأرض ، قال : وَيُرْمَتُونَ بِالشُّبُه ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شرر منه ؛ قال : فيسقط فلا يعود أبدا ؛ قال : ويرمى بذلك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس ، قال : فيحملون عليه ألف كذبة ، قال : فما رأيت الناس يقولون : يكون كذا وكذا ، قال : فيجىء الصحيح منه كما يقولون ، الذي سمعوه من السماء ، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه .

(١) كذا في النسخ ، ولم يذكر التفسير ، ولعله سقط من قلم الناسخ ، أو لعله كلمة «نحوه» أو «مثله» ، وكثيرا ما يتركها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِأَحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿١٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره : أولم يتفكروا هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم ، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا ، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا ، فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فناءهم خلقا جديدا ، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بأساءته ، لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره ، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذي لا يجوز ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ، وإقامة الحق ، وأجل مسمى : يقول : وبأجل مؤقت مسمى ، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله ، وبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار ، وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم جاحدون منكرون ، جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فناءهم ، وغفلة منهم عن الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله ، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا ، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذبة ، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها ، فقد كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض : واستخرجوا الأرض ، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم ، فلم يقدرُوا على الامتناع ، مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله ، ولا نفعهم عمارتهم ما عمروا من الأرض ، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات ، فكذبوهم ، فأحل الله بهم بأسه ، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وأثاروا الأرض) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) ، وأثاروا الأرض وعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) قال : ملكوا الأرض وعمروها .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأثأروا الأرض) قال : حرثوها . حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لم يسيروا في الأرض) . . . إلى قوله (وأثأروا الأرض وعمروها) كقوله (وآثأرا في الأرض) ، وقوله (وعمروها) أكثر مما عمر هؤلاء (وجاءتهم رسلهم بالبينات) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثأروا الأرض وعمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله ، وكذبوا رسلهم ، فأساءوا بذلك من فعلهم . السوأي : يعنى الخلة التى هى أسوأ من فعلهم ؛ أما فى الدنيا ، فالبوار والهلاك ، وأما فى الآخرة فالنار لا يخرجون منها ، ولا هم يستعتبون . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ) : الذين أشركوا السوءى : أى النار .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ) يقول : الذين كفروا جزاؤهم العذاب .

وكان بعض أهل العربية يقول : السوأي فى هذا الموضع : مصدر ، مثل البقوى ، وخالفه فى ذلك غيره فقال : هى اسم .

وقوله (أن كذبوا بآيات الله) يقول : كانت لهم السوأي ، لأنهم كذبوا فى الدنيا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون : يقول : وكانوا بحجج الله وهم أنبياءه ورسله يسخرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير ، فيحدثه من غير شيء ، بل بقدرته عز وجل ، ثم يعيده خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه ، كما بدأه خلقا سويا ، ولم يك شيئا (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردون ، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشرف فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب (يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يقول: يئأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوي الأعمال من كل شر، ويكتئبون ويتندمون، كما قال العجاج: يا صاح هل تعرف رسمًا مكرسًا قال نعم أعرفه وأبلسا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُبْلِسُ) قال: يكتئب. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) أي في النار. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) قال: المبلس: الذي قد نزل به الشر إذا أبلس الرجل، فقد نزل به بلاء. وقوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ) يقول تعالى ذكره: ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم، على مادعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسوله، شفعاء يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه، وكانوا يشركائهم كافرين) يقول: وكانوا شركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله كافرين، يمحذون ولايتهم، ويتبرعون منهم، كما قال جل ثناؤه (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا، وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ). وقال الذين اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُمْ مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا).

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٧﴾

(١) البيتان من الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٣١) ومعاني القرآن للفراء (الورقة ٢٤٧) و (مجاز القرآن لأبي عبيدة) (الورقة ١٨٦ ب) قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون»: أي يتندمون، ويكأبون ويئأسون قال «يا صاح...» البيتان. وفي (اللسان: كرس): ورسم مكرس (اسم مفعول) ومكرس (اسم فاعل) وهو، الذي قد بعث فيه الإبل وبولت، فركب بعضه بعضا. وقال في (بلس): أبلس الرجل: قطع به، عن ثعلب. وأبلس: سكت؛ وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم.

يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ ، يقول في ذلك اليوم يتفرقون يعني : يتفرق أهل الإيمان بالله ، وأهل الكفر به ، فأما أهل الإيمان ، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، فهناك يميز الله الحبيث من الطيب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَُوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) قال : فرقة والله لا اجتماع بعدها (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به ، وانتموا عما نهاهم عنه (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) يقول : فهم في الرياحين والنباتات الملتفة ، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون ، ويلذذون بالسماع وطيب العيش الهني ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع ، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا ، ولا أطيب نشرا من الرياض ، ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

ماروضة من رياض الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلٌ
يُضَاحِكُ الشَّمْسُ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرِيقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأُصْلُ^١

فأعلمهم بذلك تعالى ، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق . واللذيد من الأرايح : والعيش الهني فيما يحبون ، ويسرون به ، ويغبطون عليه . والحبرة عند العرب : السرور والغبطة : قال العجاج :
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الْحَبْرَ مَوَالِيَّ الْحَقِّ إِنَّ الْمَوْلَى شَكْرٌ^٢
واختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم في روضة يكرمون .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال : يكرمون .
وقال آخرون : معناه : ينعمون .

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بنى ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٧) والرواية فيه : من رياض الحزن . وهو المرتفع من الأرض . وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٧) البيت الأول والثالث . والرواية فيه : من رياض الحزم . وهو بمعنى الحزن أي الغليظ من الأرض . قال أبو عبيدة : « في روضة يحبرون » : مجازه يفرحون ويسرون . وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المشبعة ، ولا أطيب ريحا ، قال الأعشى : « ماروضة ... الخ » . اهـ . قلت : ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات ، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات ، لأن الريح تهب عليها فتبهج رائحتها ، ولأن الأقدام لا تنطوؤها ، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها فيزكوأ زرعها وينضج . والمسبل : المطر . والمطل : الغزير : والكوكب النور والشرق : الزاهي والمزور الذي حوله نبات آخر ، فهو كالإزار له . والمكتهل : الذي قد بلغ وتم . والنشر : تصوع الرائحة . والأصل : جمع أصيل ، وهو وقت الغروب أو قبيله بقليل ، حين تصفر الشمس وتدنو من الغروب .

(٢) البيتان للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، (و (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٨٧ ب) وقد أورد عطفًا على قول الأعشى الذي قبله . وفي (اللسان : حبر) : الحبر بفتح فسكون (والحبر بفتحتين) والحبرة (بفتح فسكون) والحبور : كله السرور . قال العجاج : « فالحمد لله ... البيت » من قولهم ، حبرني هذا الأمر حبرا ، أي سرفني . وقد حرك الباء فيهما ، وأصله التسكين . وأحبرني الأمر : سرفني ويروي الشبر اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 اقل : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُحْتَبَرُونَ) قال : ينعمون .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْتَبَرُونَ)
 قال : ينعمون .

وقال آخرون : يلذذون بالسمع والغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثنا عامر بن يساف ، قال : سألت يحيى بن أبي كثير ، عن
 قول الله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْتَبَرُونَ) قال : الحبرة : اللذة والسمع .
 حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير
 في قوله (يُحْتَبَرُونَ) قال : السماع في الجنة .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .
 وكل هذه الألفاظ التي ذكرناها عن ذكرناها عنه تعود إلى معنى ما قلنا .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا البعث بعد الممات
 والنشور للدار الآخرة ، فأولئك في عذاب الله محضرون ، وقد أحضرهم الله إياها ، فجمعهم فيها ليدوقوا
 العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون ١ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسُبِّحَ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا
 وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : فسبحوا الله أيها الناس : أي صلوا له حين تمشون ، وذلك صلاة المغرب ، وحين
 تصبحون ، وذلك صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : وله الحمد من جميع
 خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة ، والأرض من أهلها ، من جميع أصناف خلقه فيها ،

(١) كذا في الأصل بحذف ضمير الرابط . أي يكذبون به .

(وَعَشِيًّا) يقول : وَسَبَّحُوهُ أَيضاً عَشِيًّا ، وذلك صلاة العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) يقول : وَحِينَ تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظَّهْرِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس : هل نجد : ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله ؟ قال : نعم (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) الظهر ، قال : ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرَاتٍ لكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن ، قال : نعم ، فقرأ (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : صلاة المغرب (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) قال : صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) قال : صلاة العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) صلاة الظهر ، ثم قرأ (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم بن أبي عياض ، عن ابن عباس ، قال : جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) قال : المغرب والعشاء (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس ، بنحوه . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس في قوله (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تَصْبِحُونَ) ... إلى قوله (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) قال : جمعت الصلوات ، فسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) صلاة الصبح (وَعَشِيًّا) صلاة العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) صلاة الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن أبي سنان ، عن ليث ، عن مجاهد (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) المغرب والعشاء (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) الظهر ، وكل سجدة في القرآن فهي صلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ) لصلاة المغرب (وَحِينَ تَصْبِحُونَ) لصلاة الصبح (وَعَشِيًّا) لصلاة العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) صلاة الظهر أربع صلوات .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (فَسُبُّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ)

(١) (هل تجد) : ساقطة من الأصل ، وأوردها الشوكاني في تفسيره فتح القدير (٤ : ١١٤) وسقط منه بعدها كلمة « ميقات التي أوردها المؤلف هنا .

تُمْسُونَ وَحِينَ تَصْبِحُونَ : وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ .
قال : حين تمسون : صلاة المغرب ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وعشيا : صلاة العصر ، وحين
تظهرون : صلاة الظهر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : صَلُّوا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَمَرَكُمُ بِالصَّلَاةِ فِيهَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اللَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَيُّ مِنَ الْمَاءِ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ (وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فَيَنْبُتُهَا ، وَيُخْرِجُ زَرْعَهَا بَعْدَ خَرَابِهَا وَجَدُوبِهَا (وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) يَقُولُ : كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَيُخْرِجُ نَبَاتَهَا وَزَرْعَهَا ، كَذَلِكَ يُحْيِيكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ ، فَيُخْرِجُكُمْ أَحْيَاءَ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ . وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى قَبْلَ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) ، وَذَكَرْنَا اخْتِلَافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ ، فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، غَيْرَ أَنَا نَذَكُرُ بَعْضَ مَا لَمْ نَذَكُرْ مِنَ الْخَبَرِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) قال : يُخْرِجُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَاءَ مَيْتِهِ فَيَخْلُقُ مِنْهُ بَشَرًا ، فَذَلِكَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، فَيَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ يَخْلُقُ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ، فَذَلِكَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) قال : النُّطْفَةُ مَاءُ الرَّجُلِ مَيْتَةٌ وَهُوَ حَيٌّ ، وَيُخْرِجُ الرَّجُلَ مِنْهَا حَيًّا وَهُوَ مَيْتَةٌ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : وَمِنْ حُجُجِهِ عَلَى أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ إِنْشَاءٍ وَإِفْنَاءٍ ، وَإِيجَادٍ

(١) قوله « ماء ميتا » بحسب الظاهر للأعین المجردة ؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر ، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت . والله سبحانه يُخْرِجُ النَّبَاتَ الْحَيَّ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ وَأَمْثَلَهُ الْمَفْسَرِينَ الْقَدَمَاءَ تَحْتَاجُ إِلَى تَحْقِيقٍ .

ولعدم ، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب ، يعني بذلك خلق آدم من تراب ، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب ، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنعو الذي قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم : فعلنا بكم وفعلنا .

وقوله (**ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**) يقول : ثم إذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب بشر تنتشرون ، يقول : تنصرفون .
وبنعو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ**) خلق آدم عليه السلام من تراب (**ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**) يعني ذريته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها ، وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**) خلقها لكم من ضلع من أضلاعه .

وقوله (**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**) يقول : جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون بها ، وتتواصلون من أجلها ، ورحمة رحمكم بها ، فعطف بعضكم بذلك على بعض (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**) يقول تعالى ذكره : إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته ، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده ، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوِلَايَاتُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لا يُعجزه شيء ، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ، ثم إذا شاء أنشده وأعاده كما كان قبل إمامته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه ، بل بقدرته التي لا يمتنع معها شيء أراده (**وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ**) يقول : واختلاف

منطق ألسنتكم ولغاتها (وَأَلْوَانِكُمْ) يقول: واختلاف ألوان أجسامكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقهم الذين يعقلون أنه لا يعيبه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فناءهم . وقد بينا معنى العالمين فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والأوقات ، ومخالفته بين الليل والنهار ، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه ، وتنامون فيه ، وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معاشكم والتماسكم فيه من رزق بكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في فعل الله ذلك كذلك ، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شيء أراده لقوم يسمعون مواعظ الله ، فيتعظون بها ، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) لكم إذا كنتم سفرا ، أن تمطروا فتتأذوا به (وَطَمَعًا) لكم ، إذا كنتم في إقامة أن تمطروا ، فتحيوا وتخصبوا (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يقول : وينزل من السماء مطرا ، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة ، فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها ، يعني جدوبها ودروسها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) يقول : إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حججه وأدله .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال : خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم . واختلف أهل العربية في وجه سقوط «أن» في قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) فقال بعض نحوي البصرة : لم يذكر ههنا «أن» لأن هذا بدل على المعنى ، وقال الشاعر :

ألا أيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوَعْيَ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي ١
قال : وقال :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْتَمِ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْمِ ٢

وقال : يريد : ما في قومها أحد . وقال بعض نحوي الكوفيين : إذا أظهرت « أن » فهي في موضع رفع ، كما قال (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ - وَمَنْ مَعَكُمْ) فإذا حذف جعلت من مؤدية عن اسم متروك ، يكون الفعل صلة ، كقول الشاعر :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى ابْتَغَى الْعَيْشَ أَكْذَحُ ٣

كأنه أراد : فنهما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها ، وكذلك : ومن آياته يريكم آية البرق ، وآية لكذا ، وإن شئت أردت : ويريك من آياته البرق ، فلا تضمر « أن » ولا غيره . وقال بعض من أنكر قول البصري : إنما ينبغي أن تحذف « أن » من الموضع الذي يدل على حذفها ، فأما في كل موضع فلا ، فأما مع أحضر الوعى فلما كان زجرتك أن تقوم ، وزجرتك لأن تقوم ، يدل على الاستقبال جاز حذف « أن » ، لأن الموضع معروف لا يقع في كل الكلام ، فأما قوله : ومن آياته أنك قائم ، وأنت تقوم ، وأن تقوم ، فهذا الموضع لا يحذف ، لأنه لا يدل على شيء واحد .

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطلح السقا ، طبعة الحلبي ص ٣١٧) . ورواية البيت عند البصريين أحضر بالرفع ، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها ، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمرة إلا في المواضع العشرة المخصوصة . وعند الكوفيين أحضر بالنصب ، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها ؛ فكأنه قال : أن أحضر . والوعى : الحرب . وأصله أصوات المحاربين فيها . يقول : أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تخلدني في الدنيا إذا كفت عن الحرب ؟ وقوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق » الخ « إما أن يتعلق « من آياته » بيريكم ، فيكون في موضع نصب ، ومن لا ابتداء الغاية أو « يريكم » على إضمار (أن) كما قال طرفة : « ألا أيها . . . البيت » برفع أحضر ، كرواية البصريين ، والتقدير : أن أحضر ، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل ، فيكون التقدير : ومن آياته إرامتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الرعي التميمي ، وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج ، وقد نسب إليه سيبويه في الكتاب (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣١١) . وأنشده الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) في مبتدأ الكلام (بمن بكسر الميم) ، فيقولون : من يقول ذلك وما لا يقوله ؛ وذلك أن (من بالكسر) بمعنى لما هي منه فلذلك أدت عن المعنى المتروك ؛ قال الله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » وقال « وإن منكم إلا واردها » . ولا يجوز إضمار (من) بالفتح في شيء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذي نبأتك به ، وقد قالها الشاعر في (في) ولست أشبهها . قال : لو قلت . البيت . وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من (بالكسر) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول : فينا ، الصالحون ، وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا . وقال الفراء في قوله تعالى « ومن آياته يريكم البرق » . فن أضمر (أن) فهي موضع اسم مرفوع ، كما قال : « ومن آياته منامكم » فإذا حذف أن ، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (في) صلة له ، كقول الشاعر « وما الدهر إلا تارتان . . . الخ البيت » . كأن أراد : فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك ، ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . اهـ .

(٣) البيت لثيم بن أبي مقبل ، وهو شاعر إسلامي (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى) ٢ : ٣٠٨ (وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف محذوف أى تارة أموت فيها أو أموتها ، وتارة أخرى ابتغى العيش فيها . هكذا قدره سيبويه . وقال الفراء في (معاني القرآن ، الورقة ٢٤٧) : كأنه أراد : فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك : ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا ، وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر (أن) ولا غيره . اهـ . وأنشد البيت الزجاج في تفسيره ، عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » أى قوم يحرفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما : تارة أموت فيها . فحذف تارة ، وأقام الجملة التى هي صفة نائبة عنها . . . الخ .

والصواب من القول في ذلك أن « من » في قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ) تدل على المحذوف ، وذلك أنها تأتي بمعنى التبعية . وإذا كانت كذلك ، كان معلوما أنها تقتضي البعض ، فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلائلها عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء ، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : إذا أنتم تخرجون من الأرض ، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) قامتا بأمره بغير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) قال : دعاكم فخرجوا من الأرض . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) يقول : من الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : وله من في السموات والأرض من ملك وجن وإنس عبيد وملك (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) يقول : كل له مطيعون ، فيقول قائل : وكيف قيل (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) وقد علم أن أكثر الإنس والجن له عاصون ؟ فنقول : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فنذكر اختلافهم ، ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول ، فقال بعضهم : ذلك كلام يخرجهم نخرج العموم ، والمراد به الخصوص ، ومعناه : كل له قانتون في الحياة والبقاء والموت ، والفناء والبعث والنشور ، لا يمتنع عليه شيء من ذلك ، وإن عصاه بعضهم في غير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) . . . إلى (كُلَّ لَهُ قَانِتُونَ) يقول : مطيعون ، يعنى الحياة والنشور والموت ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة . وقال آخرون : بل معنى ذلك : كل له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلَّ لَهُ قَانِتُونَ) : أى مطيع مقرر بأن الله ربه وخالقه .

وقال آخرون : هو على الخصوص ، والمعنى : وله من فى السموات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلَّ لَهُ قَانِتُونَ) قال : كل له مطيعون ، المطيع : القانت ، قال : وليس شىء إلا وهو مطيع ، إلا ابن آدم ، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله . وفى قوله (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) قال : هذا فى الصلاة ، لا تتكلموا فى الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب فى الصلاة ، قال : وأهل الكتاب يمشى بعضهم إلى بعض فى الصلاة ، قال : ويتقابلون فى الصلاة ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض ، فقال الله : وقوموا لله قانتين لا تزولوا كما يزولون . قانتين لا تتكلموا كما يتكلمون . قال : فأما ما سوى هذا كله فى القرآن من القنوت فهو الطاعة ، إلا هذه الواحدة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أن كل من فى السموات والأرض من خلق الله مطيع فى تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت ، وما أشبه ذلك ، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله ، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم ، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون ، فغير جائز أن يخبر عن من هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاص هو ما وصفت ، والذى هو له قانت ما بينت .

وقوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يقول تعالى ذكره : والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى ، هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده ، بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده ، كما بدأه بعد فنائه ، وهو أهون عليه .

اختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) فقال بعضهم : معناه : وهو هين عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن سفيان عن ذكره ، عن منذر الثوري ، عن الربيع بن خيثم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : ما شيء عليه بعزير .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) يقول : كل شيء عليه هين .
وقال آخرون : معناه : وإعادة الخلق بعد فناءهم أهون عليه من ابتداء خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : يقول : أيسر عليه .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة قرأ هذا الحرف (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، قال : فنزلت هذه الآية (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) : يقول : إعادته أهون عليه من بدئه ، وكل على الله هين . وفي بعض القراءة : وكل على الله هين .

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين ، غير القولين اللذين ذكرت ، وهو أن يكون معناه : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون على الخلق : أي إعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه . والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد ، قول أيضا له وجه .
وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرمة :

أُنحَى قَفَرَاتٍ دَبَّبَتْ فِي عِظَامِهِ شُفَافَاتُ أَعْجَازِ الْكَرَى فَهُوَ أَخْضَعُ ١

إلى أنه بمعنى خاضع ؛ وقول الآخر :

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع جامعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٤٨ . قال في شرحه : شفافات : بقايا أعجاز الكرى ، أو آخر النوم ، فاستعار له المنهل ، فكأنه قد سكر ، فهو أخضع .

لَعَمْرُكَ إِنَّ الزُّبْرَقَانَ لَبَاذِلُ كَرِيمٌ لَهُ عَنْ كُلِّ ذَمٍّ تَأَخَّرُ
لَمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السَّنِينَ وَأَفْضَلُ
وَفِي كُلِّ أَسْبَابِ الْمَكَارِمِ أَوَّلُ^١
إلى أنه بمعنى : وفاضل ؛ وقول معنى :
لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ
إلى أنه بمعنى : وإني لوجل ؛ وقول الآخر :
تَمَسَّنِي مَرِيءُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أُمْتُ
فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^٢
إلى أنه بمعنى : لست فيها بواحد ؛ وقول الفرزدق :
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
إلى أنه بمعنى : عزيزة طويلة . قالوا : ومنه قولهم في الأذان : الله أكبر ، بمعنى : الله كبير ؛ وقالوا :
إِنْ قَالَ قَائِلٌ :

(١) البيتان لم أقف على قائلهما . والزبرقان بن بدر من سادات بني تميم . والسنون جمع سنة ، والمراد بها الجذب والقحط . والشاهد في قول الشاعر « وأفضل » فإنه بمعنى « فاضل » ولا تفضيل فيه ، كما قال المؤلف : على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل ، كما يأتي في الشواهد الأخرى ، أي وهو أفضل من غيره على كل حال .

(٢) البيت لمعن بن أوس المزني (ذيل الأملاني لأبي على القالي ص ٢١٨) . واستشهد به المؤلف على أن قوله : « لأوجل » : أي لوجل وانظر شرح البيت وإعرابه في خزانة الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٥٠٥ - ٥٠٦) .

(٣) البيت لمالك بن القين الخزرجي الأنصاري ، حققه الأستاذ عبدالمعز الميمني في شرح ذيل الأملاني ص ١٠٤ (وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام وقد بلغه أن يتنى موته . وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان) كما في مروج الذهب للسعودي (ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما في ذيل الأملاني ص ٢١٨) والأبيات الثلاثة هي :

تَمَسَّنِي رِجَالُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بَضَائِرِي
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى
فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
وَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بِمُخْلَدٍ
تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ
وقوله « خلاف الذي مضى » : يريد : أن يخلف على ميراثه أو محله . وقد استشهد المؤلف على أن قوله « بأوحد » معناه بواحد ، مثل قول الله تعالى : « وهوأهون عليه » : أي هين عليه ، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التي للتفضيل إلا أنه لا تفضيل هنا ، وإنما هو مجرد الوصف بدون تفضيل . وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثيل بها وليست من شعره . قال القالي فرد عليه هشام ببيتين وهما :

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِّيقِهِ
وَمَنْ يَتَتَبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ
ثُمَّ قَالَ : فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ
عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
وقد بين البغداد في خزانة الأدب الكبرى (٥٠٠ - ٥٠٢) أن هذا الشاهد وما مثله يمكن أن يحمل على التفضيل إلا على مجرد الوصف ، فراجعه ثمة .

(٤) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٧١٤) . وهو من شواهد أبي عبيدة في جواز القرآن (الورقة ١٨٧ ب) قال أبو عبيدة : أي عزيزة طويلة . فإن احتج فقال : إن الله عز وجل لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف الخلق ، فزعم أن « وهوأهون » عليه : على الخلق ؛ فإن الحجة عليه قول الله عز وجل : « وكان ذلك على الله يسيرا » . وفي آية أخرى : « ولا يثوده حفظهما » أي لا يثقله .

إن الله لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف به الخلق ، فزعم أنه وهو أهون على الخلق ، فإن الحجة عليه قول الله (وكان ذلك على الله يسيراً) ، وقوله (وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا) : أى لا يثقله حفظهما .
وقوله (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) يقول : والله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ليس كمثله شيء ، فذلك المثل الأعلى ، تعالى ربنا وتقدس .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ) يقول : ليس كمثله شيء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مثله أنه لا إله إلا هو ، ولا رب غيره .
وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : وهو العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحكيم في تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة ، وبعث ونشر ، وما شاء .
القول في تأويل قوله تعالى :

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم ، هل لكم مما ملكت أيمانكم : يقول : من ممالئكم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لى شركاء في عبادتكم إياي ، وأنتم وهم عبيدي وممالئكي ، وأنا مالك جميعكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاهُمْ) ، فأنتم فيه سواء) قال : مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته ، فكذلك الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاهُمْ) ، فأنتم فيه سواء)

قال: هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله ، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقى ، وتجعل لهم نصيبا في عبادتي ، كيف يكون هذا ؟ قال : وهذا مثل ضربه الله لهم ، وقرأ (كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

واحتلف أهل التأويل في تأويل قوله (تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضكم بعضا . ذكر من قال ذلك

حدث عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : في الآلهة ، وفيه يقول : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران قال : قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذلك ، كذلك الله لا شريك له .

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك القول الثاني ، لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم في عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده ، وعيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا ، فهم سواء ، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم ، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ، فالحيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ، لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة ، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله (كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : كما بينا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على إنشاء ما نشاء ، وإفناء ما نحب ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه ، ودلنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار ، الذي بيده ملكوت كل شيء . كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقون ، فيتدبرونها إذا سمعوها ، ويعتبرون فيتعظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : ما ذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان ، لأن لهم

شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم في عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم ، جهلا منهم لحق الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته (كَفَنُ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) يقول : فمن يسدّد للصواب من الطرق ، يعنى بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ؟ (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) يقول : وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه ، فينقذونه من الضلال الذى يبتليه به تعالى ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : فسدّد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته ، وهى الدين ، حنيفا ، يقول : مستقيما لدينه وطاعته ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، يقول : صنعة الله التى خلق الناس عليها ، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال : الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا ، يقرّون بذلك ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) قالوا بلى شهِدْنَا) قال : فهذا قول الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) بعد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِطْرَةَ اللَّهِ) قال : الإسلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي صالح ، عن يزيد بن أبي مریم ، قال : مرّ عمر بمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فقال : ما قِوَامُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ قال مُعَاذٌ : ثَلَاثٌ ، وَهِيَ الْمُنْجِيَاتُ : الْإِخْلَاصُ ، وَهُوَ الْفِطْرَةُ (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) . وَالصَّلَاةُ ، وَهِيَ الْمِلَّةُ . وَالطَّاعَةُ ، وَهِيَ الْعَصْمَةُ ، فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي قِلَابَةَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِمُعَاذٍ : مَا قِوَامُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ .

وقوله (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) يقول : لا تغيير لدين الله : أي لا يصلح ذلك ، ولا ينبغي أن يفعل .
❖ واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال : لدينه .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) إنما هو الدين ؛ وقرأ (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) ، ذلك الدين القسيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ؛ عن عكرمة (فطر الله الناس على ما) قال : الإسلام .

قال : ثنا أبي ، عن نصر بن عيسى ، عن عكرمة (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي ، عن عبد الجبار بن الورد ؛ عن القاسم بن أبي بزة ، قال : قال مجاهد ، فسل عنها عكرمة ، فسألتها ، فقال عكرمة : دين الله تعالى ماله أخزاه الله ؟ ألم يسمع إلى قوله (فطر الله الناس على ما) لا تبدل لخلق الله ؟ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) : أي لدين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن عكرمة ، قال : لدين الله .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال سعيد بن جبيرة (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال : لدين الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)

قال : دين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن مسعر وسفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، قال (لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللَّهِ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لدين الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصى الفحول منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن رجل ، سأل ابن عباس ، عن خصاء

البهائم ، فكرهه ، وقال (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال عكرمة : الإخضاء .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : الإخضاء .

وقوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن إقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدل هو الدين القيم ، يعنى المستقيم الذى لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثه .

وقد وجه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع إلى الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) قال : الحساب القيم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقولى (فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِعَاعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٤٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) تائبين راجعين إلى الله مقبلين .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) قال المنيب إلى الله : المطيع لله ، الذى أناب إلى طاعة الله وأمره ، ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك ، كان القوم كفارا ، ففزعوا ورجعوا إلى الإسلام .

وتأويل الكلام : فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا منيبين إليه إلى الله ، فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك .

فإن قال قائل : وكيف يكون حالا منها ، والكاف كناية عن واحد ، والمنيبون صفة للجماعة ؟ قيل : لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع أمر منه له ولأمته ، فكأنه قيل له : فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله ، منيبين إليه .

وقوله (وَاتَّقُوهُ) يقول جل ثناؤه : وخافوا الله وراقبوه أن تفرطوا فى طاعته ، وتركبوا معصيته (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه ، وركوبكم معاصيه ، وخلافكم الدين الذى دعاكم إليه .

وقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوه (وَكَانُوا شِعَاعًا) يقول : وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) : وهم اليهود والنصارى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء يهود ، فلو وجهه قوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ) إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وأن معناه : من الذين فرقوا دِيَنَهُمْ (وكانوا شِيَعًا) أحزابا (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) كان وجهها يحتمله الكلام .

وقوله (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا بما لديهم فرحون : يقول : بما هم به متمسكون من المذهب ، فرحون مسرورون ، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ

بُشْرُكُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله لها آخر ضر ، فأصابهم شدة وجدوب وقحوط (دَعَوْا رَبَّهُمْ) يقول : أخلصوا لربهم التوحيد ، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه ، واستغاثوا به منيبين إليه ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم (ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم وأصابهم برحاء وخصب وسعة ، إذا فريق منهم . يقول : إذا جماعة منهم بربهم يشركون ، يقول : يعبدون معه الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَسْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره متوعدا هؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضر عنهم كفروا به ، ليكفروا بما أعطيناهم ، يقول : إذا هم بربهم يشركون ، كي يكفروا : أي يحدوا النعمة التي أنعمنا عليهم بكشفي عنهم الضر الذي كانوا فيه ، وإيدالي ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية ، وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره ، الذي قال بما آتيناهم . وقوله (فَتَسْتَعُوا) يقول : فتمتعوا أيها القوم بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه ، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا . وقد قرأ بعضهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناكم ، فقد تمتعوا على وجه الخبر ، فسوف يعلمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان ، كتابا بتصديق ما يقولون ، وبحقيقة ما يفعلون (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم ، وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك : أنه لم يُنزل بما يقولون ويفعلون كتابا ، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه ، اتباعا منهم لأهوائهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) يقول : أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء ، وعافية في الأبدان والأموال ، فرحوا بذلك ، وإن تصيبهم منا شدة من جدد وقحط وبلاء في الأموال والأبدان (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول : بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله ، وركبوا من المعاصي (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) يقول : إذا هم ييأسون من الفرج ، والقنوط : هو الإيأس ، ومنه قول حميد الأرقط :

قَدْ وَجَدُوا الْحَجَّاجَ غَيْرَ قَانِطٍ ۱

وقوله (إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) هو جواب الجزاء ، لأن إذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه ، فكأنه قيل : وإن تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون ، أو تجدهم ، أو رأيهم ، أو تراهم . وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : إذا كانت « إذا » جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأول بمنزلة الفاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

(١) البيت لحميد الأرقط (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٨ ب) قال : « إذا هم يقنطون » : أي ييأسون ، قال حميد الأرقط « قد وجدوا . . . البيت » . وفي (اللسان : قنط) : القنوط : اليأس . وفي التهذيب اليأس من الخير . وقيل : أشد اليأس من الشيء . وقنط يقنط ويقنط (كضرب ونصر) وقنط قنطا (كتب) فهو قنط ، وقرئ : ولا تكن من القنطين . وأما قنط يقنط (بالفتح فيها) وقنط يقنط (بالكسر فيها) فإنما هو على الجمع بين اللغتين ، كما قاله الأخفش .

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب ، ويأسون من الفرج عند شدة تنالهم ، بعيون قلوبهم ، فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله ، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه ، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه (إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدق حجج الله وأقر بها إذا عاينها ورآها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر والمسكين وابن السبيل ، ما فرض الله لهما في ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن (فَإِنَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : هو أن توفيهم حقهم إن كان عند يسر ، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولا ميسورا ، قل لهم الخير .

وقوله (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده ، خير للذين يريدون الله باتباعهم ذلك (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : ومن يفعل ذلك مبتغيا وجه الله به ، فأولئك هم المنجحون ، المدركون طلباتهم عند الله ، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا باتباعهم إياهم ما آتوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّكَ زَكَاةً فَلَا يَرْبُوْا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، فلا يربو عند الله ، يقول : فلا يزداد ذلك عند الله ، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه (وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ) يقول : وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ، فأولئك ، يعني الذين يتصدقون بأموالهم ملتجئين بذلك وجه الله هم المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب : أصبح القوم مسمنين معطشين ، إذا سمئت إبلهم وعطشت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ) قال : هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطي الرجل الرجل العطية ، يريد أن يعطي أكثر منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جبّير (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : هو الرجل يعطي الرجل العطية ليشبهه . قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جبّير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جبّير (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ) قال : الرجل يعطي لثياب عليه . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : الهدايا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي الهدايا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا بو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : يعطي ماله يبتغي أفضل منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : هو الرجل يهدي إلى الرجل الهدية ، ليشبه أفضل منها . قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه : هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية ، لثياب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ) قال : ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا ، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله ، ولا يجزى به .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّتَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون ، يعطي الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها ، وهذا للناس عامة .

وأما قوله (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) فهذا للنبي خاصة ، لم يكن له أن يعطي إلا الله ، ولم يكن يعطي ليعطي أكثر منه . وقال آخرون : إنما غنى بهذا الرجل : يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه ، ويخدمه ويعود عليه نفعه ، لا لطلب أجر من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ومحمد بن فضيل ، عن زكريا عن عامر (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : هو الرجل يلزق بالرجل ، فيخفّ له ويخدمه ، ويسافر معه ، فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه ، وإنما أعطاه التماس عونه ، ولم يرد وجه الله .
وقال آخرون : هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك ، لاطلب ثواب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي حصين ، عن ابن عباس (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) قال : ألم تر إلى الرجل يقول للرجل : لأموالك ، فيعطيه ، فهذا لا يربو عند الله ، لأنه يعطيه لغير الله ليثري ماله .

قال : ثنا عمرو بن عبد الحميد الأملی : قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد . قال : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) ، فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) قال : كان هذا في الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله .
وقال آخرون : ذلك لاني صلى الله عليه وسلم خاصة ، وأما لغيره فحلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي رواد ، عن الضحاك (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، هذا الربا الحلال .
ولما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ، (لِيَرْبُوَ) بفتح الياء من يربو ، بمعنى : وما آتيت من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس . وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (لِيَسْتَرْبُوا) بالتاء من تربوا وضمها ، بمعنى : وما آتيت من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس .
والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار مع تقارب معنيهما ، لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال ، وإذا ربا المال فباربأ أربابه إياه ربا . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

وأما قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) قال : هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها ، وأكثر من ذلك .

حدثت عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَسْرِ بُنُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّو عِنْدَ اللَّهِ) قال : هي الهبة ، يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه ، فذلك الذي لا يربو عند الله ، لا يؤجر فيه صاحبه ، ولا لثم عليه (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) قال : هي الصدقة تريدون وجه الله (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) قال معمر ، قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به ، معرفتهم قبح فعلهم ، وخبث صنيعهم : الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره ، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم وحوّلكم ، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث بعد الموت .

وقوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء ، فيخلق أو يرزق ، أو يميت ، أو ينشر ، وهذا من الله تقرّيع لهؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك ، ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افترأها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ، فقال جل ثناؤه سبحانه : أي تنزيها لله وتبرئة (وَتَعَالَى) يقول : وعلوا له (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : عن شرك هؤلاء المشركين به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) لا والله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان :

القول في تأويل قوله تعالى :

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه .
واختلف أهل التأويل في المراد من قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فقال بعضهم : عني بالبرّ :
الفلوات ، وبالبحر : الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عِشَام ، قال : ثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) . . . الآية ، قال : إذا ولي سعي بالتعدّي والظلم . فيحبس الله القطر ،
(فَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) قال : ثم قرأ مجاهد (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ) . . . الآية ، قال : ثم قال : أما والله ما هو بحرُكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)
قال : أمّا إني لأقول بحرُكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار .
قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عمرو بن فروخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة (ظَهَرَ الْفَسَادُ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) قال : إن العرب تسمى الأمصار بحرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (قال : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . امتلأت ضلالة
وظلما ، فلما بعث الله نبيه ، رجع راجعون من الناس .

قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أما البرّ فأهل العمود ، وأما البحر فأهل القُرى والريف .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ) قال : الذنوب ، وقرأ (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ) بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (قال : أفسدّهم الله بذنوبهم ، في بحر الأرض وبرها ، بأعمالهم الخبيثة .
وقال آخرون : بل عني بالبرّ : ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، وبالبحر البحر المعروف .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) :
قال : في البرّ : ابن آدم الذي قتل أخاه ، وفي البحر : الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا .
حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر : يعني ابن عُلَيَّة ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله
(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (قال : بقتل ابن آدم ، والذي كان يأخذ
كل سفينة غصبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية (ظَهَرَ الْفَسَادُ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) قال : قلت : هذا البرّ والبحر أيّ فساد فيه ؟ قال : فقال : إذا قلّ المطر ، قل الغوُص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) قال : قتل ابن آدم أخاه ، والبحر : قال أخذ الملك السفن غصبا .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعا عندهم بحر ، ولم يخص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر . فذلك على ما وقع عليه اسم بحر ، عذبا كان أو ملحا . وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار .

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصي الله في كل مكان ، من بر وبحر (بمآ كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) : أي بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيهما . وقوله (وَلِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) يقول جل ثناؤه : ليصيبيهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ، ومعصيتهم التي عصوا (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كي ينيبوا إلى الحق ، ويرجعوا إلى التوبة ، ويتركوا معاصي الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون ؛ قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يوم بدر ، لعلهم يتوبون .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن منصور عن إبراهيم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : إلى الحق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : لعل راجعا أن يرجع ، لعل تائبا أن يتوب ، لعل مستعيبا أن يستعيب . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يرجع من بعدهم .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (لِيُذِيقَهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء ، بمعنى : ليذيقهم الله بعض الذي عملوا ، وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : سيروا في البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذبوا رسله ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم رسول الله وكفرهم ، ألم نهلكهم بعذاب منا ، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ، كان أكثرهم مشركين ؛ يقول : فعلمنا ذلك بهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : فوجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك (للدِّينِ الْقَيِّمِ) لطاعة ربك ، والميلة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمحيطه ، لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء (يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ) يقول : يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس ، يقول : يتفرق الناس فرقتين من قولهم : صدعت الغنم صدعتين : إذا فرقها فرقتين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ) فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ) يقول : يتفرقون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ) قال : يتفرقون إلى الجنة ، وإلى النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمْهَدُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : من كفر بالله فعليه ، أو زاد كفره ، وآثام جحوده نعيم ربه ، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) : يقول : ومن أطاع الله ، فعمل بما أمره به في الدنيا ، وانتهى عما نهاه عنه فيها (فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمْهَدُونَ) يقول : فلا نفسم يستعدون ، ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم ، وينجوا من عذابه ، كما قال الشاعر :

أَمْهَدَ لِنَفْسِكَ حَانَ السُّقْمُ وَالتَّلَفُ وَلَا تُضِيعَنَّ نَفْسًا مَا لَهَا خَلَفُ

(١) البيت لسليمان بن يزيد المدوي (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٩-١٩٠) قال في تفسير قوله تعالى : « فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمْهَدُونَ » : من (بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنيين والجميع . ومجازها هنا مجاز الجميع . ويمهد : أى يكسب ويعمل ويستعد . قال سليمان بن يزيد ، -

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : يسوون المضاجع .

حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلاءي ، قالوا : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : في القبر .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : للقبر .

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول : في قوله (فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال : في القبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : (يومئذ يصددون ليجزى الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يقول : وعملوا بما أمرهم الله (من فضله) الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة (لأنه لا يحب الكافرين) يقول تعالى ذكره : إنما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله ، إنه لا يحب أهل الكفر به . واستأنف الخبر بقوله (لأنه لا يحب الكافرين) وفيه المعنى الذي وصفت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيُنَجِّيَ الْفُلْكَ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كل شيء (أن يرسل الرياح مبشرات) بالغيث والرحمة (وليذيقكم من رحمته) يقول : ولينزل عليكم من رحمته ، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد ، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها (ولتبتغوا من فضله) يقول : ولتلتمسوا من أرزاقه ومعاشكم التي قسمها بينكم (ولعلكم تشكرون) يقول : ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات .

العدوى : « امهد لنفسك . . . البيت » وحان : قرب . والتلف : الموت . وفي اللسان (مهد) لنفسه يهد مهذا (كفتح) كسب وعمل .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الرِّيحُ مُبَشِّرَاتٌ) قال : بالمطر . وقالوا في قوله (وَلَيُبَذِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) مثل الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَيُبَذِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : المطر . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيُبَذِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) : المطر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره مسلما نبيه صلى الله عليه وسلم فيها يلقي من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم ، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم ، وفي أممهم ، ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدين الأوثان من دون الله (فجاءهم) بالبينات (بالبينات) يعنى : بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك ، وردوا عليهم ما جاءهم به من عند الله ، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك (فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) يقول : فانتقمنا من الذين أجمعوا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن فاعلوا ذلك كذلك بمجرى قومك (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ، ومظفروك بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ رِجْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : الله يرسل الرياح فتثير سحابا ، يقول : فتثني الرياح سحابا ، وهي جمع سحابة ، فيبسطه في السماء كيف يشاء : يقول : فينشره الله ، ويجمعه في السماء كيف يشاء : وقال : فيبسطه فوحد

الهاء ، وأخرج مخرج كناية المذكر ، والسحاب جمع كما وصفت رداً على لفظ السحاب ، لاعلى معناه ، كما يقال : هذا تمر جيد .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (فَيَبْسُطُهُ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) ويجمعه . وقوله (وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا) : يقول : ويجعل السحاب قطعاً . متفرقة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا) : أى قطعاً . وقوله (فَتَرَى الْوَدْقَ) يعنى : المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) يعنى : من بين السحاب .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قطن ، عن حبيب ، عن عبيد بن عمير (يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) قال : الرياح أربع : يبعث الله ريحا فتتم الأرض قما ، ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحاباً ، فيجعله في السماء كِسْفًا ، ثم يبعث الله الريح الثالثة ، فتؤلف بينه فيجعله ركاباً ، ثم يبعث الريح الرابعة فتُمْطِرُ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَتَرَى الْوَدْقَ) قال : القطر .
وقوله (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين ، يقول : لمكتئين حزينين باحتباسه عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) : أى قانطين .

واختلف أهل العربية في وجه تكرير من قبله ، وقد تقدم قبل ذلك قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ) فقال بعض نحوي البصرة : رد من قبله على التوكيد نحو قوله (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وقال غيره : ليس ذلك كذلك ، لأن مع (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ) حرفاً ليس مع الثانية ، قال : فكأنه قال : من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفنا ، وأما (كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) وكذا بأجمعين لأن كلا يكون اسماً ويكون توكيداً ، وهو قوله أجمعون . والقول عندى في قوله (مِنْ قَبْلِهِ) على وجه التوكيد .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾

اختلفت القراء في قوله (فانظر إلى آثار رحمة الله) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إلى أثر رحمة الله) على التوحيد ، بمعنى : فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده ، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (فانظر إلى آثار رحمة الله) على الجماع ، بمعنى : فانظر إلى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها .

والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها ، فإن الغيث أحياها بأحياء الله إياها به ، وإذا أحيهاها الغيث ، فإن الله هو المحيي به ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيح . فتأويل الكلام إذن : فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب ، كيف يحيي بها الأرض الميتة ، فينبثها ويعشبها من بعد موتها ودورها ، إن ذلك لمحيي الموتى . يقول جل ذكره : إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث ، لمحيي الموتى من بعد موتهم ، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير ، لا يعزّ عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبت الغيث الذي أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضهم ، وأعشبت ونبتت به زروعهم ما أنبتت أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا ، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفرا ، لظلوا من بعد استبشارهم ، وفرحتهم به يكفرون بربهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره (فإنك) يا محمد (لا تسمع الموتى) يقول : لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم ، وإنما هذا مثل معناه : فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فسلهم فهم ما يتلى عليهم من مواضع تنزيله ، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلهم الله أسماعهم ، بأن تجعل لهم أسماعا .

وقوله (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ) يقول : وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء، إذا هم وُلّوا عنك مدبرين ، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه ، لسماع ذلك وفهمه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) : هذا مثل ضرب به الله للكافر ، فكما لا يسمع الميت الدعاء ، كذلك لا يسمع الكافر (وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) يقول : لو أن أصم وُلّ مدبرا ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله (وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة ، ومحجة الحق ، فلم يوفقه لإصابة الرشيد ، فصارفه عن ضلالته التي هو عليها ، وركوبه الجائر من الطرق ، إلى سبيل الرشاد ، يقول : ليس ذلك بيدك ولا إليك ، ولا يقدر على ذلك أحد غيري ، لأنني القادر على كل شيء . وقيل : بهادي العمى عن ضلاتهم ، ولم يقل : من ضلاتهم . لأن معنى الكلام ما وصفت ، من أنه : وما أنت بصارفهم عنه ، فحمل على المعنى . ولو قيل : من ضلاتهم كان صوابا . وكان معناه : ما أنت بمانعهم من ضلاتهم .

وقوله (إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره لنبيه : ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدود الله ، الذي حدث فيه ، فهو الذي يسمع السماع النافع .
وقوله (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) يقول : فهم خاضعون لله بطاعته ، متذللون لمواعظ كتابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذبين بالبعث من مشركي قريش ، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء . (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ ضَعْفٍ) يقول : من نُطفة وماء مهين ، فأنشأكم بشرا سويا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يقول : ثم جعل لكم قوة على التصرف ، من بعد خلقه إياكم من ضعف ، ومن بعد ضعفكم ، بالصغر والطفولة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) يقول : ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء في شبابكم وشيبة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) أي من نطفة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا) الهرم (وَشَيْبَةً) الشَّمَط. وقوله (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره: يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يمت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٢٢٤﴾

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله. (ما لبثوا غير ساعة): يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة، يقول الله جل ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يُؤْفَكُونَ: يقول: كذبوا في قلوبهم وقسمهم ما لبثوا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) أي يكذبون في الدنيا، وإنما يعنى بقوله (يُؤْفَكُونَ) عن الصدق، ويصدون عنه إلى الكذب.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٥﴾

كان قتادة يقول: هذا من المقدم الذي معناه التأخير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ) قال: هذا من مقادير الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله. وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه.

(١) في فتح القدير للشوكاني: (٢٢٤: ٤) قال الواحدي: والمفسرون حللوا هذا على التقديم والتأخير، على تقدير: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله. وهذا غير ما قدره قتادة في حديثه الذي رواه المؤلف هنا.

وقوله (فِي كِتَابِ اللَّهِ) يقول : فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه (فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) يقول : فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول : ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فلذلك كنتم تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : فيوم يبعثون من قبورهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ) يعني المكذبين بالبعث في الدنيا معذرتهم ، وهو قولهم : ما علمنا أنه يكون ، ولا أنا نُبْعَثُ (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) يقول : ولا هؤلاء الظلمة يُسْتَرْجَعُونَ يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم ، وتنبها لهم عن وحدانية الله . وقوله (وَلَئِنْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ) يقول : ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية : يقول : بدلالة على صدق ما تقول (لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) يقول ليقولن الذين جحدوا رسالتك ، وأنكروا نبوتك ، إن أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أناكم به إلا مبطلون فيما نجحوننا به من هذه الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : كذلك يحتم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات ، والآيات البينات ، فلا يفقهون عن الله حجة ، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه ، فهم لذلك في طغيانهم يترددون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذي وعده من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعدك في الأرض حق (وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ)

الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) يقول : ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات ، فيشطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبّير ، عن عليّ بن ربيعة ، أن رجلا من الخوارج ، قرأ خلف عليّ رضي الله عنه (لَيْتَنُ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فقال عليّ (فاصبر إنّ وعد الله حقّ ، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون) .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرة عن عليّ بن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه ، وهو في صلاة الفجر ، فقال (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فأجابه عليّ رضي الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إنّ وعد الله حقّ ، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصبر إنّ وعد الله حقّ ، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون) قال : قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فأنصت له عليّ رضي الله عنه حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة (فاصبر إنّ وعد الله حقّ ، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون) .

آخر تفسير سورة الروم

(٣١) سُورَةُ الْفَيْثَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ القول في تأويل قوله تعالى :

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

وقد تقدّم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره (الم) . وقوله (تلك آيات الكتاب الحكيم) يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بياننا وتفصيلا . وقوله (هُدًى وَرَحْمَةً) يقول : هذه آيات الكتاب بياننا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه ، وعمل به من خلقه ، وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قراءة الأمصار غير حمزة ، فإنه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح ، والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف ، وقع موقع الحال إذا كان فيه معنى مدح أو ذم . وكلتا القراءتين صواب عندي ، وإن كنت إلى النصيب أميل ، لكثرة القراءة به

وقوله (لِلْمُحْسِنِينَ) وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن ، يقول تعالى ذكره : هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه (الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : الذين يقيمون الصَّلَاةَ المفروضة بحدودها (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) من جعلها الله له المفروضة في أموالهم (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : يفعلون ذلك وهم يجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رَجَّوْا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١١﴾

يختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) فقال بعضهم : من يشتري الشراء المعروف بالثمن ، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو ما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلاد الصفار ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَّاتِ ، وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَلَا التَّجَارَةُ فِيهِنَّ » ، وَلَا أَثْمَانُهُنَّ ، وفيهن نزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن خلاد الصفار ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أُمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال « أَكُلُّ ثَمَنِيَّاتٍ حَرَامٌ » وقال أيضا « وفيهن أنزل الله على هَذِهِ الْآيَةِ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) .

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن عمرو ابن قيس الكلبي ، عن أبي المهلب ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أُمامة . قال : وثنا إسماعيل بن عياش ، عن مُطَرِّح بن يزيد ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن زيد ، عن القاسم ، عن أبي أُمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَا يَحِلُّ تَعْلِيمُ الْمُغَنِّيَّاتِ ، وَلَا بَيْعُهُنَّ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ ، وَقَدْ نَزَلَ تَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من يختار لهو الحديث ويستحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) والله لعله أن لا يتفق فيه مالا ، ولكن اشتراؤه استحبابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا ابن شوذب ، عن مطر ، في قول الله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : اشتراؤه : استحبابه .

❦ وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال : معناه : الشراء ، الذي هو بالثمن ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيه .

❦ فإن قال قائل : وكيف يشتري لهو الحديث ؟ قيل : يشتري ذات لهو الحديث ، أو ذا لهو الحديث ، فيكون مشتريا لهو الحديث .

وأما الحديث ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو الغناء والاستماع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يزيد بن يونس ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية العجلي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن أبي الصهباء البكري ^(١) ، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فقال عبد الله : الغناء ، والذي لا إله إلا هو ، يردّها ثلاث مرّات .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد ابن جبيرة ، عن أبي الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قول الله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا علي بن عباس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء وأشباهه .

حدثنا ابن وكيع ، والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكم ،

(١) أبو الصهباء «بكتافي خلاصة الخزرجي» : هو صهيب الهاشمي ، عن مولاة ابن عباس ، وعمل ، وابن مسعود ، ولم يقل

في نسخته البكري ، وهناك صهيب المكّي أبو موسى الخداء ، ولم يكنه بأبي الصهباء .

عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هو الغناء والاستماع له ، يعني قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) .

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جابر ، في قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : هو الغناء والاستماع له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم أو مقسم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : شراء المغنية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص والمحرابي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : الغناء . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : باطل الحديث : هو الغناء ونحوه :

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب عن مجاهد قال : الغناء .

قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : هو الغناء ، وكل لعب هو .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي ، قال : ثنا علي بن حفص الهمداني ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء والاستماع له وكل هو .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : المغنى والمغنية بالمال الكثير ، أو استماع إليه ، أو إلى مثله من الباطل .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : هو الغناء أو الغناء منه ، أو الاستماع له .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شعيب بن يسار ، عن

عكرمة قال (لَهْوَ الْحَدِيثِ) : الغناء .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهبّاري ، قال : ثنا عثّام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة ، عن عبيد مثله .

حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعي ، قال : ثنا أبو أسامة وعبيد الله ، عن أسامة ، عن عكرمة ، في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : الغناء . وقال آخرون : عني باللهو : الطّبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج الأعور ، عن ابن جرّيج ، عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل . وقال آخرون : عني باللهو الحديث : الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) يعني الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) قال : هؤلاء أهل الكفر ، ألا ترى إلى قوله (وَإِذَا تُلْتِ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُشْتَكِبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا . كَأَن فِي أذُنَيْهِ وَقْرًا) فليس هكذا أهل الإسلام ، قال : وناس يقولون : هي فيكم ، وليس كذلك ، قال : وهو الحديث الباطل الذي كانوا يتلغون فيه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : عني به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله ، لأن الله تعالى عمّ بقوله (لَهْوَ الْحَدِيثِ) ولم يخص بعضا دون بعض ، فذلك على عمومته ، حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : ليصدّ ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته ، وما يقرب إليه من قراءة قرآن ، وذكر الله . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : سبيل الله : قراءة القرآن ، وذكر الله إذا ذكره ، وهو رجل من قريش اشترى نجارية مغنية .

وقوله (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : فعل ما فعل من اشتراؤه لهو الحديث ، جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من

وزر ذلك وإثمه . وقوله (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (وَيَتَّخِذُهَا) رفعا ، عطفًا به على قوله (يَشْتَرِي) كأن معناه عندهم : ومن الناس من يشتري هو الحديث ، ويتخذ آيات الله هزوا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَيَتَّخِذَهَا) نصبًا عطفًا على يضل ، بمعنى : ليضل عن سبيل الله ، وليتخذها هزواً .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فصيب الصواب في قراءته ، والهاء والألف في قوله (وَيَتَّخِذَهَا) من ذكر سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) قال : سبيل الله . وقال آخرون : بل ذلك من ذكر آيات الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : يحسب المرء من الضلالة ، أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع . (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) يستهزئ بها ويكذب بها . وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها ، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب ، واتخاذ ذلك هزواً هو استهزاؤه به .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون هو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ، لهم يوم القيامة عذاب مُّذِلٌّ مخزٍ في نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَتُنْزِلَتْ مُّسْتَكْبِرًا كَانُوا فِي أُنْزُنِيهِ وَقُرْآنِهِ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هذا الذي اشتري هو الحديث للإضلال عن سبيل الله ، آيات كتاب الله ، فقرئت عليه (وَتُنْزِلَتْ مُّسْتَكْبِرًا) يقول : أدبر عنها ، واستكبر استكباراً ، وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه (كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا) ، كَأَنَّهُ فِي أُنْزُنِيهِ وَقُرْآنِهِ يقول : ثقلاً ، فلا يطيق من أجله سماعه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي أُنْزُنِيهِ وَقُرْآنِهِ) قال : ثقلاً . وقوله (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُلِيَتْ عليه استكباراً بعذاب له من الله يوم القيامة مُّوجِعٌ ، وذلك عذاب النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فوحدوه ، وصدقوا رسوله واتبعوه (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : فأتبعوا الله ، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) يقول هؤلاء بساتين النعيم (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كسين فيها إلى غير نهاية (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) يقول : وعدهم الله وعدا حقا ، لا شك فيه ولا خلف له (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به ، والصادقين عن سبيله ، (الْحَكِيمُ) في تدبير خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٣﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حكمته أنه (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) ، وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : لعلها بعمد لا ترونها . وقال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، قال : إنها بعمد لا ترونها . قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لعلها بعمد لا ترونها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، عن سماك ، عن عكرمة في هذا الحرف (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : ترونها بغير عمد ، وهي بعمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : قال الحسن وقتادة : إنها بغير عمد ترونها ، ليس لها عمد .

وقال ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : لها عمد لا ترونها . وقوله (وَالْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يقول : وجعل على ظهر الأرض رواسي ،

وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم ، أن لا تميد بكم . يقول : أن لا تضطرب بكم ، ولا تتحرك يمنة ولا يسرة ، ولكن تستقر بكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وألقى في الأرض رواسي) : أي جبالا (أن تميد بكم) أثبت بها بالجبال ، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا ، وذلك كما قال الراجز :
والمهرُ يأتي أن يزال ملهبا

بمعنى : لا يزال .

وقوله (وبث فيها من كل دابة) يقول : وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب . وقيل الدواب اسم لكل ما أكل وشرب ، وهو عندي لكل مادب على الأرض . وقوله (وأنزلنا من السماء ماء) ، فأنبثنا فيها من كل زوج كريم) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء مطرا ، فأنبثنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج ، يعني : من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن الذميمة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (من كل زوج كريم) : أي حسن .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقت في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء ، وعبادة كل خلق ، الذي لا تصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغي لشيء سواه ، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان ، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم ، حتى استحققت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه ، كما استحق ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التي عدتها عليكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) ما ذكر من خلق السموات والأرض ، وما بث من الدواب ، وما أثبت من كل زوج كريم ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه الأصنام الذين تدعون من دونه .

وقوله (بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا ، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، فهم في ضلال : يقول : فهم في جور عن الحق ، وذهاب عن الاستقامة مبين : يقول : يبين لمن تأمله ، ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٥١) . قال عند تفسير قوله تعالى « وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » :
لئلا تميد بكم ، و (أن) في هذا الموضع تكن من (لا) كما قال الشاعر : * والمهر يأتي أن يزال ملهبا * معناه : يأتي أن لا يزال . اهـ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين ، والعقل ، والإصابة في القول :
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) قال : الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) أي الفقه في الإسلام ، قال قتادة : ولم يكن نبيا ، ولم يُوح إليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) قال : الحكمة : الصواب ، وقال غير أبي بشر : الصواب في غير النبوة .

حدثنا ابن المثنى ، ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ، ولم يكن نبيا .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد ، قالا : ثنا حكام ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بني إسرائيل :

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، عظيم الشفتين ، مُشَقَّقُ القدمين .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، قال : ثنا يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : كان لقمان الحكيم أسود من السودان مصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حرملة ، قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل ، فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبيا ذا مشافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن جبالد الربيعي ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا

نجارا ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيب مُضغَتَيْنِ فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : أأنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) قال : القرآن .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحكمة : الأمانة ؛ وقال آخرون : كان نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبيا . وقوله (أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ، أَنْ أَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا آتَاكَ مِنْ فَضْلِهِ ، وجعل قوله (أَنْ اشْكُرْ) ترجمة عن الحكمة ، لأن من الحكمة التي كان أوتيها ، كان شكره الله على ما آتاه . وقوله (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يقول : ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه ، لأن الله يُجْزِلُ له على شكره إياه الثواب ، وينقذه به من الهلكة (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) يقول : ومن كفر نعمة الله عليه ، إلى نفسه أساء ، لأن الله معاقبه على كفرانه إياه ، والله غني عن شكره إياه على نعمه ، لا حاجة به إليه ، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . ويعني بقوله (تحميد) محمود على كل حال ، له الحمد على نعمه ، كفر العبد نعمته أو شكره عليها ، وهو مصروف من مفعول إلى فتعيل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) يقول : لخطأ من القول عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وأمرنا الإنسان ببرّ والديه (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : ضعفا على ضعف ، وشدة على شدة ؛ ومنه قول زهير :

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلِ وَاهِنٍ خَلَقَ لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل : غير أنهم اختلفوا في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عني به الحمل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : شدة بعد شدة ، وخلقا بعد خلق .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول : في قوله (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) يقول : ضعفا على ضعف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي جهدا على جهد .

وقال آخرون : بل عني به : وهن الولد وضعفه على ضعف الأم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) قال : وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٥٤) . وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب قال :

هَلَا سَأَلْتُ الصَّيْدَاءِ كُلَّهُنَّ بِأَيِّ حَبْلِ بَنِي جَوَارٍ كُنْتُ أُمْتَسِكُ

ومعنى بيت الشاهد : هو حبل شديد محكم ، فن تمسك به نجا ، وليس بحبل ضعيف ، من تعلق بأسبابه هلك . قالوا : وكان الحارث ابن ورقاء الصيداء من بني أسد ، أغار على بني عبدالله بن غطفان ، فغم ، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا فخاطبه زهير بهذه القصيدة ، وذكره بأنه كان في عهده وجواره ، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي فإنه سيقول فيه من قصائد الهجوم ما يفضحه في أحياء العرب . وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى «وهنا على وهن» : أي ضعفا إلى ضعفها . واستشهد بالبيت . اهـ . وفيه الواهي بمعنى الضعيف .

وقوله (وَفِيصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ) يقول: وفطامه في انقضاء عامين. وقيل: (وَفِيصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ) وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كما قيل (وَأَسْأَلُ الْقَبْرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) يراد به أهل القرية. وقوله (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلِدَيْكَ) يقول: وعهدنا إليه أن أشكر لي على نعمي عليك، ولو ألدتك تربيتكما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجنا من المشقة حتى استحكم قواك. وقوله (إِلَى الْمَصِيرِ) يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لو ألدتك، وبرك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برهما بك، وتحنهما عليك.

وذكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه.

ذكر الرواية الواردة في ذلك

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، قال: حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب، حتى يتحول سعد عن دينه، قال: فأبى عليها، فلم تزل كذلك حتى غشى عليها، قال: فأتاها بنوها فسقوها، قال: فلما أفاقت دعت الله عليه، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) . . . إلى قوله (فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) .

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قالت أم سعد لسعد: أليس الله قد أمر بالبر، فوالله لأطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاما بعضا، ثم أوجروها، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) .

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سماك بن حرب، قال: قال سعد بن مالك: نزلت في (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) ، وصاحبيهما في الدنيا معروفاً قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا، قال: فناشدتها أول يوم، فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت؛ فلما كان اليوم الثالث ناشدتها، فأبت، فقلت: والله لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا؛ فلما رأت ذلك، وعرفت أنني لست فاعلا أكلت.

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت أبا هبيرة يقول: قال: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) . . . الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري مما لا تعلم أنه لي شريك ، ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً ، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي ، (وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) يقول : وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمداً صلى الله عليه وسلم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) : أي من أقبل إلى .

وقوله (إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فإن إلى مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشر ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه ؟ قيل ذلك أيضاً ، وإن كان خيراً من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام (وَأَذِّنْ لِلْقَٰمَانِ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ولا تطع في الشرك به والدليك (وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) فإن الله وصى بهما فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَكُنَّ لِابْنِ آدَمَ إِثْمَانٌ تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾

اختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله (لِابْنِ آدَمَ) فقال بعض نحوي البصرة : ذلك كناية عن المعصية والخطيئة . ومعنى الكلام عنده : يا بني إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل ، أو إن الخطيئة . وقال بعض نحوي الكوفة : وهذه الهاء عماد . وقال : أنت تك ، لأنه يراد بها الحبة ، فذهب بالتأنيث إليها ، كما قال الشاعر :

وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ ١

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حميد ص ١٢٣) وهو من قصيدة يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر ، ليهاجيه . ورقم البيت (٢٤) ومعنى تشرق : تنفس ، وصدر القنأة : أعلاها . والقنأة : الرمح . اهـ . وفي «فرائد القلائد» شرح مختصر الشواهد للعيني . قال : والشاهد في شرفت حيث أذنت ، مع أن فاعله مذكر ، وهو الصدر ، والقياس : شرق . ولكن لما كان الصدر الذي هو مضاف ، بمعنى المضاف إليه ، أعطي له حكمه . اهـ .

وقال صاحب هذه المقالة : يجوز نصب المثقال ورفعہ ؛ قال : فمن رفع رفعه بتك ، واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها ، ومن نصب جعل في تكن اسما مضمرًا مجهولًا مثل الهاء التي في قوله (إِنَّهَا إِنْ تَكُ) قال : ومثله قوله (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ) قال : ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابا ، وجاز فيه الوجهان . وأما صاحب المقالة الأولى ، فإن نصب مثقال في قوله ، على أنه خبر ، وتمام كان ، وقال : رفع بعضهم فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر .

❦ وأولى القولين بالصواب عندى ، القول الثانى ، لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيههم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم ، فيقال : إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت الله بها ، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك ، كانت الهاء في قوله (إِنَّهَا) بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية . وأما النصب في المثقال ، فعلى أن في « تك » مجهولا ، والرفع فيه على أن الخبر مضمر ، كأنه قيل : إن تك في موضع مثقال حبة ، لأن النكرات تضرر أخبارها ، ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وعنى بقوله (مِثْقَالُ حَبَّةٍ) : زنة حبة . فتأويل الكلام إذن : إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شر عملته ، فتكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض ، يأت بها الله يوم القيامة ، حتى يوفيك جزاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) من خير أو شر .
واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) فقال بعضهم : عنى بها الصخرة التى عليها الأرض ، وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره ، وقالوا : هى صخرة خضراء .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : الصخرة خضراء على ظهر حوت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : خلق الله الأرض على حوت ، والحوت هو النون الذى ذكر الله فى القرآن (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ، ولا فى الأرض .

وقال آخرون : عنى بها الجبال ، قالوا : ومعنى الكلام : فتكن في جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) : أى جبل . وقوله (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله ، ولا أعرف يأتى به ، بمعنى يعلمه ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان ، إنما وصف الله بذلك ، لأن الله يعلم أماكنه ، لا يخفى عليه مكان شيء منه فيكون وجهها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا أبو سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ ، أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) قال : يعلمها الله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، مثله . وقوله (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) : أى لطيف باستخراجها خبير بمستقرها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَبْنِيْ اَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْر ۝٢١

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه (يَا بُنَيَّ اَقِمِ الصَّلَاةَ) بحدودها (وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) يقول : وأمر الناس بطاعة الله ، واتباع أمره (وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) يقول : وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه (وَاَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) يقول : واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، ولا يصدّتك عن ذلك ما نالك منهم (اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْر) يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله : (يَا بُنَيَّ اَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ،

وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) قال : اصبر على ما أصابك من الأذى في ذلك (إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) قال : إنَّ ذلكَ مما عزم الله عليه من الأمور ، يقول : مما أمر الله به من الأمور .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا تُصَعِّرْ) فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين () ولا تُصَعِّرْ) على مثال تفعل . وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة (وَلَا تُصَاعِرْ) على مثال تفاعل .

والصواب من القول في ذلك أن يقال ؛ إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : ولا تعرض بوجهك عن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه ، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها ، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن حُصَيٍّ التَّغْلَبِيُّ :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْسَلِهِ فَتَقَوَّما

واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : ولا تتكبر فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

(١) البيت لعمرو بن حُصَيٍّ (بالنون) التغلبي (معجم الشعراء للربزباني ص ٢٠٦ - ٢٠٧) وهو فارس جاهلي مذكور ، يقول في قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود :

نُعَاطِي الْمُلُوكَ الْحَقَّ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ
أَنْفَتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ إِذَا وَرَدُوا مَاءَ وَرْمُحِ بْنِ هَرْثَمٍ
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْسَلِهِ فَتَقَوَّما

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها :

يُعَسِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَكِنْ تَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمَا

وبعد البيت ، وآخره : « أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْسَلِهِ فَتَقَوَّما » . وغيره يروون هذه الأبيات لخابر بن حُصَيٍّ التغلبي . وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى « وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ » : مجازه : لا تقلب وجهك ، ولا تعرض بوجهك في ناحية ، من الكبر ؛ ومنه الصعر الذي يأخذ الإبل في رؤوسها ، حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها . وقال عمرو بن حُصَيٍّ التغلبي : « وكنا . . . فتقوما » . ونسب البيت في (اللسان صعر) للمتلمس جرير بن عبد المسيح . قال : الصعر : ميل في الوجه . وقيل : الصعر : ميل في الخلد خاصة . وربما كان خلقة في الإنسان والظلم . وقيل : هو ميل في العنق ، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين . وقد صعر خده وصاعره : أماله من الكبر ، قال المتلمس « وكنا . . . فتقوما » . يقول : إذا أمال متكبر خده أذلناه حتى يتقوم ميله . ٨١ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تُصَعِّرْ) قال : الصدود والإعراض بالوجه عن الناس .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد في هذه الآية (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : إذا كلمك الإنسان لويت وجهك ، وأعرضت عنه محقرة له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر بن ميمون بن مهران ، قال : هو الرجل يكلم الرجل فيلوي وجهه .

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مكي ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : لا تعرض بوجهك .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) يقول : لا تعرض عن الناس ، يقول : أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : تصعير الخد : التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكي ، عن عكرمة ، قال : الإعراض . وقال آخرون : إنما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر ، لا على وجه التكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة ، فيراه فيعرض عنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) قال : هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه . وقال آخرون : هو التشديق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق أو التشديق « الطبري يشك » .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم بمثله .

وقوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) يقول : ولا تمش في الأرض مختالا .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) يقول : بالخيلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : نهاه عن التكبر ، قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر ذي فخر .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : متكبر . وقوله : فخور : قال : بعد ما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُمْصُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١١

❦ يقول : وتواضع في مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتد .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : أمره بالتواضع في مشيه ، ومنهم من قال : أمره بترك السرعة فيه .

ذكر من قال : أمره بالتواضع في مشيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : التواضع .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : نهاه عن الخيلاء .

ذكر من قال : نهاه عن السرعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الله بن عقبة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، في قوله (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : من السرعة ، قوله (وَاعْظُمْصُ مِنْ صَوْتِكَ) يقول : واخفض من صوتك ، فاجعله قصدا إذا تكلمت .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاعْظُمْصُ مِنْ صَوْتِكَ) قال : أمره بالاعتصام في صوته .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاعْظُمْصُ مِنْ صَوْتِكَ) قال : اخفض من صوتك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) فقال بعضهم : معناه : إن أقبح الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثني ، قالا : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة وأبان بن تغلب ، قالا : ثنا أبو معاوية عن جويبر ، عن الضحاك (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ**) قال : إن أقبح الأصوات (**لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) أي أقبح الأصوات لصوت الحمير ، أوله زفير ، وآخره شهيق ، أمره بالاعتصاد في صوته .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقول : (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ**) صوت الحمير .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن أشر الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة والحكم بن عتيبة (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ**) قال : أشر الأصوات .
قال جابر : وقال الحسن بن مسلم : أشد الأصوات .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) قال : لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إن أقبح أو أشر الأصوات ، وذلك نظير قولهم : إذا رأوا وجهها قبيحا ، أو منظرا شنيعا ما أنكر وجه فلان ، وما أنكر منظره .
وأما قوله (**لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة ، فإن ذلك لوجهين :
إن شئت ، قلت : الصوت بمعنى الجمع ، كما قيل (**لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ**) وإن شئت قلت : معنى الحمير : معنى الواحد ، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدّي عما يؤدّي عنه الجمع .
القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝

يقول تعالى ذكره (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**) أيها الناس (**أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ**) من شمس وقمر ونجم وسحاب (**وَمَا فِي الْأَرْضِ**) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع ، يجري ذلك كله

(١) لعل فيه مقطا ، والأصل : أي أقبح الأصوات صوت الخ .

لنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم ، تتمتعون ببعض ذلك كه ، وتذتفعون بجميعه ،
(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ)
على الواحدة ، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام ، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله . وقرأته عامة قراء المدينة
والبصرة (نِعَمَهُ) على الجماع ، ووجهوا معنى ذلك ، إلى أنها النعم التي منحها الله للعباد مما في السموات
والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله (شاكراً لَأَنْعُمِهِ) قالوا : فهذا جمع النعم .
والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الألبصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن
النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجماع ، وقد يدخل في الجماع الواحدة . وقد قال جل ثناؤه
(وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) فعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة . وقال في موضع آخر : ولم
يك من المشركين شاكراً لأنعمه ، فجمعها ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ذلك فصيب .

ذكر بعض من قأ ذلك على التوحيد ، وفسره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه .
حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا مستور الهنائي ،
عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قرأها (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)
وفسرها الإسلام .

حدثت عن القراء قال : ثنا شريك بن عبد الله ، عن خضيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه
قرأ (نِعْمَةً) واحدة . قال : ولو كانت نعمه ، لكانت نعمة دون نعمة ، أو نعمة فوق نعمة « الشك
من القراء » .

حدثني عبد الله بن محمد الزهري ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) قال : لا إله إلا الله .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) قال : كان يقول : هي لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعَمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عيسى ، عن قيس ، عن ابن عباس
(نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) قال : لا إله إلا الله . وقوله (ظَاهِرَةً) يقول : ظاهرة على الألسن قولاً ، وعلى

الأبدان وجوارح الجسد عملاً ، وقوله (وَبَاطِنَةً) يقول : وباطنة في القلوب اعتقاداً ومعرفة .
وقوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) يقول تعالى ذكره : ومن الناس

من يخاصم في توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ، ولا هدى : يقول : ولا بيان يبين به صحة ما يقول (ولا كتاب مُنِير) يقول : ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى ، يبين حقية دعواه : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) ليس معه من الله برهان ولا كتاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله ، اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصدّقوا به ، فإنه يفرق بين الحق منا والمبطل ، ويفصل بين الضال والمهتدى ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان ، فإنهم كانوا أهل حق ، قال الله تعالى ذكره (أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالتهم ، وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه (إلى عذاب السعير) يعنى : عذاب النار التي تتسعر وتلهب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يعبد وجهه متذلا بالعبودة ، مقرا له بالألوهة (وهو مُحْسِنٌ) يقول : وهو مطيع لله في أمره ونهيه (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) يقول : فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، وهذا مثل ، وإنما يعنى بذلك أنه قد تمسك من رضا الله باسلامه وجهه إليه وهو محسن ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي السوداء ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) قال : لا إله إلا الله .

وقوله (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) يقول : وإلى الله مرجع عاقبة كل أمر خيره وشره ، وهو

المسائل أهله عنه ، ومجازيهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٥﴾
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة ، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا ، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا ، ثم نجازيهم عليها جزاءهم (إن الله أعلم بذات الصدور) يقول : إن الله ذو علم بما تكتنه صدورهم من الكفر بالله ، وإيثار طاعة الشيطان وقوله (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) يقول : نمهلهم في هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : ثم نوردتهم على كره منهم عذابا غليظا ، وذلك عذاب النار ، نعوذ بالله منها ، ومن عمل يقرب منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فإذا قالوا ذلك ، فقل لهم : الحمد لله الذي خلق ذلك ، لا لمن لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ثم قال تعالى ذكره (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد ، وأين موضع الشكر . وقوله (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله كل ما في السموات والأرض من شيء ملكا كائنا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك ، مما يعبد أولا يعبد (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) يقول : إن الله هو الغني عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد ، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه ، لأنهم ملكه وله ، وبهم الحاجة إليه ، الحميد يعني المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن شجر الأرض كلها بریت أقلاما (وَالْبَحْرُ يَمْدُ) يقول : والبحر له مداد ، والماء في قوله (يَمْدُ) عائدة على البحر . وقوله (مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) ما نفدت

اللہ) قال : ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ،
 قال : لما نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (يعني اليهود ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أخبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) أفنعيننا أم قومك ؟ قال : كَلَّا قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو : أنا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي في علم الله قليل ، وَقَدْ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ اسْتَفَعْتُمْ ، فأنزل الله (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .
 واختلفت القراء في قراءة قوله (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء ، وقراءته قراءة البصرة نصبا ، عطفًا به على « ما » في قوله (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ وَبَايْتُهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَصِيبٌ عِنْدِي . وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزة في انتقامه ممن أشرك به ، وادعى معه إلها غيره ، حكيم في تمييزه خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وذلك أن الله لا يتعذر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع منه شيء شاءه (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فسواء خلق واحد وبعثه ، وخلق الجميع وبعثهم .
 وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ) يقول : كن فيكون ، للقليل والكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ) قال : يقول : إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها ، وإنما صلح أن يقال : إلا كنفس واحدة ، والمعنى : إلا كخلق نفس واحدة ، لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُكُمْ) والعرب تفعل ذلك في المصادر ، ومنه قول الله (تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) والمعنى : كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت ، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم ، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال ، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره (أَلَمْ تَرَ) يا محمد بعينك (أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) يقول : يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) يقول : يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) نقصان الليل في زيادة النهار (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) نقصان النهار في زيادة الليل . وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كل يجري : يقول : كل ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم ، وأجل محدود إذا بلغه ، كورت الشمس والقمر . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : لذلك كله وقت ، وحد معلوم ، لا يجاوزه ولا يعدوه . وقوله (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول : وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذوخبرة وعلم ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك ، وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى به المشركون ، وذلك أنه تعالى ذكره ، نبه بقوله (أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) على موضع حجته من جهل عظمته ، وأشرك في عبادته معه غيره ، يدل على ذلك قوله (ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وغير ذلك من عظيم قدرته ، إنما فعله بأنه الله حقا ، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به ، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته . وقوله (وَأَنْ مَّيِّدُ عُونٍ مِّنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الذى يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذى يضمحل ، فيبطل ويفنى (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : وبأن الله هو العلى ، يقول : ذو العلو على كل شيء ، وكل ما دونه فله متدلل منقاد ، الكبير الذى كل شيء دونه ، فله متصاغر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ نِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أن السفن تجري فى البحر نعمة من الله على خلقه (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ) يقول : ليرىكم من عبره وحججه عليكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن فى جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجراها هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل (لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : لكل من صبر نفسه عن محارم الله ، وشكره على نعمه فلم يكفره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مطرف يقول : إن من أحب عباد الله إليه : الصبار الشكور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله ، ألم تر إلى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن الشعبي (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : الصبر : نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله .
إن قال قائل : وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور دون سائر الخلق ؟ قيل : لأن الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجى والعقول ، فأخبر إن فى ذلك لآيات لكل ذى عقل ، لأن الآيات جعلها الله عبدا لذوى العقول والتمييز .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلُمِ الدَّعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر ، إذا ركبوا في الفلك ، موج كالظلل ، وهي جمع ظلة ، شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء ؛ قال نابغة بنى جعدة في صفة بحر :

يُمَاشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظِلَالٍ عَلَى حَافَاتِهِ فَلَاقِ الدَّانِ

وشبه الموج وهو واحد بالظل ، وهي جماع ؛ لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء ، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظل . وقوله (دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل ، فخافوا الغرق ، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة ، لا يشركون به هنالك شيئا ، ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون بغيره . قوله (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ) مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البر (فَفِيهِمْ مُّقْتَصِدٌ) يقول : فهم مقتصد في قوله وإقراره بربه ، وهو مع ذلك مضمر الكفر به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَفِيهِمْ مُّقْتَصِدٌ) قال : المقتصد في القول وهو كافر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَفِيهِمْ مُّقْتَصِدٌ) قال : المقتصد الذي على صلاح من الأمر .

وقوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار بعهد ، والخر عند العرب : أقبح الغدر ؛ ومنه قول عمرو بن معدى كرب :
وإِنَّكَ لَوُ رَأَيْتَ أَبَا عَمْسِيرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدَرٍ وَخَتَرٍ
قوله (كَفُورٌ) يعني : جحودا للنعم ، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة .
وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كل غدار .

(١) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩١ ب) قال عند تفسير قوله تعالى : « وإذا غشيهم موج كالظلل » : واحدتها : ظلة . ومجازه : من شدة سواد كثرة الماء ومنظمه . قال النابغة الجعدي وهو يصف البحر : « يماشين . . . فلاق الدنان » . يريد : أن البحر يمتد معهن في سيرهن . وظلال البحر : أمواجه ، لأنها ترفع فتظل السفينة ومن فيها . والدنان بالذال المهملة : جمع دن بالفتح ، هو راقود البحر الكبير .

(٢) البيت في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٩١ ب) عند تفسير قوله تعالى : « كل ختار كفور » قال : الختر : الكبر والغدر ، قال عمرو بن معدى كرب : « وإِنَّكَ لَوُ رَأَيْتَ . . . البيت » . وفي (اللسان : ختر) : الختر : شبهه بالغدر والخديعة . وقيل : هو الخديعة بعينها . وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . ختر يختر ، فهو خاتر ، وختار للمبالغة . والفعل من بابي ضرب ونصر .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ خَتَّارٍ) قال : غدار .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٌ) قال : غدار .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) الختار : الغدار ، كل غدار بذمته كفور بربه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : كل جحد كفور .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) قال : الختار : الغدار ، كما تقول : غدري .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، قال : سمعت قتادة قال : الذي يغدر بعهدده .

قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الغدار .

قال ثنا أبي : عن الأعمش ، عن سمر بن عطية الكاهلي ، عن علي رضي الله عنه قال : المكر غدري ، والغدر كفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : أيها المشركون من قريش ، اتقوا الله ، وخافوا أن يحل بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده ، ولا مولود هو مغن عن والده شيئا ، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب ، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا . وقوله (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول : اعلّموا أن مجيء هذا اليوم حق ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها ، فتميلوا إليها ، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم . وقوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) يقول : ولا يخدعنكم بالله خادع : والغرور بفتح الغين : هو ما غر الإنسان من شيء . كائن ما كان شيطانا كان ، أو إنسانا ، أو دنيا ؛ وأما الغرور بضم الغين : فهو مصدر من قول القائل : غررت غرورا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الغرور) قال : الشيطان : حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) ذاكم الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزي ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (الغرور) قال : الشيطان .

وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبیر ، قوله (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) قال : أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) هو آتيكم علم إتيانه إياكم عند ربكم ، لا يعلم أحد مني هو جائيكم ، لا يأتاكم إلا بغتة ، فاتقوه أن يفجأكم بغتة ، وأنتم على ضلالتكم لم تذببوا منها ، فتصبروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبيل لكم به ؛ وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة . والمعنى : ما ذكرت للدلالة الكلام على المراد منه ، فقال (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) التي تقوم فيها القيامة ، لا يعلم ذلك أحد غيره (وينزل الغيث) من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره (ويعلم ما في الأرحام) أرحام الإناث (وما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا) يقول : وما تعلم نفس حتى ماذا تعمل في غد ، (وما تدرى نفس بأي أرض تموت) يقول : وما تعلم نفس حتى بأي أرض تكون منيتها (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) يقول : إن الذي يعلم ذلك كله ، هو الله دون كل أحد سواه ، إنه ذو علم بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، خبير بما هو كائن ، وما قد كان .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) قال : جاء رجل (قال أبو جعفر) : أحسبه أنا ، قال : إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّ امْرَأَتِي حُبْلَى ، فَأَخْبِرْنِي »

ماذا تلد؟ وبلادنا محل جدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى وكلت، فأخبرني متى أموت،
فأنزل الله (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) . . . إلى آخر السورة، قال: فكان
مجاهد يقول: هنّ مفاتيح الغيب التي قال الله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) . . .
الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ) فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل،
أو نهار (وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً ينزل؟ (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)
فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أو أنثى، أحر أو أسود، أو ما هو؟ (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا
تَكْسِبُ غَدًا) خير أم شرّ ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غداً، لعلك المصاب غداً؟
(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض في بحر أو
أبرّ أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: قالت عائشة: من قال: إن
أحداً يعلم الغيب إلا الله فقد كذب، وأعظم الفرية على الله قال الله (لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ).

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن شعيب «أن رجلاً قال:
يا رسول الله، هل من العلم علم لم تؤته؟ قال: لَقَدْ أُوتِيَتْ عِلْمًا كَثِيرًا، وَعِلْمًا حَسَنًا، أَوْ كَمَا قَالَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» .
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا عمرو بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ»، ثم قرأ هؤلاء الآيات (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ) . . . إلى آخرها» .

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر
يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) . . . الآية، ثم قال: لَا يَعْلَمُ
مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى قِيَامُ
السَّاعَةِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» .

حدثنا ابن ووكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : كل شيء أوتي به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إلا علم الغيب الخمس : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأي أرض تموت) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالدة ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) . قال : ثنا جرير وابن علي ، عن أبي خباب ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس لا يعلمهن إلا الله : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث) ... الآية » .

حدثني أبو شريحيل ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : ثنا إسماعيل ، عن جعفر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود ، قال : كل شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتيح الغيب الخمس : ثم قرأ هذه الآية (إن الله عنده علم الساعة) . . . إلى آخرها . وقيل : بأي أرض تموت . وفيه لغة أخرى : (بأية أرض) فمن قال : (بأي أرض) اجتزبتأنيث الأرض من أن يظهر في أي تأنيث آخر ، ومن قال : (بأية أرض) فأنث : أي قال : قد تجزئ بأي مما أضيف إليه ، فلا بد من التأنيث ، كقول القائل : مررت بامرأة ، فيقال له : بأية ، ومررت برجل ، فيقال له بأي ، ويقال : أي امرأة جاءتك وجاءك ، وأية امرأة جاءتك .

آخر تفسير سورة لقمان

(٣٢) سُورَةُ الشُّجُرَةِ الْمَكِينَةِ
وَأَيُّهَا هَاتِلَاتُ الْأَوْتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِئِبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴿٣﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤﴾

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل قوله (الم) بما فيه الكفاية . وقوله (تنزيل الكتاب لارئب لارئب فيه) يقول تعالى ذكره : تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاشك فيه (من رب العالمين) : يقول : من رب الثقلين : الجن ، والإنس .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ) لاشك فيه . وإنما معنى الكلام : أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لاشك فيه أنه من عند الله ، وليس بشعر ولا سجع كاهن ، ولا هو مما تخترعه محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين (قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) وقول الذين قالوا (إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) .

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله : اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه ، وتكذبه ، و « أَمْ » هذه تقرير ، وقد بينا في غير موضع من كتابنا ، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم . وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك : ويقولون . وقال : أم بمعنى الواو ، بمعنى بل في مثل هذا الموضع ، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال : ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمداً افتراه ، بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد ، أنزله إليك ، لتنذر قوماً بأس الله وسطوته ، أن يحل بهم على كفرهم به (مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) يقول : لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم ، وهم قومه من قريش ، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك . وقوله (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يقول : لتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به . وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) قال : كانوا أمة أُمِّيَّة ، لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) من خلق (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) في اليوم السابع . يقول : ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل ، وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام .

وقوله (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) يقول : ما لكم أيها الناس دونه ولي يلى أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرراً ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه ، يقول : فلا ياه

فاتخذوا وليا وبه وبطاعته ، فاستعينوا على أموركم فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ، لأنه لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : أفلا تعجبون وتتفكرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع ، فتفردوا له له الألوهة ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَذَكِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه . واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) فقال بعضهم : معناه : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك ، فذلك ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وذلك مقدار ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَذَكِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) من أيامكم (كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) يقول : مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله ، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) قال : تعرج الملائكة إلى السماء ، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه ، وهو مسيرة ألف سنة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) قال : من أيام الدنيا . حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (يَذَكِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ) من أيامكم هذه ، مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام .

وذكر عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض في يوم واحد ، مقداره ألف سنة ، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرج .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ الخلق ، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سحام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ألف سنة مما تعدّون) قال : ذلك مقدار المسير قوله (كألف سنة مما تعدّون) ، قال : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون) قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون) يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة ، ثم تعرج إليه الملائكة ، في يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة) قال : هذا في الدنيا تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة (في يوم كان مقداره ألف سنة) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره .

ذكر من قال ذلك

ذكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قال : يقضى أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة

(١) الذي في الدر المنثور : من أيام الدنيا ، وهو واضح له .

ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً ، ثم كذلك أبداً ، قال : يوم كان مقداره ، قال : اليوم أن يقال لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة ، كن فيكون ، ولكن سماه يوماً ، سماه كما بينا كل ذلك عن مجاهد ، قال : وقوله ((إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)) قال : هو هو سواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة ، مقدار العروج ألف سنة مما تعدون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة ، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه . وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : معناه : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم ، كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول ، وخمس مئة في الصعود ، لأن ذلك أظهر معانيه ، وأشبهها بظواهر التنزيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّرِينٍ ۝

يقول تعالى ذكره : هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات ، هو عالم الغيب ، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور ، وتخفيه النفوس ، وما لم يكن بعد مما هو كائن ، والشهادة : يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاینته وما هو موجود (العزیز) يقول : الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره ، وكذب رسله (الرحيم) بمن تاب من ضلالتهم ، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله ، والعمل بطاعته ، أن يعدّ به بعد التوبة .

وقوله (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) بسكون اللام . وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) بفتح اللام .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء صحيحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أتقن كل شيء وأحكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا الحسين بن إبراهيم لشكاب (١) ، قال : ثنا شريك ، عن ختصيف

(١) في التاج (شكب) : لشكاب ، لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامري ، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكن أحكم خلقها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأها (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكمها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) قال : أتقن كل شيء خلقه حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَتَقَّنَ كُلَّ شَيْءٍ) : أحصى كل شيء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذي حسن خلق كل شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد : عن قتادة ، قوله (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) حسن على نحو ما خلق .

وذكر عن الحجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : هو مثل (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال : فلم يجعل خلق البهائم في خلق الناس ، ولا خلق الناس في خلق البهائم ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شيء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله (أَحْسَنَ) إنما هو من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد (أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) قال : أعطى كل شيء خلقه ، قال : الإنسان إلى الإنسان ، والفرس للفرس ، والحصان للحصان . وعلى هذا القول ، الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ، لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحسن ؛ فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبّحه وسماجته ، علم أنه لم يُعَن به أنه أحسن كل ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنيعه وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام ، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم وألهم كل شيء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى) لأن ذلك أظهر معانيه . وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذي أحسن خلق كل شيء ، فإنه جعل الخلق نصيبا

يعني التفسير ، كأنه قال : الذي أحسن كل شيء خلقا منه . وقد كان بعضهم يقول : هو من المقدم الذي معناه التأخير ، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر :

وَضَعْنِي إِلَيْكَ لِلَّيْلِ حِصْنِيهِ أَنْتَنِي لَيْلِكَ إِذَا هَابَ الْهَيْدَانُ فَعُولُ^١

يعني : وضعتني حصني الليل إليك ؛ ونظير قول الآخر :

كَأَنَّ هَيْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا يَوْمَ التَّقْيِينَا عَلَى أَدْحَالٍ دَبَّابُ^٢

أي كأن ثنايا هند وبهجتها .

وقوله (وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ) يقول تعالى ذكره : وبدأ خلق آدم من طين (ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ) يعني ذريته من سلالة ، يقول : من الماء الذي أنسل فخرج منه . وإنما يعني من إراقة من مائه ، كما قال الشاعر :

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبُ الْأَدِيمِ غَضَنَفَرًا سُلَالَةً فَرَجَ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ^٣

وقوله (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) يقول : من نطفة ضعيفة رقيقة .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ) وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله : أي ذريته من سلالة من ماء مهين ، والسلالة : هي الماء المهين الضعيف . حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن أبي يحيى الأعرج ، عن ابن عباس ، في قوله (مِنْ سُلَالَةٍ) قال : صفو الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف نطفة الرجل ، ومهين : فعيل من قول القائل : مهن فلان ، وذلك إذا زل وضعف .

(١) البيت (في مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ١) قال عند تفسير قوله تعالى « الذي أحسن كل شيء خلقه » : مجازه : أحسن خلق كل شيء : والعرب تفعل هذا ، يقدمون ويؤخرون . قال : « وضعتني إليك . . . البيت » معناه : وضعتني حين حضنتي الليل إليك . وفي (اللسان : حضن) : وحضنا المفازة شقاها ، والفلاة : ناحيتها . وحضنا الليل : جانباه . وحضن الجبل ما يطيف به ، وحضنا الشيء : جانباه . والهدان بوزن كتاب : الأحمق الجاني الوخم الثقيل في الحرب . وفي حديث عثمان : جبابنا هداننا . (٢) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، (الورقة ١٩٢ - ١) عند تفسير قوله تعالى « أحسن كل شيء خلقه » . بعد الشاهد السابق : « وضعتني إليك . . . البيت » . ثم قال : كأن ثنايا هند وبهجتها . وهو أيضا في (اللسان : دب) قال : قال الأزهرى : وبالخلصاء رمل يقال له الدباب . وبجذاته دوحلان كثير (بضم الدال) ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ هَيْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا لَمَّا التَّقْيِينَا لَدَى أَدْحَالٍ دَبَّابُ
مَوْلِيَّةٌ أَنْفٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِهَا عَلَى أَبَارِقٍ قَدْ كَهَمَتْ بِأَعْشَابِ

والأدحال والدحلان : جمادحل ، بالفتح ، وهو ثقب ضيق فيه ، ثم يتسع أسفل ، حتى يمشي فيه .

(٣) البيت : (في مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ب) عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » في سورة المؤمن . (الجزء ١٨ : ٨) فراجعه ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ، ونفخ فيه من رُوحِهِ (فصار حيا ناطقا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) يقول : وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات ، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة ، تعقلون بها الخير من سوء ، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك . وقوله (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) يقول : وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربيكم على ما أنعم عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا لُحُومُنَا مِنْ بَدُونِنَا لَنَكُلُّهَا وَأَكُلُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا لُحُومُنَا مِنْ بَدُونِنَا لَنَكُلُّهَا وَأَكُلُوا

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون بالله ، المكذبون بالبعث (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أى صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض ، وفيها لغتان : ضَلَلْنَا ، وَضَلَلْنَا ، بفتح اللام وكسرهما ، والقراءة على فتحها ، وهى الجوداء ، وبها نقرا . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ (أئِذَا ضَلَلْنَا) بالصاد ، بمعنى : أنلنا ، من قولهم : صل اللحم وأصل : إذا أنتن . وإنما عني هؤلاء المشركون بقولهم : (أئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أى إذا هلكت أجسادنا في الأرض ، لأن كل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب ، فإنه قد ضل فيه ، تقول العرب : قد ضل الماء في اللبن : إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه ، ومنه قول الأخطل لجرير :
كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَدَفَ الْآتِيُّ بِهِ فَضْلًا ضَلَالًا
ونحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت للأخطل (ديوانه طبعة بيروت ص ٥٠) . والقدي : ما يقع في العين من تراب أو تبن ونحوه ، ما يطيره الريح والأكدر : الكدر ، غير الصافي ، لأنه آق من بعيد ، وهو شديد الجري ، يخالطه التراب والغشاء ، ولذلك قال : « مزبد » ، وهو الذى علاه الزيد لتحركه واضطرابه . والآق : السيل يأتي من مكان بعيد ، أو من بلد إلى بلد . وقبل هذا البيت بيت آخر مرتبط به في المعنى ، قال الأخطل :

وَلَا إِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ قَرَعَا وَائِلَ وَأَسْتَجْمَعِ النَّوَادِي عَدَيْكَ فَسَالَا

فرما وائل هما بكر وتدلّب . يريد أنه إذا اجتمع فرما وائل في مكان يوم فغار مع القبائل ، وصاروا أشبه بالسيل في كثرتهم تكن لم ، أنت يا جرير بالإضافة إليهم إلا كثرة هرق في ذلك السيل الكدر ، فضلت فيه وهابت ، ولم يوقف لها على أثر . ولذلك قال شارح الديوان : والمراد من البيت أن أبا جرير حقير خسيس ، بالقياس إلى من ذكرهم . والبيت شاهد على أن القبائل : غياب الشيء في الشيء ، حتى لا يحس له أثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (أَيْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) يقول : أَيْذَا هَلَكْنَا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَيْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) هَلَكْنَا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد : قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله (أَيْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) يقول : أَيْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَنْبِئْ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ يَكْفُرُونَ بِالْبَعْثِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (وَقَالُوا أَيْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : قالوا : أَيْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ .

وقوله (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين جهود قدرة الله على ما يشاء ، بل هم بقاء ربهم كافرون ، حذرا لعقابه ، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه ، فهم من أجل ذلك يمحذون لقاء ربهم في المعاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

*** قُلْ تَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾**

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله يتوفاكم ملك الموت ، يقول : يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ؛ ومنه قول الراجز :

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيَسْوَ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ ١

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول : من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى ربكم يوم القيامة تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بأساءته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) قال : ملك الموت يتوفاكم ، ومعه أعوان من الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان لمنظور الوبري (اللسان : وفي) قال : وتوفيت عدد القوم إذا عدتهم كلهم . وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبري . . . البيتان .

• إن بني الأدرم ليسوا من أحد •

(يسكون الباء) : أي لا تجعلهم قریش تمام عددهم ، ولا تستوفي بهم عددهم . وفي رواية اللسان : الأدرم في موضع الأدرم من رواية أبي عبيدة . ولم يصرح أبو عبيدة باسم الشاعر منظور الوبري ، ولعل صاحب اللسان رأى نسخة من مجاز القرآن فيها اسم الشاعر . وأنشد البيت صاحب التاج في (وفي) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عدتهم لهم ، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبري : • إن بني الأدرم ليسوا من أحد • والأدرم فيه بالذال آخر الحروف ، لا بالميم ، كما في نسخة مجاز القرآن التي بأيدينا . وفي (اللسان : وفي) : أورد ابن منظور البيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى منظور الوبري . اهـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (يَتَوَفَّاكُم مِّلْكٌ مِّمَّنْ مَاتَ) قال : حوت له الأرض ، فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَوُا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين (أئذا ضللنا في الأرض أئنا لسنى خلق جدي) إذ هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم حياء من ربهم ، للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا ، يقولون : يا (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك (وَسَمِعْنَا) منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا ، فارجعنا : يقول : فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك ، وذلك العمل الصالح (إِنَّا مُوقِنُونَ) يقول : إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك ، وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك ، ولا ينبغي أن يكون رب سواك ، وأنتك تحي وتميت ، وتبعث من في القبور ربعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء .

وبنحو ما قلنا في قوله : (نَاكِسَوُا رُءُوسِهِمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَوُا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : قد حزنوا واستحيوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ شِئْنَا) يا محمد (لَآتَيْنَا) هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله (هُدًى) يعنى : رشدها وتوفيقها للإيمان بالله (وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) يقول : وجب العذاب منى لهم ، وقوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) يعنى من أهل المعاصى والكفر بالله منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى)

قال : لو شاء الله لهدى الناس جميعا : لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين ،
(وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) حق القول عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار : ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا ، (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : إنا تركناكم اليوم في النار . وقوله (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) يقول : يقال لهم أيضا : ذوقوا عذابا تخلصون فيه إلى غير نهاية (بِمَا كُنتُمْ) في الدنيا (تَعْمَلُونَ) من معاصي الله . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ) قال : نسوا من كل خير ، وأما الشر فلم ينسوا منه .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) يقول : تركناكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا (خَرُّوا) لله (سجدوا) لوجوههم ، تذللوا له ، واستكانة لعظمته ، وإقرارا له بالعبودية (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : وسبحوا الله في سجودهم بحمده ، فببرءونه مما يصفه أهل الكفر به ، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح ، لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة . وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة ، ذكر ذلك عن حجاج ، عن ابن جريج .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لنامهم ، ولا ينامون (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) في عفوه عنهم ،

وتفضله عليهم برحمته ومغفرته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) في سبيل الله ، ويؤدون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه . وتتجافى : تتفاعل من الجفاء ؛ والجفاء : النبو ، كما قال الراجز :

وَصَاحِبِي ذَاتُ هَيْبَابٍ دَمَشَقُ وَأَبْنُ مِلَاطٍ مُتَجَافٍ أَرْفَقُ^١

يعنى : أن كرمها سمية عن ابن ملاط ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة .

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جل ثناؤه ، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هي الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال : نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المشي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي عروبة ، قال : قال قتادة ، قال أنس ، في قوله (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) قال : كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك تتجافى جنوبهم .

قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، في قوله (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : يصلون ما بين هاتين الصلاتين .

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : ما بين المغرب والعشاء .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، قال : ثنا الحارث بن وجيه الراسبي ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء .

(١) البيتان للزفیان (انظرهما في الملحق بديوان المعراج ١٠٠) . والهاب : النشاط والإسراع في السير . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة ، وأنشد أبو عبيدة قول الزفیان :

وَمَنْهَلٍ طَامٍ عَلَيْهِ الْغُلْفَقُ يُنِيرُ أَوْ يُسْدِي بِهِ الْحَوْرَتَقُ
وَرَدَّتْهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ أَبْلَقُ وَصَاحِبِي ذَاتُ هَيْبَابٍ دَمَشَقُ
كَأَنهَا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرَقُ *

ولم يذكر البيت الثاني ، وهو محل الشاهد عند المؤلف . وفي (اللسان : ملط) قال النضر : الملاطان : ما عن يمين الكركرة وشمالها . وابن ملاطى البعير : هما العضدان ، وقيل كتفاء ، وابن ملاط : العضدان والكتفان . الواحد : ابن ملاط . وقال ابن السكيت : ابن ملاط : العضدان . والمتجافى : البائن عن جنبها ، وذلك أقوى لسيورها . والأرفق : المنفلت المرفق عن الجنب ، وهو أرفق ، وناقة رفقاء . اهـ . وقال الأزهرى : الذى حفظه بهذا المعنى : ناقة دفقاء ، وبخل أدفق ، إذا انفتق مرفقه عن جنبه . وفي (اللسان : دفق) ورجل أدفق : إذا انحنى صلبه من كبر أو غم . وأنشد المفضل : وابن ملاط : متحاف أدفق » اهـ وأنشد أبو عبيدة البهتين في مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ١) ولم ينسبه ، ثم قال : أدفق (بالدال) أى متنع عن كركرتها ، اهـ .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أنس (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) قال : ما بين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) قال : كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء . وقال آخرون : عني بها صلاة المغرب ^١ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة ، عن عطاء (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) قال : عن العتمة .

وذكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يحيى بن صبيح ، عن أبي سلمة ، قال : العتمة . وقال آخرون : لانتظار صلاة العتمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .

وقال آخرون : عني بها قيام الليل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) قال : قيام الليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) قال : هؤلاء المهجدون لصلاة الليل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) يقومون يصلون من الليل .

وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) وهم قوم لا يزالون يذكرون الله : إما في صلاة ، وإما قياما ، وإما قعودا ، وإما إذا استيقظوا من منامهم ، هم قوم لا يزالون يذكرون الله .

(١) لعله صلاة العتمة ، يعني العشاء ، كما تفيد الآثار بعد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : تتجافى لذكر الله ، كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما في الصلاة ، وإما في قيام ، أو في قعود ، أو على جنوبهم ؛ فهم لا يزالون يذكرون الله .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تذبو عن مضاجعهم ، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفأ عن النوم في وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدل على ذلك قول عبد الله بن ربيعة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبي الله صلى الله عليه وسلم :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفأ جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته خالاً ووقتادون حال ووقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كل آتاء الليل وأوقاته . وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء ، أو انتظر العشاء الآخرة ، أو قام الليل أو بعضه ، أو ذكر الله في ساعات الليل ، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) لأن جنبه قد جفأ عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله ، أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا ، وهو على القيام أو القعود قادر ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنى به قيام الليل أعجب إلى ، لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ : الصَّوْمُ جَنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُكْفِّرُ الْخَطِيئَةَ ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ (وتلا هذه الآية) تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سليمان ، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن الحكم بن عتيبة : عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله

(١) البيت لعبد الله بن ربيعة الأنصاري أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم . ويجافى : يباعد . واستثقلت : ثقلت . والمضاجع : جمع مضجع ، وهو الفراش ينام فيه أو موضعه . والبيت شاهد ثان على التجافى في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » : « معناه : تبعث . قال أبو عبيدة في نجاز القرآن (الورقة ١٩٥ - ب) أي ترتفع عنها وتتحنى ، لأنهم يصلون بالليل . ٨١ .

عليه وسلم : « إن شئت أنبأتك بأبواب الخير : الصومُ جنةٌ ، والصدقةُ تكفرُ الخطيئةَ ، وقيامُ الرجلِ في جوفِ الليلِ ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن حماد بن سلمة ، قال : ثنا عاصم بن أبي النجود ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) قال : قيامُ العبدِ مِنَ اللَّيْلِ .

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال : ثنا أبي ، قال : ثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت ، عن مجاهد ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه ، فقال (تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . وأما قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) . . . الآية ، فإن بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) قال : خوفا من عذاب الله ، وطمعا في رحمة الله ، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله ، وفي سبيله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلا تعلم نفسٌ ذى نفسٍ ما أخفى الله لهُوَلَاءَ الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين ، مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ٢ ، قال : قال عبد الله : إن في التوراة مكتوبا : لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وما لم يسمعه ملك مقرب . قال : ونحن نقرؤها (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن ابن مسعود : قال : مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع

(١) انظر تفسير المؤلف للآية في صدر الكلام عليها ص ٩٩ .

(٢) عبيدة بن ربيعة بضم العين . وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء . وهو الذي يروى عنه أبو إسحاق كما في الخلاصة ، وفي الأصل

أبي عبيدة . ولعل «أبي» زيادة من النسخ .

ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، في القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : خفي لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال سفيان : فيما علمت على غير وجه الشك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت أبا عبيدة ، قال : قال عبد الله ، قال : يعني الله : « أعددت لعبادي الصالحين ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب ناظر (لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) » حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس بن الربيع ، عن أبي إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة الحارثي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن في التوراة : للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ، ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وإنه لفي القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن ابن أبيجر ، قال : سمعت الشعبي يقول سمعت المغيرة ابن شعبة يقول على المنبر : إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا ، ف قيل له : رجل يؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة ، قال : فيقال له : ادخل ، فيقول : أين وقد أخذ الناس أخذاتهم ؟ فيقال : اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا ، فيكون لك مثل الذي كان لهم ، ولك أخرى شهوة نفسك ، فيقول : أشتهى كذا وكذا ، وأشتهى كذا ، ويقال : لك أخرى ، لك لذة عينك ، فيقول : ألد كذا وكذا ، فيقال : لك عشرة أضعاف مثل ذلك ، وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا ، فقال : ذاك شيء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض . قال الشعبي : فلما في القرآن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحميدي ، قال : ثنا ابن عيينة ، وحدثني به القرطاسي ، عن ابن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، وابن أبيجر ، سمعنا الشعبي يقول : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : أي رب ، أي أهل الجنة أدنى منزلة ؟ قال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل ، فيقول : كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا ، فيقول : بئس أي رب قد رضى ، فيقال له : إن لك هذا ومثله ومثله ومثله . فيقول : رضى أي رب رضى . فيقال له : إن لك هذا وعشرة أمثاله معه ، فيقول : رضى أي رب ، فيقال له : فإن لك مع هذا ما اشتتهت نفسك ، وكذت عينك ، قال : فقال موسى : أي رب ، وأي أهل الجنة أرفع منزلة ، قال : إياها أردت ، وسأحدثك

عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ . قَالَ : وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) وَكَانَ عَرْشُ اللَّهِ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جَنَّةً ، ثُمَّ اتَّخَذَ دُونَهَا أُخْرَى ، ثُمَّ أَطْبَقَهَا بِلَوْلَاةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ : وَمِنْ دُونِهَا جَتَانٌ ؛ قَالَ : وَهِيَ الَّتِي لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ، أَوْ قَالَ : هُمَا الَّتِي لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ : وَهِيَ الَّتِي لَا تَعْلَمُ الْخَلَائِقُ مَا فِيهَا ، أَوْ مَا فِيهَا ، يَأْتِيهِمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهَا أَوْ مِنْهَا تَحْفَةٌ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه . حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبي اليمان الهوزني أو غيره ، قال : « الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ ، أَوَّلُهَا دَرَجَةُ فَضَّةٍ ، أَرْضُهَا فَضَّةٌ ، وَمَسَاكِنُهَا فَضَّةٌ ، وَآيَتُهَا فَضَّةٌ ، وَتَرَابُهَا الْمِسْكُ . وَالثَّانِيَةُ ذَهَبٌ ، وَأَرْضُهَا ذَهَبٌ ، وَمَسَاكِنُهَا ذَهَبٌ ، وَآيَتُهَا ذَهَبٌ ، وَتَرَابُهَا الْمِسْكُ . وَالثَّلَاثَةُ لَوْلُؤُ ، وَأَرْضُهَا لَوْلُؤُ ، وَمَسَاكِنُهَا لَوْلُؤُ ، وَآيَتُهَا لَوْلُؤُ ، وَتَرَابُهَا الْمِسْكُ . وَسَبْعٌ وَتِسْعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَتِلَا هَذِهِ الْآيَةِ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ ، قَالَ اللَّهُ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَمَنْ بِهِ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ ، اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : نَقَرُوهَا : (قُرَّاتٍ أَعْيُنٍ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عن الروح الأمين ، قال : (يُوْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ ، فَيَنْقُصُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيََتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَسَّعَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَى يَزْدَادَ ، فَحَدَّثْتُ بِمِثْلِ هَذَا ؛ قَالَ : قُلْتُ : فَأَيْنَ ذَهَبَتِ الْحَسَنَةُ ؟ قَالَ :

(أُ لِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ، قلت : قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : العبد يعمل سرّاً أسره إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين .
حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا سلام بن أبي مطيع ، عن قتادة ، عن عتبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عن ربه ، قال : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : « فَمِمَّا مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » ، ثم قرأ هذه الآية (تَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ عَنِ الْمَصَاحِمِ) . . . إلى قوله (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ») .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه ، « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : أخفوا عملاً في الدنيا ، فأتابهم الله بأعمالهم .

حدثني القاسم بن بشر ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، قال حماد : أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنُفَعُ وَلَا يَبْئُوسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْتَنِي شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين (أُخْفِيَ) بضم الألف وفتح الياء بمعنى فُعل . وقرأ بعض الكوفيين (أُخْفِيَ لَهُم) بضم الألف وإرسال الياء ، بمعنى أفعل ، أخفي لهم أنا .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، لأن الله إذا أخفاه فهو مخفي ، وإذا أخفي فليس له مخف غيره ، و« ما » في قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم) فإنها إذا جعلت بمعنى الذي كانت نصيباً بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القاري أخفي ، وإذا وجهت إلى معنى أي كانت

رفعا إذا قرئ أخفى بنصب الياء وضم الألف ، لأنه لم يسم فاعله ، وإذا قرئ أخفى بإرسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفى عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده ، المخالف أمر الله ونهيه ، كهذا المؤمن بالله ، المصدق بوعد الله ووعيده ، المطيع له في أمره ونهيه ، كلا لا يستوون عند الله : يقول : لا يعتدل الكفار بالله ، والمؤمنون به عنده ، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة . وقال (لا يستوون) ، فجمع ، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين : مؤمنا ، وفاسقا ، لأنه لم يرد بالمؤمن : مؤمنا واحدا ، وبالفاسق : فاسقا واحدا ، وإنما أريد به جميع الفاسق ، وجميع المؤمنين بالله . فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ، ذهبت بهما العرب مذهب الجمع .

وذكر أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، والوليد بن عقبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت بالمدينة ، في علي بن أبي طالب ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، كان بين الوليد وبين علي كلام ، فقال الوليد بن عقبة : أنا أبسط منك لسانا ، وأحد منك سنانا ، وأرد منك للكنية ، فقال علي : اسكت ، فإنك فاسق ، فأنزل الله فيهما (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) ... إلى قوله (به تكذبون) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) قال : لا والله ما استووا في الدنيا ، ولا عند الموت ، ولا في الآخرة .

وقوله (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ) يقول تعالى ذكره : أما الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله ، فلهم جنات المأوى : يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأون إليها . وقوله (نَزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : بما نزل أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته . وقوله (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) يقول تعالى ذكره : وأما الذين كفروا بالله ، وفارقوا طاعته (فَأَمَّا وَالَّذِينَ فَسَقُوا) يقول : فسلكهم التي يأون إليها في الآخرة النار (كَأَنَّمَا أَرَادُوا)

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ (فِي الدُّنْيَا)
(تَكْذِبُونَ) أَنْ اللَّهَ أَعَدَّهَا لِأَهْلِ الشَّرْكِ بِهِ .
وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) أشركوا (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ) والقوم مكذبون كما ترون .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الأدنى ، الذي وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة ، فقال بعضهم :
ذلك مصائب الدنيا في الأنفس والأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) يقول : مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال :
العذاب الأدنى : بلاء الدنيا ، قيل : هي المصائب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرني ،
عن ابن أبي ليلى ، عن أبي ن كعب (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) قال : المصيبات في الدنيا .
قال : والدخان قد مضى ، والبطشة واللزام .

قال أبو موسى : ترك يحيى بن سعيد ، يحيى بن الحزار ، نقصان رجل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن
عروة ، عن الحسن العرني ، عن يحيى بن الحزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي ن كعب ، أنه قال : في
هذه الآية (وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : مصيبات الدنيا ،
واللزوم والبطشة ، أو الدخان ، شك شعبة في البطشة أو الدخان .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن
العرني ، عن يحيى بن الحزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي ن كعب ، بنحوه ، إلا أنه قال : المصيبات
واللزوم والبطشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرني ،

عن يحيى بن الجزار ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : المصيبات يصابون بها في الدنيا : البطشة ، والدخان ، والازوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) قال : المصائب في الدنيا .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : المصيبات في دنياهم وأموالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثه ، عن الحسن ، قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) : أي مصيبات الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) قال : أشياء يصابون بها في الدنيا .

وقال آخرون : عني بها الحدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : الحدود .

وقال آخرون : عني بها القتل بالسيف ، قال : وقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان . عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق . عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عن حدثه ، عن الحسن بن علي ، أنه قال (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : القتل بالسيف صبورا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : القتل بالسيف ، كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي مجيح ، عن مجاهد (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : القتل والجوع لقريش في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مجاهد يحدث عن أبي بن كعب أنه كان يقول (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) يوم بدر . وقال آخرون : عني بذلك سنون أصابتهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : سنون أصابتهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله . وقال آخرون : عني بذلك : عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : الأدنى في القبور وعذاب الدنيا . وقال آخرون : ذلك عذاب الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) قال : العذاب الأدنى : عذاب الدنيا .
 وأولى الأقوال في ذلك أن يقال : إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى ، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر ، والعذاب : هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم ينحصص الله تعالى ذكره ، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال ، فأوفي لهم بما وعدهم .
 وقوله (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) يقول : قبل العذاب الأكبر ، وذلك عذاب يوم القيامة .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : يوم القيامة .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مسروق ، عن عبد الله .
 مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) يوم القيامة في الآخرة . حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) يوم القيامة حدث به قتادة ، عن الحسن :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) قال : العذاب الأكبر : عذاب الآخرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا : أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) قال : يتوبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) : أي يتوبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : وأى الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه ، وآى كتابه ورسله ، ثم أعرض عن ذلك كله ، فلم يتعظ بمواعظه ، ولكنه استكبر عنها .

وقوله (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) يقول : إنا من الذين اكتسبوا الآثام ، واجتروحوا السيئات منتقمون .

وكان بعضهم يقول : عنى بالمجرمين في هذا الموضع : أهل القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن مروان ابن سفيح ، عن يزيد بن ربيع ، قال : إن قول الله في القرآن (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) هم أصحاب القدر ، ثم قرأ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى قوله (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن ابن سفيح ، عن يزيد

ابن ربيع بنحوه ، إلا أنه قال في حديثه : ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات (إنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى آخر الآيات .

وقال آخرون في ذلك ، بما حدثني به عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نسي ، عن جنادة بن أبي أمية ، عن معاذ بن جبل ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ : مَنْ اعْتَقَدَ لِيَوَاءَ فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أَجْرَمَ : يَقُولُ اللَّهُ (إِنَّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) . »

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَّهْدُونَ بِأَمْرِنَا إِنَّا صَبِرُوا وَكَانُوا يَكْنُيُونَ ۖ

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، كما آتيناك الفرقان يا محمد (فلا تكن في مِرْيَةٍ مِنْ لِّقَائِهِ) يقول : فلا تكن في شك من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن في شك من أنك لقيته ، أو تلقاه ليلة أُسرى بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية الرياحي ، قال : حدثنا ابن عم نبيكم ، يعني ابن عباس ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةِ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبَّطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ، وَالِدَ جَلَّالٍ فِي آيَاتِ أَرَاهُنَّ اللَّهَ إِيَّاهُ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِّقَائِهِ أَنَّهُ قَدْ رَأَى مُوسَى ، وَلَقِيَ مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ » .

وقوله (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل ، يعني : رشادا لهم يرشدون باتباعه ، ويصيرون الحق بالاعتداء به ، والاثم بقلوبه ، وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ » قال جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل .

وقوله (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بني إسرائيل أئمة ، وهي جمع إمام ، والإمام الذي يؤتم به في خير أو شر ، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير ، يؤتم بهم ، ويهتدى بهديهم .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) قال : رواء في الخير . وقوله (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) يقول تعالى ذكره : يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك ، وتقويتنا إياهم عليه .

وقوله (لَمَّا صَبَرُوا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبَرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم ، بمعنى : إذ صبروا ، وحين صبروا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (لَمَّا) بكسر اللام وتخفيف الميم ، بمعنى : لصبرهم عن الدنيا وشهواتها ، واجتهادهم في طاعتنا ، والعمل بأمرنا . وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود (بِمَا صَبَرُوا) وما إذا كسرت اللام من (لَمَّا) في موضع خفض ، وإذا فتحت اللام وشددت الميم ، فلا موضع لها ، لأنها حينئذ أداة .

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . وتأويل الكلام إذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم ، وجعلنا منهم أمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم ، وتقويتنا إياهم على الهداية ، إذ صبروا على طاعتنا ، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها . وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : قال أبي ، سمعنا في (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) قال : عن الدنيا .

وقوله (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) يقول : وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا ، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق ، وإيمان برسولنا ، وآيات كتابنا وتنزيلنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحق الجنة ، ولأهل الباطل النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : أولم يبين لهم ؟ كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ)

لَهُمْ) يقول : أولم يبين لهم ، وعلى القراءة بالياء في ذلك قرآء الأمصار ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرآء ، بمعنى : أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الحالية من قبلهم ، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا ، فيتعظوا وينزجروا . وقوله (كَمْ) إذا قرئ (يَهْدِ) بالياء ، في موضع رفع بيهد . وأما إذا قرئ ذلك بالنون (أَوْ كَمْ يَهْدِ) فإن موضع « كم » وما بعدها نصب . وقوله (يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ) يقول تعالى ذكره : أولم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم ، كعاد وثمود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ كَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ) عاد وثمود وأنهم إليهم لا يرجعون . وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول تعالى ذكره : إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمارها بإهلاكنا إياهم لما كذبوا رسلنا ، وجحدوا بآياتنا ، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يَمْشُونَ بها فيعابنونها ، آيات لهم وعظات يتعظون بها ، لو كانوا أولى حجا وعقول ، يقول الله (أَفَلَا يَسْمَعُونَ ؟) عظات الله وتذكيره إياهم آياته ، وتعريفهم مواضع حججه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره : أولم يرو هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء ، أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها ، وأصله من قولهم : ناقة جرز : إذا كانت تأكل كل شيء ، وكذلك الأرض الجروز : التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته ، نظير أكل الناقة الجراز كل ما وجدته ، ومنه قولهم للإنسان الأكول : جرّوز ، كما قال الراجز :

خَبَّ جَرُّوزٌ وَإِذَا

(١) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز ، أورده الشوكاني في تفسيره المسمى فتح القدير (٤ : ٢٤٩) طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . وهالك البيت بتمامه مع ما يليه :

خَبَّ جَرُّوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى وَيَا كُلُّ التَّمَرِ وَلَا يُلْقَى الشَّوَى

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى : « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ١) الأرض الجرز : أي اليابسة الغليظة التي لم يصيبها مطر . اه . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٥٣) : الجرز التي لانبات فيها . ويقال للناقة إنها جراز : إذا كانت تأكل كل شيء ، وللإنسان : إنه جروز : إذا كان أكولا . وسيف جراز : إذا كان لا يبق شيئا إلا قطعه .

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقى شيئاً إلا قطعه سيف جراز ، . فيه لغات أربع : أرض جرّز ، وجرّز ، وجرّز وجرّز ، والفتح لبني تميم فيما بلغني . .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (الأرض الجرّز أرض باليمن ، حدثنا من بشار ، قل : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : أرض باليمن .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) قال : أبين ونحوها .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قل : ثنا عبد الرزاق بن عمر ، عن ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ونحوها من الأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله (إلى الأرض الجرّز) قال : الجرّز : التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً ، إلا ما يأتيها من السيول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (إلى الأرض الجرّز) ليس فيها نبت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) المغبرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال بن زيد ، في قوله (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) قال : الأرض الجرّز : التي ليس فيها شيء ، ليس فيها نبات ، وفي قوله (صعباً جرّزاً) قال ليس عليها شيء ، وليس فيها نبات ولا شيء (فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) يقول تعالى ذكره ، فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعاً خضراً تأكل منه مواشيهم ، وتغذي به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به (أفلا يبصرون) يقول تعالى ذكره : أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذر على أن أحیی بها الأموات وأنشرهم من قبورهم ، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِنَّهُمْ مُنْظَرُونَ ﴿٣٠﴾

(١) إين بكسر الهزة وفتحها وسكون الباء ، وياه مفتوحة : اسم رجل كان في الزمان القديم ، ويقال : ذوأين ، وهو الذي ينسب إليه عدن إين من بلاد اليمن . فلعل راوى الأثر يريد هذا الموضع . (انظر البكري في المعجم) .

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ﴾ (وَيَقُولُونَ) هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) واختلف في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم ، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال : قال أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم إنا يوما أو شك أن نستريح فيه وننعم فيه ، فقال المشركون (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . وقال آخرون : بل غنى بذلك : فتح مكة .

﴿ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ مِنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْحُكْمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، يَعْنُونَ الْعَذَابَ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ قَوْلُهُ ﴾ (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ، ولو كان معنى قوله (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) على ما قاله من قال : يعني به : فتح مكة ، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله فعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل ، وفساد ما خالفه . وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يعني : إن كنتم صادقين في الذي تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وعبادتنا الآلهة والأوثان . وقوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم يوم الحكم ، ويجيء العذاب : لا ينفع من كفر بالله وبآياته وإيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ) قال : يوم الفتح إذا جاء العذاب : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم القيامة ، ونصب اليوم في قوله (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) ردا على متى ، وذلك أن « متى » في موضع نصب . ومعنى الكلام : أنى حين هذا الفتح إن كنتم صادقين ، ثم قيل يوم كذا ، وبه قرأ القراء .

وقوله (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يقول : ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة . وقوله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) وانتظر لهم (مُنْتَظِرُونَ) يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله ، القائلين لك : متى هذا الفتح ، المستعجلين بالعذاب ، وانتظر ما الله صانع بهم ، لهم منتظرون مانعهم من العذاب ومجيء الساعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ، وانتظر لهم (مُنْتَظِرُونَ) يعني يوم القيامة .

آخر تفسير سورة السجدة ، والله الحمد والمنة

(٣٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي اتق الله) بطاعته ، وأداء فرائضه ، وواجب حقوقه عليك ، والانتفاء عن محارمه ، وانتهاك حدوده (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ) الذين يقولون لك : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك (وَالْمُنَافِقِينَ) الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك ، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا ، فلا تقبل منهم رأيا ، ولا تستشرهم مستنصحا بهم ، فإنهم لك أعداء (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) يقول : إن الله ذو علم بما تضره نفوسهم ، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة ، مع الذي ينطوون لك عليه ، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك ، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يقول : واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه ، وآي كتابه (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) يقول : إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن ، وغير ذلك من أموركم وأمر عباد خبيرا : أي ذا خبرة ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قال هل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أي هذا القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝

يقول تعالى ذكره : وفوض إلى الله أمرك يا محمد ، وثق به (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) يقول : وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا ، وحفيظا بك .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ

أُمِّهِتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَالِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١﴾

❦ اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (فقال بعضهم : عني بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين ، فنفى الله ذلك عن نبيه ، وكذبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حفص بن نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه ، قال : قلنا لابن عباس : أ رأيت قول الله (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقلبي ، فخطر خطرة ^١ فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (

وقال آخرون : بل عني بذلك : رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهميه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (قال : كان رجل من قريش يسمى من دهميه ^٢ ذا القلبين ، فأنزل الله هذا في شأنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (قال : إن رجلا من بني فهر ، قال : إن في جوف قلبين ، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد « وكذب » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (قال قتادة : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين ، فأنزل الله فيه ما تسمعون ❦

قال قتادة : وكان الحسن يقول : كان رجل يقول لي : نفس تأمرني ، ونفس تنهاني ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : كان رجل يسمى ذا القلبين ، فنزلت (مَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (.

(٢) الدهو والدعي والدعاء : العقل .

(١) خطر خطرة : مها سهوة .

وقال آخرون : بل عني بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبنّاه ،
فضرب الله بذلك مثلاً ؛

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله
(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ) قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضرب الله
له مثلاً يقول : لبس ابن رجل آخر ابنك .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه
قلبان يعقل بهما ، على النحو الذي روي عن ابن عباس ، وجائز أن يكون ذلك تكديبا من الله لمز وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأن يكون تكديبا لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من
دهيه ، وأى الأمرين كان فهو نبي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة .

وقوله (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولم
يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهن : أنن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم ، بل جعل ذلك من
قيلكم كذبا ، وألزمكم عقوبة لكم كفارة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي
تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ) : أي ما جعلها أمك ؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته ، فإن الله لم يجعلها
أمه ، ولكن جعل فيها الكفارة .
وقوله (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) يقول : ولم يجعل الله من ادّعت أنه ابنك ، وهو ابن
غيرك ابنك بدعوائك .

وذكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنّيه زيد بن حارثة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) قال : نزلت
هذه الآية في زيد بن حارثة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ
أَبْنَاءَكُمْ) قال : كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه ، يقال له : زيد بن محمد كان تبنّاه ،
فقال الله (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ) قال : وهو يذكر الأزواج والأخت ، فأخبره أن
الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم ، ولا أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) وما جعل دعيتك ابنك ، يقول : إذا ادعى رجل رجلاً وليس بابنه (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) . . . الآية ، وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « من ادعى إلى غير أبيه متعمداً ، حرم الله عليه الجنة » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر ، قال : ليس في الأدعياء زيد ، وقوله (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي ، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه ، إنما هو قولكم بأفواهكم لاحقيقة له ، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعى بنوته ، ولا نصير الزوجة أمّاً بقول الرجل لها : أنت على كظهر أمي (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) يقول : والله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه ، وبه تكون المرأة للمولود ، أمّاً إذا حكم بذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) يقول تعالى ذكره : والله يبين لعباده سبيل الحق ، ويرشدهم لطريق الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾

يقول الله تعالى ذكره : انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم ، يقول لبيد محمد صلى الله عليه وسلم : ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ، ولا تدعه زيدا بن محمد . وقوله (هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله ، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) : أي أعدل عند الله ، وقوله (فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوا إليهم ، ولم تعرفوهم ، فتلحقوهم بهم ، فإخوانكم في الدين : يقول : فهم إخوانكم في الدين ، إن كانوا من أهل ملتكم ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيتكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) :

أى أعدل عند الله (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال أبو بكر : قال الله (ادعوههم لآبائهم هو أقسط عند الله) فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) فأنا ممن لا يعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم في الدين ، قال : قال أبي : والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتفى إليه .

وقوله (ولينس عليكم جناح فيما أخطأتم به) يقول : ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه ، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه ، وهو ابن لغيره (وليكن ما تعدت قلوبكم) يقول : ولكن الإثم والحرَج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه ، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولينس عليكم جناح فيما أخطأتم به) يقول : إذا دعوت الرجل لغير أبيه ، وأنت ترى أنه كذلك (وليكن ما تعدت قلوبكم) يقول الله : لا تدعه لغير أبيه متعمدا . أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به (وليكن يؤاخذكم بما تعدت قلوبكم) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تعدت قلوبكم) قال : فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره ، و« ما » التي في قوله (وليكن ما تعدت قلوبكم) خفض ردا على « ما » التي في قوله (فيما أخطأتم به) وذلك أن معنى الكلام : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن فيما تعدت قلوبكم .

وقوله (وكان الله غفورا رحيما) يقول الله تعالى ذكره : وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول ، وذنب من ادعى ولد غيره ابنا له ، إذا تابا وراجعا أمر الله ، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا الْآنَ تَفْعَلُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٢١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : النبي محمد أولى بالمؤمنين ، يقول : أحق بالمؤمنين به من أنفسهم ، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم ، فيجوز ذلك عليهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز ، كما كلما قضيت على عبدك جاز .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا غيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال : هو أب لهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وأئمتنا مؤمن تترك مالا فليورثته وعصبته من كانوا ، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني وأنا مولاه » .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علي ، عن أبي موسى إسرائيل بن موسى ، قال : قرأ الحسن هذه الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وأزواجه أمهاتهم (قال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه » قال الحسن : وفي القراءة الأولى (أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهو أب لهم » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال في بعض القراءة (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهو أب لهم (وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أئمتنا رجل تترك ضياعا فأنا أولى به ، وإن ترك مالا فهو لورثته » .
وقوله (وأزواجه أمهاتهم) يقول : وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم ، في أنهن يحرمن عليهم نكاحهن من بعد وفاته ، كما يحرمن نكاح أمهاتهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، وأزواجه أمهاتهم (يعظم بذلك حقهن ، وفي بعض القراءة (وهو أب لهم) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأزواجه أمهاتهم) محرمات عليهم .

وقوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) يقول تعالى ذكره : وأولوا الأرحام الذين ورثت بعضهم من بعض ، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا ، بالهجرة والإيمان دون الرحم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا ، فأنزل الله هذه الآية ، فخلط المؤمنون ببعضهم ببعض ، فصارت الموارث بالملل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والأنصار أول ما كانت الهجرة ، وكانوا يتوارثون على ذلك ، وقال الله (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَأَتَوْهُم بِنَصِيبتِهِمْ) قال : إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم ، قال : فكان هذا أولا ، فقال الله (إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) يقول : إلا أن توصوا لهم (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، قال : وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولى رحم ، حتى يهاجروا إلى المدينة ، وقرأ قال الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) ، فكانوا لا يتوارثون ، حتى إذا كان عام الفتح ، انقطعت الهجرة ، وكثر الإسلام ، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبي ومن معه إلا أن يهاجر ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث : « اغْدُوا عَلَىٰ اسْمِ اللَّهِ لَا تَغْلُوا وَلَا تُؤَلُّوا ، ادْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكُمْ فَاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إِلَى الْهِجْرَةِ ، فَإِنْ هَاجَرُوا مَعَكُمْ ، فَلَهُمْ مَالُكُمْ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ أَبَوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَاقْرُوهُمْ فِيهَا ، فَهُمْ كَالْأَعْرَابِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الْفَتَىٰ نَصِيبٌ » . قال : فلما جاء الفتح ، وانقطعت الهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » وكثر الإسلام ، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين ، وكان لهم في النوى نصيب ، وإن أقاموا وأبوا ، وكان حقهم في الإسلام واحد ، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكل أحد ، حين جاء الفتح .

فغنى الكلام على هذا التأويل : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة ، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين : أولى بالميراث ، ممن لم يؤمن ، ولم يهاجر .

وقوله (إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) قالوا : يوصى لقربته من أهل الشرك .
 قال : ثنا عبدة ، قال : قرأت على ابن أبي عروبة ، عن قتادة (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) قال : للقربة من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) قال : إلى أوليائكم من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ويحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عكرمة (إلى أوليائكم معروفا) قال : وصية .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) فقال : العطاء ، فقلت له : المؤمن للكافر بينهما قرابة ، قال : نعم عطاؤه إياه حياء ووصية له .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الإيمان والهجرة والخلف ، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) قال : حلفاؤكم الذين والى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يقول : إلا أن توصوا لهم .
 وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال : معنى ذلك : إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار ، معروفا من الوصية لهم ، والنصرة والعقل عنهم ، وما أشبه ذلك ، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده .
 وإنما اخترت هذا القول ، وقلت : هو أولى بالصواب من قيل من قال : عني بذلك الوصية للقربة من أهل الشرك ، لأن القريب من المشرك ، وإن كان ذا نسب فليس بالمولي ، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولدا بقوله (لا تتخذوا عدوي وعدوكم

أُولِيَاءَ) وغير جائز أن ينههم عن اتخاذهم أولياء ، ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء . وموضع « أن » من قوله ((إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا)) نصب على الاستثناء . ومعنى الكلام : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا . وقوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) يقول : كَانَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ : أى في اللوح المحفوظ مسطورا : أى مكتوبا ، كما قال الراجز :
 فِي الصُّحُفِ الْأُولَى الَّتِي كَانَ سَطَرَ ١
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) : أى أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . وقال آخرون : معنى ذلك : كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا : لا يرث المشرك المؤمن .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ، إذ كتبنا كل ما هو كائن في الكتاب (وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ، ويعنى بالميثاق : العهد ، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل (وَمِنْكَ) يا محمد (وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) يقول : وَأَخَذْنَا مِنْ جَمِيعِهِمْ عَهْدًا مُوَكَّدًا أَنْ يَصْدَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : وَذُكِّرْنَا أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « كُنْتُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » ، (وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) ميثاق أخذته الله على النبيين ، خصوصا أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للمعاج الراجز ، من أرجوزته المطولة التي مدح بها عمر بن عبد الله بن معمر وقد بعثه عبد الملك لحرب أبي فديك الخارجي ، فانتصر عليه . (ديوان المعاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٩) . والبيت شاهد على أن معنى سطر : كتب والسطر : الخط والكتابة .

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في أول النبيين في الخلق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) قال : في ظهر آدم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) قال : الميثاق الغليظ : العهد .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَيْسَ لَاصْدَاقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أمهم ، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة .
وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (لَيْسَ لَاصْدَاقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلغين المؤدّين من الرسل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَيْسَ لَاصْدَاقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : المبلغين المؤدّين من الرسل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (لَيْسَ لَاصْدَاقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) قال : الرسل المؤدّين المبلغين .

وقوله (وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول : وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوَصِر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق (إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) :

جنود الأحزاب : قریش ، وغطفان ، ويهود بني النضير (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا) وهي فيما ذكر :
ريح الصَّبا .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : قالت الجنوبُ
للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الشمال : إن الحرّة لا تسرى
بالليل ، قال : فكانت الريح التي أُرسلت عليهم الصَّبا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا الزبير ، يعني ابن عبد الله ، قال : ثنا ربيع بن
أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، قال : « قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر ، فهل
من شيء تقوله ؟ قال : نَعَمْ قُولُوا : اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، فَضَرْبَ اللَّهِ وَجْوهَ
أَعْدَائِهِ بِالرَّيحِ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ بِالرَّيحِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن عمرو ، عن نافع ، عن عبد الله ،
قال : « أُرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح ، إلى المدينة ، فقال : ائتنا بطعام ولحاف
قال : فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن لي وقال : مَنْ لَقِيتَ مِنْ أَصْحَابِي فَهَرِّمُ
يَرْجِعُوا ، قال : فذهبت والريح تسفي كل شيء ، فجعلت لأتقي أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي صلى
الله عليه وسلم ، قال : فما يَكْذُوبُ أحد منهم عنقه ، قال : وكان معي تُرس لي ، فكانت الريح تضربه على ،
وكان فيه حديد ، قال : فضربت الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي ، فأنفذها إلى الأرض » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب
القرظي ، قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحبتهموه ؟ قال : نعم يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجْهَدُ ، قال الفتى : والله لو
أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، لحملناه على أعناقنا . قال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر
لنا ما فعل القوم ؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع ! أدخله الله الجنة ، فما قام أحد ، ثم صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ
الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْعَةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ، فما قام رجل من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقيم أحد ،
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة اذهب
فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تتحدثن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت
في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقصروا ولا تفرحوا ولا تبنوا ، فقام أبو سفيان فقال :
يا معشر قریش ، لينظر امرؤ من جلسه ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي ، فقلت :

(١) هوى ، بهاء مفتوحة أو مضمومة ، وياه مشددة ، وهو الساعة الممتدة من الليل (اللسان : هوى) .

من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبوسفیان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، واختلفت بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ماترون ، والله ما يطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ، لو شئت لقتلته بسهم ؛ قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ؛ فلما رآني أدخلني بين رجله ، وطرح عليّ طرف الميرط ، ثم ركع وسجد وبنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذْ جَاءَ تَكْوِيمُ جُنُودٌ) قال : الأحزاب : عينة بن بدر ، وأبوسفیان ، وقريظة .

وقوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا) قال : ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورهم على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنهم . وقوله (وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) قال : الملائكة ولم تقاتل يومئذ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) ، إِذْ جَاءَ تَكْوِيمُ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) قال : العيني الملائكة ، قال : نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل أبوسفیان بقريش ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عينة بن حصن ، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب اليهود أبا سفيان وظاهره ، فقال حيث يقول الله تعالى (إِذْ جَاءَ وَكُومٌ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) فبعث الله عليهم الرعب والريح ، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله ، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حي يقول : يا بني فلان هلم إلى حتى إذا اجتمعوا عنده فقال : النجاء النجاء ، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) . . . الآية ، قال : كان يوم أبي سفيان يوم الأحزاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان ، أفي قول الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) إِذْ جَاءَ تَكْوِيمُ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) الجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح : الملائكة .

(١) العقوة : الساحة وما حول الدار . (عن اللسان : عقا) .

وقوله (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم يومئذ ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة ، وثباتهم لعدوهم ، وغير ذلك من أعمالهم ، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء ، يُحصيه عليهم ، ليجزيهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنُظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝

يقول تعالى ذكره : وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءكم جنود الأحزاب من فوقكم ، ومن أسفل منكم . وقيل : إن الذين أتوهم من أسفل منهم ، أبوسفيان في قريش ومن معه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ) قال عيينة بن بدر : في أهل نجد ، ومن أسفل منكم ، قال : أبوسفيان . قال : وواجهتهم قريظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ذكرت يوم الخندق وقرأت : (إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) قالت : هو يوم الخندق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، وعن لآتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القرظي ، وعن غيرهم من علمائنا : أنه كان من حديث الخندق ، أن نفرًا من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش ، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله فيهم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ

(١) نُسبته إلى أبيه الأعلى . (٢) في بعض نسخ السيرة لابن إسحاق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وليس فيه ابن الربيع .

(٣) كذا في السيرة . (٣ : ٢٢٥) طبعة الحلبي . وفي الأصل : منهم .

وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) . . . إلى قوله (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ما قالوا ، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك ، واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا فيه ، فأجابوهم ، فخرجت قريش وقائدها أبوسفیان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث ابن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومشعر بن ربيعة بن نؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع ؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة بين الجرف والغابة ٢ في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذي نقي إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء ، فرفعوا في الآطام ، وخرج عدو الله حي بن أخطب النضري ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بجي بن أخطب ، أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حي : يا كعب افتح لي ، قال : ويحك يا حي ، إنك امرؤ مشثوم ، إني قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ؛ قال : ويحك افتح لي أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جيشيتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : يا كعب جئت بكعز الدهر ، وبيحر طم ، جئت بك بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة ، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذي نقي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ، فقال له كعب بن أسد : جئتني والله بذل الدهر ، ويجهام قد هراق ماءه ، يرعد ويرق ، ليس فيه شيء ، فدعني ومحمدا وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء ؛ فلم يزل حي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه ، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، أحد بني الأشهل ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد بن ديلم أخى بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث

(١) في السيرة (الحلبي ٣ : ٢٦) : فاجتمعوا معهم فيه ، وسقط منها قوله : فأجابوهم .

(٢) في السيرة (الحلبي ٣ : ٢٣٠) زغابة ، بزاي مفتوحة ، وغين (وانظر السهيل ٢ : ١٨٩) .

ابن الخزرج ، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ ، فإن كان حقا فالحنوا إلى لحنا أعرفه ، ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس ، فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، ونالوا^١ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه ، وكان رجلا فيه جدّة ، فقال له سعد بن معاذ : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة : أي^٢ كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين ، وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيثى أحد بني حارثة ابن الحارث : يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو ، وذلك عن ملا من رجال قومه ، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ، وإنها خارجة من المدينة ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار^٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) فالذين جاءوهم من فوقهم : قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم : قريش وغطفان .

وقوله (وإذ زأغت الأبصار) يقول : وحين عدلت الأبصار عن مقرها ، وشخصت طامحة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإذ زأغت الأبصار) : شخصت . وقوله (وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) يقول : نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف ، فبلغت إلى الحناجر .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : (وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) قال : من الفرع .

وقوله (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) يقول : وتظنون بالله الظنون الكاذبة ، وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب ، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون ، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنوها من ظن من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا هود بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)

(١) في إحدى نسخ السيرة (الحلبي ٣ : ٢٢٣) : فيما نالوا . . . الخ .

(٢) كذا في السيرة (الحلبي ٣ : ٢٢٣) . وفي الأصل بدون أي ، (٣) في بعض المراجع : والحصا . وكتبها بالألف .

قال : ظنونا مختلفة : ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يُستأصلون ، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق ، إنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ، وبعض الكوفيين (الظُّنُونَا) باثبات الألف ، وكذلك (وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا - فَأَصْلَدُونَا السَّبِيلَا) في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم ، أن ذلك في كل مصاحف المسلمين باثبات الألف في هذه الأحرف كلها . وكان بعض قراء الكوفة يثبت الألف فيهن في الوقف ، ويحذفها في الوصل اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها ، فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف ، ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات ، فإن هذه الأحرف ، حسن فيها إثبات الألفات ، لأنهن رءوس الآي تمثيلا لها بالقوافي . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه في الوقف والوصل ، اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب إلا في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم ، وأنها إنما تفعل ذلك في القوافي طلبا لإتمام وزن الشعر ، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصح الشعر ، وليس ذلك كذلك في القرآن ، لأنه لا شيء يضطرهم إلى ذلك في القرآن ، وقالوا : هن مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف .

❦ وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب ، قراءة من قرأه بحذف الألف في الوصل والوقف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، مع شهرة القراءة بذلك في قراء المصريين : الكوفة ، والبصرة ، ثم القراءة باثبات الألف فيهن في حالة الوقف والوصل ، لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين . وإذا كانت العلة في إثبات الألف في بعض الأحوال كونه مثبتا في مصاحف المسلمين ، فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة ، لأنه مثبت في مصاحفهم . وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال موجودة في حال أخرى ، والقراءة مختلفة ، ، وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير ؛ لأن قوافي الشعر إنما تلحق فيها الألفات في مواضع الفتح ، والياء في مواضع الكسر ، والواو في مواضع الضم طلبا لتتمة الوزن ، وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه ، ولا شيء يضطر تالي القرآن إلى فعل ذلك في القرآن .

وقوله (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) يقول : عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين ، ومحض القوم وعرف المؤمن من المنافق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : محصوا .

وقوله (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) يقول : وحرّكوا بالفتنة تحريكا شديدا ، وابتلوا وفتنوا .

وقوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : شَكَّ فِي الْإِيمَانِ ، وَضَعَفَ فِي اعْتِقَادِهِمْ إِيَّاهُ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ، وَذَلِكَ فِيما ذُكِرَ قَوْلُ مُعْتَبِّ بْنِ قُشَيْرٍ .
وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قَالَ : ثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) يَقُولُ : مُعْتَبِّ بْنُ قُشَيْرٍ ، إِذْ قَالَ مَا قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ . قَالَ : ثنا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثنا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قَالَ : تَكَلَّمْتُمْ بِالنِّفَاقِ يَوْمَئِذٍ ، وَتَكَلَّمْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ ، قَالُوا : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ . حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) قَالَ : قَالَ ذَلِكَ أَنَسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ : قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا فَتَحَ فَارِسَ وَالرُّومَ ، وَقَدْ حَصَرْنَا هَاهُنَا ، حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَبْرُزَ لِحَاجَتِهِ ، مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ الْأَحْزَابِ لِرَجُلٍ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا فُلَانُ أَرَأَيْتَ إِذْ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كَيْسَرٌ فَلَا كَيْسَرَ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا ، وَأَحَدُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ يَبُولَ مِنَ الْخَوْفِ ؟ (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) . فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَكَ ، قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ فَقَالَ : كَذَبَ عَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا قُلْتُ شَيْئًا ، مَا خَرَجَ هَذَا مِنْ فَمِي قَطْ ، قَالَ اللَّهُ : (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) . . . حَتَّى بَلَغَ (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) قَالَ : فَهَذَا قَوْلُ اللَّهِ : (إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ عَثْمَةَ ، قَالَ : ثنا كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الْمُزَنِيِّ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : « خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ عَامَ ذِكْرِتِ الْأَحْزَابِ ، مِنْ أَحْمَرِ الشَّيْخِينَ ، طَرَفَ بَنِي حَارِثَةَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَذَادَ ، ثُمَّ جَعَلَ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا بَيْنَ كُلِّ عَشْرَةٍ ، فَاخْتَلَفَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي سَلَامَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا ، فَقَالَ الْأَنْصَارُ : سَلَامَانُ مِنَّا ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : سَلَامَانُ مِنَّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلَامَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » . إِذَا قَالَ عَمْرٍو بْنُ عَوْفٍ : فَكُنْتُ أَنَا وَسَلَامَانُ وَحُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَالنُّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ الْمُزَنِيُّ ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا ، فَحَفَرْنَا

(١) فِي الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ بِشَرْحِ الزُّرْقَانِيِّ ٢ : ١٠٢ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ لَا بُاسَ بِهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ الْمُزَنِيِّ ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّ الْخَنْدَقَ مِنْ أَحْمَرِ الشَّيْخِينَ . . . وَهُمَا أَطْمَانُ طَرَفِ بَنِي حَارِثَةَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَذَادَ . . .

تحت دوبار حتی بلغنا الصّری^۱، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروية^۲، فكسرت حديدنا، وشقّت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارقّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره خبر هذه الصخرة، فأما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لانحب أن نجاوز خطّه. فرّق سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مروية، فكسرت حديدنا، وشقّت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإننا لانحب أن نجاوز خطّك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق، ورقبنا نحن التسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدّ عنها، وبرّقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، يعني: لابتى المدينة، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فصدّ عنها وبرّقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة، فكسرها، وبرّقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، ثم أخذ بيد سلمان فرّق، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيته قط، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم، فقال: «هل رأيتم ما يقول سلمان؟» قالوا نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا؟ قد رأيناك تضرب، فيخرج برق كاللج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال: «صدّقتم ضربتي ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاء لي منه قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمّتي ظاهرة عليّ، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم، أضاء لي منه قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمّتي ظاهرة عليّ، ثم ضربت ضربتي الثالثة، وبرق منها الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمّتي ظاهرة عليّ، فأبشروا، يسلمهم النصر، وأبشروا، يسلمهم النصر، وأبشروا، يسلمهم النصر». فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعود صدق، بأن وعدنا النصر بعد الحصر، فطبقت الأحزاب، فقال المسلمون (هذا ما وعدنا الله ورسوله) . . . الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يُحمدكم ويمنّكم ويوعدهم الباطل، يُخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تسبرزوا؟ وأنزل القرآن: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ

(۱) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و «دوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها: حتى

إذا بلغنا. (۲) في بعض المراجع: مدورة. والصري: الماء.

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا شَمَّ سِيلُوا
الْفِتْنَةَ لَا تَوَّاهَا وَمَا نَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

﴿١٣﴾ يعني تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ) وإذ قال بعضهم : يا أهل يثرب ، ويثرب : اسم أرض ، فيقال : إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من يثرب . وقوله (لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) بفتح الميم من مقام . يقول : لا مكان لكم ، تقومون فيه ، كما قال الشاعر :

فَأَيُّ مَا وَأَيْتُكَ كَانَ شَرًّا فَقَيْسَدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

قوله (فَارْجِعُوا) يقول : فارجعوا إلى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه ، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك من قبل أوس بن قيطي ومن وافقه على رأيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد ، بن رومان (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) . . . إلى (فِرَارًا) يقول : أوس بن قيطي ، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه : والقراءة على فتح الميم من قوله (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بمعنى : لا موضع قيام لكم ، وهي القراءة التي لأستجير القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القراء عليها . وذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم ، يعني : لا إقامة لكم .

وقوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) يقول تعالى ذكره : ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ) . . . إلى قوله (إِلَّا فِرَارًا) قال : هم بنو حارثة ، قالوا : بيوتنا مخفية نخشى عليها السرق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعباس بن مرداس ، وقد سبق الاستشهاد به في (٢٠ : ٦٦) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٩٣ - ب) :
عند تفسير قوله تعالى « لا مقام لكم » : مفتوحة الأولى . ومجازها : لا مكان لكم تقومون فيه . ومنه قوله : « فأي ما وأيتك كان شرا » . . . البيت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) قال : نخشى عليها السرقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) وإنما مما يلي العدو ، وإنما نخاف عليها السراق ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجد بها عدوا ، قال الله : (إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) يقول : إنما كان قولهم ذلك (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) إنما كان يريدون بذلك الفرار .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا عبيد الله بن حمران ، قال : ثنا عبد السلام بن شداد أبو طالوت عن أبيه في هذه الآية (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ) قال : ضائعة ، وقوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) يقول : ولودخلت المدينة على هؤلاء القائلين (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) من أقطارها ، يعنى : من جوانبها ونواحيها ، واحدا : قطر ، وفيها لغة أخرى : قتر ، وأقتر ؛ ومنه قول الراجز :

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَدَهْنَ أَوْ تَمْرًا فَوَلَّهِمْ قُتْرَكَ الْأَشْرًا
وقوله (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) يقول : ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك (لَا تَوَّهَا) يقول : لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا . وقوله (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) يقول : وما احتبسوا عن إيجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا قليلا ، ولأسرعوا إلى ذلك .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) أى لو دخل عليهم من نواحي المدينة (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) : أى الشرك (لَا تَوَّهَا) يقول : لأعطوها ، (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) يقول : إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) يقول : لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّهَا) سئلوا أن يكفروا لكفروا ؛ قال : وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش ، والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا ؛ قال : والفتنة : الكفر ، وهى التى يقول الله (الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) أى الكفر يقول : يحملهم الخوف منهم ، وخبث الفتنة التى هم عاينها من النفاق على أن يكفروا به .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (لَا تَوَّهَا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة (لَا تَوَّهَا)

(١) البيتان من مشطور الرجز . ولم أقف على قائلهما . والشاهد فيهما فى قوله « قتر » بضم فسكون بمعنى القطر ، وهو الجانب والناحية . قال أبو عبيدة : « من أقطارها » أى من جوانبها ونواحيها . واحدا : قطر ، وفى « اللسان : قتر » القتر بضم فسكون « وقتر » بضمين : الناحية والجانب . لغة فى القطر . وهى الاقتار . اهـ . وفى (اللسان : قطر) : وفى التنزيل العزيز « من أقطار السموات والأرض » : أقطارها : نواحيها : واحدا : قطر ، وكذلك أقطارها ، واحدا : قتر . اهـ .

بقصر الألف ، بمعنى جاءوها . وقرأه بعض المكيين وعامة قرآء الكوفة والبصرة (لَا تَوْهَا) بمدّ الألف ، بمعنى : لأعطوها ، لقوله : ثم سئلوا الفتنة ؛ وقالوا : إذا كان سؤال كان إعطاء ، والمدّ أعجب القراءتين إلى لما ذكرت ، وإن كانت الأخرى جائزة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا دُبْرًا وَكَانَ اللَّهُ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه ، ويقولون إن بيوتنا عورة ، عاهدوا الله من قبل ذلك ، أن لا يولوا عدوهم الأدبار ، إن لقولهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، فما أوفوا بعهدهم (وكان عهدهم الله مسئولا) يقول : فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه .

وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا دُبْرًا ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) وهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفسلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها ، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ، لَا يُولُونَ إِلَّا دُبْرًا ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) قال : كان ناس غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن أشهدنا الله قتالا لقاتلن ، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد هؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ويقولون : إن بيوتنا عورة (لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ) يقول : لأن ذلك ، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال ، كرهتم أو أحببتهم (وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)

يقول : وإذا فررتُم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم ، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم ، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) وإنما الدنيا كلها قليل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن ربيع بن خثيم (وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : إلى آجالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن ربيع ابن خثيم (وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : ما بينهم وبين الأجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم مثله ، إلا أنه قال : ما بينهم وبين آجالهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي رزين ، أنه قال في هذه الآية (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا في الدنيا قليلا ، وليبكوا في النار كثيرا . وقال في هذه الآية (وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : إلى آجالهم أحد هذين الحديثين ، رفعه إلى ربيع بن خثيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم (وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : الأجل ، ورفع قوله (تُمَتَّعُونَ) ولم ينصب بإذن لاوالتى معها ، وذلك أنه إذا كان قبلها واو ، كان معنى « إذا » التأخير بعد الفعل ، كأنه قيل : ولو فرّوا لا يمتعون إلا قليلا إذا ، وقد يُنصب بها أحيانا ، وإن كان معها واو ، لأن الفعل متروك ، فكانها لأول الكلام .

وقوله (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ أَلَدِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إن بيوتنا عورة هربا من القتل : من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا في أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبلك ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ أَلَدِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟) أي أنه ليس الأمر إلا ما قضيت وقوله (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : ولا يجد هؤلاء المذائقون إن أراد الله بهم سوءا في أنفسهم وأموالهم من دون الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾ أَشْخَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَشِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ أَشْخَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَغْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدونهم عنه ، وعن شهود الحرب معه ، نفاقا منهم ، وتحذيرا عن الإسلام وأهله (والقائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) : أى تعالوا إلينا ، ودعوا محمدا ، فلا تشهدوا معه مشهده ، فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرا ، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) قال : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحما لآلهمهم أبوسفیان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقوله (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) : أى لا يشهدون القتال ، يغيبون عنه :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) : أى أهل النفاق (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) : أى إلا دفعاً وتعذيراً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) ، والقائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا يوم الأحزاب ، انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال له : أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ؟ فقال : هلم إلى هذا ، فقد بلغ بك وبصاحبك ، والذى يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا ، فقال : كذبت والذى يحلف به ، قال : وكان أخاه من أبيه وأمه ، أما والله لأخبرن النبی صلى الله عليه وسلم أمرک ؛ قال : وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ؛ قال : فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) والقائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) .

(١) كذا فى الأصل ، وفى الدر المنثور للسيوطى : لا يستق لها .

وقوله (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين، في هذا الموضع من الشَّحِّ، فقال بعضهم: وصفهم بالشَّحِّ عليهم في الغنيمة. ذكر من قال ذلك

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) في الغنيمة. وقال آخرون: بل وصفهم بالشَّحِّ عليهم بالخير. ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) قال: بالخير، المنافقون، وقال غيره: معناه: أشحَّة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالحبس والشَّحِّ، ولم يخص وصفهم من معاني الشَّحِّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشحَّة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ): كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسَم الغنيمة، بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس عن القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة. ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحَّة، وهم هكذا أشحَّة. ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشَّحِّ على المؤمنين، لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) أي للضغن الذي في أنفسهم.

وقوله (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) . . . إلى قوله (مِنَ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس، وجاء القتال، خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك ليوا إذا بك، تدور أعينهم، خوفا من القتل، وفرارا منه. (كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ): يقول: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأننوا (سَلَقُواكُمْ بِالْحَسَنَةِ حِدَادٍ). وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) من الخوف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ)، كالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ: أي إعظاما وفرقا منه.

وأما قوله (سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) . فإنه يقول : عَضُّوكم بِالسِّنَةِ ذَرِبَةً . ويقال للرجل الخطيب الذَرِبُ اللسان : خطيب مِسْلَقٌ ومِصْلَقٌ ، وخطيب سَلَّاقٌ وصَلَّاقٌ .
وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقُونَ المؤمنين به ، فقال بعضهم : ذلك سَلَقَهُمْ إِيَّاهُمْ عند الغنيمة ، بمسألتهم القَسَمَ لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) أما عند الغنيمة ، فأشخَّ قوم ، وأسوأ مقاسمة ، أعطونا أعطونا ، فلما قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق .

وقال آخرون : بل ذلك سَلَقَهُمْ إِيَّاهُمْ بِالْأَذَى .

ذكر ذلك عن ابن عباس

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) قال : استقبلوكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) قال : كلموكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يَسْلُقُونَهُم من القول بما تُحِبُّون ، نفاقاً منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ) في القول بما تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحمّلهم حِسْبَةً ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال (سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) فأخبر أن سَلَقَهُمُ الْمُسْلِمِينَ شُحّاً منهم على الغنيمة والخير ، فعلوم إذ كان ذلك كذلك ، أن ذلك لطلب الغنيمة . وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة ، دخل في ذلك قول من قال : معنى ذلك : سَلَقُواكُمْ بِالْأَذَى ، لأن فعلهم ذلك كذلك ، لاشكّ أنه للمؤمنين أذى .

وقوله (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) يقول : أشِحَّةً على الغنيمة ، إذا ظفر المؤمنون . وقوله (لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات ، لم يصدقوا الله ورسوله ، ولكنهم أهل كفر ونيفاق ، فأحبط الله أعمالهم ، يقول : فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها . وذكر أن الذي وُصِفَ بهذه الصفة كان بدريّاً ، فأحبط الله عمله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) ،

وكان ذلك على الله يسيراً) قال : فحدثني أبي أنه كان بدرية ، وأن قوله (أَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) : أحبط الله عمله يوم بدر .

وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) يقول تعالى ذكره : وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْنَ أَلَّا يَأْتِيَهُمُ الْغَارِبُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره : يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب ، وهم قريش و غطفان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قريش و غطفان .

وقوله (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا ، وإن كانوا قد انصرفوا جبناً و هلكاً منهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) قال : يحسبونهم قريباً .

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا ، فإذا وجدوهم لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) .

وقوله (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْنَ أَلَّا يَأْتِيَهُمُ الْغَارِبُ فِي الْأَعْرَابِ) يقول تعالى ذكره : وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة : واحدتهم حزب (يَوَدُّوْنَ) يقول : يتمنوا من الخوف و الجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفاً من القتل . وذلك أن قوله (لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) تقول : قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو ، وهو باد ؛ وأما الأعراب : فإنهم جمع أعرابي ، وواحد العرب عربي ، وإنما قيل أعرابي لأهل البدو ، فرقا بين أهل البوادي و الأمصار ، فجعل الأعراب لأهل البادية ، والعرب لأهل المصر .

وقوله (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ) يقول : يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنباءكم ، يعني عن أخباركم بالبادية ، هل هلك محمد وأصحابه ؟ نقول : يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم ، أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين :

ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا : يقول : إلا تعذيرا ، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) قال : أخبركم وقرأت قرأ الأمصار جميعا سوى عاصم الجحدري (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) بمعنى : يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم ، وذكر عن عاصم الجحدري أنه كان يقرأ ذلك (يَسْأَلُونَ) بتشديد السين ، بمعنى : يتساءلون : أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك .
والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قرأ الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَتَبَارَكَ اللَّهُ الْمُؤْمِنُونَ الْآخِرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ

اختلفت القراء في قراءة قوله (أُسْوَةٌ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (إِسْوَةٌ) بكسر الألف ، خلا عاصم بن أبي النجود ، فإنه قرأه بالضم (أُسْوَةٌ) ، وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ) بالضم ، وهما لغتان . وذكر أن الكسر في أهل الحجاز ، والضم في قيس ، يقولون : أُسْوَةٌ ، وأُسْوَةٌ ، وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة ، من المؤمنين به ، يقول لهم جل ثناؤه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أن تتأسوا به ، وتكونوا معه حيث كان ، ولا تتخلفوا عنه (لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) يقول : فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه ، ولكنه تكون له به أُسْوَةٌ في أن يكون معه حيث يكون هو .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ، قال : ثم أقبل على المؤمنين ، فقال (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به (وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) يقول : وأكثر ذكر الله في الخوف والشدّة والرخاء .

وقوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) يقول : وَلَمَّا عَايَنَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ جَمَاعَاتَ الْكُفَّارِ قَالُوا تَسْلِيماً مِنْهُمْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَإِيقَانًا مِنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ لِنَجَازِ وَعْدِهِ لَهُمْ ، الَّذِي وَعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَدَخَّلُوا الْجَنَّةَ) وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (قَرِيبٌ) هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ يَقِينِهِمْ ، وَتَسْلِيمِهِمْ لِأَمْرِهِ الثَّناء ، فَقَالَ : وَمَا زَادَهُمْ أَجْمَاعُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَسْلِيمًا لِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ، وَوَرَقَهُمْ بِهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ .

وبالذی قلنا فی ذلك قال أهل التأویل .

ذكر من قال ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) . . . الآية قال : ذلك أن الله قال لهم في سورة البقرة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَدَخَّلُوا الْجَنَّةَ) . . . إلى قوله (إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ) قال : فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق ، تأول المؤمنون ذلك ، ولم يزدتهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان ، قال : ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) : أي صبراً على البلاء ، وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَهُمْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَقَالَ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَدَخَّلُوا الْجَنَّةَ) وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ (خَيْرُهُمْ وَأَصْبَرُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ) مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) هَذَا وَاللَّهُ الْبَلَاءُ وَالنَّقْصُ الشَّدِيدُ ، وَإِنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَوْا مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) وَتَصَدَّقَ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ ، وَتَسْلِيمًا لِقَضَاءِ اللَّهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه، كما قضى من قضى منهم على الوفاء لله بعهدده، والنصر من الله، والظفر على عدوه. والنحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت، كما قال الشاعر:

قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرٌ^١

يعنى: منيته ونفسه؛ ومنها الخطر العظيم، كما قال جرير:

بِطَخْفَةٍ جَالِدًا الْمُلُوكَ وَخَيْلَنَا عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرَّيْنًا عَلَىٰ نَحْبٍ^٢

أى على خطر عظيم؛ ومنها النحب، يقال: نحب في سيره يومه أجمع: إذا مد فلم ينزل يومه وليلته؛ ومنها النحب، وهو الخطار، كما قال الشاعر:

وَإِذْ نَحَبْتُ كَلْبًا عَلَى النَّاسِ أَبْهَمُ أَحَقُّ بِتَاجِ الْمَاجِدِ الْمُتَكَوِّمُ^٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنى يزيد بن رومان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ): أى وفوا الله بما عاهدوه عليه (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ما وعد الله من نصره والشهادة على ماضى عليه أصحابه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال: عهده فقتل أو عاش (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) يوما فيه جهاد، فيقضى نجه عهده، فيقتل أو يصدق في لقائه.

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة وصدره: عشية فر الحارثيون بعدما ه وهوبر: اسم رجل، أراد ابن هوبر (اللسان: هبر). وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن، عند قوله تعالى: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ»: «أى نذره الذي كان. والنحب أيضا النفس: رأى الموت». قال ذو الرمة: قضى نجه. «أى نفسه، وإنما هو أيضا يزيد بن هوبر، اه. وفي الديوان (طبعة كبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر، وهوبر رجل من بني الحارث بن كعب.

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطمى (أبو عبيدة، مجاز القرآن، الورقة ١٧٤ ب) و (اللسان: نحب) قال: وجعله جرير ابن الخطمى: الخطر العظيم، قال: «بطخفة... البيت»، أى خطر عظيم. وطخفة، بفتح الطاء وكسرهما: جبل أحمر طويل في ديار بني تميم. كانت به رقعة بين بني يربوع، وقابوس بن النعمان، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشا، وأمر عليه ابنه قابوس وأخاه حسان، فهزمتهم بنو يربوع بطخفة، وأسروها حتى منوا عليهما، فذلك الذى أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكري طخفة) (٣) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٧٥٩) والتنحيب هنا مصدر نحب، بشد الحاء أى صاح أو نادى بشدة. وأصل التنحيب: الدأب على الشيء، والإكباب عليه لا يفارقه (اللسان: نحب). وجعله المؤلف بمعنى الخطار، ولعله يراه المخاطرة بالنفس.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ)
 قال : عهده (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : يوما فيه قتال ، فيصدق في اللقاء .
 قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال : مات على العهد .
 قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن فلان « قد سماه ذهب عني اسمه » ، عن أبيه (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال : نذره .

حدثنا ابن إدريس ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمه عيسى بن طلحة : أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله : من الذين قضوا نحبهم ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران ، فقال : « هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ » .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال : موته على الصدق والوفاء . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على مثل ذلك ، ومنهم من بدل تديلا ١ .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قال : النحب : العهد .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) على الصدق والوفاء (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) من نفسه الصدق والوفاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال : مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، قال شريك بن عبد الله ، أخبرنا عن سالم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) قال : الموت على ما عاهد الله عليه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) الموت على ما عاهد الله عليه .

وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا ، فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أوفى فقصي نجه ، ومنهم من بدل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نجه ، وكان منتظرا ، على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية :

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أنس بن النضر تغيب ، عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وهزم الناس ، لقي سعد بن معاذ

(١) الذي في الدر المنثور بدله : وآخرون ما بدلوا تديلا .

فقال : والله إني لأجد ریح الجنة ، فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فنزلت فيه هذه الآية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن بكير ، قال : ثنا حميد ، قال : زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، لأن أشهدني الله قتالا ، ليرين الله ما أصنع ؛ فلما كان يوم أُحُد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، فشئ بسيفه ، فلقبه سعد ابن معاذ ، فقال : أي سعد إني لأجد ریح الجنة دون أُحُد ، فقال سعد : يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بضع وثمانون جراحة : بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فأعرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) نزلت فيه ، وفي أصحابه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت حميدا يحدث ، عن أنس بن مالك ، أن أنس بن النضر ، غاب عن قتال بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة « أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا لا يجرون على مسأله ، فقالوا للأعرابي : سله (مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) من هو ؟ فسأله ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم دخلت من باب المسجد وعلى ثياب خضر ؛ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أين السائلُ عمن قَضَىٰ نَحْبَهُ ؟ قال الأعرابي : أنا يا رسول الله ، قال : هذا ممن قَضَىٰ نَحْبَهُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحيماني ، عن إسحاق بن يحيى الطلحي ، عن موسى بن طلحة ، قال : قام معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ » .

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثني أبي ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة ، عن عمه موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة ، قال : لما قدمنا من أُحُد وصرنا بالمدينة ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، فخطب الناس وعزاهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر ، ثم قرأ (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) . . . الآية ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فالتفت وعلى ثوبان أخضران ، فقال : أيها السائلُ هذا مِنْهُمْ » .

وقوله (وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا) : وما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم تغييرا ، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم : هلم إلينا ، والقائلون : إن بيوتنا عورة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) يقول : ما شكبوا وما ترددوا في دينهم ، ولا استبدلوا به غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) : لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون .

وقوله (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) : يقول : ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ، ووفائهم له به (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ) بكفرهم بالله ونفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) من نفاقهم ، فيهديهم للإيمان .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) يقول : إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان .

❦ إن قال قائل : ما وجه الشرط في قوله (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ) بقوله (إِن شَاءَ) والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق ، فيقال ويعذبه إن شاء ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته . وإنما معنى ذلك : ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فلا استثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم .

وقد بين ما قلنا في ذلك قوله (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) فعنى الكلام إذن : ويعذب المنافقين إذ لم يهدم للتوبة ، فيوفقهم لها ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم .
وقوله (إِن شَاءَ) (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول : إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين ، رحيمًا بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٥٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) به وبرسوله من قُرَيْشٍ و غطفان (بِغَيْظِهِمْ) يقول : بكربهم وغمهم ، بفوتهم ما أملوا من الظفر ، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة (لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) يقول : لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) الأحزاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب ، ردَّ الله أبا سفيان وأصحابه بغیظهم لم ينالوا خيرا (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالجنود من عنده ، والريح التي بعث عليهم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) : أي قریش وغطفان .

حدثني الحسين بن علي الصَّدَاقِي ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : حُسِبْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الصَّلَاةِ ، فَلَمْ نَصِلْ الظُّهْرَ ، وَلَا الْعَصْرَ ، وَلَا الْمَغْرِبَ ، وَلَا الْعِشَاءَ ، حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعِشَاءِ يَهْوَى كَفِينَا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ ، فَأَحْسَنَ صَلَاتَهَا ، كَمَا كَانَ يَصَلِّي فِي وَقْتِهَا ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ كَذَلِكَ ، جَعَلَ لِكُلِّ صَلَاةٍ إِقَامَةً ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ صَلَاةُ الْخَوْفِ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : حُسِبْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَذَكَرْنَا نَحْوَهُ . وقوله (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) يقول : وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ فَعَاهُ بِخَلْقِهِ ، فَيَنْصَرُّ مِنْ شَاءِ مَنْهُمْ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَخْذِلَهُ ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ ؛ عَزِيزًا : يَقُولُ : هُوَ شَدِيدُ انتقامه مِمَّنْ انْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) : قَوِيًّا فِي أَمْرِهِ ، عَزِيزًا فِي نَقْمَتِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى .

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۖ

﴿ يقول تعالى ذكره : وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش و غطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحزابه ، وذلك هو مظاهرتهم إياه ، وعنى بذلك بنى قريظة ، وحم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعنى : من أهل التوراة ، وكانوا يهود : وقوله (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) يعنى : من حصونهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) قال قريظة ، يقول : أنزلهم من صياصيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو قريظة ، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه ، فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبي الله ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه ، وقد غسلت شقه ، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقال : عفا الله عنك ، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ، فانهض إلى بنى قريظة ، فإنى قد قطعت أوتارهم ، وفتحت أبوابهم ، وتركتهم فى زلزال ولبال ؛ قال : فاستلثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلك سكة بنى غنم ، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب ؛ قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصروهم وناداهم : يا إخوان القردة ، فقالوا : يا أبا القاسم ما كنت فحاشا ، فنزلوا على حكم ابن معاذ ، وكان بينهم وبين قومه حلف ، فجوا أن تأخذه فيهم هواة ، وأوما إليهم أبو لبابة أنه الذبح ، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تسبي ذراريهم ، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقال قومه وعشيرته : آثرت المهاجرين بالعقار علينا ؛ قال : فلأنكم كنتم ذوى عقار ، وإن المهاجرين كانوا لاعقار لهم . وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال « قَضَىٰ فِيكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال « لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، معتمدا بعمامة من إسبرق ، على بغلة عاها رحالة ، عاها قطيفة من ديباج ؛ فقال : أقدم وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالحمد بالسير إلى بنى قريظة ، وأنا عامد إلى بنى قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ،

فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ : إِنْ مِنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصِلِينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ ، وَقَدْ رَسُلَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَأْيِهِ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ ، فَسَارَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحَصُونِ ، سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةَ قَبِيحَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخْبَاطِ ، قَالَ : لِمَ ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ لِي مِنْهُمْ أَذًى ، قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لَوْ قَدْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَصُونِهِمْ قَالَ : يَا إِخْوَانُ الْقِرَدَةِ هَلْ أَخْزَاكُمْ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ : مَا كُنْتُ جَهُولًا ، وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْصُورِينَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ ، فَقَالَ : هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ مَرَّ بَنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ بِيضَاءَ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دِيْبَاجٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَاكَ جَسْبَرَاثِيلُ بَعِثَ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ يُزَلِّزُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيظَةَ ، نَزَلَ عَلَى بَثْرٍ مِنْ آبَارِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ يَقَالُ لَهَا : بَثْرَانَا ، فَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ ، فَأَتَاهُ رَجَالٌ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَمْ يَصِلُوا الْعَصْرَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَلَا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ .

وَالْحَدِيثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مَعْبُدِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : وَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَهِدَهُمُ الْحَصَارُ وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ . وَقَدْ كَانَ حُسَيْنُ بْنُ أَخِطَبٍ دَخَلَ عَلَى بَنِي قَرِيظَةَ فِي حَصْنِهِمْ حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ قَرِيشٌ وَغُطْفَانٌ وَفَاءٌ لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ بِمَا كَانَ عَاهِدَهُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَبْقَنُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مَنْصَرِفٍ عَنْهُمْ حَتَّى يَبْأَجِزَهُمْ ، قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ ، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا ، فَخُذُوا أَيُّهَا ، قَالُوا : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : تَبَايَعُ هَذَا الرَّجُلُ وَنَصْدَقُهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَنَبِيٍّ مَرْسَلٍ ، وَإِنَّهُ الَّذِي كُنْتُمْ تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، فَتَأْمَنُوا عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ ، قَالُوا : لَا نَفَارِقُ حَكْمَ التَّوْرَةِ أَبَدًا ، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَلِذَا أَبَيْتُمْ هَذِهِ عَلَى ، فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رَجَالًا مُصَلَّتِينَ بِالسُّيُوفِ ، وَلَمْ نَتْرِكْ وَرَاءَنَا ثَقْلًا يَهْمُنَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنْ نَهَلَكَ نَهْلَكَ وَلَمْ نَتْرِكْ وَرَاءَنَا شَيْئًا نَخْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَهَرَ فَلَعَمْرِي لَنَتَّخِذَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، قَالُوا : نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ، فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ؟ قَالَ : فَلِذَا أَبَيْتُمْ هَذِهِ عَلَى ، فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُوا ، فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا أَنْ نَصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غُرَّةً - قَالُوا : نَفْسُ سَبْتِنَا وَنَحْدُثُ فِيهِ مَا لَمْ يَكُنْ أَحْدَثَ فِيهِ مِنْ كَانَ قَبْلَانَا ؟ أَمَا مِنْ قَدْ عَلِمْتَ فَأَصَابَهُمْ مِنَ الْمَسْخِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا ، قَالَ : ثُمَّ لَأَنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذَرِ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانُوا مِنْ حُلَفَاءِ الْأَوْسِ نَسْتَشِيرُهُ

فی أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان
 يبيكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار
 بيده إلى حلقه ، إنه الذبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ؛
 ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من
 عمده وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت وعاهد الله لا يظأ بنى قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد
 خنت الله ورسوله فيه أبدا ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنّه
 لو كان جاءني لاستغفرت له ، أما إذ فعل ما فعل ، فمأنا بالذي أطلقه من مكاهيه
 حتى يتوب الله عليه ؛ ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هذيل
 ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها
 قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فرج بحرس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟
 قال : عمرو بن سعدى ؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبدا ، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي إقالة عثرات الكرام ،
 ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم
 ذهب ، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ؛ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ،
 فقال : ذاك رجلٌ بنجّاهُ اللهُ بيوفاؤه . قال : وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق
 من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت زمته مُلقاة ، ولا يدرى أين
 ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، فالله أعلم .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول
 الله إنهم مواليّنا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله
 إياهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فوهبهم له ؛ فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذالك إلى
 سعد بن معاذ ؛ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم يقال
 لها ربيعة في مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالحنديق « اجعلوه في خيمة
 ربيعة حتى أعوده من قريب ؛ فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة ، أتاه قومه
 فاحتملوه على حمار ، وقد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك

لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثرُوا عليه قال : قد آن لسعد أن لاتأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه ؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال : قووا إلى سيدكم ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولالك مواليتك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، إن الحكم فيهم كما حكمت ، قال : نعم ، قال : وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، قال سعد : فإنني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْبَعَةِ ، ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ أَمْرَأَةً مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَوْقِ الْمَدِينَةِ ، الَّتِي هِيَ سَوْقُهَا الْيَوْمَ ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حُسَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدَ رَأْسَ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعَ مِائَةٍ ، وَالْمَكْثَرُ مِنْهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مِنَ الثَّمَانِ مِائَةً إِلَى التَّسْعِ مِائَةٍ ، وَقَدْ قَالَوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدَ وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا يَا كَعْبُ ، مَا تَرَى مَا يُصْنَعُ بِنَا ؟ فَقَالَ كَعْبُ : أَفِي كُلِّ مَوْطَنٍ لَا تَعْقِلُونَ ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُذْهَبُ بِهِ مِنْكُمْ فَا يَرْجِعْ ، هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُتِيَ بِحُسَيِّ بْنِ أَخْطَبَ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فُصْحَاحِيَةٌ قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَوْضِعِ الْأَنْمَلَةِ أَنْمَلَةٌ أَنْمَلَةٌ ، لَتَلَا يَسَاجِبُهَا ؛ مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلْ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ ، وَمَلْحَمَةُ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ ؛ فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَّالِ الْثَعَالِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلْ
لِحَاهِدَةٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُدْرَتَهَا وَقَلْبُ قَلْبٍ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلٍ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي

(١) البيتان لجبل بن جوال الثعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة (عن الروض الأنف للسيوطي ، والاستيعاب لابن عبد البر . وانظر سيرة ابن هشام طبعة الخليلي) : ٣ : ٢٥٢ ومعنى قتل : أي تحرك . وقد قال البيهقي عند مقتل حبي بن أخطاب رأس بني قريظة .

تحدثت معي وتضحك ظهرا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ؟ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قال : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجيبي منها طيب نفس ، وكثرة ضحكك وقد عرفت أنها تُقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيه) والصياصي : الحصون والآطام التي كانوا فيها (وقذف في قلوبهم الرعب) .

حدثنا عمرو بن مالك البكري ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة (من صياصيه) قال : من حصونهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (من صياصيه) يقول : أنزلهم من صياصيه ، قال : قصورهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (من صياصيه) : أي من حصونهم وآطامهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيه) قال : الصياصي : حصونهم التي ظنوا أنها مانعهم من الله تبارك وتعالى ؛ وأصل الصياصي : جمع صيصة ، وعنى بها ههنا : حصونهم ؛ والعرب تقول لطرف الجبل : صيصة ؛ ويقال لأصل الشيء : صيصة ؛ يقال : جز الله صيصة فلان : أي أصله ؛ ويقال لشوك الحماكة : صياصي ، كما قال الشاعر :

كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ ١

وهي شوكتنا الديك .

وقوله (وقذف في قلوبهم الرعب) يقول : وألقى في قلوبهم الخوف منكم (فريقا تقتلون) يقول : تقتلون منهم جماعة ، وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ظهر عليهم (وتأسرون فريقا) يقول : وتأسرون منهم جماعة ، وهم نساؤهم وذرايرهم الذين سبوا .

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة ، وصدره « فجئت إليه والرياح تنوشه » (لسان العرب : صيص) . قال أبو عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٤ - ١) عند قوله تعالى : « من صياصيه » : أي من حصونهم وأصولهم . وهي أيضا شوكة الحماكة ، قال : « كوقع الصياصي في النسج الممدد » وهي شوكتنا الديك ، وهي قرن للبقرة أيضا . اهـ . وفي (اللسان : صيص) : والصيص : شوكة الحماكة التي يسوى بها السداة واللحمة ، قال دريد بن الصمة . فجئت إليه . . . البيت . ومنه صيصية الديك التي في رجله . وصياصي البقر : قرونها . وربما كانت تركب في الرماح مكان الأسننة . والصياصي : الحصون . وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصية . ومنه قيل للحصون الصياصي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) الذين ضربت أعناقهم (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) الذين سبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) أى قتل الرجال وسبى الذراري والنساء (وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يقول : وملككم بعد مهلكهم أرضهم ، يعنى مزارعهم ومغارسهم وديارهم ، يقول : ومساكنهم وأموالهم ، يعنى سائر الأموال غير الأرض والدور .

وقوله (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا) اختلف أهل التأويل فيها ، أى أرض هي ؟ فقال بعضهم : هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التي فتحها الله بعد ذلك على المسلمين . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا) قال : قال الحسن : هي الروم وفارس ، وما فتح الله عليهم . وقال آخرون : هي مكة . وقال آخرون : بل هي خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا) قال : خيبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ) قال : قُرَيْظَةُ وَالنَضِيرُ أَهْلُ الْكِتَابِ (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا) قال : خيبر . والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قريظة وديارهم وأموالهم ، وأرضاً لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن ، مما كان وطئوه يومئذ ، ثم وطئوها ذلك بعد ، وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل فى قوله (وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا) لأنه تعالى ذكره لم يخص من ذلك بعضاً دون بعض . (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) يقول تعالى ذكره . وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك ، وعلى نصره إياهم ، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة ، لا يتعذر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

ﷺ يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) وقوله (وَأُتْرَحْكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا) يقول : وأطلقكن على ما أذن الله به ، وأدب به عباده بقوله (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وإن كنتم تريدون رضا الله ورضا رسوله وطاعتها فأطعنهما (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ) وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله (أَجْرًا عَظِيمًا) .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض الدنيا ، إما زيادة في النفقة ، أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر ، ثم أمره الله أن يخبرهن بين الصبر عليه ، والرضا بما قسم لهن ، والعمل بطاعة الله ، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذي يقسم لهن . وقيل : كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارمتها :

ذكر الرواية بقول من قال : كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبيوب ، عن أبي الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال عمر : إن شئتم لأعلمن لكم شأنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أذن له ، قال : فجعلت : أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، أو كلمة نحوها ، فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة ، فقال : ذلك حبسني عنكم ، قال : فأتى حفصة ، فقال : لا تسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئا ما كانت لك من حاجة فإلى ، ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يكلمهن ، فقال لعائشة : أيعرك أنك امرأة حسنة ، وأن زوجك يحبك ؟ لتنتهين ، أو لينزلن فيك القرآن ، قال : فقالت أم سلمة : يا ابن الخطأب ، أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها ؟ قال : ونزل القرآن (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) . . . إلى قوله (أَجْرًا عَظِيمًا) قال : فبدأ بعائشة فخيرها ، وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأت بأحد من نسائك قبلي ؟ قال : لا ، قالت : فإني أختار الله ورسوله ، والدار الآخرة ، ولا تخبرهن بذلك ، قال : ثم تتبعهن فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن ، ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتتابعن على ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُتْرَحْكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا) . . . إلى قوله (أَجْرًا عَظِيمًا) قال : قال الحسن وقتادة : خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شيء كن

أردنه من الدنيا . وقال عكرمة في غيرة : كانت غارتها عائشة ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قریش : عائشة ، وحفصة ، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأمّ سلمة بنت أبي أمية ، وكانت تحته صفية ابنة حيّ الحبيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرة بنت الحارث من بني المصطلق ، وبدأ بعائشة ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن كلهنّ على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ، في قول الله (يا أيها النّبيّ قل لا أزواجك إنّ كنننّ تردنّ الحياء الدّنيا وزينتها) . . . إلى قوله (عطيّا) قالوا : أمره الله أن يخبرهنّ بين الدنيا والآخرة والجنة والنار ؛ قال قتادة : وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا ، وكان تحته تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأمّ سلمة بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرة بنت الحارث من بني المصطلق ، وصفية بنت حيّ بن أخطب ؛ فبدأ بعائشة ، وكانت أحبهنّ إليه ؛ فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، رؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة قال : لما اخبرن الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك فقال (لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ) فقصره الله عليهنّ ، وهنّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله . ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (ترجي من تشاء منهنّ) ، وتؤوي إليك من تشاء) . . . الآية ، قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فهجرهنّ شهرا ، نزل التخيير من الله له فيهنّ (يا أيها النّبيّ قل لا أزواجك إنّ كنننّ تردنّ الحياء الدّنيا وزينتها) فقرأ حتى بلغ (ولا تبرّجنّ تبرّج الجاهليّة الأولى) فخبرهنّ بين أن يخرن أن يخلن سبيلهنّ ويسرحهنّ ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهنّ أمّهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهنّ ، لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده ، وعزل فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ، ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهنّ ، لإيثار بعضهنّ على بعض ، أدنى أن يرضين ؛ قال : ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخبرهنّ بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهنّ ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت ، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت

عائشة : لما نزل الخيار ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أذكر كرك لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمرى أبويك ؛ قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : فردّه عليها ، فقالت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : فقرأ عليهن (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها) . . . إلى آخر الآية ؛ قالت : قلت : بل نختار الله ورسوله ؛ قالت : ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت آية التخيير ، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة ، فقال : يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تقضيني فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك ، أبي بكر وأمّ رومان ، فقالت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : قال الله (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها) إلى (عظيم) ، فقلت : إني أريد الله ورسوله ، والدار الآخرة ، ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأمّ رومان ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقرأ الحجر فقال : إن عائشة قالت كذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم « لما نزل إلى نسائه أمر أن يجيرهن » ، فدخل عليّ فقال : سأذكر لك أمراً ولا تعجليني حتى تستشيرى أباك ، فقلت : وما هو يا نبي الله ؟ قال : إني أريد أن أختبر كن ، وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين ؛ قالت : قلت : وما الذي تقول ؟ لا تعجلي حتى تستشيرى أباك ، فإني أختار الله ورسوله ؛ فسرّ بذلك ، وعرض على نسائه ، فتابعن كلهن ، فاخترن الله ورسوله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني موسى بن عليّ ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه ، بدأني ، فقال : إني ذاك لك أمراً ، فلا عليك أن لا تعجليني حتى تستأمرى أبويك ؛ قالت : قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه ؛ قالت : ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن كنن وأسترحكنن سرا حاً جميلاً) قالت : فقلت : في أيّ هذا أستمرا أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله ، والدار الآخرة ؛ قالت عائشة : ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت ، فلم يكن ذلك حين قاله لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخترنه طلاقاً من أجل أنهن اخترنه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَلِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَدْحَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) يقول : من يزن منكن الزنى المعروف الذي أوجب الله عليه الحد ، يضاعف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس (يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) قال : يعني عذاب الآخرة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ) بالألف غير أبي عمرو ، فإنه قرأ ذلك (يُضَعَّفُ) بتشديد العين تأولا منه في قراءته ذلك أن يضاعف ، بمعنى : تضعيف الشيء مرة واحدة ، وذلك أن يجعل الشيء شيئين ، فكأن معنى الكلام عنده : أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة ، مثلى عذاب سائر النساء غيرهن ، ويقول : إن (يُضَاعَفُ) بمعنى أن يجعل إلى الشيء مثله ، حتى يكون ثلاثة أمثاله فكأن معنى من قرأ (يُضَاعَفُ) عنده كان أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . فلذلك اختار يضاعف على يضاعف . وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يضاعف ما كان يقول في ذلك ، ويقولون : لانعلم بين : وَيُضَاعَفُ وَيُضَعَّفُ فرقا .

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك (يُضَاعَفُ) . وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو ، فتأويل لانعلم أحدا من أهل العلم ادّعاء غيره ، وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له .

وقوله (وكان ذلك على الله يسيرا) يقول تعالى ذكره : وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك

منهن على الله يسيرا ، والله أعلم .

تم الجزء الحادى والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثانى والعشرون

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (وَمَنْ يَفْقَهُتْ مِنْكُمْ)

